

الدِّيْبَاجُ الْخُسْرَوَانِي فِي الْأَخْبَارِ الْعَيَّانِ لِلْمُخْلَافِ السَّلِيمَانِي

المسمى

“الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك”

(تاريخ منطقة جازان)

للفترة من ١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ / ١٨٠٢ - ١٨٥٣ م

تأليف

الحسين بن محمد عاكش الضمدي

(١٢١٩ - ١٢٩٠ هـ / ١٨٠٤ - ١٨٧٣ م)

حققه ودرسه وعلق عليه

أ. د. إسماعيل بن محمد البشري



۷

تكمیل الفصل الثانی

الفصل الثالث من ۲۵۲ إلى آخر

ومؤلف الكتاب هو الحسن بن أحمد عاكش أحد الأفراد الذين عاصروا تلك الأحداث ، إلى جانب أنه قضى أكثر من عشرين عاماً في الدراسة والتكوين العلمي ، والاطلاع على المصادر التاريخية وغيرها والتي ظهر أثرها جلياً في تاريخه هذا.

ولكون الكتاب أحد أهم المصادر التاريخية لمنطقة جازان فقد حرصت دارة الملك عبدالعزيز على نشره في صورة مرضية ومناسبة؛ تمثلت فيما بذله محقق الكتاب من جهد مشكور في نقل النص وتوثيقه والتعليق عليه، واستكمال ملحوظات المحكمين الذين قامت الدارة بتكليفهم بمراجعة الكتاب وتحكيمه.

وإن دارة الملك عبدالعزيز - وهي تضع هذا الكتاب بين أيدي القراء الكرام - لتأمل أن يلقي قبولاً ظاهراً، وأن يسد بقيمته التاريخية والأدبية فراغاً طويلاً ، وأن تتلوه الدراسات التي تستمد منه وتستفيد مما ورد فيه من أحداث تاريخية وعلمية وأدبية.

دارة الملك عبدالعزيز

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. وبعد
فإن كتاب «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني»
للحسن بن أحمد عاكش الضمدي (١٢١٩ - ١٢٩٠ هـ / ١٨٠٤ - ١٨٧٣ م)
يعد من أهم المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ جنوب غرب
الجزيرة العربية خلال الفترة من (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ / ١٨٠٢ - ١٨٥٣ م)
إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، فقد اعتمد عليه كل مؤرخي تلك الفترة
بل كل راصدي الحركة الفكرية والأدبية والاجتماعية خلال القرنين
الماضيين.

وإنني حينما قمت بهذا العمل العلمي كنت أتطلع إلى استكمال سلسلة
التحقيق والدراسة لمخطوطات هذا العالم المؤرخ الكبير حيث سبق لي أن
حققت كتاب: (حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر) ونشر عام
١٤١٣ هـ، ثم كتاب (عقود الدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر)
والذي صدر في مجلدين عام ١٤١٨ هـ، ويأتي كتاب «الديباج» ليكمل
الحلقة الخاصة بالكتب المهمة التي ألفها «عاكش» لتضيف جميعها رصيذاً
علمياً إلى المكتبة التاريخية السعودية.

وسيجد القارئ الكريم - في طيات هذا السفر - الكثير من المعلومات
في مجالات مختلفة تحمل طابع التأليف في ذلك العصر من حيث المنهج
والأسلوب ، حيث تمكن المؤلف خلال عرضه ونقله ونقاشه وتحليله
وتفسيره واجتهاده في عدد من الموضوعات والقضايا والمناقشات أن يقدم
صورة متكاملة عن طبيعة عصره وبيئته ومجتمعه.

لقد عشت مع المخطوط سنوات عدة أعالج جوانب النقص وأستدرك
مواقع الخلل وأدرس وأعلق وأجبل قلم التوضيح هنا وهناك ، فإن أصبت
فمن الله، والحمد لله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله المستعان.

وإنني لا أملك في هذا المقام إلا أن أقدم الشكر والتقدير إلى دارة الملك عبدالعزيز على جهودها الكريمة، واهتمامها بنشر هذا السفر العلمي المهم، وأخص بالشكر أمينها العام الدكتور/ فهد السماري ، ومساعدته الدكتور/ ناصر الجهيمي ، والأستاذ/ عبدالرحمن السدحان ، كما يجدر بي هنا أن أقدم عبارات شكر للعديد من الزملاء الذين كان لهم كبير الفضل في المساعدة حول بعض القضايا الشرعية والأدبية وهم الدكتور/ محمد الدويش ، والدكتور/ سعيد الغامدي ، والدكتور/ محمد الحازمي ، كما أشكر الشيخ/ زيد بن محمد المدير الذي تفضل بإهدائي أصل المخطوط كرمًا منه وفضلاً .

أمل أن يحظى هذا الجهد بالقبول وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في القول والعمل إنه سميع مجيب.

أ.د. إسماعيل محمد البشري

مدير جامعة الشارقة

مقدمة التحقيق

أولاً :

- (أ) الكتاب وأهميته التاريخية .
 - (ب) المؤلف ومنهجه في الكتابة .
 - (ج) وصف المخطوطات المستخدمة في التحقيق .
 - (د) منهج المحقق .
- ثانياً : توطئة تاريخية .

(أ) الكتاب وأهميته التاريخية:

لم يحظ المخلاف السليماني بتدوين تاريخه وتراجم أعيانه في أي فترة من التاريخ كما حظي بها في القرنين الماضيين . فقد قيض الله له بعض العلماء والأدباء الذين عنوا بكتابة تاريخه، وتراجم رجاله التي تحتوي على إضاءات تاريخية رائعة ، وذلك عبر مؤلفات مختلفة : منها ما زال مخطوطاً ومنها ما تم تحقيقه ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١ - العقد المفضل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب :
للشيخ علي بن عبدالرحمن البهكلي ، وهو يؤرخ للفترة (١١٠١ - ١١٠٥ هـ / ١٦٨٩ - ١٦٩٣ م) ، وقد حققه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ونشره .

٢ - خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد : للقاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي ، وهو يؤرخ للفترة (١١٤١ - ١١٨٤ هـ / ١٧٢٨ - ١٧٧١ م) ، وقد حققه الزميل د . هاني مهنا ، لنيل درجة الدكتوراة من جامعة (Durham) في بريطانيا عام ١٩٨٥ م ، ولم ينشر بعد ، وقد حققه أيضاً كلٌّ من : ميشيل توشيرير ، وعدنان درويش ، ونشر عام ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م بدمشق .

٣ - نزهة الظريف في حوادث دولة أولاد الشريف : للقاضي عبدالرحمن ابن حسن البهكلي ، ويؤرخ للفترة (١١٨٥ - ١٢٠٤ هـ / ١٧٧١ - ١٧٨٩ م) ، مخطوط محفوظ في مكتبة العقيلي ، جامعة الملك سعود حالياً .

٤ - نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود : للقاضي عبدالرحمن بن أحمد البهكلي ، ويؤرخ للفترة (١٢١٥ - ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٠ - ١٨٠٩ م) ، وقد حققه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ونشرته عام ١٤٠٢ هـ دار الملك عبدالعزيز بالرياض .

٥ - تكملة نفح العود : للشيخ الحسن بن أحمد عاكش ، ويؤرخ للفترة (١٢١٧ - ١٢٣٣ هـ / ١٨٠٢ - ١٨١٨ م) ، وقد حققه العقيلي ونشره ضمن كتاب نفح العود .

٦ - الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني : ويسمى أيضاً (الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك) ، ويؤرخ للفترة (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ / ١٨٠٢ - ١٨٥٣ م) ، وهو الذي بين يدي القارئ الكريم .

٧ - حدائق الزهر في ذكر الأسيان أعيان الدهر : للشيخ الحسن بن أحمد عاكش ، ويحتوي على خمسين ترجمة ، وقد حققه ونشره د . إسماعيل بن محمد البشري عام ١٤١٣ هـ .

٨ - عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر : للشيخ الحسن بن أحمد عاكش ، ويحتوي على (٢٦٥) ترجمة ، وقد حققه ونشره د . إسماعيل بن محمد البشري عام ١٤١٨ هـ .

وتأتي أهمية مخطوط (الديباج الخسرواني) من موقعه المهم ضمن السلسلة التي ذكرتها سابقاً التي تؤرخ لتاريخ المنطقة ، فهو يغطي فترة تاريخية بارزة تمتد لمدة أربعة وخمسين عاماً شهدت خلالها المنطقة ظروفًا سياسية واجتماعية مختلفة ، أبرزها امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى على عسير ، وكذلك قلب العلاقات مع أئمة اليمن ، ثم الصراع مع محمد علي باشا وقواته الغازية للمنطقة ، وفي الجوانب الأخرى نجد الكثير من اللفتات الجميلة التي تلقي الضوء على النشاط الأدبي والعلمي والظروف الاجتماعية والأحداث الجغرافية والفلكية وغير ذلك مما شهدته المنطقة خلال الفترة المذكورة .

ونستطيع التأكيد أن الديباج يعد من أهم المصادر التاريخية التي يجب أن تخرج إلى التداول لعدة أسباب :

١ - لكونه يحوي وصفاً دقيقاً وتفصيلياً لثلاثة عهود رئيسة من الحكم في إمارة « أبو عريش » وهي :

(أ) فترة حكم الشريف حمود بن محمد أبو مسمار وابنه أحمد (١٢١٥ - ١٢٣٥ هـ / ١٨٠٠ - ١٨١٩ م) .

(ب) فترة حكم الشريف علي بن حيدر الحسني التي تعد فترة سيطرة محمد علي باشا (١٢٣٥ - ١٢٥٤ هـ / ١٨١٩ هـ - ١٨٣٨ م) على المنطقة .

(ج) فترة حكم الشريف الحسين بن علي بن حيدر التي مارس فيها السلطة مستقلاً لفترة من الوقت ، ثمَّ وصول العثمانيين إلى المنطقة (١٢٥٤ - ١٢٦٧ هـ / ١٨٣٨ - ١٨٥٠ م) .

(د) جزء من فترة الصراع بين الأشراف بعد رحيل الشريف الحسين بن علي بن حيدر ثمَّ الحملة العثمانية على اليمن بقيادة الشريف محمد بن عون والقائد التركي توفيق باشا .

٢ - أن الديباج يعد المصدر الأول والأساس للفتترات المذكورة سابقاً ومعظم كتابات الباحثين عن المنطقة عادت إليه لكونه مصدراً أساساً . إلا أن الخروم الموجودة في الكتاب جعلت الاستفادة منه صعبة خاصة لفترة الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، ممَّا جعل تحقيقه وإكمال النقص فيه يعد على درجة كبيرة من الأهمية .

٣ - أن المقدمة التي سبقت الكتاب تحتوي على معلومات مكثفة عن الأشراف في المنطقة من القرن العاشر الهجري فما بعد .

وممَّا يزيد في أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه الحسن بن أحمد عاكش ظهر من أسرة علمية لها علاقاتها المتعددة مع الشخصيات البارزة في المنطقة ، فقد نشأ في دائرة الأحداث ، ثمَّ إن المؤلف قضى أكثر من عشرين عاماً في الدراسة والتكوين العلمي من خلال الاطلاع على المصادر العلمية في وقته سواء أكانت سنية أم زيدية أم صوفية ، وتلمذ على يد علماء من مختلف الاتجاهات العلمية ، العقدية والفقهية ، ممَّا جعله يتمتع برؤية شاملة للواقع وأحداثه المختلفة .

ومن خلال زيارته المتعددة للعديد من مدن المخلاف السليماني واليمن والحرمين الشريفين ، تمكن عاكش من بناء علاقات قوية مع الشخصيات السياسية والعلمية المعروفة آنئذٍ ، حيث كان يتبادل معهم الرسائل ، والقصائد الشعرية ، والزيارات ، حتى أصبح مهياً أكثر من غيره لتقديم صورة حقيقية عن المنطقة في تلك الفترة ، ولعل قربه الشديد من الأسرة الحاكمة في « أبو عريش » وثقة الشريف الحسين بن علي بن حيدر به بحيث كان يرافقه في معظم أسفاره ، مكنه من الاطلاع على خفايا الأمور ، وجعل أعماله ترقى إلى منزلة عالية من الشمول والمكانة العلمية .

ومن هنا يُمكن القول بأن « الديباج الخسرواني » يعد من أدق وأشمل المصادر العلمية التي تحدثت عن المنطقة خلال الفترة التي تحدثت عنها المؤلف .

(ب) المؤلف ومنهجه في الكتاب :

المؤلف هو : الحسن بن أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز الضمدي المعروف بـ « عاكش » ، وقد كتبتُ عنه ترجمة مفصلة شملت نشأته ، وشيوخه ، وحياته العلمية والعملية ، ومذهبه ، ومؤلفاته ، ومنهجه في التأليف ، وأسلوبه ، وطريقته في الكتابة ، وذلك في مقدمة التحقيق لكتاب « حقائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر » ، الذي قمتُ بتحقيقه ودراسته والتعليق عليه ثم نشره عام ١٤١٣هـ ، فاللمزيد من الاطلاع آمل العودة إلى الكتاب المذكور الذي يعد رقم (١) في سلسلة دراسات في تاريخ عسير وجازان .

إلا أنني سأشير هنا إلى بعض النقاط التي تتعلق بهذا الكتاب :

١ - قام المؤلف بتقسيم كتابه إلى مقدمة وثلاثة فصول ، فالمقدمة تحوي

ثلاثة فصول ، هي :

(أ) بداية التأريخ وكيفية تدوينه .

(ب) ماهية علم التاريخ وأهميته .

(ج) ملخص تاريخي عن المخلّاف السليمانى حتى بداية عهد

الشريف حمود .

أمّا الفصول الثلاثة الأساسية فهي :

(أ) ذكر الشريف حمود وأيامه (ويدخل ابنه أحمد ضمن هذا

الفصل) .

(ب) ذكر الشريف علي بن حيدر .

(ج) ذكر الشريف الحسين بن علي بن حيدر .

وقد اتبع عاكش منهجين مختلفين في هذا الكتاب :

١ - في المقدمة وخاصة في الفصل الثالث منها سار في تأليفه على

طريقة الوحدات السياسية ، فتحدث عن أشرف المخلّاف

السليمانى ، ثمّ أشرف مكة ، ثمّ أئمة اليمن .

٢ - في الفصول الرئيسة الثلاثة اتبع المنهج التاريخى التسلسلى عبر

السنين مبتدئاً بعام ١٢١٧هـ ومنتهاً بعام ١٢٧١هـ .

ومن الملحوظ أن المؤلف قد بذل جهوداً كبيرة في الاطلاع على

المصادر المعاصرة وضمّنها كتابه هذا ، حيث تظهر علميته وأمانته في

توثيقه للمعلومات من مصادرها المختلفة كتباً أو نقلاً عن الرجال

المعاصرين للحدث .

ومن الملحوظ أيضاً أن المؤلف لم يستطع التغلب على عاطفته تجاه

الأشرف « آل خيرات » على الرغم من محاولته أن يكون موضوعياً ،

ولعل ذلك لأنه كان يؤلف « الديباج » في فترة حكم الشريف الحسين بن

علي بن حيدر .

وقد قام المؤلف بتصحيح بعض المعلومات وأشار إلى ذلك في الهامش بتوقيعه أو بلفظ : صح أصل .

وقد وضّح منهجه في الكتابة قائلاً : (... وأتحرى في ذلك الصدق الذي هو حلية الأخبار ، وأستعمل الإنصاف في إيراد المناقب والإصدار ، وأتجنبّ الهوى في المدح والقدح لأن الهوى عار على أهل العلم وأي عار ، والإنسان مسؤول عما جرى به القلم فإنه أحد اللسانين كما ورد ، والعاقل لا يرضى أن يدخل على نفسه ضرراً أخروباً فيما انتحاه وقصد ، والتزمتُ أن لا أترجم لأحد من العلماء إلا من قد عرفته وانتقل من هذه الدار ، ولا أقلد في الإطراء ولا في ضده لأن ذلك عند جميع العقلاء مذموم في جميع الأعصار ، ولا أترك الاستطراد بما فيه ترويح لذوي الأفهام حتى يأخذ كل مطالع فيه على قدر استعداده ، ويستفيد المتأمل نهاية قصده وغاية مراده ، ولا أورد فيه إلا حاصل القصة وجملتها من غير تفصيل ، وأثبت ما بلغني منها من طريق أرضاه من غير إيجاز مخل ولا تطويل ، ولم أعتن بذكر الشهور والأيام ، بل ألتزم ذكر الأعوام ، وما لم يبلغني فيه من الأعوام شيء من الحوادث لا أذكره ولا أطول بذكره الكلام ، ولا أستعمل التسجيع في جميع الألفاظ ، ولا مراعاة البدائع اللفظية التي هي قيد الحافظ لأنني قد رأيت من استعمل ذلك من أهل التاريخ لا يخلو كتابه من التكلف في ذلك الصنيع ، وقد يسأله الناظر لما حواه من الوقوف تحت قيد البديع)^(١) .

وعلى الرغم من أن المؤلف قد وضع لنفسه هذا المنهج إلا أننا نراه يخرج عنه في بعض المواقف مثل استخدام السجع ، والنشاء المفرط على الأشراف وتسويغ أعمالهم ، كما سيراه القارئ في تضاعيف الكتاب .

(١) انظر: ص ٤٢ ، ٤٣ .

ومما يلاحظ أيضاً أن الكتاب ليس بين واقعه وعنوانه انسجام ، فهو كما يوحي عنوانه يفترض أنه يختص بتاريخ أعيان ذلك المكان من المخلاف السليماني ، لكن الواقع أن مؤلفه حاطب لكل ما وقع في طريقه ، فهو إن انفتح له باب شعر بالغ فيه ، وإن عن له مصطلح أطلق قلمه فيما قيل عنه ، وإن عرض له مصطلح شرعي خاض فيه ، وإن كان ذلك مما لا يدخل في مجال الحديث ولكنه من باب الاستطراد الممل أحياناً .

والكتاب كتب بنظرة انتقائية ، وليست منطلقة من نظرة علمية : فهو موجه للكتابة بتحيز ظاهر عن بعض العائلات ممن استوطن المخلاف السليماني ممن ذكر المؤلف أنهم من آل البيت النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، ومع الإقرار بفضل أولي الفضل والتقوى من أولئك إلا أن المؤلف لم يخف تشييعه لهم وتجاوز الحد المقبول في هذا الاتجاه والتحامل على كل من اختلف معهم دون النظر في واقعية الخلاف وأسبابه : ولهذا تضمن ما ساقه من شعر ونثر إطرأً مبالغاً فيه خرج بالكتاب عن التأريخ الواقعي إلى الكتابة العاطفية الانتقائية بل المزاجية أحياناً .

والمؤلف - عفا الله عنه - غير مستقر في أحكامه فمرة تجده يميل للإنصاف وما يلبث أن ينقض ما بناء في الموطن نفسه أو قريباً أو بعيداً منه، وهذا واضح تماماً في موقفه من دعوة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وناصرها الأئمة من آل سعود، رحم الله الجميع رحمة واسعة .

والكتاب في بعض مواضعه فيه تحامل شديد على أهل نجد وأصحاب نجد، وصاحب نجد، ويقصد بذلك أنصار الدعوة حتى ولو لم يكونوا ممن عاش في مقرها التي ظهرت فيه، وفي سياق شبهة بلطالة عن الدعوة وأصحابها وأنصارها، وادعاءات كررها ويكررها أعداؤها والمناهضون لها، من تكفير عامة الناس وسلبهم وإسقاط دماءهم، وأمواهم،



إلى آخر ما يروج له المشوهون للدعوة ولن ناصرها على الرغم من إشاراتهِ التي تدل على تراجعه عن هذا الموقف.

وهذا ظاهر في مواطن كثيرة وإن كان - من باب الحقيقة - قد ذكر في موطنين ثناءً منصفاً على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لكن أفسد هذا بكثير من الكلام وسياق متكرر لما قيل عنها ظلماً ومخالفة للحقيقة التي هي عليها.

كما يلاحظ أيضاً سياق المؤلف لعدد من القصائد بمدح غير مقبول واطراء غير لائق في حق المعجب بهم وقصائد أخرى فيها بخس واضح للخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم وأرضاهم - وادعاء أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله ﷺ على من تقدمه من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً ، كما يظهر في هذه القصائد خاصة الجفوة في حق معاوية رضي الله عنه وهو ممن له شرف الصحبة. ومهما كان من الخلاف الذي يلزم المسلم أن يمسك عنه وعن الخوض به ويوكل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى .

وقد تم التعليق على كثير من هذه المواضع التي ظهرت الحاجة الملحة للتعليق عليها لبيان الحق لأنه يصعب التعليق عليها جميعاً فالمؤلف يكرر الكلام في مغالطات إن تم التعليق عليها جميعاً طال المكتوب وخرج الأمر عن المقصود وإن تركت فتركها لافت للنظر، لذلك تم التعليق على كثير من هذه المواضع التي فيها فكرة جامعة دون تتبع لجميع شطحات المؤلف عفا الله عنه .

أمّا أسلوب المؤلف وطريقته في الكتابة فقد تمت معالجتها والحديث عنها بالتفصيل في مقدمة المحقق في كتاب « حدائق الزهر » حيث إنَّ أسلوب المؤلف وطريقته في الكتابة واحدة فيمكن الرجوع إليها هناك .

(ج) وصف المخطوطات المستخدمة في التحقيق :

ثلاث مخطوطات استخدمت في التحقيق هي :

١ - الأصل : وهو محفوظ في المكتبة الخاصة بالسيد / زيد بن محمد المدير ، أحد أحفاد الشريف الحسين بن علي بن حيدر الذي يسكن في قرية « الحمى » بالقرب من مدينة « ضمد » في منطقة جازان ، وقد تكرم مشكوراً بتسليمه إليّ للاستفادة منه أثناء التحقيق لأنه بخط المؤلف نفسه ، ولكنني فقدته للأسف ضمن مجموعة كبيرة من أوراقى العلمية والوثائق التي حصلت عليها من القاهرة وإستانبول حينما كنت عائداً على متن الخطوط السعودية من رحلتى العلمية التي زرت فيها منطقة جازان واليمن والقاهرة وإستانبول .
ولحسن الحظ أننى أملك صورة للمخطوط وصوراً فوتوغرافية لها مكنتني من الاستمرار في التحقيق .

وقد أشار المؤلف إلى أنه بدأ الكتابة قبل عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م حيث قال : (وهو - يعنى الشريف الحسين - إلى حال رقبه يتفيؤ ظلال الإمارة)^(١) ، وأشار إلى الشريف محمد بن عون بقوله : (وهو إلى حال هذا التاريخ إمارة مكة إليه)^(٢) .

وأصل المخطوط ناقص في بدايته ونهايته ، في البداية ينقصه ثلاث ورقات ، أمّا النهاية فغير واضح ما فقد منها ، ومن ذلك بدون شك التوثيق الخاص بالمؤلف الذي يأتي في نهاية كل مخطوط موضعاً اسم

(١) الديباج ، ص (٢٤) ، وقد عزل الشريف الحسين من منصبه في أواخر (١٢٦٦هـ) حيث غادر « أبو عريش » في طريقه إلى الحجاز في المحرم (١٢٦٧هـ) . أنظر : حوادث عام (١٢٦٧هـ) في هذا الكتاب .

(٢) عزل الشريف محمد بن عون من إمارة مكة المكرمة عام (١٢٦٧هـ) ثم أعيد عام (١٢٧٢هـ) وأنا أرجح أن المؤلف يقصد الفترة الأولى من ولاية الشريف محمد بن عون حيث توقف عند أحداث (١٢٧١هـ) .

الناسخ وزمان النسخ ومكانه ، إلا أننا استطعنا الجزم بأن الأصل بخط المؤلف نفسه بطريقتين :

(أ) مقارنة الخط في هذا المخطوط بخط المؤلف في كتبه : « حدائق الزهر » و « فتح المنان » و « الدر الثمين » التي ختمت بتوقيعه .

(ب) هناك بعض الإشارات في هامش المخطوط عبارة عن تصويبات وقع عليها المؤلف بنفسه كاتباً اسمه مثل ما ورد في ورقة رقم (٤٠) من المخطوط في الهامش : « ترجمة الوالد محلها هنا وإنما غلط الكاتب لأن وفاته سنة اثنتين وعشرين ، يعلم ذلك .. كاتبه حسن بن أحمد » .

إضافة إلى استخدامه لفظ : « صح أصل » في كثير من التعليقات والإضافة والتعديلات في هامش المخطوط .

وتحتوي نسخة الأصل على (٢٧٢) ورقة تم التعامل معها على أساس (أ) للورقة اليمنى و (ب) للورقة الشمال فأصبح ترقيم المخطوط (١٢٦) ورقة مزدوجة ، وذلك بصرف النظر عن الأوراق المفقودة التي أضيفت أثناء التحقيق من المخطوطات الأخرى .

وأوراق المخطوط قديمة ومقاسها طولاً (٢١ سم) وعرضاً (١٥ سم) تقريباً ، والكتابة الفعلية في كل ورقة تغطي مساحة بطول (١٦ سم) وعرض (١٠ سم) تقريباً .

ومتوسط عدد الأسطر في كل ورقة حوالي (١٩ سطر) ، ولكن في بعض الحالات قد يصل إلى (٢٢ سطر) .

وخط المؤلف جميل إلى حد كبير ، وهو أقرب إلى النسخ مع استدارة في بعض الحروف ، ويستخدم المؤلف علامات الترقيم على شكل نقط باللون الأحمر للفصل بين عبارات السجع أو في نهاية العبارات ، وللфصل بين أبيات الشعر .

العناوين والأعوام تكتب بخط كثيف أحمر وتأتي ضمن السياق .
وهناك حالات قليلة تسقط فيها بعض نقط الإعجام في الحروف .

أمّا الأخطاء الإملائية والنحوية فكثيرة ، وقد تم التعليق عليها بالتفصيل في مقدمة المحقق في كتاب « حدائق الزهر » للمؤلف الذي كتبه المؤلف بخط يده ، وقد أدهشتني كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية لدى المؤلف في هذا المخطوط وغيره من المخطوطات التي حققتها التي كتبها بيده شخصياً .

ومن فائض القول الإشارة إلى أنني قد استخدمت هذه النسخة أصلاً أثناء التحقيق ، ويتم الإشارة إليها بكلمة : أصل .

٢ - مخطوط مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع : هذه النسخة كتب على غلافها الخارجي العنوان الآتي : « هذا المجموع يسمى المخلاف السليماني واستيلاء الملوك عليه » .

ويرجع إليه بعض الباحثين على أنه مؤلف مستقل للمؤلف باسم : المجموع ، وهو في الحقيقة نسخة من الديباج .

وهو محفوظ في مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع الخاصة بصنعاء ، وتوجد منه نسخة في مكتبة جامع صنعاء الغربية برقم (٢٢١) مصورة على ميكروفيلم برقم (٥١) ، وتوجد نسخة منه منقولة إلى معهد المخطوطات العربية تمّ تصويرها في يوم السبت ١٩ رمضان ١٣٩٤ هـ .

وفي صفحة العنوان كتب : « المؤلف لهذا المجموع العلامة القاضي حسن عاكش قاضي أبي عريش » ، ويتوقف في نهاية الورقة رقم (٤٦٩) ، يليه ورقة رقم (٤٧٠) مطموسة ثمّ رقم (٤٧١ - ٤٧٣) ورد فيها قصيدة للقاضي أحمد الإبي على لسان الشيخ علي بن يحيى حميدة صاحب باجل

يستتصر بالأمير عائض بن مرعي أمير عسير عليه ، ويذكره بالعهود السابقة ، وقد أهملت لأنها خارج سياق المخطوط .

ولا توجد معلومات في نهاية هذه النسخة توضح اسم الناسخ وزمان النسخ ومكانه ، إلا أن من الملحوظ أن ناسخها كان يدخل الإضافات التي في هامش الأصل إلى موقعها الصحيح ضمن السياق ، ولعلها كتبت بعد وفاة عاكش .

وقد استخدم الناسخ الحبر الأسود في كتابتها بالخط النسخي المعتاد ، وفي حدود ثمانية عشر سطراً في الورقة الواحدة ، ومقاس هذه النسخة (٢٥ سم) طولاً و (١٨ سم) عرضاً ، وقد كتبت العناوين بالحبر الأحمر ، ولا توجد وقفات في نهاية الفقرات ، فالمخطوط من البداية إلى النهاية على نمط واحد وبكامل الأسطر والورقات .

ويستخدم الناسخ الخط الكثيف لتحديد بداية الأعوام والحوادث . وأخطاؤها الإملائية والنحوية قليلة نسبياً ، أما علامات الترقيم فشبه معدومة ، ويكتب الشعر على شكل أسطر متواصلة على عكس النمط المعتاد لكتابته ، وهناك بعض التعليقات في الهامش ، من الناسخ ترة على المؤلف ، وتارة على بعض المعلومات ، وقد استخدمت هذه النسخة نسخة ثانية للمقارنة ورمز إليها بالحرف (ص) .

٢ - مخطوط مكتبة الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي : هذه النسخة عرفت تاريخياً باسم : « الذهب المسبوك في ذكر من ظهر في المخلاف السليماني من الملوك » ، ولها عنوان آخر أيضاً هو : « الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك الحسين بن علي بن حيدر » .

وبعد دراسة عميقة ومتأنية لهذه النسخة وبمقارنتها بالنسختين السابقتين إضافة إلى غيرها من مؤلفات عاكش فإننا نجزم بأنها ليست عملاً مستقلاً للأسباب الآتية :

١ - بمقارنتها بالديباج الخسرواني نجد أنها تتطابق مع ما ورد فيه من معلومات ، بل إن ناسخها يدخل التصحيحات التي كتبها عاكش في هامش الأصل إلى موقعها ضمن السياق .

٢ - من الملحوظ أن أطول الفصول في الديباج هو الفصل الثالث الذي تحدث عن الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، وفي ذلك مغزى سنناقشه بعد قليل .

٣ - في « حدائق الزهر » المكتوب بخط المؤلف نفسه - وتوجد صورة المخطوط لدى الباحث - نجد عاكشا يقول في الورقة (٥) : « ... وقد ذكرت تفصيل ذلك في تاريخي المسمى الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك » ثم يقوم المؤلف بشطب : الذهب المسبوك فيمن ظهر في ... ثم يشطب كلمة : من الملوك ، تاركاً كلمة : المخلاف السليماني ، ويكتب التصحيح الآتي : « الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني » .

ولمزيد من المناقشة والتوضيح فإننا نتوقع أن الديباج الخسرواني ظهر في صورته الأخيرة بعد أن مر بثلاث مراحل على النحو الآتي :

١ - في البداية كان يسمى « الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك » ، حيث خصصه المؤلف لسيرة الشريف الحسين بن علي بن حيدر . حيث إنه بدأ كتابته له في أثناء توليه السلطة ، وكما أشرنا في الرقم (٢) من الأسباب الأنفة الذكر أن أطول الفصول هو ذلك المتعلق بسيرة الشريف الحسين .

٢ - بعد أن أضاف إليه الفصول الخاصة بالشريف حمود بن محمد أبو مسمار ، والشريف علي بن حيدر ، قام بتعديل العنوان ليصبح : « الذهب المسبوك في ذكر من ظهر في المخلاف السليماني من الملوك » ، وقد أشار إلى ذلك عرضاً في ص (٨٢) من هذا الكتاب

حيث قال : « فقد انحصر هذا التاريخ على ذكر هؤلاء الثلاثة الملوك » .

٣ - قام المؤلف بعد ذلك بإضافة بعض التراجم الخاصة بالأعيان المشهورين في المخلاف السليماني ، ومن هنا لم يعد الديباج مقتصرًا على الملوك فقط ، ومن ثمّ اختار المؤلف له العنوان الأخير وهو : « الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني » .

وهذه النسخة المعروفة باسم الذهب المسبوك تم استخدامها لتكون نسخة ثالثة للتحقيق ، وقد نسخها عبده بن علي النعمي عام ١٢٥٣هـ / ١٩٣٣م ، بخط نسخي كثيف نسبياً ، وعدد أوراقها (٢١٤) ورقة ، وتتراوح الأسطر في كل ورقة بين (٢٠ - ٢٦ سطراً) ، وطول صفحاتها (٢٠ سم) وعرضها حوالي (١٣ سم) ، والكتابة فيها تستغرق حوالي (١٦ سم) طولاً و (٩ سم) عرضاً .

والخط فيها مقروء وواضح إلا أنه غير منظم في بعض الأحيان ، ولا توجد علامات ترقيم أو فواصل على الإطلاق ما عدا النقاط الكبيرة للفصل بين صدر البيت وعجزه في القصائد الشعرية .

وقد ظهر لي أن الناسخ في الفصل الثاني المتعلق بسيرة الشريف علي بن حيدر أصبح أكثر ملأً في النقل ، فأخذ يحذف ويختصر في المعلومات ويشير إلى ذلك بقوله : تركته اختصاراً ، ومن ثمّ فقد استخدمت للمقارنة حتى نهاية الفصل الثاني فقط ثمّ استبعدت في الفصل الثالث المتعلق بالشريف الحسين بن علي بن حيدر إلا في الحالات الضرورية جداً ، وقد تم الإشارة إليها أثناء التحقيق بحرف (ع) .

(د) منهج التحقيق :

بدون تردد قَدْ جعلتُ الأصلُ النسخة الأم ، وأشرتُ إليها بلفظ : أصل ، واستخدمتُ نسخة « صنعاء » للمقارنة ورمزتُ إليها بحرف (ص) وكذلك نسخة « العقيلي » وأشرتُ إليها بحرف (ع) . وقد بذلت قصارى جهدي في سبيل إخراج النص في أقرب الصور التي يريدها مؤلفه .

وعلى الرغم من أن المؤلف عالم بارز إلا أنه كان يتهاون في التزام قواعد الكتابة الصحيحة أو حتى قواعد اللغة العربية ، ومن ثمَّ كان عليَّ أن أجيل يد التعديل في بعض الألفاظ والعبارات التي تتضمن مخالفة صريحة لقواعد اللغة العربية أو قواعد الكتابة الصحيحة لكي يخرج النص في صورة عصرية مناسبة .

كما أنني لم أستعرض تلك الأخطاء الإملائية والنحوية في الحاشية عند ورودها وذلك لكثرتها ، ولكنني أشير من حين إلى آخر إلى شيء من ذلك حتى يطلع القارئ الكريم على بعض ما ورد في المخطوط من أخطاء ، ولكنني أثبت الصحيح دائماً في المتن إلا في بعض الحالات التي أجد للمؤلف فيها وجهة نظر ، أو للدلالة على طريقة المؤلف في الكتابة .

وقد قمتُ خلال تحقيقي لهذا المخطوط بما يأتي :

١ - أدخلتُ إضافات المؤلف الهامشية إلى مكانها الصحيح في المتن وحسب إشارة المؤلف إلى ذلك .

٢ - استكملتُ النقص الموجود في الأصل من نسخة (ص) مقارنة مع نسخة (ع) وأشرتُ إلى ذلك في الحاشية .

٣ - استخدمتُ طريقة الأرقام المزدوجة في ترقيم صفحات الأصل : ١/أ ، ١/ب ؛ ٢/أ ، ٢/ب ، وهكذا ؛ وكتبتها ضمن المتن . أما نسخة (ص) فقد أشير إليها في الهامش ، وتم استبعاد وضع الأرقام لنسخة (ع) لأنها لا تستمر معنا إلى نهاية المخطوط .

- ٤ - لما كان المؤلف لا يلتزم بأصول الترقيم فقد كان لزاماً عليّ أن أرقم النص بما يتفق مع قواعد الترقيم المتبعة .
- ٥ - قمتُ بالتعليق على بعض الأحداث التاريخية ووضحتُ وجه الصواب في بعضها .
- ٦ - قمتُ بتنظيم المخطوط وفق تقسيم المؤلف إلا أنني جعلتُ كل فصل - سواء فصول المقدمة أو فصول الكتاب - بشكل مستقل .
- ٧ - جعلتُ الأعرام تطبع بخط كثيف وكذلك بعض الكلمات التي يستخدمها المؤلف لبداية الحدث مثل : وفيها ... : وفي ثاني .. إلخ .
- ٨ - قمتُ بعزو الآيات القرآنية ذاكراً السورة ورقم الآية ، كما خرّجتُ الأحاديث النبوية والأمثال والحكم .
- ٩ - حاولتُ إصلاح بعض أبيات الشعر الواردة بالعودة إلى مظانها ، أو إصلاحها بنفسي إذا لم أجد لها مرجعاً ، معتمداً على ملكتي المتواضعة ، كما بينت بحور الشعر ، وخرّجتُ القائل بقدر المستطاع .
- ١٠ - عرّفتُ بالأعلام المهمين وبعض الشخصيات التي أشار إليها المؤلف موضعاً اسم الشخص وأبرز ما اشتهر به وتاريخ الوفاة .
- ١١ - عرّفتُ بالكتب الواردة خاصة ما يتعلق منها بالمنطقة مشيراً إلى المطبوع منها قدر المستطاع .
- ١٢ - التعريف بالأمكن الجغرافية الواردة ، وخاصة الواقعة في المنطقة ، تاركاً المشهور منها وكذلك القبائل والبطون .
- ١٣ - شرحتُ بعض الألفاظ الغريبة الواردة في الكتاب العامي منها والفصيح .
- ١٤ - عدتُ إلى بعض الكتب التي نقل منها المؤلف وأشرتُ إلى ذلك في الحاشية .
- ١٥ - وختاماً صنعتُ له كشّافات للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ،

والأعلام ، والقوافي ، والأماكن والبلدان ، والفرق والطوائف والأمم
والقبائل ، والكتب ، والسنوات .

ثانيا - توطئة تاريخية :

يحتل المخلاف السليماني (منطقة جازان حالياً) مكاناً مهماً في
تاريخ جنوب غرب الجزيرة العربية لأسباب جغرافية وسياسية
واقتصادية .

ويشغل المخلاف السليماني المنطقة الساحلية الواقعة بشكل تقريبي
بين خط عرض ١٦° - ١٨° وخط الطول ٤٢° - ٤٤° ، ويحده شمالاً وادي
حلي ابن يعقوب وجبال عسير . وجنوباً الحدود السعودية اليمنية
حالياً (وقديماً شرجة حرض) ، وشرقاً جبال السروات ، وغرباً البحر
الأحمر ، وبشكل عام يُمكن القول : إنه كان يشغل المنطقة الجنوبية
الغربية من المملكة العربية السعودية التي تعرف حالياً باسم منطقة
« جازان »^(١).

وكان يمثل حاجزاً سياسياً بين قوتين رئيسيتين في الجزيرة العربية
هما الأشراف في الحجاز والأئمة الزيدية في اليمن ، إضافة إلى كونه من
أكثر مناطق الجزيرة العربية خصوبة في الأرض ، ووفرة في المياه . وكثافة
في السكان .

وقد أطلق اسم المخلاف السليماني على هذه المنطقة لتمييزه عن
غيره بناء على اسم الحاكم المستقل الأول سليمان بن طرف الحكمي الذي
قام بتوحيد مخلافي « حكم » و « عشر » تحت سلطانه ، ومارس السلطة
بعيداً عن نفوذ الحاكم الزيادي في اليمن للفترة من ٢٧٣ - ٢٩٣ هـ^(٢) ،
واستمر تاريخ المخلاف السليماني يظهر أحياناً عبر المراجع والمصادر

(١) العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٧ .

(٢) الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٩ وما بعدها .

المحلية أو تلك التي تناولت تاريخ اليمن بشكل عام ، إلا أنه كان يمثل وحدة سياسية مستقلة وإن تأثرت كغيرها بالأحداث السياسية شمالاً وجنوباً ، خاصة أنه يمثل معبراً أساسياً للقوات الغازية لليمن البرية والبحرية على حد سواء .

وإنه من الضروري للقارئ الكريم أن يتعرف على الأوضاع السياسية في المنطقة للفترة التي سبقت الأحداث التي تحدث عنها مؤلف هذا الكتاب ، أي ما قبل (١٢١٧هـ) وكيفية وصول « آل خيرات » إلى حكم المنطقة.

ففي الفترة ما بين (١٠٩٧ - ١١١٠هـ / ١٦٨٥ - ١٦٩٨م) كانت اليمن رهينة للصراع الطويل بين الأئمة الثمانية الذي انتهى بوصول المهدي محمد بن الحسن إلى سدة الحكم إماماً لليمن^(١) ، ثم ظهر النزاع مرة أخرى بعد وفاته حتى تمكن المنصور حسين بن القاسم من السيطرة على زمام الأمور عام (١١٣٩هـ / ١٧٢٦م)^(٢) .

وخلال هذه الأحداث والصراعات بين مدعي الإمامة في اليمن كان المخلاف السليماني يتمزق بين عدة قوى محلية مثل الخواجيين في « صبيا » وما جاورها ، وآل قطب الدين في منطقة « بني الحارث » ، وبقية المخلاف من « ميدي » جنوباً يديره على ضعف والي « اللحية » اليمني .

وفي الحقيقة أن الباحث في تاريخ المخلاف السليماني خلال تلك الفترة يجد صعوبة كبيرة في رسم الصورة الكاملة لمسار الأحداث والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ما عدا فترة حكم الشريف

(١) الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ٢/ ٢٢٠ .

(٢) نفسه ٢/ ٢٢٧ .

أحمد بن غالب الذي تولى إمارة المخلاف خلال الفترة من (١١٠١ - ١١٠٥ هـ / ١٦٨٩ - ١٦٩٣ م) (١) .

ويعود تاريخ الأسرة الخيرانية التي حكمت المخلاف السليماني لفترة قرن ونيف من الزمان إلى قيام أحد أشراف « مكة » وهو خيرات بن شبير بن بشير بن أبي نهي بالاستقرار في « أبو عريش » قادماً من « مكة المكرمة » (٢) ، وذلك خلال فترة حكم الإمام الزيدي المتوكل إسماعيل (١٠٥٣ - ١١٠٨ هـ / ١٦٤٣ - ١٦٩٦ م) .

وليس هناك ما يشير إلى الأسباب التي دفعت انشريف خيرات إلى مغادرة « مكة المكرمة » واختيار « أبو عريش » للإقامة والاستقرار الدائم ، ويُمكن حصر اجتهادات المؤرخين في تحليل سبب خروجه من « مكة المكرمة » في ثلاثة آراء رئيسة هي :

١ - أن خروجه من « مكة المكرمة » بسبب ضعف المذهب الزيدي الذي يعد أحد أتباعه ومؤيديه (٢) .

٢ - أن ذلك كان بسبب الاضطرابات السياسية في « مكة المكرمة » وتفاقم الصراع بين الأشراف « ذوي زيد » والأشراف « ذوي بركات » الذي أدى إلى هجرة العديد من الأشراف المرموقين إلى خارج (مكة المكرمة) (٤) .

٣ - أن الشريف خيرات كان يتطلع إلى تحقيق طموحاته السياسية بإقامة إمارة خاصة به في المنطقة (٥) .

(١) لمزيد من المعلومات حول هذه الفترة انظر : علي البهكلي ، العقد المفصل بالمعجائب والفرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، حققه محمد بن أحمد العقيلي ، مطابع دار البلاد ، جدة .

(٢) البهكلي ، خلاصة العسجد ، ١١ .

(٣) نفسه ، ١٢ .

(٤) العقيلي ، المخلاف السليماني ٢٨٨/١ .

(٥) العقيلي ، نفسه ، الصفحة نفسها .

وفي ظل عدم وجود ما يثبت أي من النظريات أو يشد برهان إحداها يُمكن القول : إنّ من الممكن أن تكون كل هذه العوامل قد تضافرت جميعها للتأثير في الشريف خيرات لاتخاذ قراره بالخروج من « مكة المكرمة » والاتجاه إلى المخلاف السليماني والاستقرار في « أبو عريش » .

وبعد وصول الشريف خيرات إلى المخلاف السليماني بفترة قصيرة اتجه إلى « صنعاء » لمقابلة الإمام المتوكل الذي استقبله بكل حفاوة وتقدير^(١) ، وبعد عودته إلى « أبو عريش » انصرف إلى الحياة العلمية والفكرية لإثبات قدراته وإمكاناته ، وقام بتدريس علوم اللغة العربية وآدابها وانتفع به كثير من أبناء المنطقة ، وقد حافظ على صلاته الوثيقة مع إمام « صنعاء » وغيره من الشخصيات المهمة في المنطقة حتى تاريخ وفاته^(٢) ، ولم نجد في المصادر التي تحدثت عن المنطقة ما يشير إلى تاريخ وفاته .

واعتماداً على ثروته وقدراته الفطرية إضافة إلى نسبه فإن الشريف خيرات قد استغل الظروف السائدة في اليمن والمخلاف السليماني آنذاك ليضع الأسس التي يُمكن أن تقوم عليها إمارته المستقلة التي ساعدت فيما بعد حفيده أحمد بن محمد بن خيرات ليصبح الحاكم الفعلي في « أبو عريش »^(٣) .

ففي عام (١١٤١هـ / ١٧٢٧م) قام الأعيان والتجار المقيمون في « أبو عريش » بمناقشة الأوضاع المتردية في المنطقة بسبب غياب حاكم قوي يمسك بزمام الأمور ، واختاروا الشريف أحمد بن محمد حاكماً

(١) البهكلي ، المرجع السابق ، ١٢ .

(٢) نفسه .

(٣) نيبور ، رحلات عبر الجزيرة العربية ٥٤/٢ ؛ العقيلي ، المخلاف السليماني ٢٨٩/١ .

للمنطقة^(١) ، ومن ثمَّ بدأت أسرة « آل خيرات » حكمها للمخلاف
السليمانى الذى استمر قرابة قرن من الزمان .

لقد استمر حكم الشريف أحمد بن محمد حتى عام ١١٥٤هـ /
١٧٤١م ، وقد تَمَيَّزَ عهده بالكرم والشجاعة والعدل حسب رواية مُؤرِّخه
البهكلي فى « خلاصة العسجد »^(٢) ، وقد أشار الرحالة نيبور إلى أن
الشريف أحمد قد ثار ضد الإمام محاولاً الاستقلال التام ، ولكنه فشل فى
ذلك^(٣) .

وقد تولى الإمارة بعد وفاته ابنه الشريف محمد بن أحمد ، وقد
تَمَيَّزَ عهده بالكثير من الاضطرابات والاحتجاجات من السكان على سوء
إدارته واستغلاله لموارد السكان الاقتصادية خاصة أثناء صراعه مع قبائل
« بني الحرث » و « بني مروان » و « بني شعبة » وقبائل « جبل فيفا » ،
وذلك لسد الديون الخاصة بقبائل « يام » التى كان يستعين بها لتحقيق
أهدافه السياسية ضد معارضيه .

ويمكن الاطلاع على التفاصيل الخاصة بحكم الشريف محمد بن
أحمد فى كتاب عبدالرحمن بن حسن البهكلي « خلاصة العسجد فى دولة
الشريف محمد بن أحمد » الذى حققه الزميل د . هانى مهنا لنيل درجة
الدكتوراة من جامعة « درهم » فى بريطانيا عام ١٩٨٥ م .

وفى ٢٧ من ذى الحجة عام (١١٨٤هـ / ١٧٧٠م) توفي الشريف
محمد بن أحمد بعد أن عهد بالإمارة إلى ابنه الثانى حيدر ، إلا أن أبناءه

(١) البهكلي ، المرجع السابق ، ١٤ ؛ العقيلي ، المخلاف السليمانى ، ٣٨٩/١ ، وقد ذكر
العقيلي أن اسم مبعوث التجار والأعيان إلى عبده جوهر : علي سيد النعمي ، والصواب
ما ذكر فى الخلاصة .

(٢) انظر : ص ١٦ - ١٨ .

(٣) مرجع سبق ذكره ٥٤/٢ .

قاموا بمبايعة أخيهما الأكبر أحمد بالإمارة لأنه في نظرهم أولى بذلك (١) ، وقد دخل المخلاف السليماني حقبة سيئة في ظل الصراع الذي نشأ بين أبناء الشريف على الإمارة حيث تولاهما بعضهم مرتين أو ثلاث مرات على النحو الآتي (٢) :

- ١ - أحمد بن محمد .. ثلاث مرات (١١٨٥ هـ : ١١٩٠ هـ : ١١٩٣ هـ) .
- ٢ - يحيى بن محمد أربع مرات (١١٩٢ هـ : ١١٩٨ هـ : ١٢٠٠ هـ : ١٢٠٤ هـ) .
- ٣ - علي بن محمد ثلاث مرات (١١٩١ هـ : ١١٩٣ هـ : ١١٩٩ هـ) .
- ٤ - حيدر بن محمد مرة واحدة (١١٨٦ هـ) .

وقد عانى سكان المخلاف السليماني الأهوال في ظل هذا الصراع نظراً إلى تدخل عناصر خارجية تهدف إلى الاستيلاء على الأموال عن طريق إغانة أحد الأطراف على الآخر مثل قبائل يام وبكيل وهمدان وقحطان ووادة وغيرهم ، التي كانت تحصل على مستحقاتها من السكان بالقوة إذا تعذر الحصول عليها من الأشراف .

ولم تستقر الأوضاع نسبياً في المخلاف السليماني إلا بعد أن أرهق الإخوة من الصراع فاتفقوا على أن يتولى الإمارة أكبرهم سنّاً الشريف يحيى بن محمد ، وكان ذلك عام (١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م) . وقد استمر حاكماً للمخلاف السليماني حتى عُزل عنها سنة (١٢١٤ هـ) وأسندت إلى الشريف علي بن حيدر (٣) .

وقد قدم لنا البهكلي وصفاً متكاملاً لذلك الصراع في كتابه المخطوط « نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف » .

(١) البهكلي ، خلاصة العسجد ، ١٦٩ .

(٢) انظر تفاصيل الصراع في « نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف » للبهكلي ، مخطوط .

(٣) انظر : نزهة الظريف أحداث عام ١٢٠٤ هـ ، وجعاف ، درر نجر الحور العين ، أحداث عام ١٢١٤ هـ .

تزامن ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصولها إلى المنطقة مع فترة حكم الشريف علي بن حيدر ، وذلك في عام (١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م) ، ويجدر بنا في سبيل إكمال صورة الأحداث في المنطقة قبيل الفترة التي يتحدث عنها المؤلف أن نلقي الضوء على وصول الدعوة السلفية إلى المنطقة والصراع الذي نشب بين أنصارها من ناحية وبين إمارة « أبو عريش » من ناحية أخرى وتطور الأوضاع السياسية في أسرة « آل خيرات » ووصول الشريف حمود بن محمد أبو مسمار إلى سدة الحكم .

من المعروف أن أصداء الدعوة السلفية قد وصلت إلى معظم أنحاء الجزيرة العربية خاصة بعد خروج الدعوة من « نجد » وبداية صراعها مع الأمراء الآخرين كالأشراف في الحجاز وبني خالد في الأحساء ، وبذلك أصبحت الدرعية تستقطب الكثير من أبناء المناطق المختلفة الباحثين عن الحق والراغبين في صلاح أحوال العباد والبلاد ، وممن سعى إلى « الدرعية » من أبناء المخلاف السليماني شخصيتان مهمتان كان لهما الأثر الكبير في نشر الدعوة الإصلاحية ومبادئها وهما : أحمد بن حسين الفلقي أحد الأشراف آل الخواجي في « صبيا » ، وعرار بن شار الشعبي شيخ قبائل « بني شعبة » في مطلع القرن الثالث عشر الهجري حيث رحل إلى « الدرعية » وتتلماذا لعلمائها فترة من الزمن^(١) .

وفي عام (١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م) عاد كل إلى منطقته لنشر الدعوة السلفية ، وحيث إنَّ عراراً أميراً لقبيلته فلم نجد ما يشير إلى أنه حمل معه رسالة من الدرعية مثل تلك التي حملها أحمد بن حسين الفلقي من الإمام عبدالعزيز بن محمد إلى الأمراء والأعيان في المخلاف السليماني ، التي أورد نصها الكامل عبدالرحمن البهكلي في

(١) العقيلي ، المخلاف السليماني ١/ ٤٤٠ - ٤٤٥ .

كتابه « نفح العود » المتضمنة الدعوة إلى المبادئ السلفية والحث على اتباعها ونشرها^(١) .

وقد اتخذ الفلقي من قرية « الأثلة » في وادي « بيش » منطلقاً لدعوته نظراً إلى قبول الأشراف الجعافرة للدعوة^(٢) من ناحية ولتجاهل الأشراف « آل خيرات » لرسالة الإمام عبدالعزيز من ناحية أخرى ، ومن ثمَّ بدأت الدعوة تجد صدى في المناطق المجاورة للجعافرة^(٣) ، ممَّا جعل أمراء (أبو عريش) من « آل خيرات » يقررون التصدي لها ، خاصة أن الفلقي ينتمي إلى أسرة « آل الخواجي » التي كانت تحكم في « صبيا » ممَّا يعني ظهور منافس جديد للسلطة .

وفي سبيل تأكيد سلطته على قبائل الجعافرة قام الشريف علي بن حيدر حاكم المخلاف السليماني آنئذٍ بطلب الزكاة منهم فأجابوه بقولهم : « زكاتنا ندفعها إلى إمامنا في الدرعية بواسطة الفلقي »^(٤) ، وفي هذا إنكار لإمارته دفعه لشن حملة قوية عليهم مستعيناً بقبائل « يام » ، إضافة إلى استتفار عمه الشريف حمود الذي كان منصرفاً عن الأمور السياسية ليكون أبرز قادة جيشه ، وكذلك طلب مشاركة أمير « صبيا » منصور بن ناصر وغيره من الأشراف « آل خيرات »^(٥) .

وفي قرية « الحجريين » القريبة من « صبيا » كانت المعركة بين قوات أتباع الدعوة برئاسة الفلقي وقوات إمارة « أبو عريش » بقيادة الشريف علي ابن حيدر والشريف حمود بن محمد والشريف منصور بن ناصر ، وانتهت بهزيمة قاسية للفلقي وأنصار الدعوة من ناحية ، وبروز نجم الشريف

(١) انظر : الرسالة ص ٦٨ - ٨٩ ، وكذلك في الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن ابن قاسم ١٢٢/١ .

(٢) البهكلي ، نفح العود ، ٩٦ .

(٣) العقيلي ، محاضرات في الجامعات ، ١١ .

(٤) البهكلي ، نفح العود ، ٩٨ : العقيلي ، محاضرات ، ١٢ .

(٥) البهكلي ، نفح العود ، ٩٨ .

حمود بن محمد بوصفه قوة لها تأثير مهم في المعركة من ناحية أخرى ، ومن ثم بدأ التنافس بين الشريفين علي بن حيدر وعمه حمود بن محمد الطامح إلى السلطة واستمر لمدة ثمانية أشهر تقريباً^(١) .

على إثر هزيمة الفلقي توجه إلى « الدرعية » طالباً النجدة حيث وجدت « الدرعية » أن دعايتها أحمد الفلقي وعرار الشعبي في حاجة إلى الدعم العسكري فقامت بإرسال حملة عسكرية بقيادة حزام بن عامر العجماني لنصرة أتباعها في المخلاف وإخضاعه لسلطتها^(٢) . وتوجه حزام بقواته إلى المخلاف السليماني حيث انضم إليه أتباع الدعوة هناك ، واتجه إلى « أبو عريش » ، وفي قرية « الحجرين » تمّ التفاوض مع الأشراف عن طريق الوفد المكون من الشريف يحيى بن حيدر ، والشريف منصور بن ناصر ، وأحمد الضمدي (والد المؤلف) ، وبين القوات السعودية ، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على « أن يقوم الشريف يحيى بن محمد بالعهد والدعوة في « أبو عريش » ، والشريف منصور بن ناصر في « صبيا » وأمورهما مناطة بأحمد الضمدي »^(٣) .

ويذكر البهكلي أيضاً أنه أثناء هذه الأحداث حصل الصلح بين الشريفين علي بن حيدر وحمود^(٤) على أن يتنازل علي بن حيدر عن الإمارة لصالح عمه الشريف حمود خاصة ، وأن معظم الأشراف « آل خيرات » كانوا يميلون إلى ذلك ، وكان ذلك أواخر عام (١٢١٥هـ)^(٥) .

ومنذ تولي الشريف حمود مقاليد السلطة نجده يتخذ سياسة عدائية ضد الدعوة السلفية وأتباعها متجاهلاً الصلح الذي تمّ مع حزام العجماني ؛ خاصة أن الشريف منصور بن ناصر قد أيد الدعوة الإصلاحية

(١) نفسه ، ١٠٠ ؛ العقيلي ، محاضرات ، ١٢ .

(٢) عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١٧٥ .

(٣) البهكلي ، نفع العود ، ١٠٧ ؛ عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١٧٦ - ١٧٧ .

(٤) المصدران السابقان ، الصفحة نفسها .

(٥) العقيلي ، محاضرات ، ١٢ .

وطبقها على رعاياه في إمارة « صيبا » وبذلك أصبح المخلاف السليماني مسرحاً للكثير من العمليات العسكرية بين أتباع الدعوة والشريف حمود كان الظفر فيها للشريف حمود^(١) .

ونظراً إلى ازدياد التوتر في المنطقة وسياسة الشريف حمود العنيفة ضد الدعوة وأتباعها قررت الدرعية إرسال حزام العجماني مرة ثانية في مطلع ربيع الأول عام (١٢١٧هـ / ١٨٠٢م) لتجدة الفلقي وعرار والشريف منصور ضد الشريف حمود ، وتمكنت الحملة من السيطرة على المنطقة الشمالية للمخلاف السليماني ووصلت إلى « ضمد » التي تعد خط الدفاع الرئيس للشريف حمود حيث تعسكر قواته بقيادة الحسن بن خالد الحازمي^(٢) .

وفي « ضمد » هُزمت قوات الشريف حمود ، إلا أن حزام العجماني عاد بعد استيلائه عليها ولم يتقدم باتجاه « أبو عريش » لأسباب غير واضحة تاريخياً ، ومن ثمّ أوكلت الدرعية مهمة المواجهة مع الشريف حمود إلى أمير عسير عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة^(٣) .

وحيث إنّ معركة « ضمد » تعد بداية سرد الأحداث لدى مؤلف هذا الكتاب فإنني أترك له الحديث عن تطور الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة حيث بدأها بمعركة ضمد الآتفة الذكر .

(١) لمزيد من التفصيل حول الحملات السعودية وحملات الشريف حمود ضد أنصار الدعوة انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١١٠ - ١١٨ .

(٢) البهكلي ، نفح العود ، ١١٩ ؛ عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١٨٠ .

(٣) العقيلي ، محاضرات ، ١٥ - ١٦ ؛ البهكلي ، نفح العود ، ١٢٣ - ١٢٩ .

اصطلاحات

- [] تمَّ استخدام هاتين الحاصرتين لأرقام الصفحات ، كما استخدمت للإشارة إلى إضافات المحقق المقترحة .
- () ما بين هذين القوسين ساقط في الأصل وتم إكماله من (ص) أو (ع) ويستخدم أيضاً لتحديد العبارات المختلفة بين النسخ .
- (()) تم استخدام هذين القوسين المزدوجين لتحديد إضافات المؤلف الموجودة في هامش الأصل التي أدخلت إلى النص المحقق .
- « » للإشارة إلى الأحاديث النبوية ، والنصوص المنقولة والمخصصة وكذلك الأماكن الجغرافية والقبائل والفرق والكتب .
- الأصل : المخطوط الأصلي المكتوب بخط المؤلف نفسه .
- ص : نسخة صنعاء .. من مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع الخاصة .
- ع : نسخة جازان .. من مكتبة الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي الخاصة ، وهي المعروفة باسم : الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك ، وهي محفوظة حالياً في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض .

الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني

المسمى

«الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك»

تأليف

الحسن بن أحمد «عاكش» الضمدي
(١٢١٩ - ١٢٩٠ هـ / ١٨٠٤ - ١٨٧٣ م)

[ص ١]

/ (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار ، وجعلهما خلفه لمن أراد أن يتذكر
من أولي الأبصار ، وميّز ذوي العقول بالتأمل في ساحة الاعتبار ، بما تجدد
من حوادث الأيام في جميع الأعصار ، أحمده على تجدد نعمائه في كل آن ،
وأشكره فهو الباقي وما سواه فهو فان ، وله الملك الدائم الذي لا يشوبه خلل
فيما سبق ولا فيما غبر ، وبيده نظام الموجودات تجري بحكمته على
تصاريف القدر ، قضت حكمته البالغة بانتقال الممالك من جيل إلى جيل ،
وعدم استقرارها لفريق معين بل لم يزل يقع فيها التغيير والتبديل . ليُقضى
أن الملك الحقيقي إنما هو الله تعالى ، وأما غيره فملكه على سبيل
المجاز (٢) ، ومن قدر الله حق قدره مشى على نحو هذا الطراز ، لأجله
[نزل] قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٣) ، والعاقل من اتبع
الحق الواضح في جميع أموره وتجنب مواقع الالتباس ، ولقد صدق من قال :
وإنما هي أيامٌ مداولة إذا انقضت عدداً ضاقت بمتسع (٤)

وهكذا الأمر على (هذا المنوال) (٥) حتى يأذن الله - سبحانه -

لهذا العالم الدنيوي بالزوال .

والصلاة والسلام على سيد / الأكوان (٦) ، وصفوة الصفوة من [ص ٢]

(١) ما بين القوسين من هنا إلى ص (٥٣) مفقود في الأصل وقمت بإكماله من (ص) التي

جعلتها أصلاً في هذه المرحلة مع مقارنتها بنسخة (ع) .

(٢) غير واضحة في (ص) ولكنها مكتوبة في الهامش بخط آخر فأثبتناها لموافقتها للسياق .

(٣) سورة آل عمران : ١٤٠ .

(٤) البيت من البسيط .

(٥) انظر : هامش (٢) من هذه الصفحة .

(٦) هو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم أما سيادة الأكوان فإلى خالقها وهو الله سبحانه

وتعالى .

عدنان ، من لولاه لم تخلق الموجودات^(١) ، ومن بأيامه تشرفت [الأماكن] والأوقات ، فسيرته هي السيرة المرضية ، وأيامه هي الجارية على مراد رب البرية ، فصلى الله عليه وسلم تسليماً ، وزاده تشریفاً وتكريماً وتعظيماً ، وعلى آله جمال الكتب والسير ، من جاءت^(٢) بكريم مناقبهم الآيات والصور ، ورضي عن صحابته أهل الرشيد والكمال ، ومن ساروا بسيرته في كل تفصيل وإجمال ، وعلى التابعين من أمته بإحسان ، وتابعيهم على مدى الأزمان .

ويعد : فهذا هيكل لطيف ، وموضوع على الروح خفيف ، جامع لأخبار جماعة من أهل هذا الزمان ، ومتهدل من ذكر محاسنهم بأغصان ، حداني على الاعتناء بذلك ، والسلوك في هذه المسالك ، أني رأيت كل علم أقدام العلماء فيه متساوية ، ورتبهم فيه متدانية ، برهان ذلك أن علوم الشريعة التي يتوسل بها إلى السعادة الأبدية في دار السلام ، في جوار القدس^(٣) عند الملك العلام ، هي ما سأل جبريل عنه نبينا عليهما أفضل الصلاة والسلام^(٤) ، وأشار^(٥) بالسؤال عن الإيمان إلى أصول الدين

(١) هذا تعبير غير صحيح فالموجودات خلقت لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى وأشار القرآن الكريم إلى طرف منها في استخلاف آدم عليه السلام في الأرض . ودعوى خلق المخلوقات من أجله عليه الصلاة والسلام ربط للموجودات بحكمة لم يرد بها دليل ، وهي مخالفة للواقع المعقول حيث إن المخلوقات وجدت قبله ويعدده عليه الصلاة والسلام .

(٢) ص : جات .

(٣) كلام المؤلف فيه غموض . وقد يفهم أن القدس منزلة عند الله سبحانه وتعالى ، والحق أن القدس المنصوص عليه في القرآن الكريم في أكثر من موضع هو الله تعالى . انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، والقرطبي ٢ (٢٣ ، ٢٤) .

(٤) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ... إلخ . ورد عند مسلم في باب الإيمان : ١/ ٣٦ - ٢٨ : ورواه أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم .

(٥) بياض في ص وأثبتاها من ع .

المسمى بالكلام^(١) ، بشرط أن لا يتبع الباحث فيه الأهواء والأوهام ، بل يبحث عن قواعد عقائد الإسلام ، وعن الإسلام إلى علم الفقه الباحث عن الحلال والحرام^(٢) / وعن الإحسان إلى علم التصوف^(٣) الذي هو ثمرة الإيمان ونتيجة الإسلام ، والمراد (به الجاري)^(٤) على نهج الكتاب والسنة في كل مقام ، وأما التفسير والحديث فداخلان فيما ذكرناه بلا كلام .

وقد اعتنى بالتأليف في تلك الأنواع علماء الدين ، ووضحوا طرائقها بغاية التنبيه ، حتى صارت محروسة من الخلل والانتقاض ، صحيحة المباني لا دخل فيها لمناقش ولا اعتراض ، وهي جديدة على كرور الأعوام ، وقد يسر الله للعناية بها في كل عصر أقواماً ، فمن سعى في تلك (الطرائق ، فما يقف)^(٥) إلا على ما قالوه في جميع الحقائق .

وأما العلوم التي هي آلة لهذه العلوم ، ووصلة إلى منطوقها والمفهوم ، فلها مصنفات مستقلة ومؤلفات كثيرة قد حررها العلماء الجلة^(٦) ،

(١) هذه التسمية تسمية حادثة . ودعوى أن لها أصلاً في سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ تمحل في القول ، خاصة أن حقيقة الإيمان شاملة للقول والعمل .

(٢) الناظر في الحديث الشريف المشار إليه يرى أن السؤال عن الإسلام والإجابة عنه تضمن جانباً من العبادات كما تضمن كذلك توحيد الله تعالى بعبادته وحده وعدم الإشراك به . انظر (البخاري ، كتاب الإيمان ٣٧) .

(٣) هناك فرق بين أصول الدين المتلقاة من الوحي وعلم الكلام المتلقى من عقول البشر ، كما أن هناك فرقاً بين التعبد والزهد الشرعي الذي قد يصل به الإنسان إلى درجة الإحسان ، وعلم التصوف مبني على ذوقيات وكشوفات بشرية ورؤى وأحلام ومنامات قادت إلى طرق صوفية ومناهج بدعية ، كما أن هذا خطأ ظاهر من المؤلف في تأويل الحديث وحمله على غير محمله الظاهر وتكييفه على هيئة مذهبية تخالف نصه المتضمن عبادة الله سبحانه وتعالى والخوف منه ورجاء ما عنده دون ربط المدلول بما ابتدع من مصطلحات تبعثها أفعال لا يصح حمل النص عليها .

(٤) بياض في ص وأثبتناها من ع .

(٥) بياض في ص وأثبتناها من ع .

(٦) الجلة : قوم جلة : أي ذوو أخطار ومشيخة ، والواحد منهم جليل ، انظر : لسان العرب .

مادة : جلل .

وهي بمرأى ومسمع من طالب تلك المعارف ، وأثمارها دانية لكل قاطف ، وقصارى المحقق في هذا الزمان أن يعرف غور موضوعات هذه العلوم على اختلاف أنواعها ، ويتأهل لفهمها على اتساع مواضعها وفنونها ومشارعها .

وإني - بحمد الله تعالى - ممن ضرب في تلك المعارف بسهم ، وجعلتها في باكورة عمري غاية القصد والهم ، و (ألفت في)^(١) بعضها مؤلفات ، ومشيت مع أهلها في تلك الاعتبارات ، ما خلا علم التاريخ فلم أحُمّ حول / حماه ، ولم أساجل أهله في أوضاعه ومبناه ، مع أن ثمرته متجددة على كرور الأزمان ، ومن خاض فيه جاء (بما اشتمل)^(١) عليه زمانه وما لم يسبقه فيه إنسان ، وهو العمر الثاني على اختلاف الملّوان^(٢).

وقد اتفق في هذا الزمان وجود جماعة من العلماء والملوك والفضلاء ، ولهم محاسن حقها أن تدون ليستفيدوا من يأتي بعدهم من النبلاء ، وقد رأيت أن أجعل أخبارهم ثمر هذه الأوراق ، وأسير ما اتصل بي من أخبارهم على طريقة يقبلها الحذاق ، وأتحرى في ذلك الصدق الذي هو حليّة الأخبار ، وأستعمل الإنصاف في إيراد المناقب^(٣) والإصدار ، وأتجنب الهوى في المدح والقدح ؛ لأن الهوى عارٌّ على أهل العلم وأي عار ، والإنسان مسؤول عما جرى به القلم ؛ فإنه أحد اللسانين كما ورد ، والعاقل لا يرضى على نفسه ضرراً أخروياً فيما انتحاه وقصد .

(١) بياض في ص وأثبتها من ع .

(٢) الملّوان : الليل والنهار ، وقيل : طرفا النهار ، ويقال : لا أفعله ما اختلف الملّوان . انظر : لسان العرب مادة : ملا .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتها من ع ، وفي هامش ص : الحكايات .

والتزمت ألا أترجم فيه لأحد من العلماء إلا من قد عرفته وانتقل من هذه الدار ، ولا أقلد في الإطراء ولا في ضده^(١) ؛ لأن ذلك عند جميع العقلاء مذموم في جميع الأعصار ، ولا أترك الاستطراد بما فيه ترويح لذوي الأفهام ، حتى يأخذ كل مطالع فيه على قدر استعدادة ، ويستفيد المتأمل نهاية قصده وغاية مراده^(١) ، ولا أورد فيه إلا حاصل القصة وجملتها من غير تفصيل ، وأثبت ما بلغني منها / من طريق أرضاء [صره] من غير إيجاز مخل ولا تطويل .

ولم أعتن بذكر الشهور والأيام^(١) بل التزم ذكر الأعوام ، وما لم يبلغني فيه من الأعوام شيء من الحوادث لا أذكره ولا أطول بذكره الكلام ، ولا أستعمل التسجيع في جميع الأنفاظ ، ولا مراعاة البدائع اللفظية التي هي قيد الحافظ ؛ لأنني قد رأيت من استعمل ذلك من أهل التاريخ لا يخلو كتابه من التكلف في ذلك الصنيع ، وقد يسأله الناظر (لما حواه) من الوقوف تحت قيد البديع .

توقى البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان وهي كوامل^(٢) فلهذا تراني لم أتكلف لأكثره سجعاً مطبوعاً ، ولا أحللت^(٣) من مساكن التنطع ربوعاً ، بل أخذت العفو في الترتيب والرفو . ولا أدعي فيه الكمال لاعترافي بالقصور في جميع الحالات ، فليسبل الستر على معانيه من طالعاه : فإن الكريم لا يتتبع العثرات ، وإن لاح له سبق قلم أو غلط أو سهو في هذا التسيير ، فليصلحه متفضلاً ولا يبادر باللوم والتكثير .

أَصْلَحَ بِفَضْلِكَ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ غَلَطٍ
وَاصْفَحْ فَإِنْ أَجَلَ النَّاسَ مَنْ صَفَحَا

(١) بياض في ص وأثبتها من ع .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) ص : أحللت ، والتصحيح من ع .

وَلَا تَلَمَّ يَا خَلِيَّ الْبَالِ مُفْتَبِحًا

كَأَسِّ الْهُمُومِ عَلَى سَهْوٍ وَمُصْطَبِحًا

وَاسْتَرْ مَعَايِيَهُ يَسْتُرْكَ مُطْلَعٌ

غَطَّى عُيُوبَكَ أَحْيَانًا وَمَا فَضَحَا (١)

[ص ٦]

/ وقد رتبته على مقدمة وثلاثة فصول ، وعلى الله - سبحانه - بلوغ الغاية وتمام المأمول ، والله - سبحانه - هو المرجو ألا يجعله من العمل الذي لا يُشكر لديه ، بل يعاملني بإحسانه وفضله ، ويسامحني إن صدر مني ما لا يقربني إليه ، فهو الرب الكريم الجليل ، وأنا العبد العاصي الذليل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) الأبيات من البسيط .

المقدمة

وهي مشتملة على ثلاثة فصول

الفصل الأول

اعلم أن مبتدأ التأريخ هو الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وقد روى أبو القاسم ابن عساكر^(١) بإسناده إلى ابن شهاب^(٢) أن النبي ﷺ أمر بالتأريخ يوم قدم « المدينة » ، رواه يعقوب بن سفيان^(٣) . وروى بإسناده^(٤) عن ابن شهاب أنه قال : التأريخ من يوم قدم النبي ﷺ مهاجراً ، قال ابن عساكر : هذا صواب .

والمحفوظ أن الأمر بالتأريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال الحافظ السيوطي^(٥) : وقفت على ما يعضد الأول فرأيت بخط ابن الشماخ^(٦) في مجموع له قال ابن الصلاح^(٧) : وقفت على كتاب في الشروط للأستاذ أبي طاهر بن محمش^(٨) الزيادي^(٩) ذكر فيه : أن

-
- (١) علي بن الحسن بن هبة الله المشهور بابن عساكر ، من علماء الحديث المشهورين ، (ت/٥٧١هـ)
- (٢) انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٢٧ : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٥٤ - ٥٧١ .
- (٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري ، تابعي وفقيه ، (ت/١٢٤هـ) ، انظر : وفيات الأعيان ٢/٣١٧ : القنوجي ، التاج المكلل ١٠٥ .
- (٤) يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ، محدث مشهور ، (ت/٢٧٧هـ) ، انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١/٢٨٥ : ابن الأثير : اللباب ٢/٢١٥ .
- (٥) ع : وروى بإسناده آخر .
- (٦) عبد الرحمن بن بكر بن محمد الجلال السيوطي ، عالم مصري مشهور ، ألف أكثر من (٣٠٠) كتاب في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ ، (ت/٩١١هـ) ، انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٣٢٨ : الكواكب السائرة ١/٢٢٦ : التاج المكلل ٣٤٩ .
- (٧) الحسن بن أحمد بن محمد الشماخ ، محدث ، (ت/٢٧٢هـ) ، انظر : الزركلي : الأعلام ٢/١٩٣ : اللباب ٢/٢٧ .
- (٨) عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري ، من علماء التفسير والحديث ، (ت/٦٤٣هـ) ، انظر : الأعلام ٤/٣٦٩ : وفيات الأعيان ٢/٤٠٨ .
- (٩) في ص : محسن ، والصواب من : الشماخي في علم التاريخ ، هامش المحقق ، ٢٠ .
- (٩) محمد بن محمد بن محمش الزيادي ، فقيه نيسابور ، (ت/٤١٠هـ) ، انظر : الأعلام ٧/٢٤٥ : اللباب ١/٥١٥ .

النبي ﷺ أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران^(١) ، وأمر علياً - رضي الله عنه - أن يكتب لخمس من الهجرة ، فالمؤرخ إذن النبي / ﷺ ، وقد يقال : هذا صريح في أنه أرخ سنة خمس ، والحديث الأول فيه أنه يوم قدم « المدينة » .

ويجاب بأنه لا منافاة ؛ فإن الظرف ليس متعلقاً بالفعل وهو (أمر) ، بل بالمصدر وهو التأريخ ، أي أمر بأن يؤرخ بذلك اليوم لا أن الأمر في ذلك اليوم ؛ فتأمل فإنه نفيس ، وقد أخرج البخاري في « تاريخه الصغير »^(٢) بسنده إلى سعيد بن المسيب^(٣) ، قال : قال عمر : من أين نكتب التأريخ ؟ فقال علي رضي الله عنه : من يوم هاجر النبي ﷺ .

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي الزناد^(٤) قال : استشار عمر رأي الصحابة في التأريخ فأجمعوا على الهجرة ، وأخرج عن ابن المنير^(٥) قال : أول ما كتب التأريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب (لست عشرة)^(٦) من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا منافاة بينه وبين ما تقدم ؛ لأن هذه أولية نسبية ، فقد عرفت من هذا أن التأريخ مأخوذ عن النبي ﷺ ، وتطابق عليه بعده رأي الصحابة علي

(١) انظر : نص كتاب الرسول ﷺ لنصارى نجران في زاد المعاد لابن القيم ٦٣/٢ .

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ، حققه محمود إبراهيم زايد ، مطبوع عام ١٣٩٧هـ ، دار التراث بالقاهرة .

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، (ت/٩٤هـ) انظر : الأعلام ١٥٥/٣ ، سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ - ٢٤٦ ، وفيات الأعيان ١١٧/٢ .

(٤) عبدالله بن ذكوان القرشي ، محدث وتابعي ، (ت/١٢١هـ) ، انظر : الأعلام ٢١٧/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٥ .

(٥) أحمد بن محمد بن منصور ، قاضي الإسكندرية (ت/٦٨٣هـ) ، انظر : فوات الوفيات ١٣٢/١ : التاج المكلل ١٥٨ .

(٦) ص : لستة عشر ، والصواب من ع : انظر أيضاً : الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ٢٣ .

ابن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وغيرهما من سائر الصحابة رضي الله عنهم .

وأما نكتة جعل المحرم أول السنة فروى سعيد بن منصور^(١) في « سننه » قال : أنبأنا نوح بن قيس^(٢) ، ثنا عثمان بن حصين^(٣) ، عن ابن عباس في قوله تعالى / : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾^(٤) قال : الفجر شهر المحرم فجر السنة^(٥) ، وأخرجه البيهقي في « الشعب »^(٦) ، وإسناده حسن .

قال الحافظ ابن حجر^(٧) في « أماليه »^(٨) : « بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تأخير التأريخ من ربيع الأول إلى المحرم بعد أن اتفقوا على جعل التأريخ من الهجرة وأنها كانت في ربيع الأول » ، وللحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - مؤلف لطيف سمّاه « الشماريخ في علم التاريخ » من أحبه فليطالع^(٩) .

(١) سعيد بن منصور بن شعبة المروزي ، محدث ، (ت/٢٢٧هـ) ، انظر : تهذيب التهذيب ٨٩/٤ .

(٢) نوح بن قيس بن رباح الأزدي ، محدث ، (ت/١٨٤هـ) ، انظر : تهذيب التهذيب ٤٨٥/١٠ .
(٣) ورد الاسم في المخطوط : محصن ، والصواب ما ذكر ، وهو : عثمان بن عاصم بن حصين ، محدث ، انظر : تهذيب التهذيب ١٢٦/٧ .

(٤) سورة الفجر : ١ .

(٥) سنن سعيد بن منصور ١٨ ، ٣٦٦ .

(٦) اسم الكتاب : الجامع لشعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت/٤٥٨هـ) .
تحقيق ودراسة صلاح بن إسماعيل بن أحمد ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٠٦هـ .

(٧) أحمد بن علي بن محمد بن محمد العسقلاني ، من أعلام الحديث والتاريخ ، ولي قضاء مصر عدة مرات (ت/٨٥٢هـ) ، انظر : البدر الطالع ٨٧/١ : التاج المكلل ٢٦٢ : الضوء اللامع ٢/٢٦ : الأعلام ١/١٧٣ .

(٨) اسم الكتاب : الأمالي الحلبية ، مطبوع بتحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، لا توجد معلومات عن الطباعة .

(٩) هذا الفصل منقول بالكامل مع تصرف بسيط من المؤلف من كتاب : الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ، انظر ذلك في النسخة التي حققها محمد بن إبراهيم الشيباني ، ١٩ - ٢٥ . ولمزيد من المعلومات عن بداية التأريخ انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ للسخاوي ، تحقيق وتعليق : فرانز روزنتال ، ١٢٨ - ١٤٦ .

الفصل الثاني

قد ذكر علماء المعقول أنه لا يحسن الخوض في علم من العلوم إلا بعد معرفة حدّه ، وموضوعه ، والغرض منه ، وبذلك يتسهّل للمتطلّع ما يروم . وعلم التاريخ علم من العلوم كما عدّه منها الفاضل الرومي^(١) في كتابه « حدود العلوم »^(٢) المسمى « مفتاح السعادة » .

فأمّا حدّه فهو معرفة أحوال الطوائف ، وبلدانهم ، ورسومهم ، وعاداتهم ، وصنائع الأشخاص الماضية من الأنبياء ، والأولياء ، والحكماء ، والشعراء ، والملوك ، والسلاطين ، وغيرهم .

وأمّا الغرض منه : فالوقوف على الأحوال الماضية . وفائدته العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح على ممر الأيام والليال ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ، ليتحرّز عن أمثال ما نقل من المضار ، ويستجلب نظائرها من المنافع / التي تنقذ بها البصائر والأبصار .

[ص ٩]

وهذا العلم - كما قال بعض الحكماء - عمر آخر للناظرين . وعبرة ينتفع بها جميع المتأملين المتبصرين ، وإذا عرفت ما ذكر عرفت الفائدة منه للنظار ، وأنّ به يستفيد العاقل بتسريح فكره في ساحة الاعتبار ، ويدل حدوث تلك الأمور^(٣) على محدث لها أزلي القدم . وينتج أن ما سوى الله - تعالى - وصفه الحدوث والعدم^(٤) .

(١) أحمد بن مصطفى بن خليل ، عصام الدين طاش كبرى زاده ، مؤرخ تركي الأصل ، مستعرب ، ولي قضاء القسطنطينية ، له مجموعة من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، (ت/٩٦٨ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ١/٢٤١ .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مطبوع في ثلاثة مجلدات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

(٣) ص : الدهور ، والتعديل من (ع) .

(٤) إلا ما أخبر الله عن عدم انقطاعه كنعيم الجنة الوادر في قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوفٍ ﴾ انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٥٢ .

الفصل الثاني

قد ذكر علماء المعقول أنه لا يحسن الخوض في علم من العلوم إلا بعد معرفة حدّه ، وموضوعه ، والغرض منه . وبذلك يتسهّل للمتطلع ما يروم . وعلم التاريخ علم من العلوم كما عدّه منها الفاضل الرومي^(١) في كتابه « حدود العلوم »^(٢) المسمى « مفتاح السعادة » .

فأمّا حدّه فهو معرفة أحوال الطوائف ، وبلدانهم ، ورسومهم ، وعاداتهم ، وصنائع الأشخاص الماضية من الأنبياء ، والأولياء ، والحكماء ، والشعراء ، والملوك ، والسلاطين ، وغيرهم .

وأمّا الغرض منه : فالوقوف على الأحوال الماضية . وفائدته العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح على ممر الأيام والليال ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن . ليتحرّز عن أمثال ما نقل من المضار ، ويستجلب نظائرها من المنافع / التي تنقذ بها البصائر والأبصار .

[ص ٩]

وهذا العلم - كما قال بعض الحكماء - عمر آخر للناظرين . وعبرة ينتفع بها جميع المتأملين المتبصرين ، وإذا عرفت ما ذكر عرفت الفائدة منه للنظار ، وأنّ به يستفيد العاقل بتسريح فكره في ساحة الاعتبار ، ويدل حدوث تلك الأمور^(٣) على محدث لها أزلي القدم . وينتج أن ما سوى الله - تعالى - وصفه الحدوث والعدم^(٤) .

(١) أحمد بن مصطفى بن خليل ، عصام الدين طاش كبرى زاده ، مؤرخ تركي الأصل ، مستعرب . ولي قضاء القسطنطينية ، له مجموعة من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، (ت/٩٦٨ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ١/ ٢٤١ .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مطبوع في ثلاثة مجلدات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

(٣) ص : الدهور ، والتعديل من (٤) .

(٤) إلا ما أخبر الله عن عدم انقطاعه كنعيم الجنة الوارد في قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ ﴾ انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٢ .

بيان ذلك أن كل متغير حادث بصحيح البرهان ، وهذه الكلية مستفادة من هذا العلم على حسب تقلب الزمان ، ومن هذه الحيثية لا يبعد عدّه من العلوم النافعة ، ويكون مجرى ذلك ملاحظاً من هذه الطريقة الواسعة .

وقد استنبط بعض أهل العلم من قوله ﷺ « لما مروا بجنابة فأتوا عليها ... » الحديث^(١) وهو مذكور في الصحيح وفيه « أنهم شهداء الله في أرضه » فقال : إن في هذا الحديث بدلالة الإيماء والإشارة أصلاً أصيلاً لتراجم العلماء ، والفضلاء من الملوك ، والأولياء ، بما هو المعلوم من أحوالهم الشريفة ، وصفاتهم المنيفة ، وأي شهادة أعظم من ذلك ، وقال بعضهم : إن في قوله / تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾^(٢) [ص ١٠] الآية مأخذ لذلك ، وأن المراد به علم التاريخ ، والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز : باب ثناء الناس على الميت (١٢٦٧) ؛ ومسلم في

الجنائز (٩٤٩) .

(٢) سورة الروم : ٩ .

الفصل الثالث

اعلم أن هذا المخلاف السليماني من أحسن مخاليف اليمن^(١) ،
ونسبته إلى السلطان سليمان بن طرف الحكمي^(٢) كما ذكره^(٣) [أ/١] الديبع^(٤) وغيره من المؤرخين ، وقد كان تسلطن في هذا المخلاف ،
وكان رجلاً عظيم الشأن ، ونسبة هذا المخلاف إليه قبل سكون الأشراف
فيه ، كما ذكره الوالد العلامة علي بن محمد النعمان^(٥) رحمه الله تعالى
في « شرح الصادح والباغم »^(٦) وحدوده من « حلي »^(٧) إلى « شرجة
حرض »^(٨) كما قاله الديبع^(٩) .

- (١) يستخدم المؤلف مصطلح اليمن للدلالة على المنطقة الواقعة جنوب الكعبة المشرفة وليس كموقع جغرافي .
- (٢) سليمان بن طرف الحكمي ، من آل عبد الجدد الحكمي ، وقد تمكن من السيطرة على المنطقة المعروفة لاحقاً باسم : المخلاف السليماني بعد نزاع مع الزياديين عام ٢٧٣ هـ . واستمر يحكمها حتى عام ٢٩٢ هـ عندما استعاد الزياديون السيطرة عليها مرة أخرى . ولم أعثر على تاريخ ولادته أو وفاته .
- (٣) انظر : هاني مهنا ، ص ٢٤ : العقيلي . المخلاف السليماني ٧١/١ : 53 - Smith, The Ayyubids . ما بين القوسين من بداية المخطوط إلى هنا مفقود في الأصل ، وتم إكماله من نسخة ص التي جعلتها أصلاً حيث تمت مقارنتها بنسخة ع .
- (٤) عبدالرحمن بن علي بن محمد الزيادي ، مؤرخ يمني (ت/١٤٤٤هـ) انظر : الشوكاني . البدر الطالع ٢٢٥/١ : الكواكب السائرة ١٥٨/٢ : 6 : Smith, Ibid .
- (٥) لم أعثر له على ترجمة .
- (٦) الصادح والباغم : لم أعثر على معلومات بشأنه .
- (٧) حلي بن يعقوب : واد مشهور يصب في البحر الأحمر على بعد حوالي ٧٠ كم جنوب القنفذة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٢٢ : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢٢٧/٢ : الزيلعي ، حوليات جامعة الكويت رقم [٧] .
- (٨) شرجة حررض ، وتسمى حررض : بلدة يمنية تبعد حوالي ٢٥ كم شمال شرق ميدي قرب الحدود السعودية اليمنية ، انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١١٦ : الأكوع ، البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي ، ص ٩٤ .
- (٩) انظر : الفضل المزيدي على بغية المستفيد لعبدالرحمن الديبع ، تحقيق : يوسف شلحد ، ٥٢ .

((وكان استيلاء الأشراف آل موسى الجون^(١) على المخلاف السليماني عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة ، وكان سلاطينه قبل ذلك الحكميين))^(٢) وهو مشتمل على أودية عظيمة ، ومحارث جسيمة ، ومدن وقرى كثيرة ، والساكنون فيه من الأشراف أمم كثيرة : الخواجيون ، والذروات ، والأمرة ، وبنو النعمي ، وبنو المعافى ، والحوازمة ، والمهادية ، وقد تفرعوا إلى بطون كثيرة وفخوذ واسعة ، وهم معروفون ، وتدرج أنسابهم مدون بأيديهم وأيدي العلماء من أهل جهتهم .

وفي هذا المخلاف من العلماء المحققين ، والأدباء المفلحين ، والفضلاء ، والصالحين ، ما لا يأتي عليهم العد ، وليست مناقبهم غائبة الجنس [ص ١١] والفضل حتى أرسمها بحد ، وقد تكفل بنشر فضائلهم / وتعداد محاسنهم ، وذكر من صنف منهم ، ومن تأهل للتصنيف جماعة من المؤرخين كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال الصنعاني^(٣) في تاريخه المسمى « مطلع البدور »^(٤) والعلامة العامري^(٥) في تاريخه

(١) موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الجد الأعلى لجميع الأشراف الذين حكموا مكة والمخلاف السليماني ، انظر : ابن حزم ، جمهرة النسب ، ٤٦ : الأصفهاني ، مقال الطالبين ، ٣٩٠ .

(٢) ما بين القوسين المزدوجين مكتوب في هامش الأصل بخط المؤلف نفسه مع سهم يشير إلى أنه يريد أن يكون بعد كلمة جسيمة ، وبناءً على ذلك قام ناسخ ص بإثباته في صلب المخطوط ، إلا أن المؤلف قد وضع إشارة أخرى كتب فيها هذه العبارة بعد كلمة الديع ، وبذلك يستقيم السياق ، وقد أخذت بذلك عندما أدخلت هذه العبارة في المخطوط ، حيث وجدت تأييداً لذلك في نسخة ع .

(٣) عالم يعني مشهور (ت/١٠٩٢هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٥٩/١ : والمحبي ، خلاصة الأثر ٢٢٠/١ .

(٤) اسم الكتاب كاملاً : مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم علماء الزيدية ، مخطوط ، انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ٤٤ .

(٥) يحيى بن أبي بكر العامري ، عالم يعني مشهور عاش في حرص (ت/٨٩٣هـ) . انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ١٤٠ : السخاوي ، الضوء اللامع ٢٢٤/١٠ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٧/٢ : سيد ، مصادر تاريخ اليمن ، ١٥٨ .

« غريال الزمان »^(١) والقاضي العلامة عبدالله بن علي النعمان^(٢) في تاريخه « العقيق اليماني »^(٣)، والقاضي أحمد بن المقبول المكنى بأبي الفضائل الأسدي^(٤) في تاريخه « الجواهر الحسان في تاريخ أبي عريش وجازان »^(٥)، والعلامة الأديب أحمد بن محمد النمازي^(٦) في تاريخه^(٧) وغيرهم .

وفيه قبائل من العرب كثيرون ، وأنسابهم صحيحة ، وهم ما بين عدنانية وقحطانية ، وأغلبهم من قحطان ، وفيهم من المروءة والنجدة والشجاعة والكرم ما ليس في غيرهم ، ولم يكن فيه من الأخلاط والغرباء والموالي إلا النزر القليل^(٨) .

-
- (١) غريال الزمان في وفيات الأعيان ، اختصره المؤلف من كتاب « مرآة الجنان » لليافعي وكتاب « تحفة الزمن » للأهدل ، حققه وعلق عليه محمد ناجي ، وطبع عام ١٤٠٥هـ بدمشق . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٤٢٤ .
- (٢) يذكر الحبشي أن اسمه : مطهر بن عبدالله النعمان الضمدي (ت/١٠٥٠هـ) . انظر : مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ص ٤٢٧ .
- (٣) اسم الكتاب : العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني ، ومؤلفه : عبدالله ابن علي النعمان الشقيري ، وقد أوردته الحبشي في مصادر تحت اسم المؤلف : مطهر ابن عبدالله بن النعمان الضمدي ، وذكر أن اسم الكتاب : الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغريال الزمان ، وأضاف : ويسمى أيضاً العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني ، مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الشعب بالكلاب . وأخرى بمكتبة الجامع الغريب بصنعاء ، وثالثة بالمكتبة العقلية بجازان (حالياً في مكتبة جامعة الملك سعود) . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ص ٤٢٧ .
- (٤) قاضي « أبو عريش » خلال الحكم العثماني الأول في اليمن (ت/١٠٢٣هـ) . انظر : مهنا ، تحقيق « خلاصة المسجد » ، ص ٧٩ ؛ سيد ، مصادر تاريخ اليمن ، ٢١٠ ؛ الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ص ٤٢٩ .
- (٥) يذكر الزركلي أن هذا الكتاب في وقائع إقليم جازان وأن مؤلفه ابتداء من سنة ٩٠١هـ إلى سنة ٩٦٠هـ . انظر : الأعلام ٢٤٤/١ .
- (٦) لم أعثر له على ترجمة .
- (٧) اسم الكتاب : السلاف في تاريخ صبيها والمخلاف ، مخطوط ، انظر : مهنا ، تحقيق « خلاصة المسجد » ، ص ٨٢ .
- (٨) هو هنا يحكي واقعاً ، وإلا فالتكريم عند الله سبحانه وتعالى إنما هو بالتقوى والعمل الصالح ، دون النظر إلى أي وصف آخر مما شاع في بعض المجتمعات .

وكان في الأزمنة المتقدمة كل جهة من المخلاف له رؤساء من الأشراف [١/ب] فمدينة « صبيا »^(١) وما والاها رئاستها إلى الخواجيين ، وهي اختطاط جدهم الشريف دريب بن مهارش^(٢) ، وكان ذلك في عام ثمانية وخمسين وتسعمائة ، كما ذكره النمازي في تاريخه ، وكان قبل ذلك مساكنهم في أطراف الوادي من غرب ، وأول قائم منهم بالأمر بمدينة « صبيا » ومخلافها الشريف أحمد بن حسين^(٣) ، وكان قيامه بهذه السهول^(٤) في وقت قيام الإمام المجدد / القاسم بن محمد^(٥) في الجبال [ص ١٢] سنة ست وألف ، ووفاته في سنة ثمان وعشرين بعد الألف ، وأما الإمام القاسم فوفاته سنة تسع وعشرين بعد الألف ، ومولد الإمام القاسم فهو سنة سبع وستين وتسعمائة .

وقام بالأمر بعد الشريف أحمد المذكور ولده الشريف حسين بن أحمد^(٦) ، وفي أيامه كان خروج الباشا قانصوه^(٧) ، ومع عظيم قهره ،

(١) من مدن إمارة جازان ، وتقع على بعد حوالي ٤٠ كم شمالها ، شهدت الكثير من الأحداث التاريخية منذ عهد الأشراف الذريوين إلى عهد الإدريسي الذي اتخذها عاصمة له . انظر : العقيلي : المعجم الجغرافي ، ٢٥١ : الهمداني ، ٩٨ .

(٢) تولى إمارة صبيا بعد وفاة الشريف عيسى بن حسين الخواجي عام ٩٥١ هـ (ت/٩٦٤ هـ) . انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ص ١٨١ ، ٢٢٨ .

(٣) أحمد بن حسين بن عيسى بن أبي القاسم الخواجي ، تولى السلطة في صبيا عام ١٠٠٦ هـ (ت/١٠٢٨ هـ) . انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ص ٢٤٠ ، ٢٦٠ .

(٤) الأصل : السهال .

(٥) القاسم بن محمد بن علي بن محمد ، مؤسس الأسرة القاسمية ، تولى الإمارة في اليمن عام ١٠٠٦ هـ ودخل في صراع مع الأتراك انتهى بعقد هدنة لمدة ١٠ سنوات ، (ت/١٠٢٤ هـ) .

انظر : الواسعي ، تاريخ اليمن ، ٢١٧ : سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ٢٦٢ : الشوكاني ، البدر الطالع ٤٧/٢ .

(٦) تولى الإمارة بعد وفاة والده عام ١٠٢٨ هـ في مدينة صبيا ، (ت/١٠٥٣ هـ) ، انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ص ٢٦٠ ، ٢٩٨ .

(٧) أحمد قانصوه باشا ، آخر الولاة الجراكسة في اليمن ، كانت له جهود كبيرة في سبيل إبقاء السيطرة على الساحل اليمني (ت حوالي/١٠٦٠ هـ) . انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ٢/٣٠٦ : سالم ، الفتح العثماني ، ٢٨٤ .

ونفاذ حكمه وأمره لم يكن له في بلد الشريف المذكور الوطأة الكلية ،
وروي أن الباشا حاول قبضه فلم يقدر عليه ، وتوفي سنة ثلاث (١)
وخمسين وألف .

وقام بالأمر بعده ولده محمد بن حسين ، وكانت وفاته في السنة
السادسة والسبعين بعد الألف ، وفي آخر مدتهم انتهت الإمارة إلى
الشريف أبي طالب بن محمد ، وصفت مملكته نحو اثنتي عشرة سنة ،
وكانت وفاته سنة ثلاث ومائة وألف ، وبعد امتداد أيدي آل القاسم
على هذه الجهات لم يزل العامل منهم حتى آخر أيام الشريف محمد بن
أحمد (٢) ، كما ذلك معروف .

وأما أعلى « وادي صبيا » فهو مسكن بني ذروة بن حسن بن يحيى ،
وفيه كانت الرئاسة على أشرف « وادي صبيا » الجميع ، ومنهم انتقلت
الرئاسة إلى الخواجيين ، ومنهم الشريف القاسم بن محمد بن غانم / بن [ص ١٣]
ذروة ممدوح الأديب القاسم بن علي بن هتيمل (٣) فإنه كان أميراً كبيراً
مشهوراً فصيحاً ، وله تلك القصيدة المشهورة التي طالعها :
مَنْ لَصَبٌ هَاجَهُ نَشْرُ الصَّبَا لَمْ يَزِدْهُ الْبَسِينُ إِلَّا نَصَباً (٤)
[٢/أ] وهي طويلة بديعة ، وسبب إنشائه لها قد ذكره ابن أبي الرجال
في « مطلع البدور » أيام كان في أسر الملك المظفر الفساني (٥) ، والقصة
مشهورة .

-
- (١) الأصل : ثلاثة .
(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات ، حاكم المخلاف السليماني خلال الفترة من
١١٥٤هـ - ١١٨٤هـ (ت/١١٨٤هـ) . انظر : البهكلي ، خلاصة العسجد في دولة
الشريف محمد بن أحمد : العقيلي ، المخلاف السليماني ٣٩١/١ ، ٤٠٨ ، زيارة ، نشر
العرف ٢٣٠/١ .
(٣) شاعر مشهور من ضمد ، عاش في القرن السابع الهجري (ت حوالي ٦٩٦هـ) ، انظر :
العقيلي ، ديوان الشاعر القاسم بن هتيمل ، ص ٦ ؛ فروخ ، تاريخ الأدب العربي ،
٦٩١/٣ ؛ حجاب الحازمي ، القاسم بن علي بن هتيمل - حياته من شعره .
(٤) البيت من الرمل .
(٥) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور) بن علي بن رسول ، ثاني ملوك دولة بني رسول في
اليمن ، وأشار المؤلف إليه بلقب : الفساني لأن بني رسول ينتسبون إلى جيلة بن الأيهم
الفساني (ت/٦٩٤هـ) . انظر : الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ٨٧ - ٢٣٨ ؛ الأعلام ٢٢١/٩ .

وأما « أبو عريش »^(١) و « جازان » وما والاها^(٢) من الجهات اليمنية فالرؤساء فيها الفوانم ، ونسبتهم إلى الأمير غانم بن يحيى ابن حمزة^(٣) ، ودامت مدتهم في الإمارة مائة وأربعين سنة كلها صافية إلا أربع سنين^(٤) منها تزلزلت بأيام الأمير عامر^(٥) ؛ وأمرأؤهم^(٦) أولهم : خالد بن قطب^(٧) الدين ، ثم ابنه دريب^(٨) ، ثم ابن ابنه أحمد بن

(١) عاصمة المخلاف السليماني خلال حكم الأشراف آل خيرات ، تبعد حوالي ٢٥ كم شمال شرق جازان ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٥٨ .

(٢) في الأصل : وما والاها .

(٣) أمير جازان (المخلاف السليماني) في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، ومن ذريته خرجت مجموعة من الأسر التي حكمت أجزاء من المخلاف السليماني خلال العصر الإسلامي الوسيط ومطلع الحديث مثل : الأشراف الفوانم في جازان : والأشراف أصحاب « باغته » من ذرية وهاس بن منصور بن أحمد بن غانم : والأشراف بني قاسم في « بيش » ، والذرويين في « صبيا » .

انظر : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٠١ وما بعدها ، العقيلي ، المخلاف السليماني ، ٢٠٤/١ .
- Smith, The Tahirids sultans, 55 .

(٤) الأصل : أربع سنة .

(٥) عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر ، رابع سلاطين آل طاهر في عدن ويلقب بالظافر الثاني ، قتل في مواجهة الأتراك الجراكسة بقيادة حسين الكردي عام ٩٢٢ هـ .

انظر : ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ١٧٣ - ٢٧٤ : السخاوي ، الضوء اللامع ١٦/٤ :

أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ٢٢٦ : ٥٥ ، Smith, The Tahirid sultans, 55 -

(٦) الأصل : وأمرأؤهم .

(٧) خالد بن قطب الدين بن محمد بن هاشم ، مؤسس حكم الأسرة القطبية في المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (ت/٨٤٢ هـ) .

انظر : النعمان ، العقيق اليمني ، مخطوط ، ص ١٢٨ : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٥٧ .

(٨) دريب بن خالد ، ثاني الأمراء القطبيين ، كانت شهرته أكثر من والده واستطاع إعادة

توحيد المخلاف السليماني تحت سيادة الأسرة القطبية ، (ت/٨٩٦ هـ) .

انظر : السخاوي ، الضوء اللامع ، ٢/٢١٨ : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٦٨ - ١٧٢ .

دريب^(١) ، ثم ابنه يوسف العزيز بن أحمد^(٢) ، ثم أخوه المهدي بن أحمد^(٣) ، وهو ممدوح السيد الأديب الجراح بن شاجر الذروي^(٤) ، وكان ذا شجاعة وعلم وكرم ، ثم صنوه عز الدين بن أحمد^(٥) ، ثم محمد بن يحيى^(٦) ، ثم أحمد بن المهدي^(٧) ، ثم عامر بن يوسف العزيز

(١) أحمد بن دريب المعروف بأبي الفوائد ، دخل في صراع مع شريف مكة محمد بن بركات ، واتصل بالسلطان قايتباي وأكرمه (ت/٩١١هـ) .

انظر : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٧٣ - ١٨٤ : العقيلي . المخلاف السليماني ، ٢٦٢/١ .

(٢) رابع الأمراء القطبيين . لم يحكم طويلاً حيث توفي بالسم بعد حوالي سنة من توليه الحكم (ت/٩١٢هـ) . انظر : الزيلعي . الأوضاع السياسية ، ١٨٥ .

(٣) المهدي محمد بن أحمد ، عهد إليه أخوه العزيز بالحكم . وهو من أشهر أمراء المخلاف السليماني لارتباط اسمه بديوان الشاعر الجراح بن شاجر . ولدوره في حملة القائد المملوكي حسين الكردي على اليمن التي قضت على دولة بني طاهر عام ٩٢٣هـ ، ثار عليه أخوه عز الدين ومات مخنوقاً في السجن عام ٩٢٥هـ .

انظر : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ١٨٦ : العقيلي . المخلاف السليماني ٢٧٠/١ : زيارة ، نشر العرف ٢٣٢/١ .

(٤) شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر بلا منازع . تركب معظم شعره في مدح الأمير القطبي المهدي محمد بن أحمد ، له ديوان شعر حققه وطبعه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي : انظر أيضاً : العقيلي ، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، ٢٣٠ .

(٥) كان يحكم « حرص » خلال إمارة أخيه المهدي ، ثم اشترك في حكم زييد مع برسباني المملوكي حتى عودته إلى جازان عام ٩٢٥هـ ، وقيامه بالثورة ضد أخيه واستيلائه على الحكم ، قتل أثناء صراعه مع الجراكسة قرب زييد عام ٩٣٠هـ .

انظر : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ص ٧٢ : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ٢٠٦ : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ١٤٩ ، ١٥٣ .

(٦) محمد بن يحيى بن أحمد بن دريب ، دخل في صراع مع ابني عمه : أحمد بن محمد المهدي وأحمد الطاهر وتمكن من السيطرة على الحكم ، غير أن دسائس ابن عمه الطامع في الإمارة أحمد بن المهدي أدت إلى دخوله في صراع مع الجراكسة في زييد حتى قتل في معركة القرن عام ٩٣٤هـ .

انظر : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ٧٣ : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ١٥٨ - ١٦٠ : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ٢١١ .

(٧) أحمد بن المهدي محمد بن أحمد ، تولى إمارة المخلاف السليماني بمساعدة حاكم زييد الجركسي ، قتله سلمان الرومي إثر خلاف دب بينهما عام (٩٣٤هـ) .

انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ١٦٠ : الكبسي ، اللطائف السنية . مخطوط ، ٧٤ : العقيلي ، المخلاف السليماني ١٨٨/١ ، الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ٢١٥ .

ابن أحمد بن دريب^(١) .

وكان أمراء هذه الجهة قبل القطبيين^(٢) الأشراف الشطوط - بشين معجمة وطائين مهملتين مكررتين بينهما واو - وهم أيضاً من ذرية غانم [ص ١٤] ابن يحيى وتملكوا مدة من الزمان وآخرهم / الأمير الشطي الذي انتقل منه الأمر إلى الأمير خالد بن قطب الدين اسمه المقلّم^(٣) ، بقاف مثناة على زنة اسم المفعول ، وكانت ابنته حليلة للأمير خالد ، وكان مبتدأ إمارة القطبية أول القرن التاسع ، واستكملوه جميعه ، وأخذوا من القرن العاشر أربعة وأربعين عاماً ، وأمراؤهم تسعة^(٤) أولهم خالد بن قطب الدين وآخرهم عامر بن يوسف .

وأما الحوازمة فمساكنهم بطن « وادي صبيا » ، وقد كان حصل بينهم وبين الأمير القطبي صاحب « جازان » قتل ؛ خرج بسببه الحوازمة إلى « حررض » وأقاموا فيه مدة بجوار السلطان يومئذ ، ثم اصطالحوا هم والأمير ، وعاد منهم من عاد ، وبقي من بقي ، فحشدت العرب « بني سبأ »^(٥) ، ومسكنهم أعلى « حررض » فغدروا بالحوازمة في [٢/ب] يوم عيد ، وقتلوهم مقتلة عظيمة ، ومن بقي منهم وفد إلى

(١) آخر الأمراء القطبيين ، تولى عام ٩٢٥ هـ بطلب من أعيان المنطقة بعد خروج مصطفى بيرم من جازان ، دخل في صراع مع أمير حلي وشريف مكة أبي نمي ، أدى إلى خروجه من جازان للبحث عن مساعدة من اليمن ، عاد إلى الحكم مرة أخرى بمساعدة إمام اليمن عن طريق والي صعدة ، ولكنه قتل بعد عودته إلى الحكم عام ٩٤٤ هـ ، وبموته انتهى حكم الأسرة القطبية .

انظر : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ٧٥ - ٧٧ : العقيلي ، المخلاف السليماني ، ٢٧٥/١ : الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ٢١٩ .

(٢) الأصل : القطبين ، والتصحيح من ع .

(٣) انظر : مناقشة الزيلعي حول اسم المقلّم ورده على العقيلي ، الأوضاع السياسية ، هامش رقم ٢ ص ١٣٩ .

(٤) الأصل : وأمراهم .

(٥) الأصل : بنو سبأ ، وهم بطن من حمير ، يسكنون أعالي وادي حررض ، وهو يطلق على أكثر من موضع في اليمن . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١٩٩ .

جماعتهم بأرض « صبيا » ، فرمى الله « بني سبأ » بالنكال وهلاك الرجال والأطفال ، ووقعت أيضاً بينهم وبين أشراف الوادي حروب طالت أيامها ، ثم نشبت الحرب بينهم وبين الأشراف الخواجيين يداً واحدة على الحوازمة .

وأما السادة النعميون فهم ساكنهم « وادي بيش »^(١) و « وادي وساع »^(٢) ، ولهم / الرئاسة على أهل تلك الجهات ، وجاء منهم علماء [ص ١٥] نحارير قد تضمنت تاريخ الجهة تراجمهم ، ولا يخلو منهم العلم والنجدة والكرم والشجاعة ، وإلى حال التاريخ وهم على ما هم عليه .

وأما السادة المهادية فكانوا فيما سلف ساكنين في مدينة « منارة »^(٣) غربي « وادي بلاج »^(٤) ، فحصل عليهم من الأمير خالد القطبي ما حصل وانتقلوا إلى « وادي ضمد »^(٥) ، والقصة مذكورة في « العقيق اليماني » ، ومن يومئذ خربت « المنارة » ، وجميع سادات هذا المخلاف نسبهم يرجع إلى موسى الجون بن عبدالله المحض .

أما بنو المعافى والمهادية والخواجية والقطبية والذروات ، فهم يلتقون في أبي الطيب داود بن عبدالرحمن بن أبي الفاتك عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثني بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لأن الأمير خالد هو ابن قطب الدين بن محمد بن

(١) وادي بيش : واد من أكبر أودية تهامة ومآتيه من جبال السراة ، وعلى ضفافه قرى ومحاريث ومزارع كثيرة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٠ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٩٨ .

(٢) وادي وساع : مآتيه من جبال الصهايل ، ويعد من روافد وادي بيش حيث يلتقي قرب قرية أبو القعايد شمال صبيا ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٤١٩ .

(٣) منارة : قرية أثرية مطمورة تقع جنوب شرقي قرية الكواملة في منطقة جازان . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٤٠٠ .

(٤) وادي بلاج : واد صغير يلتقي وادي جازان جنوب قرية القمرى ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٠ .

(٥) وادي ضمد : من الأودية المشهورة في منطقة جازان ، مآتيه من جبال فيفا وبني مالك ، انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٦٤ ، ٩٨ : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٦٦ .

هاشم بن وهاس بن محمد بن هاشم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب .

وأما الذروات فهم أولاد ذروة بن حسن بن يحيى بن أبي الطيب .

وأما الخواجيون فيرجعون إلى الشريف محمد بن حسين بن أحمد ابن حسين بن عيسى بن أبي القاسم بن أحمد بن علي - وهو الملقب « الخواجي » - بن سليمان بن غانم بن يحيى بن حازم بن^(١) [أ/٣] معافى [ص ١٦] / ابن يحيى بن أبي الطيب .

وأما بنو المعافى فهم أولاد المعافى بن رديني بن يحيى بن داود بن أبي الطيب .

وأما المهادية فهم أولاد المهدي بن القاسم بن محمد بن حمزة بن قاسم بن عبد الله بن داود بن أبي الطيب .

وأما بنو النعمي فهم أولاد نعمة بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون ؛ فقد اتصل نسبهم جميعاً بالإمام موسى الجون كما عرفت ما خلا السادة الحوازمة ، فتسبهم يرجع إلى أخيه يحيى بن عبد الله^(٢) وهو القائم « بالديلم »^(٣) ، ومن ولده محمد ابن يحيى وإبراهيم بن يحيى وصالح بن يحيى ، وهم من أولاد محمد بن

(١) مكررة في الأصل واكتفينا بواحدة .

(٢) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، من كبار الطالبين في أيام الهادي والرشد ، ثار ضد العباسيين ، وتقل ما بين اليمن ومصر والمغرب والعراق وخراسان ثم أعلن دعوته في بلاد الديلم عام (١٧٥هـ) ، قصته مبسطة في كتب التاريخ ، مات في حبس الرشد عام ١٧٥هـ ، وقيل : عام ١٨٠هـ .

انظر : الأعلام ٩/ ١٩٠ : الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ٤٦٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢/ ٦٢ ، ٨٣ .

(٣) الديلم : يطلق على ساكني منطقة طبرستان شمال إيران وجنوبي بحر الخزر ، يقول المسعودي : والديلم زعم كثير من الناس من ذوي المعرفة بالأنساب أنهم من ولد باسل بن ضبة بن أدد .

انظر : مروج الذهب ٤/ ٢١٧ .

يحيى كما سيأتي ذكر ذلك في ترجمة السيد العلامة حسن بن خالد^(١) رحمه الله تعالى .

وكان بعض أمراء هذا المخلاف يعتزون^(٢) إلى ملوك بني غسان^(٣) سلاطين اليمن ، وكان منتهى ملكهم سنة تسع وخمسين وثمانمائة ، ومدة ولايتهم مائتا سنة وأربع وثلاثون سنة ، وكذلك امتدت عليه يد « الجراكسة »^(٤) بعد الغسانيين^(٥) . ومدة ولايتهم اثنتان وعشرون سنة ، ومن آخر أيامهم سنة خمس وأربعين وتسعمائة كان مبتدأ دولة آل عثمان في اليمن ، وامتدت على هذه البلاد ، وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وثلاثاً^(٦) وعشرين سنة : لأن ابتداء دخولهم « زبيد »^(٧) / [ص ١٧]

(١) من أبرز شخصيات المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري حيث كان قائداً ووزيراً للشريف حمود ، وكان له تأثير كبير في الحياة السياسية والفكرية في المنطقة خلال الفترة من ١٢١٧هـ حتى تاريخ وفاته عام ١٢٢٤هـ .

انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ٦١ : العقيلي ، أضواء على الأدب والأدباء ، ٨٦ : زيارة ، نيل الوطر ١/ ٢٢٢ : القنوجي ، التاج المكلل ، ٢٧٢ .
(٢) اعتزى إلى فلان ، انتسب إليه صدقاً أو كذباً ، والعزوة : الانتساب .
انظر : المعجم الوسيط ٢/ ٦٠٥ .

(٣) يقصد المؤلف بني رسول في اليمن الذين ينتسبون إلى جيلة بن الأيهم الغساني ، انظر : تحقيق نسبهم في العقود اللؤلؤية للخزرجي ١/ ٣٦ .

(٤) الجراكسة : اسم يطلق على المماليك البرجية نسبة إلى بلادهم ، وهي جزء من جورجيا تعرف باسم شركس تمتد على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود ، وأطلق عليهم المماليك البرجية : لأن السلطان خليل قلاوون أسكن طائفة الشركس في أبراج القلعة بالقاهرة ، وقد تمكن هؤلاء من الوصول إلى الحكم في مصر خلال الفترة بين ٧٨٢هـ إلى ٩٢٢هـ .
انظر : شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ٥/ ٢٠٠ : جعفرأوي ، الجراكسة في العصر الحديث .

(٥) الأصل : الغسانيين والصواب من ع .

(٦) الأصل : ثلثة والصواب من ص و ع .

(٧) زبيد : مدينة يمنية مشهورة ، سميت بذلك لوقوعها على وادي زبيد ، تقع على بعد حوالي ٨٠ كم جنوب شرق الحديدة ، وهي مشهورة منذ عهد بني زياد بهذا الاسم ، وكانت تسمى الحصيب قبل ذلك . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١٨٩ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ٨١ ، ٩٢ :
- Keall , Zabid.

كان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، ثم خرجوا من اليمن على يد الحسن بن القاسم^(١) ابن أمير المؤمنين القاسم بن محمد^(٢) في خلافة أخيه الإمام الأعظم المؤيد^(٣) ، وصفا هذا المخلاف من يومئذٍ للعترة الطاهرة^(٤) ، ولما توفي الإمام المؤيد سنة أربع^(٥) وخمسين وألف تقلد بعده الخلافة أخوه الإمام المتوكل على الله إسماعيل^(٦) ، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وألف ، وفي آخر أيامه كان وصول الشريف خيرات بن شبير بن بشير^(٧) إلى هذه الجهات كما حققه الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن بن حسن البهكلي^(٨) رحمه الله تعالى

(١) الابن الثاني للإمام القاسم بن محمد ، مؤسس الدولة القاسمية الإمامية في اليمن ، وهو قائد عسكري محنك تمكن بمساعدة أخيه المؤيد من إخراج الأتراك من اليمن عام ١٠٤٥ هـ (ت/١٠٤٨ هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٠٥/١ : سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن . ٣٢٨ - ٣٩٥ : المحبي ، خلاصة الأثر ٣٩/٢ : الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ٢١٥ .

(٢) سبقت الإشارة إليه .

(٣) الابن الأكبر للإمام القاسم ، تولى الإمامة بعد وفاة والده عام ١٠٢٩ هـ ، دخل في صراع مرير وطويل مع الأتراك انتهى بخروجهم الأول من اليمن عام ١٠٤٥ هـ (ت/١٠٥٤ هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٨/٢ : المحبي ، خلاصة الأثر ١٢٢/٤ : سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ٣٦٩ - ٣٩٤ .

(٤) العترة الطاهرة : الأشراف الذين حكموا المخلاف مثل الخواجيين وبنو ذروة والقطبيين والحوازمة وغيرهم . انظر : ص ٤٩ وما بعدها .

(٥) الأصل : أربعة .

(٦) تولى الإمامة بعد وفاة أخيه المؤيد ، ويعد أول الأئمة الذين حكموا اليمن مستقلة عن الأتراك ، تمكن من بسط نفوذه على جميع أجزاء اليمن إلى حضرموت (ت/١٠٨٧ هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٤٦/١ : الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ٢٢١ : الجرافي المقتطف من تاريخ اليمن ، ٢٢٥ .

(٧) مؤسس أسرة آل خيرات في المخلاف السليماني ، هاجر من مكة المكرمة إلى أبو عريش في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، ولزيد من التفصيل عن أسباب نزوحه وحياته . انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ٢٨٧/١ : مهنا ، مقدمة الدراسة والتحقيق لكتاب : خلاصة المسجد ، ٧٨ .

(٨) عالم مؤرخ ، عمل قاضياً في مدينة « أبو عريش » لبعض الوقت ، ألف كتاب : خلاصة المسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد ، وكتاب : نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، تحقيق د . إسماعيل البشري الترجمة رقم (١١١) : مهنا ، دراسة وتحقيق كتاب خلاصة المسجد ، ٥ - ٩ : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٢٢٢ .

في « الخلاصة » (١) .

وتدرج نسبه هكذا : خيرات بن شبير بن بشير بن أبي نمي الصغير
[٢/ب] محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن
رميثة بن أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن
مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن
السلمية بن عبدالله بن محمد ثعلب بن عبدالله ((أبي جعفر)) الأكبر بن
محمد ((الأكبر)) الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح ابن موسى
الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وكان مستقر ما انتهى إليه / سيره مدينة « أبي عريش » فنصب بيوته [ص ١٨]
غربي المدينة المذكورة ، وابتنى مسجده المعروف الآن ، ووصل معه جملة
من بيوت القبائل فتفرقوا في الجهة ، وبعض ذريتهم موجودون إلى الآن ،
وسبب خروجه من « مكة المشرفة » قد حققه صاحب « الخلاصة » .

و « أبو عريش » هذا أول من اختط بيقعته مسكناً جد بني
الحكمي (٢) ((كما هو الشائع)) ، وكان جدّهم رجلاً صالحاً له يد في
الطريقة (٣) ، فبنى عريشاً هناك ، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو
عليه من الفضل ؛ فلذا يسمى « أبو عريش » ، وزمان اختطاطه قديم أظنه
في آخر القرن السابع ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه الذي سماه
« أنباء الفمر بأنباء العمر » (٤) « أبو عريش » وضبط « عُرَيْش » بالتصغير

(١) اسم الكتاب : خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد ، حققه ودرسه
د . هاني زامل مهنا في رسالة دكتوراه في جامعة Durham البريطانية ، لم ينشر ، ويعد
من أهم مصادر تاريخ الخلفاء السليمانيين للفترة من ١١٤٥ - ١١٨٤ هـ .

(٢) هو الشيخ صديق بن علي بن أبي بكر الحكمي ، المشهور بالصلاح ، وهو الذي أسس
الجامع بمدينة « أبو عريش » ، (ت/ ٨٧٢ هـ) .

انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ص ١٢٧ ؛ العقيلي : التصوف في تهامة ،
١٤١ ، وقد ذكر العقيلي أنه توفي عام ٨٧٦ هـ والصواب ما ذكر سابقاً .

(٣) هنا إشارة إلى منحى صوفي ، والطرق التي افترق عليها عموم المنتسبين إلى الصوفية
كلها مما لا أساس له في الشرع ، وإنما هي من محدثات الأزمنة المتأخرة .

(٤) مطبوع في دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٣٨٧ هـ .

والتشديد ، والمشهور أنه مكبر مخفف ، وكان دخول الحافظ ابن حجر اليمن في سنة ثمانمائة في دولة الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس^(١) ، وقد صار الآن من أحسن مدن اليمن^(٢) لما حواه من العمائر العظيمة ، والقصور الشامخة والقلاع المنيعة ، وهو في مستقر من الأرض فسيح ، وبينه وبين البحر قدر ست ساعات فلكية حيث بندر « جازان » [ص ١٩] والجبال قريبة منه ، وجميع فواكهها تجلب إليه / ، وهو من أصح البلاد ، وهوؤه رقيق ، وماؤه عذب [٤/أ] صحيح .

جَوْهُ سَجَسَجٍ وَفِيهِ نَسِيمٌ كُلُّ غُصْنٍ إِلَى لِقَاءِ يَمِيلُ
صَحَّ سَكَّانُهُ جَمِيعاً مِنَ الدَا ء وَجَسْمُ النَسِيمِ فِيهِ عَلِيلٌ^(٣)

وهو الآن تخت المملكة الحسنية ، ومستقر الدولة الحيدرية ، وكان مستقر أبي^(٤) الشريف المذكور « مكة المشرفة » ، وكان قد وصل من « مكة » إلى هذه الجهات بعد قدوم الشريف خيرات الشريف أحمد بن غالب^(٥) ، وكان قدومه سنة إحدى ومائة وألف ، وتوجه إلى إمام ذلك الزمان بصنعاء وهو الملقب أولاً بـ « الناصر » وثانياً بـ « المهدي » محمد ابن أحمد بن الحسن بن القاسم^(٦) فولاه على المخلاف السليماني ،

(١) ثامن حكام بني رسول في اليمن ، تولى الحكم عام ٨٠٢ هـ ، وتوفي عام ٨٢٧ هـ .
انظر : ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ١٠٤ : الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ، ٢٧٧ : السخاوي ، الضوء اللامع ٢٣٩/١ .

(٢) انظر التعليق حول مفهوم الشام واليمن لدى المؤلف ص ١٢٥ هامش [٧] .

(٣) البيت من الخفيف .

(٤) الأصل : أبا .

(٥) أحد أشرف مكة ، حكم الحجاز بين ١٠٩٩ - ١١٠١ هـ عندما أجبر على التنازل ، نزح إلى المخلاف السليماني حيث تمكن بمساعدة إمام اليمن من تولي مقاليد الحكم في « أبو عريش » ، استمر حكمه حتى عام ١١٠٥ هـ عندما أجبر مرة أخرى على العودة إلى مكة حيث توفي هناك عام ١١١٢ هـ .

انظر : البهكلي ، العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، مطبوع .

(٦) أعلن نفسه إماماً لليمن عام ١٠٩٧ هـ ، ويسمى صاحب المواهب نسبة إلى قرية « المواهب » (ت/١١٣٠هـ) .

وأضاف إليه آخر المدة بلاد « الشرفين »^(١)، وبلاد « ضاعن »^(٢) و « عاهم »^(٣) و « مور »^(٤) و « الضحي »^(٥)، فضخمت سعادته ، واتسعت دائرته ، وعمر « قلعة جازان » المشهورة بعد خرابها ، وكان العامر لها أولاً الأمير خالد بن قطب الدين وأولاده كما أشار إليه صاحب « العقد المفصل »^(٦) وبعدها جرت عليه قلاقل ، وارتحل من هذه الجهات سنة خمس ومائة وألف ، وكان مدة لبثه بهذا المخلاف مذ دخل إلى أن خرج ثلاث سنين ونحو عشرة أشهر . وقد / تكفل بذكر أيام وقائعه [ص ٢٠] الوالد القاضي العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي^(٧) - رحمه الله تعالى - في مؤلفه الذي سماه « العقد المفصل بالعجائب والغرائب » فيما جرى من الحوادث في أيام الشريف أحمد بن غالب^(٨) .

= انظر : الواسعي ، فرجة الهموم والحزن . ٢٢٢ : الشوكاني . البدر الطالع ٩٧/٢ : زيارة . نشر العرف ٤٠٢/٢ .

(١) لم أعثر على موقع في اليمن بهذا الاسم ، ولعل المؤلف يقصد الشرف وهو اسم مشترك بين جملة بلدان في اليمن أشهرها شرف حجة ، والشرف من قرى جبل ملحان وغيرها ، وتشير بعض المصادر إلى شرف حجة باسم اشرفين .
انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية . ٢٢٠ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ،
Smith . The Ayyubids 2/252 .
: ١٢٦

(٢) بلد من حجور شمال « حجة » ، وقد أوردتها المقحفي في حرف الضاد هكذا : ضاعن .
انظر : معجم المدن والقبائل اليمنية . ٢٧٤ .

(٣) موضع من حجور قرب حجة ، إليه ينسب سؤق عاهم المشهور ، انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٧٤ .

(٤) واد مشهور يقع غرب مدينة اللحية اليمنية ، به سميت مدينة مور . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٤١٦ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٩٧ .

(٥) بلد من وادي سُردد جنوبي الزيدية بمسافة ١٨ كم . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٥٩ .

(٦) اسم الكتاب : العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، ومؤلفه : علي بن عبد الرحمن البهكلي ، حققه وعلق عليه محمد بن أحمد العقيلي ، طبع دار البلاد بجدة ، بدون تاريخ .

(٧) من العلماء المؤرخين ، كان قاضياً في صبيا (ت/١١١٤هـ) . انظر : العقيلي ، أضواء على الأدب والأدباء ، ١١١ .

(٨) انظر : الهامش رقم [٥] في الصفحة السابقة .

واعلم أن أول من ساد بـ « مكة » وحمى حماها من أهل هذا البيت الشريف قتادة بن إدريس^(١) ، ولي سنة سبع وقيل تسع وتسعين^(٢) وخمسماية ، وتوفي سنة تسع عشرة وستماية ، وقيل ثمانى عشرة^(٣) ، وكانت ولايته من « ينبع »^(٤) إلى « حلي » ، وكان بينه وبين صاحب المدينة^(٥) وقعات ، ثم تولى بعد الشريف قتادة [٤/ب] جماعة لم يشتهر صيتهم ، ولم يعظم أمرهم حتى ولي الشريف محمد بن أبي سعد^(٦) من ذرية الشريف قتادة فعظم أمره ، وشاع ذكره ، وقصده الوفاة ، وفيه يقول الأديب البليغ ابن هتيم الضمدي رحمه الله تعالى :

يهني بني حسن ما سرَّ سيدهم محمد بن أبي سعد ويهنيه^(٧)
إلى أن قال :

لولا النبوة في أيامه خُتِمَتْ بجده ما شكنا في تنبيهه^(٨)

(١) جد الأشراف آل قتادة بمكة ، سيطر على مكة عام ٥٩٨ هـ ، واستمرت شرافة مكة في ذريته من بعده (ت/٦١٧هـ) .

انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٢٣ : المقرئ ، السلوك ١/١٦٢ : الأعلام ٦/٢٦ :
- De Gaury , Rulers of Mecce , 60 .

(٢) الأصل : وسبعين ، والصواب من ص .

(٣) تولى عام ٥٩٨ هـ ، وتوفي عام ٦١٧ هـ . انظر : الهامش رقم [١] من هذه الصفحة .

(٤) من مدن الحجاز المهمة ، تقع على ساحل البحر الأحمر ، حوالي ٢٥٠ كم شمال جدة .
انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٨٦ .

(٥) أمير المدينة آنذاك هو سالم بن مهنى الحسني الذي دخل في صراع مع الشريف قتادة لمدة تقرب من ثلاث سنوات دارت فيها أربعة حروب كان النصر فيها متساوياً وانتهت بعقد صلح بين الطرفين .

انظر : ابن الأثير ، الكامل ١٢/٢٠٥ : سليمان المالكي ، بلاد الحجاز ، ٦١ .

(٦) شريف مكة خلال الفترة من ٦٥٢ - ٧٠١ هـ :

- De Gaury , Rulers , 91 .

(٧) القصيدة من البسيط ، وانظر القصيدة كاملة في الديوان ، تحقيق العقيلي ، ص ٧٩ .

(٨) هذه مبالغة لا يؤيدها عقل ولا شرع لأن مقام النبوة مقام لا يضاهيه أحد غير من اختص به ، لكن هذا شأن بعض الشعراء في المغالاة غير المحمودة .

وقد ترجم له الحافظ الذهبي^(١) في « النبلاء »^(٢) وأثنى عليه ، ثم لم تزل الولاية في يد الأشراف آل قتادة إلى أن وليها واسطة عقدهم الحسن بن عجلان^(٣) سنة سبع وتسعين وسبعمائة^(٤) ، ولم يزل جليلاً معظماً مهاباً مقصوداً حتى توفي سنة / تسع وعشرين وثمانمائة .

[ص ٢١]

ثم وليها ابنه الشريف محمد بن بركات^(٥) ، وكان ذا حزم ، فدانت له البلاد ، وطالت مدته إلى سنة ثلاث وتسعمائة ، قيل وخلف من الأولاد ذكوراً وإنثاً نحو الأربعين ، وأكبرهم سنّاً خليفته الشريف بركات بن محمد ، استقر في الأمر بعد موت والده ، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ، ولم تصف له البلاد ، وحصلت بينه وبين إخوته فتنة يطول ذكرها^(٦) .

ثم تولى بعده أبو نمي بن بركات^(٧) قيل وهو ابن عشرين سنة

(١) محمد بن أحمد بن عثمان ، محدث ومؤرخ مشهور ، تصانيفه تقارب المائة (ت/٧٤٨هـ) . انظر : الشوكاني : البدر الطالع ١١٠/٢ : القنوجي ، التاج المكلل . ٤١١ : الزركلي ، الأعلام ٢٢٢/٦ .

(٢) اسم الكتاب : سير أعلام النبلاء ، مطبوع في خمسة وعشرين مجلداً ، هذبه محمد حسن عقيل في ثلاثة مجلدات بعنوان : نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، نشر عام ١٤١١هـ عن دار الأندلس بجدة .

(٣) الحسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي ، تولى الشرافة عام ٧٩٨هـ ، وعزل وأعيد مرتين (ت/٨٢٩هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١٢/٢ : السخاوي ، الضوء اللامع ١٠٢/٣ : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٣٦ .

(٤) تولى الشرافة عام ٧٩٨هـ .

(٥) تولى شرافة مكة عام ٨٥٩هـ (ت/٩٠٣هـ) ، والمؤلف هنا وهم في أن الشريف محمد بن بركات ابن للشريف الحسن بن عجلان ، والصواب أن الذي خلف الحسن بن عجلان هو الشريف بركات بن حسن بن ٨٢٩هـ - ٨٥٩هـ ، ثم وليها ابنه محمد بن بركات بعد ذلك .

انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٤٠ : الشوكاني ، البدر الطالع ١٤٠/٢ : De Gaury , Rulers , 60 .

(٦) لمزيد من التفصيل حول هذه الأحداث . انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٤٦ - ٥٣ .

(٧) هو محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان ، أبو نمي ، المعروف بصاحب القانون ، شارك أباه في حكم مكة ثم وليها منفرداً بعد وفاة والده عام ٩٣١هـ (ت/٩٩٢هـ) . انظر : الغزي ، الكواكب السائرة ١٦٤/١ : الأعلام ٢٧٦/٦ : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٤٤ .

ووصلت له المراسيم السلطانية ، وطالت دولته إلى سنة إحدى - وقيل اثنتين - وتسعين وتسعمائة .

ثمّ ولي بعده الغرة الشاذخه ، والذروة الشامخة الحسن بن أبي نهي^(١) ، ولم يبلغ أحد من آبائه مبلغه ، وتوفي سنة عشر وألف .

وبسعايته وسعاية والده - رحمهما الله تعالى - كانت الجلالة لأهل « وادي ضمّد » ، وسبب ذلك أنه كان بينه وبين والدنا القاضي العلامة إمام المحققين في عصره عز الإسلام محمد بن علي بن عمر بن محمد [٥/أ] ابن يوسف الضمدي^(٢) - تغمده الله برضوانه - ((مودة أكيدة)) ، وكان يقيم لديه في « مكة المشرفة » مدة ، ولقد ساق إليه من صنوف الإنعام ما لا يعبر عنه ، ويعرف به مصداق الأثر « لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه »^(٣) . وفي خلال تلك المدة شكى عليه ما يلحق أهل الوادي من المطالب الدولية^(٤) بواسطة عمال الأتراك ، فبعث مرسولاً إلى السلطنة ، وبذل على ذلك أموالاً جليّة ، وما وصله إلا رأي سلطاني يقضي برفع جميع تلك المطالب ما خلا واجباتهم ، فتساق إلى القاضي المذكور ليتولى صرفها في مصارفها ، فحسنت بذلك الأحوال ، وعمرت من الوادي المذكور جميع المحال ، والقصة مطولة قد استوفاه صاحب « العقيق اليماني » من أحبّ ذلك فليراجعها فيه^(٥) .

وهذا الوالد محمد كان من أئمة المعقول والمنقول ، وأوحد زمانه في الفروع والأصول ، وكان في وقته هو المرجع للمشكلات ، والمعول عليه

(١) تولى الشرافة عام ٩٩٢ هـ إلى ١٠١٠ هـ . انظر : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٥٦ - ٦٠ .

(٢) من علماء المخلاف المشهورين في وقته ، له علاقات مع إمام صنعاء وأشرف مكة (ت/٩٩٠ هـ) . انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ٢٠٨ .

(٣) ذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم ٢٠٦٧ وقال : موضوع ، ٢١٤/٢ ، وأشار إلى أنه ورد عند الخطيب البغدادي في تاريخه وابن عساكر في تاريخ دمشق .

(٤) يقصد الضرائب التي فرضها الأتراك على الأهالي خلال فترة الحكم العثماني الأول في اليمن .

(٥) انظر تفاصيل القصة في العقيق اليماني للنعمان ، مخطوط ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

في حل العضلات ، تخرج على جلة مشايخ عصره الذين يشار إليهم^(١) في العلوم بالبنان ، فتبحر في جميع الفنون ، وفاق بتحقيقه الأقران . وله في الأدب اليد الطولى ، ولو لم يكن له إلا قصيدته التي طالعها :
إن مسنا الضرُّ أو ضاقت بنا الحيلُ

فلن يخيب لنا في ربنا أملُ^(٢)

لكفاه فضيلة ، فإنه روي أنه عم الجذب هذه الجهات فخرج بالناس لصلاة الاستسقاء ، وأنشد هذه القصيدة ارتجالاً بعد الصلاة ، فما أكملها حتى منَّ الله - سبحانه - بالمطر . ولم يحمل من موضعه إلا على رقاب الرجال لشدة ما وقع من المطر ، وهذا من كراماته ، غاية الأمر أن^(٣) حصر مناقبه / وما له من الفضائل لا يفي بها إلا مؤلف . وقد ألمَّ ببعض [ص ٢٢] ذلك صاحب « العقيق »^(٤) [٥/ب] . وكان مولده - رحمه الله تعالى - سنة ثلاث^(٥) وثمانين وثمانمائة ، ووفاته سنة تسعين (بتقديم التاء المثناة من فوق)^(٦) وتسعمائة ، فمدة عمره مائة سنة وسبع سنين .

نعم : ثمَّ تولى بعد وفاة^(٧) الشريف الحسن بن أبي نمي ابنه أبو طالب^(٨) ولم تطل مدته ، وقد استقصى العلامة الطبري^(٩) في كتابه

(١) الأصل : عليهم والصواب من ع .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) الأصل : أنه والصواب من ص .

(٤) انظر : القصة في العقيق اليماني وفيات (٩٩٠ هـ) .

(٥) الأصل : ثلاثة .

(٦) أورد المؤلف هذه العبارة لتأكيد كلمة تسعين لاشتباهاها أحياناً مع كلمة سبعين .

(٧) الأصل : وفاته .

(٨) تولى شرافة مكة المكرمة لفترة قصيرة في عام ١٠١٠ هـ وتوفي عام ١٠١٢ هـ . انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ١/ ١٣١ : De Gaury , Rulers of Mecce , 128 .

(٩) عبدالقادر بن محمد الطبري المكي ، من علماء مكة المشهورين (ت/ ١٠٣٢ هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/ ٢٧١ : المحبي ، خلاصة الأثر ٢/ ٤٥٧ .

« السلافة »^(١) تفصيل أخبار من ذكرناهم على سبيل الإجمال من أراد ذلك فليطلبه منه .

ثم تولى بعد أبي طالب إدريس بن الحسن^(٢) وعارضه الشريف محسن بن حسين^(٣) وأخرجه من « مكة » ، ومات غريباً سنة أربع وثلاثين وألف ، ثم قام بالأمر بعده فسُلِّط عليه من أخرجه حتى مات بصنعاء غريباً سنة ثمان وثلاثين وألف ، ثم عوقب من أخرجه وهو الشريف أحمد ابن عبدالمطلب ، فقتله الباشا « قانصوه » - كما قيل - على غرة سنة تسع وثلاثين وألف ، وقام بعده الشريف مسعود بن إدريس ، ثم توفي سنة أربعين وألف ، ثم بعده الشريف عبدالله بن الحسن بعد الشيب والكبر ، ثم توفي في سنة إحدى وأربعين وألف .

ثم ولده محمد بن عبدالله فقتله طائفة الأتراك^(٤) ، واستقل [ص ٢٤] بالأمر الشريف زيد / بن محسن ، وتوفي سنة ثمان^(٥) وسبعين وألف ، ثم انتهت الإمارة إلى الشريف مساعد بن سعيد بن زيد^(٦) ، ثم إلى ولده الشريف سرور^(٧) ، وقد وصف بالعدل والشفقة على الرعية ، ولما توفي

(١) اسم الكتاب كاملاً : نشأة السلافة بمنشآت الخلافة . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٧١/١ .

(٢) شريف مكة للفترة من ١٠٢٤هـ إلى ١٠٣٧هـ عندما أجبر على التنازل ومن ثم نزع إلى صنعاء حيث توفي عام ١٠٣٨هـ .

انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ٣/٣٠٩ : De Gaury , Rulers of Mecce , 128 .
(٣) الأصل : أربعة .

(٤) قتله الأتراك بعد ستة أشهر من توليه الحكم عام ١٠٤١هـ . انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ٤/٢٧ .

(٥) الأصل : ثمانية .

(٦) تولى شرافة مكة خلال الفترة من ١١٦٥هـ إلى تاريخ وفاته عام ١١٨٤هـ ، وهو الذي عاصر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد واتخذ منها موقفاً عدائياً .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٨/١٠٢ : ابن عثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ١/١٢٤ .

(٧) شريف مكة للفترة من ١١٨٦هـ إلى تاريخ وفاته عام ١٢٠٢هـ ، وكان موقفه من الدعوة السلفية كسابقه . انظر : الزركلي ، الأعلام ٣/١٢٨ : ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ١/١٢٥ .

سنة ثلاث بعد المائتين والألف قام بالأمر أخوه الشريف غائب بن مساعد ، وأخذه الأتراك سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والألف ، ووصل إلى الروم أسيراً ، وبها توفي رحمه الله تعالى (١) . وبعد ذهابه كانت الإمارة تنتقل في قراباته [٦/أ] إلى أن استقرت للشريف محمد بن عون (٢) ، وهو إلى حال هذا التاريخ إمارة مكة إليه ، وليت شعري ماذا يحدث الزمن (٣) .

وأول من رأس من أهل هذا البيت في المخلاف السليماني الشريف أحمد بن محمد بن خيرات ، وكان مبتدأ ولايته سنة إحدى وأربعين بعد المائة والألف ، وكانت ولايته من تحت نظر إمام « صنعاء » في ذلك الزمان (٤) ، وهو الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم (٥) ، وتفصيل حاله قد كفى فيه صاحب « الخلاصة » ، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين ومائة وألف .

وبعد وفاته تولى من تحت نظر الإمام المذكور ولده الشريف محمد ابن أحمد ، وكانت أيامه غرة في جبين الدهر ، وقد تكفل بتسيير وقائعه

(١) الذي اعتقل الشريف غالب هو محمد علي باشا أثناء حملته على الحجاز عام ١٢٢٨ هـ لأنه شك في إخلاصه ، ثم أرسله إلى القاهرة ، ونقل إلى سلايك حيث توفي بها عام ١٢٣١ هـ .

انظر : الرافعي ، عصر محمد علي ، ١٣٢ : الشوكاني ، البدر الطالع ، ٤/٢ .

(٢) تولى الشريف محمد بن عون الشرافة مرتين ، الأولى من عام ١٢٤٣ - ١٢٦٨ هـ ، والثانية من عام ١٢٧٢ - ١٢٧٥ هـ .

انظر : مردم ، أعيان القرن الثالث عشر ، ١٣٤ ؛ دحلان ، خلاصة الكلام ، ٣٠٤ ، ٣١٩ .
(٣) في هذا إشارة إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب ، وحيث إن المؤلف قد وقف عند حوادث عام ١٢٧١ هـ مما يدل على أنه ألف خلال الفترة الثانية لحكم الشريف محمد بن عون ، وذلك بين عام ١٢٧٢ - ١٢٧٥ هـ .

(٤) نظرة المؤلف هنا محدودة وبعيدة عن الأوضاع الدولية ، فالإمام نفسه كان يتبع الدولة العثمانية اسمياً واليمن كانت تعد من أملاك الدولة العثمانية في العرف الدولي آنذاك .
(٥) أصبح إماماً لليمن سنة ١١٣٩ هـ بعد صراع مرير مع محمد بن إسحاق المهدي (ت/١١٦١ هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٥/١ : زيارة ، نشر العرف ٥٩٥/١ .

[ص ٢٥] صاحب « الخلاصة » . وكانت وفاته عام أربعة / وثمانين بعد المائة والألف (١) .

وهؤلاء أئمة « صنعاء » هم من أولاد الإمام الهادي (٢) يحيى بن الحسين ابن القاسم نجم آل الرسول الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان مولد الهادي « بالمدينة المنورة » سنة خمس وأربعين ومائتين . وخروجه إلى اليمن وظهور شوكته سنة ثمانين ومائتين ، وله خمس وثلاثون سنة ، ولما رأى (٣) من أهل اليمن فتوراً رجع إلى الحجاز . فوفدوا إليه ، وقدم « صعدة » (٤) سنة أربع وثمانين ومائتين ، وتوفي « بصعدة » بعد أن مهد البلاد وقوم أودها ، وأحيا فيها السنن الشرعية وأمات بها بدع « القرامطة » (٥) و « الباطنية » (٦) ، وذلك لعشر بقين من ذي الحجة [٦/ب] سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقد صنّف في سيرته ومناقبه مؤلفات .

(١) يشير المؤلف إلى كتاب الخلاصة الذي سبق توضيحه وهو : خلاصة المسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد . راجع الهامش رقم ١ ، ص (٦٥) .

(٢) مؤسس المذهب الزيدي في اليمن .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ٥٠٦ : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٢٢ : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ٤٩٨/٢ .

(٣) الأصل : رأ والصواب من ص .

(٤) مدينة تاريخية شمال صنعاء بمسافة ٢٤٢ كم ، كانت تسمى « جماع » .

انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٤٨ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٨١ : ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ٢٠٢/٢ .

(٥) القرامطة : إحدى طوائف الباطنية الإسماعيلية ، تنسب إلى حمدان قرمط وتهدف إلى إبطال الشريعة الإسلامية وإنكارها .

انظر : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ١٠٤ : أحمد حلي ، دراسة عن الفرق ، ٢٨٨ :

- Poonawala , Ismaili sources 151 - 159.

(٦) الباطنية : لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقي جميعاً في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معان باطنة لها ، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة ، مستهدفين هدم الإسلام ، ولهم ألقاب مختلفة منها : الإسماعيلية ، القرامطة ، الخرمية ، البابكية ، السبعية ، التعليمية ، البهرة ، النصيرية ، البهائية ، البابية ، البكداشية ... إلخ .

انظر : أحمد حلي ، دراسة عن الفرق ، ٢٦٦ : Lewis, B. The Origins of Ismailism .

ولم تزل^(١) تتناقل في أولاده الإمامة ، وكان لا يليها منهم فيما سلف إلا من جمع بين العلم والعمل ، واتصف بخصال الكمال ، وتحري العدل في الأقوال والأفعال ، وقد عدَّ بعض العلماء نحو خمسة وأربعين إماماً منهم ، ممن مشى على المنهج النبوي قالاً وحالاً ، وكم فيهم من إمام في العلوم نظار ، ومحقق في جميع العلوم لا يشق له غبار . وتصانيفهم / في [ص ٢٦] جميع الفنون العلمية قد طبقت الآفاق ، وسارت مسير شمس الإشراق ، ولم يقع منهم مخالطة ولا انتساب في الإمارة إلى أحد من ملوك الجور ، وإنما هم^(٢) مستقلون بأنفسهم .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » عند الكلام على حديث البخاري : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان »^(٣) بعد أن أورد وجوهاً من الاحتمالات في معنى الحديث .

ثمَّ قال ما لفظه : « ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض ، فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود طائفة من ذرية الحسن بن علي ، لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة ، وأماً من كان بالحجاز من ذرية الحسن بن علي وهم أمراء « مكة » وأمراء « ينبع » ، ومن ذرية الحسين بن علي وهم أمراء « المدينة » فإنهم وإن كانوا من صميم قريش لكنهم تحت حكم غيرهم من ملوك الديار المصرية ، فبقي الأمر في قريش بقطر من الأقطار في الجملة ، وكبير أولئك^(٤) يقال له : « الإمام » ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحريراً

(١) الأصل : يزل .

(٢) الأصل : أنهم ، والصواب من ص .

(٣) انظر : البخاري ، الأحكام ، باب : الأمراء من قريش (٧١٤٠) ؛ ومسلم في الإمارة

(١٨٢٠) ؛ وأحمد في المسند ١٢٨/٢ .

(٤) ورد بعد هذه الكلمة في فتح الباري قوله : أي أهل اليمن .

انظر : ابن حجر ، فتح الباري ١١٧/١٣ .

[ص ٢٥] صاحب « الخلاصة » ، وكانت وفاته عام أربعة / وثمانين بعد المائة والألف (١) .

وهؤلاء أئمة « صنعاء » هم من أولاد الإمام الهادي (٢) يحيى بن الحسين ابن القاسم نجم آل الرسول الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان مولد الهادي « بالمدينة المنورة » سنة خمس وأربعين ومائتين ، وخروجه إلى اليمن وظهور شوكرته سنة ثمانين ومائتين ، وله خمس وثلاثون سنة ، ولما رأى (٣) من أهل اليمن فتوراً رجع إلى الحجاز ، فوفدوا إليه ، وقدم « صعدة » (٤) سنة أربع وثمانين ومائتين ، وتوفي « بصعدة » بعد أن مهد البلاد وقوم أودها ، وأحيا فيها السنن الشرعية وأمات بها بدع « القرامطة » (٥) و « الباطنية » (٦) ، وذلك لعشر بقين من ذي الحجة [٦/ب] سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقد صنّف في سيرته ومناقبه مؤلفات .

(١) يشير المؤلف إلى كتاب الخلاصة الذي سبق توضيحه وهو : خلاصة المسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد ، راجع الهامش رقم ١ ، ص (٦٥) .

(٢) مؤسس المذهب الزيدي في اليمن .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ٥٠٦ : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٢٢ : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ٤٩٨/٢ .

(٣) الأصل : رأ والصواب من ص .

(٤) مدينة تاريخية شمال صنعاء بمسافة ٢٤٣ كم ، كانت تسمى « جماع » .

انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٢٤٨ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٨١ : ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ٢٠٣/٢ .

(٥) القرامطة : إحدى طوائف الباطنية الإسماعيلية ، تنسب إلى حمدان قرمط وتهدف إلى إبطال الشريعة الإسلامية وإنكارها .

انظر : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ١٠٤ : أحمد حلي ، دراسة عن الفرق ، ٢٨٨ :

- Poonawala , Ismaili sources 151 - 159.

(٦) الباطنية : لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقي جميعاً في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معان باطنة لها ، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة ، مستهدفين هدم الإسلام ، ولهم ألقاب مختلفة منها : الإسماعيلية ، القرامطة ، الخرمية ، البابكية ، السبعية ، التعليمية ، البهرة ، النصيرية ، البهائية ، البابية ، البكداشية ... إلخ .

انظر : أحمد حلي ، دراسة عن الفرق ، ٢٦٦ : Lewis, B. The Origins of Ismailism .

ولم تزل^(١) تتناقل في أولاده الإمامة ، وكان لا يليها منهم فيما سلف إلا من جمع بين العلم والعمل ، واتصف بخصال الكمال ، وتحري العدل في الأقوال والأفعال ، وقد عدَّ بعض العلماء نحو خمسة وأربعين إماماً منهم ، ممن مشى على المنهج النبوي قالاً وحالاً ، وكم فيهم من إمام في العلوم نظار ، ومحقق في جميع العلوم لا يشق له غبار . وتصانيفهم / في [ص ٢٦] جميع الفنون العلمية قد طبقت الآفاق ، وسارت مسير شمس الإشراق ، ولم يقع منهم مخالطة ولا انتساب في الإمارة إلى أحد من ملوك الجور ، وإنما هم^(٢) مستقلون بأنفسهم .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » عند الكلام على حديث البخاري : « لا يزال هذا الأمر في قریش ما بقي منهم اثنان »^(٣) بعد أن أورد وجوهاً من الاحتمالات في معنى الحديث .

ثمَّ قال ما لفظه : « ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قریش في بعض الأقطار دون بعض ، فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود طائفة من ذرية الحسن بن علي ، لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة ، وأماً من كان بالحجاز من ذرية الحسن بن علي وهم أمراء « مكة » وأمراء « ينبع » ، ومن ذرية الحسين بن علي وهم أمراء « المدينة » فإنهم وإن كانوا من صميم قریش لكنهم تحت حكم غيرهم من ملوك الديار المصرية ، فبقي الأمر في قریش بقطر من الأقطار في الجملة ، وكبير أولئك^(٤) يقال له : « الإمام » ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحرراً

(١) الأصل : يزل .

(٢) الأصل : أنهم ، والصواب من ص .

(٣) انظر : البخاري ، الأحكام ، باب : الأمراء من قریش (٧١٤٠) ؛ ومسلم في الإمارة

(١٨٢٠) ؛ وأحمد في المسند ١٢٨/٢ .

(٤) ورد بعد هذه الكلمة في فتح الباري قوله : أي أهل اليمن .

انظر : ابن حجر ، فتح الباري ١١٧/١٢ .

للعمل^(١) « انتهى كلام الفتح^(٢) ، وهو يشير إلى الإمام الهادي وذريته [١/٧] وهذه فضيلة لهم لا تجحد ، ومنقبة اختصوا بها من دون كل أحد .

[ص ٢٧] والإمام القاسم - رحمه الله تعالى - يتصل نسبه / بالإمام الهادي ؛ لأنه القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم ابن الداعي إلى الله يوسف ابن الإمام المنصور بالله يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين رحمهم الله تعالى .

نعم ، ولم تزل الولاية بيد أولاد الشريف محمد يتناقلونها حتى دار الدور إلى ولده الشريف حمود^(٣) ، فقام بأعباء ذلك المنصب العالي ، وطلع نجمه السعيد على أهل الأيام والليالي ، وذلك في عام (خمسة عشر)^(٤) بعد المائتين والألف ، وكان ابتداء قيامه في إقبال دعوة الرجل النجدي^(٥) في هذه الجهات .

ولا غنى بنا عن بيان صاحب هذه الدعوة ، لأن وقائع الشريف حمود مترتبة على ذلك ، فأصل هذه الدعوة من الشيخ محمد ؛ وهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي^(٦) .

مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف « بالعيننة »^(٧) بعين مهملة وياء مثناة من تحت ونون بعدها ياء النسبة ، بلد من بلاد نجد قرب « اليمامة »^(٨) ، ونشأ في حجر أبيه بمدينة

(١) في فتح الباري : العدل . انظر : ١١٧/١٢ .

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١١٧/١٢ .

(٣) خصص المؤلف الفصل الأول من هذا الكتاب في ذكر الشريف حمود وأيامه .

(٤) الأصل : خمس عشرة .

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٦) في حديث المؤلف عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية خلط المؤلف عفا الله عنه بين كلام حق وكلام مجاف للحق بعضه نقله عن غيره ، وبعضه ساقه أثناء كلامه .

(٧) من مدن نجد القديمة ، يرجع تاريخ إنشائها إلى منتصف القرن التاسع الهجري ، وهي تبعد حوالي ٥٠ كم شمال غرب الرياض .

انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٨٩/٢ : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٨٧٨/٢ : ابن خميس ، معجم اليمامة ١٩٨/٢ - ٢٠٥ .

(٨) منطقة نجد حالياً . انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ٤٧١/٢ - ٤٧٥ .

« حريملاء »^(١) بضم الميم وفتح الراء المهملة وياء مثناة من تحت ساكنة وبعدها مكسورة ولام مفتوحة بعدها ألف مقصورة^(٢) ، وكان أبوه قاضيها فقرأ القرآن والفقه ، ورحل إلى « المدينة » و « الحسا »^(٣) و « البصرة » ، ولازم مشايخ عدة ، وأخذ / عنهم ، وتوفي في شهر شوال [ص ٢٨] سنة ست بعد المائتين والألف ، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة .

وقد قام بمعاضدته الأمير عبدالعزيز^(٤) صاحب « الدرعية »^(٥) وقومه ، وقام بها بعد وفاته ابنه سعود^(٦) ، ثم ابنه عبدالله^(٧) ، وسيأتي بيان انتهاء مدتهم ، وكانت تحت [٧/ب] مملكتهم « الدرعية » ، وهي بدال مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة ، بعدها عين مهملة مكسورة وياء مثناة

-
- (١) من بلدان نجد القديمة ، تقع شمال غرب الرياض . انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة . ٢١٧/١ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ٣١٢/١ .
- (٢) إذا كان الحرف الأخير ألفاً مقصورة فإن المدينة تكتب هكذا : حريملى . ولكن المؤلف يكتبها بالألف المدودة وهو الصحيح ، ويدلنا هذا على اختلاف الأمر في الألف المدودة والمقصورة عند المؤلف .
- (٣) الحسا : الأحساء ، كانت تشكل الجزء الأكبر من الإقليم الممتد من البصرة إلى عمان . وكانت تسمى البحرين في بداية الفتح الإسلامي ، وانحصرت التسمية في العصور المتأخرة على قاعدة الإقليم وأكبر مدينة فيه ثم عمت التسمية الإقليم بأسره . انظر : محمد نخلة ، تاريخ الأحساء ، ١٧ : كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب . ٢٦٦ .
- (٤) ثاني حكام الدولة السعودية الأولى للفترة من ١١٧٩ هـ إلى تاريخ وفاته سنة ١٢١٨ هـ . والمؤلف يشير إلى الأمير عبدالعزيز على أنه أول من عاضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والصحيح أن أول من ساند الشيخ ودعوته هو الإمام محمد بن سعود خلال الفترة من ١١٥٧ هـ إلى ١١٧٩ هـ وهو تاريخ وفاته . انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٥/١ وما بعدها ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ٨٢/١ وما بعدها .
- (٥) عاصمة الدولة السعودية الأولى ، خربها إبراهيم باشا عام ١٢٣٤ هـ ، تبعد حوالي ١٥ كم شمال غرب الرياض . انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ٤١٦/١ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ٤٤٥/١ .
- (٦) ثالث حكام الدولة السعودية الأولى ، اشتهر لكونه قائداً عسكرياً وحقق نجاحاً في امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى خلال حكم والده ، (ت/١٢٢٩ هـ) . انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٢٥/١ وما بعدها ؛ ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ، ١١٧ وما بعدها .
- (٧) آخر حكام الدولة السعودية الأولى ، تولى الحكم في فترة عصيبة أثناء حملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية ، أسر بعد حصار الدرعية وأرسل إلى إستانبول وقتل فيها . انظر : عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الأولى ٢٢٦/١ - ٢٥٥ : العجلاني ، عبدالله بن سعود .

من تحت مشددة ، بعدها هاء تأنيث ، وكان بها استقرار الشيخ محمد آخر المدة ، واستقر بها أولاده ، وهم علماء أهل تلك الجهات ، ولا يصدرن في الأمور ويوردون إلا بفتاويهم وأحكامهم^(١) .

وقد رأيت لبعضهم مذكرات لدى سيدي الوالد رحمه الله تعالى تنبي عن اطلاع ، وقد أخبرني بعض علماء « الهجرة الضمدية »^(٢) عن السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي - رحمه الله تعالى - أنه اتفق بهم في « الدرعية » أيام وصوله إلى هناك مرسولاً من جهة الشريف حمود ، وأنها جرت بينه وبينهم مذكرات علمية في الأصول والفروع ، ووصفهم بكمال الإدراك والمعرفة والذكاء^(٣) .

ولا نزاع في أن مبتدأ هذه الدعوة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب حق ، حيث طلب من الخلق أفراد خالقهم بالعبادة التي هي معنى كلمة الإسلام ، وهي لا إله إلا الله ، وعدم اعتقاد الضر والنفع في أحد سوى الله تعالى ، [ص ٢٩] وهدم المشاهد والقباب التي نشأ / منها الاعتقاد الفاسد للعوام ، ولكنما شيب صفو هذه الدعوة بما كدرها من الغلو الذي تأباه محاسن الشريعة المحمدية السهلة السمحة التي ليلاً كنهارها ، وكم جرى في أيامهم من عظائم على أيدي أمراء انتهكوا المحارم ، وأحلوا ما حرم الله من المآثم ، واستباحوا الضعفاء والمساكين واستحلوا الدماء والأموال المعصومة بعصمة الإسلام ، ولم يكن في أيديهم حجة غير دعواهم أن الناس بما أحدثوا من الأفعال والأقوال صاروا غير مسلمين^(٤) ، وقد ألف

(١) يصدرن ويردون إلى أحكام الشرع المبنية على الدليل الصحيح ، وتلك الفتاوي والأحكام لا تخرج عن ذلك ، كما أنها لا تخرج عن أقوال واجتهاد الأئمة المعبرين في الأمة .

(٢) مدينة ضمد تقع على ضفة وادي ضمد الغربية ، وتبعد حوالي ٦٠ كم شمال شرق جازان. انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٦٦ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٩٨ .

(٣) لمزيد من المعلومات عن رحلة الحسن بن خالد الحازمي إلى الدرعية ، انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٦٧ .

(٤) هذا الكلام مجرد ادعاء ومحض افتراء ، كل يستطيع البوح به لكنه ادعاء تنقصه الواقعية المبنية على الحقائق والأدلة ، والوقوف على ما كتبه الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وما جرى في وقته وبعده ، والمؤلف هنا تأثر بما قيل عن الدعوة السلفية من شبهات لا أساس لها من الصحة ، وقد رجع عن قوله هذا بعد أن تبين له الحق كما سترى في صفحة ٨٨ - ٨٩ .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسائل في هذا المعنى^(١) ، وقد كان بلغ حاله إلى السيد العلامة شيخ الإسلام محمد بن [أ/٨] إسماعيل الأمير الصنعاني^(٢) - تغمده الله برحمته - لأنه معاصر له^(٣) ؛ لأن السيد محمداً مولده سنة تسع وتسعين وألف ، ووفاته عام اثنين وثمانين ومائة وألف ، ووصف له حال الشيخ محمد فكتب إليه قصيدة طويلة مطلعها :

سلامٌ على نجدٍ ومَنْ حَلَّ في نجدٍ

وإن كان تسليمي على البُعد لا يجدي
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت
ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجدٍ

إلى أن قال :

قفي واسألني عن عالم حلَّ سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشيد

[ص ٣٠]

/ محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي^(٤)

(١) الرسائل والكتب التي ألفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - لا تبين عن ما ذكر من تحرير ما أحل الله واستباحة الدماء ... إلخ . بل إنما تبين الحق في القول والفعل ، وهي موجودة متداولة يمكن الوقوف عليها ورؤية ما يناقض وينافي ما زعم المؤلف في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحق الدعوة الإصلاحية وأهلها .

(٢) عالم يماني مشهور باعتداله والتزامه بالسنة ، كان معاصراً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثنى عليها ليس بسبب معرفته بسلامة الدعوة فقط ، بل لأن الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب تتفق مع ما كان ينادي به في اليمن ، والذي يطلع على كتابه الموسوم بـ « تطهير الاعتقاد » فإنه يلمس مدى التشابه بين ما يدعو إليه الرجلان من صفاء العقيدة وتطهير الدين من البدع والخرافات .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٢٣/٢ ؛ الندوي ، محمد بن عبد الوهاب ، ٤٧ ؛ أبو داهش ، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٧٦ .

(٣) الأصل : عصريه .

(٤) القصيدة من الطويل ، وقد قام الأستاذ زهير الشاويش بتحقيق هذه القصيدة النجدية للصنعاني وطبعها في رسالة أنيقة بعنوان : القصيدة الدالية ، ونشرها المكتب الإسلامي بدمشق .

ثُمَّ بعد مدة من إرساله للقصيدة وصله جماعة من أهل نجد ،
وحققوا أحوال ابن عبد الوهاب ، فناقضوها بقصيدة على وزنهما^(١) لما
وصف له من وصل إليه أنه عظم شأنه بوصول تلك القصيدة ، فخشي أن
يكون سبباً في تلك الأمور التي ارتكبها ابن عبد الوهاب^(٢) فقال :

رجعتُ عن النظم الذي قلتُ في النجد [ي]

فقد صَحَّ لي عنه خلاف الذي عندي
ظننتُ به خيراً وقلتُ عسى عسى
نجد ناصحاً يهدي العباد ويستهدي
فقد خاب فيه الظنُّ لا خابَ نصَحُنَا
ومما كُلُّ ظَنٍّ للحقائق لي يهدي
وقد جاءنا من أرضه الشيخ « مريد »
فحقق من أحواله كل ما يبدي

(١) الأصل : وزانها .

(٢) هنا أمران: الأول أن القصيدة التي ذكر جزءاً منها المؤلف، وما ذكره من شرحها مما لم
يثبت أن الإمام الصنعاني قالها، وإنما هي من وضع بعض معارضي الدعوة والمعادين لها
وافتراءاتهم، إذ لا يعقل قبول ما في القصيدة وما ذكر أنه شرح لها مع ما كان يدعو إليه
الإمام الصنعاني من الإصلاح ، كما أنه لا يتفق مع منهج عالم يمدح تارة، ثم لمجرد وفود
أناس معادين للدعوة ينقلب معادياً لها ولصاحبها وذاماً له بعد مدحه ، دون مناقشة أو
محاولة أو معرفة لحقيقة ما نقل عنه. ولذا فإن القول بوضعها يرجعه العقل والواقع على
حد سواء (انظر كتاب/ محمد بن عبد الوهاب، لسعود الندوي ص ٥٨، وما بعدها)، وكذا
كتاب تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين ، للشيخ سليمان بن سحمان .
الثاني : ما ذكره في هذه القصيدة ، وما قيل إنه شرح لها من الكلام عن الشيخ ودعوته
من تكفير عامة الناس ، وسفك دمائهم ونهب أموالهم ، كلام لا يعدو أن يكون تكراراً لما
تبناه من عارض الدعوة وعادها وعادى أتباعها ومناصريها ، وهو مما يكذبه كلام الشيخ
نفسه وكلام تلاميذه ، وهو موجود متوافر ، ليس سرّاً ، وليس مفقوداً ، والشيخ نفسه
رحمه الله ذكر رده لهذه المزاعم صراحة في مواطن كثيرة ، منها رسالته إلى أهل القصيم
(انظر كتاب الرسائل الشخصية ص ٨ وما بعدها) التي بين فيها ما يعتقده ، ورد على
أباطيل وافتراءات ابن سحيم التي تشابه ما ذكر هنا ، وجاء فيها ما ذكره أنه يعتقد ما
تعتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، وأشار فيها إلى الافتراءات التي ذكرت عنه
وصدقها بعض الناس ، وفندها رحمه الله وبين أنها افتراء عليه ، وأن الافتراء حدث
ويتكرر حيث افتري على النبي ﷺ . وانظر كذلك (الرسائل الشخصية ص ٢٢ ، ٢٨)
وغيرها في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره من كتب الشيخ رحمه الله .

وقد جاء من تأليفه برسائل
يكفر أهل الأرض منها على عمد
ولفق في تكفيرهم كل حجة
تراها كبيت العنكبوت لدى النقد
تجاري على أجراد ما كل مسلم
مصل مزك لا يحول عن العهد (١)

[٨/ب] إلى آخر القصيدة وهي مطولة، وشرحها شرحاً بسيطاً أبان
فيه أنواع الكفر الذي صرحت به الأدلة كتاباً وسنة، ورد في تلك
الرسائل من الخطأ بواضح الدلائل .

وقال في صدر شرحه لتلك المنظومة ما لفظه : « وصل إلينا بعد
أعوام من بلوغها - يعني القصيدة الأولى - رجل عالم من أهل نجد يسمى
مريد بن أحمد التميمي (٢) ، وكان قد وصلنا قبله الشيخ عبدالرحمن
النجدي (٣) ، ووصف لنا من / حال ابن عبدالوهاب أشياء أنكرناها من
سفكه الدماء ، ونهبه الأموال ، وتجريته (٤) على قتل النفوس ولو
بالاغتيال ، وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار » . إلى أن قال :
« ووصل إلينا ببعض رسائل ابن عبدالوهاب التي جمعها في وجه تكفير
أهل الإيمان ونهبهم (٥) ، وحقق لنا أحواله وأفعاله وأقواله ، فرأينا أحواله
أحوال رجل عرف من الشريعة شطراً ، ولم يمعن النظر . ولا قرأ على من

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) مريد بن أحمد بن عمر التميمي النجدي الحرمل - نسبة إلى حريملاء - من أنشط
المعارضين للدعوة السلفية ، رحل إلى الحجاز ووصل إلى اليمن في صفر ١١٧٠ هـ ومكث
بها إلى شوال يحرض علماءها وينسب إلى الدعوة ما هي منه براء ، وعندما دخل الأمير
عبدالمزيز بن محمد حريملاء عام ١١٧١ هـ هرب مريد إلى بلدة « رغبة » فأمسكه
أميرها علي الجريسي فقتله .

انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ٤١/١ : العقيلي ، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ٩٨ .

(٣) عبدالرحمن النجدي ، لم أعثر له على ترجمة أو معلومات إضافية .
(٤) الأصل : وتجاريه ، وقد نقلها المؤلف كما وردت في الأصل الذي نقل منه ، لأنني وجدت
منقولة في بعض المصادر هكذا .

(٥) ينظر ما سبق من التعليق على رأي المؤلف عن الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن
عبدالوهاب لرد هذه الافتراءات وتفنيدها .

يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه فيها ، بل طالع بعضاً من مؤلفات الشيخ أبي العباس ابن تيمية^(١) ومؤلفات تلميذه ابن قيم الجوزية^(٢) ، وقلدهما من غير إتيان مع أنهما يحرمان التقليد^(٣) إلى آخر ما ذكره فليراجعه من أراد^(٤) ، وإنما المقصود هنا الإشارة .

ولما وصل أمراء نجد إلى هذه البلاد لم يسلم لهم الشريف حمود القياد ، حتى وصلت قصيدة من الشيخ محمد بن أحمد الحفظي^(٥) صاحب «رجال»^(٦) موجهة إلى الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن بن حسن البهكلي - رحمه الله تعالى - يستحث بها أهل الجهة على الدخول في سلك طاعة النجدي^(٧) وهي^(٨) :

(١) أحمد بن شهاب الدين بن عبدالحليم ، عالم مجتهد ومجدد ، ولد عام ٦٦١هـ ، من عائلة مشهورة بالعلم ، سيرته حافلة بالجهاد والاجتهاد ، (ت/٧٢٨هـ) .

انظر : أبو زهرة ، ابن تيمية : الندوي ، الحافظ أحمد بن تيمية : ابن حجر ، الدرر الكامنة ١٤٤/١ - ١٦٠ : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢٧١/٩ .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، عالم كبير وأبرز تلاميذ ابن تيمية ، ولد عام ٦٩١هـ وشارك شيخه في كثير من الأحداث والمواقف ودافع عنه ، له مؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة (ت/٧٥١هـ) .

انظر : ابن حجر ، الدرر الكامنة ٤٠٠/٣ : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢٤٩/١٠ : الشوكاني ، البدر الطالع ١٤٣/٢ : الزركلي ، الأعلام ٢٨٠/٦ .

(٣) انظر : القنوجي ، أبجد العلوم ١٩٧/٣ ، وقد نقلها من رسالة بعنوان : « محو الحوبة في شرح أبيات التوبة » ، وهي الرسالة التي يقال : إن الصنعاني كتبها مقدمة لقصيدته التي رجع فيها عن تأييد الدعوة السلفية ، وتسمى أيضاً : « إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبد الوهاب » ، وتسمى كذلك « النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي » .

انظر : أبو داهش ، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ٤٨٣ .

(٤) لمزيد من المعلومات حول موقف الصنعاني من الدعوة ، وهل ما ذكر آنفاً صحيح انظر مناقشة القصيدة وما جاء فيها لكل من :

- أبو داهش ، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ٤٨٢ - ٤٨٨ .

- الندوي ، محمد بن عبد الوهاب ، ٤٩ .

(٥) من علماء عسير المشهورين ، كان قاضياً في رجال ألمع ، (ت/١٢٣٧هـ) . انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٢٠) : زيارة ، نيل الوطر ٢٢٥/٢ .

(٦) رجال ، بضم الراء وفتح الجيم ، من قرى بني ظالم ، وهي حاضرة بلاد رجال ألمع في عسير ، تقع على مسافة ٤٥ كم تقريباً غرب مدينة أبها .

انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٦٢٢/٢ : أطلس عسير ، خارطة رقم ٢٢ :

- Cornawallis , Asir , 60.

(٧) هنا تجوز في الكلام ، والدعوة إلى اتباع الحق الذي دعا له الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونبت ما ساد لدى بعض الناس من بدع ومجاهاة للحق الذي دعا إليه الرسول ﷺ .

(٨) القصيدة من الكامل .

هَامَ الشَّجِي وَهَاجَ شَوْقُ الْمُتَلِي
وَتَذَكَّرْتَ نَفْسِي (١) الْمَشُوقَ عَهودَهَا
وَبَدَتْ لَهُ مِنْ ثَغْرِ دَهْرٍ بِسْمَةٍ
(وَتَعَرَّضَ النَّفْحَاتُ مَأْمُورٌ بِهِ
/ وَلَئِنْ ظَفَرْتَ بِمَطْلَبِي فَلِي الْهَنَا
وَلَئِنْ تَعَذَّرَ مَا نَظَّمْتَ لِأَجْلِهِ
فَهُوَ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ
فَبِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَبْدَأْ أَوَّلًا
وَمُعَرِّضًا لَا مُعَرِّضًا لِلنَّصِيحَةِ
فَإِلَيْكَ يَا قَاضِيَ الْبِلَادِ قَصِيدَةٌ
وَفَدَتْ إِلَيْكَ وَفُودٌ ضَيْفٌ يَرْتَجِي
فَابْسُطْ لَهَا بُسْطَ الْقَبُولِ تَكْرِمًا
فَمَنْ الظُّهُورُ خَفَاءَ تَنْصِيصِي لَهُمْ
وَأَشْرَحْ لَهُمْ بَيْتَ الْقَصِيدِ وَقَصْدَهُ
وَاسْتَشْهَدْ الْأَيَّامَ وَانْظُرْ شَأْنَهَا
وَالْحَقُّ أَوْلَى أَنْ يُجَابَ وَإِنَّمَا
إِنْ كَانَ ظَنًّا أَنْ ذَاكَ مُخَالَفٌ
بَلْ قَامَ يَدْعُو النَّاسَ لِلتَّوْحِيدِ
وَيَذِبُ عَنْ شَرْعِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَلَقَدْ أَصَابَ فَكْرُكُمْ أَزَالَ شُنَائِعًا
أَوْ كَانَ ظَنًّا أَنْ فِيهِ غِلَظَةٌ

وَبَدَتْ صَبَابَاتِ الْفَرَامِ الْأَوَّلِ
وَوَرُودَهَا بِسَعُودِهَا فِي الْمَنْهَلِ
هَشَّتْ لَهَا أَرْوَاحُ قُومٍ كَمَلْ
فِيَمَا رَوَيْنَا عَنْ نَبِيِّ مَرْسَلِ (٢)
إِنْ كَانَ قَصْدِي صَالِحًا مِنْ أَوَّلِ [٩/أ، ص ٣٢]
فَبِقُدْرَةِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْمُعْتَلِي
مَا لَمْ يَشَأْ فَاعْلَمْ بِهَذَا وَاعْمَلْ
مُتَعَرِّضًا لِنُفُوتِكَ الْمُتَنَزِّلِ
نَدَبَتْ لَهَا آيُ الْكِتَابِ الْمَنْزِلِ
حَسَنْتَ مَعَانِي لَفْظِهَا الْمُتَعَلِّلِ
حَسَنَ الْقِرَى الْمُسْتَحْسِنَ الْمُتَسَهِّلِ
وَاجْمَعْ لَهَا أَعْيَانِ أَهْلِ الْمَنْزِلِ
لَا يَحْسَنُ التَّنْصِيصُ فِي الْأَمْرِ الْجَلِيِّ
فَلَدَيْكَ شَرْحٌ مَطُولٌ أَوْ أَطُولُ
وَارْقُبْ (٣) عَوَاقِبَ حَالِهَا الْمُتَحَوِّلِ
لَمْ أَدْرِ مَا حِيلُ لَوْلَا الْمُتَحِيلِ
فَهُوَ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِلَافِ الْمُبْطَلِ
لَا وَالتَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ لِلرَّبِّ الْعَلِيِّ
وَيَذِمُّ مَنْ يَدْعُو النَّبِيَّ أَوْ الْوَلِيَّ
وَبِدَائِعًا وَصَنَائِعًا لَمْ تَقْبَلِ
وَفُظَاظَةً وَشَكَاسَةً (٤) لَمْ تَحْمَلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : بَيْش ، وَأَعْتَقَدُ أَنَّ مَا أَثْبَتْنَاهُ أَقْرَبُ لِلْسِّيَاقِ . انْظُرْ : مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَفْظِيِّ ، نَفْحَاتُ مِنْ عَسِير ، ٥٨ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ فِي الْأَصْلِ وَالزِّيَادَةُ مِنْ « نَفْحَاتُ مِنْ عَسِير » . ص ٥٨ .

(٣) فِي نَفْحَاتُ مِنْ عَسِير : وَارْمَقُ ، ص ٥٩ .

(٤) فِي نَفْحَاتُ مِنْ عَسِير : وَشَكَايَةً ، انْظُرْ : ص ٥٩ .

فأقول حاشا أن فيهِه ليوونة
 [٩/ب، ص ٢٢] / لا يطلب الأموال من خزائنها
 وهيونة^(١) للمقبل المستقبل
 وينفل^(٢) الأبطال إن لم تبطل
 أو ينزع الملك المولى أوله
 بل قصده التوحيد في أقوالنا^(٣)
 هذان ليس سواهما مقصوده
 فالواجب الشرعي إجابة من دعا
 واليكم هذا النظام وعنكم
 ولئن أجبتكم فالجواب سجية
 ثم الصلاة على النبي وآله
 غرض بمذهب آخر عن أول
 ثم اتبعنا للنبي المرسل
 فعلام ينفر كل ندب أفضل
 لهما ولو عبداً فكيف بمن ولي^(٤)
 تستخرج الأنظار في المستشكل
 والخير فيما اختاره الرب العلي
 ما لاح برق جنح ليل أليل^(٥)

وهذا القاضي الموجهة إليه هذه القصيدة كان حاكماً بمدينة
 « أبي عريش » ، وكان من أعيان زمانه علماً وعملاً ، اتصف بمحاسن
 الخلال وخلال الكمال ، له في المعارف العلمية اليد الطولى ، قرأ على
 أعيان عصره ، وله رحلة إلى « زبيد » وأخذ عن السيد العلامة محمد بن
 أحمد الحازمي^(٦) - رحمه الله تعالى - هناك وغيره ، وكان نادرة
 أهل زمانه في الذكاء وهو من البلغاء المعدودين ، له قصائد بليغة
 غزليات وإخوانيات ، وهو مؤلف « خلاصة العسجد في أيام الشريف
 محمد بن أحمد » وبينه وبين علماء عصره مراجعات ، وله رسائل إلى

(١) في نفحات من عسير : وبشاشة ، الصفحة السابقة .

(٢) في نفحات من عسير : أو يقتل ، الصفحة نفسها .

(٣) في نفحات من عسير : أفعالنا ، الصفحة نفسها .

(٤) في الأصل وص : بمدول ، والتعديل من نفحات من عسير ، الصفحة نفسها .

(٥) البيت ساقط في نفحات من عسير .

(٦) لم أعثر له على ترجمة .

سيدي / الوالد رحمه الله تعالى ، وهو خال والدي رحمهما الله تعالى ، [ص ٢٤] وقد دلت على علم غزير .

وكان مولده عام ثمانية وأربعين ومائة وألف ، ووفاته سنة أربع وعشرين بعد المائتين والألف رحمه الله تعالى ، وقد أجاب عن هذا النظام الوالد القاضي الوجيه المذكور ، وجماعة من علماء الجهة ، وقد رأيت إثبات جواب السيد العلامة شرف الدين حسن بن خالد الحازمي رحمه الله تعالى [١٠/أ] لأنه أحسنها وأجمعها وهو (١) :

الله أكبر كلّ هم ينجلي
وموحد لله جلّ جلاله
وبدايتي اسم الله فيما أبتغي
ثمّ الصلاة على النبي محمد
والآل أرباب الهداية والتقى
ولقد عثرت على نظام صاغه
يا حبذا يا حبذا يا حبذا
فتبين الداعي وما يدعو له
أمر مهم وهو فرض لازب
أمّا الرسائل التي (٢) تأتي من الد
/ تدعو إلى التوحيد ثمّ لوازم
ولزوم سنة أحمد بأصولها
قسماً لقد سر الفؤاد بما حوت
لكنها جاءت بأيدي عسبة

عن قلب كل مكبر ومهمل
والشرك عنه والضلال بمعزل
من نظمي العذب الرحيق السلسل
خير الورى النبأ العظيم المرسل
من ودهم نصر الكتاب المنزل
من رام نصحاً شأنه لم يجهل
فالنصح مقبول على الوجه الجلي
في الآن والزمن الرحيب المقبل
للعالم المتفطن المتعقل
اعي فأمر ما به من مدخل
ثبتت لها والحق منهجه جلي [ص ٢٥]
وفروعها لم تخف عن متأمل
وشفى بنور منارها المتهلل (٣)
عملوا بضد مفصل مع مجمل

(١) القصيدة من الكامل .

(٢) الأصل : اللاتي ، والتصحيح من ع .

(٣) يلحظ القارئ تناقض هذه القصيدة ، حيث يصرح صاحبها بأن الرسائل التي بلغتهم عن الداعي ، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا مدخل عليها ، وأن ما تضمنته هو التوحيد ولزوم سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ثم يتحول إلى ذم أهلها بأسوأ أنواع الذم والافتراء ، والقذف ، فكيف يتصور ممن يقر له بأنه يدعو إلى التزام سنة المصطفى والتوحيد أن يكون على النقيض يكفر كل أحد ، ويرتكب الفواحش ، ويستبيح الأعراض . سبحانك هذا بهتان عظيم .

بل صرحوا بالشرك في كل الوري
 أوليس أمة أحمد فيها أتى الـ
 وكذلك قال الطهر لا أخشى لكم
 وقد استباحوا للنساء وأعلنوا
 [١٠/ب] / حتى تواتر عنهم في غيهم
 والبعض يكرههم إذا ما ملهم
 أيضاً وكم قتلوا صبياً يافعاً
 وكم استباحوا من (٣) شيوخ ركع
 لم يدع غير الله جل جلاله
 وكذلك أيضاً صح أن المصطفى
 وإذا غزا الكفار قدّم داعياً
 فإذا استجابوا لم يرد عليهم
 [ص ٣٦] / وثبت الولي عليه (٤) محتم
 هذا الوليد (٦) أتى فعلاً منكراً
 إن جاءكم فيما تلونا فاسق
 أمّا المقادسة الذين تراهم

من أمة الهادي بغير تأمل
 قرآن كنتم خير أمة مرسل
 شركاً يكون فطالعين وتأمل
 بالحل لم يخشوا معاقبة العلي
 يتعاقبون على النساء في المحفل
 من غيره والأمر في هذا جلي (١)
 في الكافرين فعالهم لم تحل (٢)
 كم من تقي عابد متبستل
 لم يدع أصناماً ولم يدع الولي
 لم يغز قرية ذي الأذان مهمل
 يدعونهم نهج الهدى لم يعدل
 إيمانهم بالله في المستقبل
 (لا ينبغي التقصير في أمر الولي) (٥)
 فأتت قوارع ربنا في المنزل
 فتبينوا بصراحة فيما تلي (٧)
 ففعالهم نكر بغير تأؤل

(١) يعجب الإنسان كيف بعقل آتاه الله قدرة على التفكير أن يتجراً فيرمي المؤمنين والمؤمنات بهذه الموبقات من غير دليل ولا برهان ، بل إنه يعترف بأن ما يدعو إليه الشيخ حق لا مرأ فيه ، كما أن كتب الشيخ ورسائله متوافرة متظاهرة ، وهو بهذا يقرر مخالفة القول للفعول زوراً وبهتاناً ، ولا يستطيع هو أو غيره ممن تجنى على هذه الدعوة وأتباعها أن يثبت شيئاً مما قاله ، فيبقى رجماً بالباطل ، يكذبه القول والفعول على حد سواء .

(٢) الأصل : يحال .

(٣) الأصل : كم ، والتصحيح من ص ونفحات من عسير ، ص ٦١ .

(٤) في نفحات من عسير هكذا : من قول ذي حقد وضغن أول ، ص ٦١ .

(٥) الأصل : عنه ، والتعديل من نفحات من عسير ، ص ٦١ .

(٦) يقصد الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ الحجرات : ٦ وهذا

تناقض بين الدعوة للثبوت والرجم بالبهتان كما هنا ، وكان على صاحب هذه القصيدة أن

يحتكم للآية الكريمة بشأن نفسه ما دام يعرف الحكم الذي تضمنته الآية .

لا يسمعون مقالةً من عالم
وإذا سمعت كلامهم بأدلة
لكن داء الجهل أصبح فاشياً
فالشيخ إن كان المراد هداية
ليكون سعيهم بحسن بصيرة
لا كالعرار^(٢) وشكله ونظيره
أوليس قاتل سالم ومعوذ
/ من غير لا ذنب ولا بجنابة
هذا ولنا قائلين بأن ذا
لكن تجاروا فالوجوب تدارك
والقتل للأولاد أمر ظاهر
والسبي للنسوان كلّ خريصة
/ تالله ما في القلب إنكار لما
أو مرشد يدعو لسنة أحمد
الله يعلم أنه لو كان ذا
فخذ الجواب لسان حال شامل
وعن القضاة وسائر الأقوام من

بل ينسبون الحبر أجهل أجهل^(١)
تجد الكلام عن الصواب بمعزل
فيهم فأنى يفصحون بمعدل
بعث الهداية كل شخص أفضل
وسياسة وسلوك نهج أسهل
ذو نقطة^(٣) والكل عن علم خلي
والندب من نسل النبي ومن علي
بل هم على الدين القويم الأكمل [١١/ب]
بالأمر من عبدالعزيز^(٤) الأمثل
والنهي عن سفك الدماء النهل
وإذا جهلت فعالهم عنه سل
تحت الحجاب بستر مولانا العلي
يدعو إلى التوحيد للمتنزل^(٥) [ص ٣٧]
في الناس ينشرها بغير تبدل
كنا نسارع نحوه بتعجل
عن كل أشرف البلاد الكامل
كل الوري ومسبح ومهلل

(١) في نفحات من عسير : جاهل ، ص ٦١ .

(٢) يقصد الداعية عرار بن شار الشعبي .

(٣) يقصد الأمير عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة .

(٤) عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ثاني حكام الدولة السعودية الأولى ، سبقت الإشارة إليه .

(٥) في نفحات من عسير : للمتنزل ، ص ٦١ .

وهذه القصيدة قد شَرَحَتْ جملةً ممَّا هم عليه^(١) ، وقد وقعت مقاوله^(٢) بين صاحب هذا الجواب وعلماء وقته : هل يطلق على هؤلاء الطائفة أنهم « خوارج » أو لا يطلق ؟ وألّفوا في ذلك رسائل ، وقد اطلعت على بعض تلك الرسائل ، وفيها ما يقتضي بالحكم عليهم أنهم خوارج بالعلامات الواردة فيهم من صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام^(٣) ، ومن أنصف واطَّلَعَ على سيرتهم علم عدم اتصافهم بتلك العلامات الواردة في الأحاديث ، وقد سمعت جماعة من علماء العصر يصرح بأن مذهبهم مذهب « الخوارج » ، والخلاف في حكم « الخوارج » مستوفى في « فتح الباري » من أراد فليطلبه منه .

((ولكن هذا خروج عن الإنصاف وركوب متن الاعتساف ، فإنَّ / [ص ٢٨]

عامة ما هم عليه هو الدعوة إلى التوحيد ، وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد ، وهدم ما أمر الشرع بهدمه ، ومجرد الخطأ في مسألة أو مسائل لا يخرج العالم عن طريق الشرع المحمدي ، وكلام من تكلم إنَّما هو بحسب العصبية ، وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية ، فإنَّ بدعوتهم زالت بدع كثيرات ، وارتدع الناس عن المنكرات ، فجزاهم الله خيراً ، والأعمال بالنيات^(٤) ، وقد أبان السيد الإمام الكبير إبراهيم بن محمد الأمير^(٥) - رحمه الله تعالى - في مؤلفه الذي سماه « فتح الكبير المتعال

(١) في الحقيقة أن في هذه القصيدة تحاملاً شديداً على الدعوة ورجالها ، افتراءً ورجماً وقذفاً بالموبقات - نسأل الله العافية - حيث وصف بعض الأمور التي لا يمكن قبولها مثل قوله : وقد استباحوا للنساء ... إلخ ، حتى تواتر عنهم في غيهم ... إلخ ، والبعض يكرهم إذا ما ملهم ... إلخ . فهل يقبل عاقل مثل هذه الوقائع من قوم يشهد التاريخ أن جميع غزواتهم لم تكن تخلو من قاض أو عالم أو شيخ يسير مع الركب ويشرف على شؤونهم ، ولكن هذا تأثر بالشائعات التي كانت تبث ضد الدعوة في حينها من أعدائها .

(٢) مناقشة .

(٣) هذا جهل تنزيل النصوص على الوقائع ، وإلا فهم خوارج على من؟ هم في ديارهم وإمارتهم ، قاموا بالدعوة الإصلاحية ولم ينقضوا عهداً ولا بيعة لأحد حتى يحكم عليهم بالخروج عن الطاعة .

(٤) إشارة إلى الحديث الشريف : إنَّما الأعمال بالنيات .

(٥) عالم يمني مشهور ، اختلف مع الإمام المنصور فهاجر إلى مكة وبها توفي عام ١٢١٣هـ . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٤٢٢/١ : زيارة ، نيل الوطر ٢٨/١ .

الفارق بين الهدى والضلال « طريقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
واستدل على صحة ما دعا الخلق عليه بما لا يبقى لمنصف بعده ارتياب
أنه على طريق الصواب ، والله أعلم)) (١) .

وأنشد بعض أشياخنا هذه القصيدة ذكر أنه قالها مخاطباً بها أهل

نجد ، وهي (٢) :

<p>يا أهل نجد أتنا من شمائلكم قلتم لنا : ليس غير الله خالقنا قلنا : صدقتم وهل رب سواه لنا قلتم : وليس سوى الذكر المبين وهْدُ قلنا : صدقتم هما أمران قد تركا ونُشهد الله ما أبدت ظواهرنا / إلى هنا قد توافقنا وصافح كـ لكنكم بعد هذا إن أتى أحد ونحن إن أخطأ العاصي نخوله ولم نزل بلطيف القول نعطفه فأي حامل نفس ما أَلَمَّ وهل أَلَمَّ يكن قد عصى من قبلنا فغوى بالله من كان منا مخطئاً كَلَمَّا</p>	<p>أنفاس دين نبي أظهر الدينا [١١/ب] يُدعى إذا شدة في الدهر تأتينا يرى ويسمع باديها وخافينا ي المصطفى من جميع العلم كافينا كما رواه لنا حفاظنا فينا لكم سوى ما أجنّته خوافينا ل كَفَّ صاحبه للعهد تمكينا [ص ٢٩] ذنباً قطعتم أخاه غير مبقينا (٣) بالوعظ صاحبه رفقا وتليينا حتى يفيء لأمر الله باريها لنا من النار إلا الله ينجينا في الخلد آدم أصل الآدميين (٤) ومبيداً لأخيه البرّ تخشينا</p>
--	--

(١) تتضح لنا عدالة المؤلف ونزاهته بعد أن تبين له الحق في الدعوة السلفية ، فهو هنا يشيد
بها ويبين مآثرها ودورها في محاربة البدع والخرافات وإعادة الناس إلى الجادة الحقّة .
(٢) القصيدة من البسيط وقائلها : محسن بن علي الحازمي ، وهي مؤلفة من ٧٣ بيتاً
ومطلعها :

ما إن سألنا يقيناً من يوافينا من التهام إلا ظل يروينا

انظر : زبارة ، نيل الوطر ٢/٢١٠ .
(٣) هذه دعوى لا يسندها دليل ، ومجرد الدعوى إذا خلت من الدليل والبرهان فالأصل فيها
البطلان .
(٤) الأصل الآدميين ، والتصحيح من ع .

هل الذي قال قد أشركت حين بدت
وجاء بالسيف مسلولاً يروّعه
فقال من بهته بالشرك أعظم مـ
أو الذي قال رب اغفر ذنوب أخي
من ههنا قد تقارقتا وكان لنا
فإن تعودوا تعد أيام الفتنا
[١٢/١] / لا سَغْتُ شربة ماءٍ ما حييت ولا
كلا ولا رتعتُ في مقلتي سنةً
إن خالَج الشك قلبي المطمئن بما
تأبى عواصم من ذي العرش ممسكة
[ص ٤٠] / توقفوا حيث أنتم لا أبا لكم
عدوتم الطور إذ طرتم على غرد
مرقتم كمروق السهم أنفذه الـ
لا أصلح الله رأياً ضم شملكم

بعض الإساءة من بعض المسيئين^(١)
ويستحل دمًا بالله قد صينا
مَّا نال من زلةٍ عند المحقين^(٢)
فأنت أرحم من صحب وأهلينا
فضل الموفين بالعهد المراعينا
أو لا فلسْتُ وليًا للمضلينا
ترشَّضْتُ شفتي من شربة شينا
ولا مسست بأجفاني لها سينا
يرى من الحق تعيينا وتبيينا^(٣)
على القلوب يعاضدن البراهينا
الحق أوضح من أن تستميلونا
وكنتم عن جناح الطير عارينا
رامي المصيب فظن الحق تخميننا
ويرحم الله عبدًا قال آمينا^(٤)

وقد أبان في هذه القصيدة لهم إلزام الحجة ببرهان واضح المحجة
((قالوا))^(٤) ومما يدل على اتصافهم بمذهب الخوارج أنهم يسمون من
استقام بالأمر من أهل « الدرعية » الإمام ، ويفسِّقون من خالفه، فإن أرادوا
الاسم لغة فيها ونعمت ، وإن أرادوا الإمامة الشرعية - وهو الظاهر من
أحوالهم - فقد استقر إجماع أهل العلم قاطبة أن منصبها في قریش بنص

(١) الأصل : المسيئنا ، تبينا ، والتصحيح من ع .

(٢) ما ذكر هنا لا يخرج عما سبق ، وما روج ضد الدعوة وصاحبها ، والمناصرين لها ، وهو
افتراء تبناه المعادون للدعوة وصدقه السامعون دون تحر للحقيقة أو لمعرفة الدافع ، أو
بواقع عقدي يخالف ما عليه أهل السنة مما دعا إليه الشيخ محمد رحمه الله .

(٣) في هذه القصيدة تجاوز على الدعوة وأتباعها واتهام لهم بالخروج ، وتشبيههم بالخوارج
تهمة أطلقها أعداء الدعوة في أكثر من مكان لتفسير الناس عن اتباعها وتشويه مبادئها ،
وكان وراء ذلك بعض علماء اليمن المتعصبين للمذهب الزيدي .

(٤) هذه الكلمة أضافها المؤلف في هامش الأصل وحدد مكانها بإشارة ، وهو هنا يظهر عدم
قناعته بما قيل عن الدعوة السلفية ، وينقض كلامه التالي لهذه الكلمة ، ويؤكد في
الصفحة الآتية قناعته بأن هذا القول باطل .

الحديث^(١) « الأئمة من قریش »^(٢) وهو حديث متواتر معنى ، وقد أفرد به بالتأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني^(٣) رحمه الله تعالى ، ولم يجرها أحد من العلماء في غير قریش إلا الخوارج كما هو معروف في كتب المقالات .
 ((لكن هذا القول باطل، لأنه لا يصح أن يحكم عليهم بمجرد التسمية بمذهب الخوارج ، وليس هذا من قواعد الاستدلال ، ولا مما يرضاه ذو الجلال))^(٤) على أن الإمامة الشرعية التي مخالفتها فسق عند من ذهب إلى ذلك هي عين الخلافة النبوية ، كإمامة الخلفاء الراشدين مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٥)، وولديه رضي الله عنهم / ، ومثل إمامة زيد بن علي^(٦)، وولده يحيى بن زيد^(٧)، ومحمد بن عبد الله^(٨)، وإخوته.

(١) المراد بالإمامة هنا الإمامة الشرعية التي تعني السمع والطاعة ما أقام الدين ولم يأت بمعصية والمكان الذي قامت فيه دعوة الشيخ محمد ليست مما خضع لإمامة أحد من قریش وقتها، فقامت الدعوة بأئمتها لإقامة الدين . والأحاديث الواردة في أن الإمامة في قریش ورد في بعضها التقييد بـ « ما أقاموا الدين » ومقتضاه أنهم إذا لم يقيموا الدين فلا إمامة لهم . (نظر فتح الباري ١٢/١١٦) والمكان الذي قامت فيه وانتشرت منه مما تقرب فيه الدين ، ولم تقم فيه إمامة لأحد يقيم شعائره ويزيل غربته . فقام بالأمر من ناصر الدعوة ، فاستحق أن يلقب بالإمامة لما أم الناس في أمور دينهم وشؤون دنياهم .

(٢) ورد الحديث في مسند الإمام أحمد ٣/١٢٩ ، ٤/٤٢١ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٢/١١٨ .

(٤) أضاف المؤلف هذه العبارة في الهامش وأشار إلى مكانها وكتب بجوارها صح أصل . وهي تعبر عن موقفه النهائي من الدعوة السلفية .

(٥) الكلام هنا فيه إيهام وإيهام . فقد ذكر الخلفاء الراشدين ثم مثل بعلي وولديه رضي الله عنهم ومن بعدهم . والخلافة الراشدة بدأت بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهم الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ ، والكلام يوهم أن الخلفاء الراشدين هم علي وولده رضي الله عنهم ومن بعدهم ممن ذكر وهذا خطأ .

(٦) زيد بن علي بن الحسين ، يسمى زيدا الشهيد ، ثار ضد هشام بن عبد الملك في الكوفة عام ١٢٠ هـ ، قتل عام ١٢٢ هـ وإليه تنسب الزيدية .

انظر : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ٢/٤٦٢ : الطبري ٢/٢٧٢ : الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ١٢٧ .

(٧) يحيى بن زيد بن علي ، شارك والده في الثورة ضد الأمويين ، واستمر فيها أيام الوليد بن عبد الملك حتى قتل عام ١٢٥ هـ .

انظر : الطبري ٨/٢٧٧ : الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ١٥٢ .

(٨) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، الملقب بالنفس الزكية ، ثار ضد المنصور العباسي بالمدينة المنورة ، وبايعه أهلها بالخلافة ، ولكنه هزم أمام عيسى بن موسى قائد جيوش المنصور ثم قتل عام ١٤٥ هـ .

انظر : الطبري ٩/٢٠١ : الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ٢٣٢ : الزركلي ، الأعلام ٧/٩٠ .

والحسين بن علي الفخري^(١)، والهادي، والقاسم^(٢) [١٢/ب] رحمهم الله تعالى ونحوهم ؛ فإن هؤلاء حذوا سيرة النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ القُدَّةَ بالقُدَّة ، كما عرف ذلك بالاستقراء لسيرتهم ، وكان الهادي يقول : ما هي إلا سيرة محمد أو النَّار .

وكان لهم أعوان على إشادة ما اندرس من الدين ، وجنود مجندة من الصالحين ، وكانوا أئمة للمتقين كما قال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾^(٣) ، ولخشية الوقوع في مخالفة السيرة النبوية ترك القاسم بن إبراهيم الأمر واعتزله ، كما فعل الحسن السبط رضي الله عنه ؛ ولذلك أشار بعض سادة العترة يخاطب آخر منهم :

فإن كنت مقتدياً بالحسين فلي قدوة بأخيسه الحسن
فقد حمد المصطفى فعله لإطفائه لنيران الفتن
ولو كان في فعله مخطئاً لما كان للمنع معنى حسن^(٤)

وكذا المرتضى بن الهادي^(٥) رحمه الله تعالى ؛ فإنه اعتزل الأمر ، ومراجل الكفر في أوانه تفور ، وبحور الفسق في زمنه تمور ، ولا شك أن الأئمة المتأخرين من أهل البيت عليهم السلام ، وإن كانت سيرتهم حميدة ، وآراؤهم / سديدة ، نصبوا أنفسهم لصلاح العباد ، ومنابذة ذوي الزيغ والعناد ، في أزمنة قد فسدت عوالمها ، وعفت فيها الشريعة وعطلت معالمها ، وكثر منهم اللدد^(٦) والأود^(٧) ، وانتشرت فيهم

(١) خرج ضد الهادي العباسي بالمدينة المنورة وبايعه الناس ، قتلته جيوش الهادي بـمكان يسمى « فخ » - من ضواحي مكة - عام ١٦٩ هـ ، ولذلك يسمى الفخري .

انظر : صبحي ، الزيدية ، ٥٨٨ ؛ الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ٤٣١ ؛ الطبري ٢٤/٩ .

(٢) القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ، المعروف بالرسبي ، من أئمة الزيدية (ت/٢٤٦ هـ) .

انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٢١ ؛ الزركلي ، الأعلام ٥/٦ .

(٣) سورة الفرقان : ٧٤ .

(٤) الأبيات من المتقارب .

(٥) محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم ، الملقب بالمرتضى ، إمام زيدي ، انتصب للأمر بعد أبيه نحو ستة أشهر ثم اعتزل (ت/٢١٠ هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٨ ؛ الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، ١٧٠ .

(٦) اللدد : الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق .

انظر : المعجم الوسيط ٨٢٧/٢ .

(٧) الأود : أوداً : أعوج ، ويقال : أقام أوده : قوم أعوجاه .

انظر : المعجم الوسيط ٢٢/١ .

البدع ، وماتت بينهم السنن ، وغلب عليهم ولادة الجور ، فهم بسببهم يعتدون ، وعلى سننهم يقتفون ، فكان قيامهم والحال هذا مخالفاً لاجتهاد من سلف من سلفهم .

وكان معظم سيرتهم مبناهما على المصالح المرسله ، والاجتهاد الذي لا أصل له [١٣/أ] معين على حسب مقتضى زمانهم ، ولهذا شيدوا المعقل ، وبنوا القصور وزخرفوها ، وتوسعوا في المباني الأنيقة ، ولبسوا نفائس الملابس ، واتخذوا الفرش الوثيرة ، ووسعوا على عبيدهم وخولهم ، وأخذوا من أموال الرعايا أموراً زائدة على الواجبات الشرعية ، وهذه السيرة ليست من السيرة النبوية كما لا يعزب ذلك على من له أدنى معرفة ، ومن أنكر ذلك فهو معاند ، فهذه الطبقة الأخيرة من أهل البيت تفسيق من خالفهم قياساً على من خالف أولئك الطبقة العالية منهم منزلة قدم ، فكيف الإقدام على تفسيق من خالف من ليس من أهل منصب / الإمامة [ص ٤٣] في شيء^(١) ، هذا مخالف لطريق الصواب كما لا يخفى على ذي معرفة .

نعم ، أول من استقل بالإمارة من أهل هذا البيت الشريف حمود ، وكان من سلف من آبائه ولايته مستفادة من أئمة « صنعاء » كما سبق ، وأما هو فباين أولئك وامتدت يده من أطراف « حيس »^(٢) إلى جهة السراة . بعد أن وقع بينه وبين أهل نجد صباح « أبي عريش » المشهور بصباح الجمعة عام سبعة عشر ومائتين بعد الألف^(٣) ، ومنتهاها بموته سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف ، فمدة استقلاله بالمملكة سبعة عشر عاماً .

(١) سبقت الإشارة إلى أن منصب الإمامة لمن أقام الدين الحق منصب معتبر . وحقه السمع والطاعة سواء أكان من قریش أم غيرها ، لأن ما ورد بشأن الإمامة في قریش يعتبر بإقامة الدين ، وتفسيق من خرج على إمام معتبر أو خالفه مخالفة ابتداع ، وهو قائم على أمر الدين وحارسه ، أمر صحيح ، لأن النظر إلى منصب حراسة الدين والقيام عليه وبه ، بصرف النظر عن شخص القائم به .

(٢) مدينة تقع جنوبي زبيد بمسافة ٢٥ كم ، نسبت إلى بانيها الحيس بن يريم ، واشتهرت بصناعة الفخار خاصة آنية « الحيسي » نسبة إليها .

انظر: المحضی، معجم المدن والقبائل اليمنية، ١٣٥؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ٩٦؛ انظر: Smith , The Ayyubids , 2/159 .

(٣) صباح « أبو عريش » يقصد به المؤلف المعركة التي دارت رحاها في يوم الجمعة الموافق واحدا وعشرين من رمضان عام ١٢١٧ هـ بين قوات الدعوة السلفية بقيادة عبدالوهاب أبو نقطة وقوات إمارة أبو عريش بقيادة الشريف حمود ، وانتهت بهزيمة الأشراف ، ودخول المخلاف السليماني تحت حكم الدولة السعودية الأولى . =

وبعده قام بالأمر ابنه الشريف أحمد بن حمود ، ولم تطل مدته بل كانت مدة ولايته عاماً واحداً ، ثم تولى الشريف علي بن حيدر سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف ، إلى عام وفاته سنة أربع وخمسين بعد المائتين والألف^(١) ، وبعد وفاته قام بالأمر ابنه الشريف الحسين بن علي [١٢/ب] ، وهو إلى حال رقمه يتفيؤ ظلال الإمارة أدام الله أيامه^(٢) ، وكثر [ص٤٤] أنصاره ، فقد انحصر هذا التاريخ على ذكر هؤلاء الثلاثة / الملوك ، وسيأتيك إن شاء الله تعالى خبر ما بلغنا في كل سنة من أيامهم ، وإنما أوردنا هذه الجملة هنا ليستفيدها من اقتصر على مطالعة هذه المقدمة ؛ حتى لا يخلو متأمل من العثور على فائدة ، ولم أفرد الشريف أحمد بفصل مستقل لقصر أيامه ؛ بل أدمجته في (غرضون ذكر)^(٣) والده ، رحمه الله تعالى ، والله سبحانه هو الموفق (وبه الاستعانة على إتمامه ، فإنه على كل شيء قدير)^(٤) .

= والصحيح أن بداية حكم الشريف حمود كانت عام ١٢١٥ هـ بعد النزاع مع ابن أخيه الشريف علي بن حيدر الذي استمر ثمانية أشهر بعد معركة الحجرين أواخر عام ١٢١٤ هـ ، وقد ذكر البهكلي في نفع العود (ص ١٢٧) أن معركة « أبو عريش » كانت في يوم الجمعة الموافق ١٥ من رمضان ، وأعتقد أن عاكشاً أقرب إلى الصواب (انظر : ص ٩٥) خاصة أن هناك تأييداً لذلك في : الظل الممدود للعجيلي (ص ٢٥) ، وهو من المشاركين في الحملة .

(١) كل من كتب من المؤرخين عن وفاة الشريف علي بن حيدر يشير إلى أن وفاته كانت عام ١٢٥٤ هـ بما فيهم عاكش نفسه ، ولكن هناك رسالة أرسلت في ١٧ شوال ١٢٥٢ هـ من القاهرة إلى إستانبول تذكر أن الشريف علي بن حيدر قد توفي دون أن تحدد تاريخ الوفاة ، وهذا يدل على أن وفاته لم تكن في عام ١٢٥٤ هـ بل قبل ذلك بعدة أشهر .

انظر : Basbakanlik arsivi , Hatt-i Humayun , No . 2517 E .

(٢) في هذه الإشارة دليل على أن عاكشاً قد بدأ تأليف هذا الكتاب خلال فترة حكم الشريف الحسين بن علي ١٢٥٤ - ١٢٦٦ هـ .

(٣) الأصل : إنشا .

(٤) في الأصل قدم كلمة ذكر على غرضون هكذا : بل أدمجته في ذكر غرضون والده ، وقد قمت بالتعديل ليستقيم السياق .

(٥) في الأصل كانت العبارة هكذا : وبه الاستعانة فإنه على كل شيء قدير على إتمامه ، ولعل ذلك سبق قلم من المؤلف .

الفصل الأول^(١) في ذكر الشريف حمود وأيامه

هو أبو أحمد الشريف حمود^(٢) بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات ، نسب فخم وشرف ضخيم ، مستوفى شرف التجار ، ومستكمل معاني الفخار ، ما أتته المحاسن عن كلاله ، ولا ظفر بالهدى عن ضلاله ، بل تناول المجد كائبراً عن كابر ، وأخذ الفخر أسيرةً ومنابر .
شرفٌ تتابع كائبراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب^(٣)
ملك من ملوك الإسلام ، وقطب من أقطاب الأشراف الكرام ، وسيف من سيوف الله الماضية ، وجبل من جبال الحلم الراسية ، ضرب في المكارم بأوفر الأقسام ، وفاز من المناقب بأعظم السهام ، حتى علا صيته في الآفاق ، والبلدان النائية على الإطلاق^(٤) .

(١) يلحظ في هذا الفصل أن الحديث لم يأخذ سمة التأريخ العلمي وإنما كال المؤلف تهماً وعبارات تجريح خرجت بالعلم عن فنه إلى منحنى آخر غير علمي .
(٢) يلحظ أن المؤلف لم يتطرق لنشأة الشريف حمود ولا كيفية وصوله إلى الحكم ، فقد ولد الشريف حمود عام ١١٧٠ هـ ، ونشأ على الفروسية ، واحتك بكبار الأعيان في ديوان الإمارة ، شهد دوامة الفوضى والنزاعات التي دبت بين إخوانه بعد وفاة والده عام ١١٨٤ هـ حيث تناوب على الإمارة في أبو عريش خلال الفترة من ١١٨٤ هـ إلى ١٢١٥ هـ خمسة من الأمراء ، وبعضهم تولاهما أربع مرات مثل يحيى بن محمد ؛ أو ثلاث مرات مثل أحمد ابن محمد وأخيه علي ، أو مرة واحدة مثل حيدر بن محمد ، وعلى الرغم من أن الشريف حمود لم ينل حظاً وافراً من التعليم للظروف التي ألمت بالمنطقة إلا أنه أثبت جدارة سياسية وحربية فائقة ، نازع ابن أخيه الشريف علي بن حيدر الإمارة بعد معركة الحجرين عام ١٢١٤ هـ ضد أتباع الدعوة السلفية ، وبرز نجمه ، وكثر أعوانه ، حتى أجبر الشريف علي بن حيدر على التنازل له عن الإمارة عام ١٢١٥ هـ بعد نزاع استمر أكثر من ثمانية أشهر .
لمزيد من المعلومات انظر : البهكلي ، نزهة الظريف ، مخطوط : البهكلي ، نفع العود ، المتن وحاشية المحقق ٧٠ - ١٠٨ : العقيلي ، محاضرات في الجامعات ، ٢ .
(٣) البيت من الكامل .

(٤) يلحظ في هذا الكلام وما بعده الإطرء غير المقبول عقلاً ولا ذوقاً ، وكان الأولى بالمؤرخ أن يذكر الوقائع الدالة على المحاسن أو المثالب ، ويقولها بعيداً عن تهويل المديح وكييل الإطرء المذموم شرعاً ، والمنبوذ ذوقاً وعقلاً .

وساعده المقدور حتى جرت له بما يشتهي أفلاكها ونجومها^(١)
 [ص ٤٥] وكان شجاعاً مقداماً إذا التقت الأبطال ، وتداعت / نزال [١/١٤]
 يحطم الوشيح في النحور ، ويثلم الهندي المشهور ، وكم له من يوم أغر ،
 عاود فيه الكر ، وله في الكرم أفعال ، سارت مسير الأمثال ، ولم يزل
 باذلاً نفسه في الجهاد ، ومصادمة أهل الفساد ، قائماً بأمر الله ، مناصباً
 لأعداء^(٢) الله ، ناعشاً ملة الإسلام ، منفذاً فيها الرسوم والأحكام ، وإليه
 وفدت الوفود من جميع الجهات ، وتزاحمت على أبوابه في أكثر الأوقات ،
 وهو مع ذلك هامل على العافين بغيث الإنعام ، لا جرم فالمورد العذب
 كثير الزحام . وقيل في مدحه قصائد مطولات ، ومدحه لشهرته من
 لا يعرفه من أهل البلاد الشاسعات ، فمن ذلك ما قاله القاضي العلامة
 الأديب عبد الرحمن بن يحيى الأنسي ثم الصنعاني^(٣) رحمه الله
 تعالى^(٤) :

لعمرك ما الليث الذي هؤلوا به ولكنما الليث الهصور حمود
 له غابة شبوا بمشتجر القنا كما يبتدي منها النهوض تعود
 إلى لبوة الحرب التي عقت لدى سواء وأضحت وهي منه ولود
 فأشبلها^(٥) الأسد الضواري الذي يرى لها جثمات حوله وقعود^(٦)
 وبرثته السيف الحراز ونابه سنان صرير^(٧) الحافتين حديد

(١) البيت من الطويل .

(٢) الأصل : لاعد ، والتصحيح من ع .

(٣) قاضي بلدة حجة ثم حاكم بلدة كوكبان باليمن ، من أدباء اليمن المشهورين .
 انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٣٥) ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١/ ٢٤٠ ؛
 زيارة نيل الوطر ٢/ ٤٢ .

(٤) القصيدة من الطويل .

(٥) في نفع العود للبهكلي : فأشبلت ، انظر : ص ٢٧٤ .

(٦) في نفع العود للبهكلي : ونهود ، انظر : ص ٢٧٤ ، ولعلها وفهود .

(٧) في نفع العود للبهكلي : طرير ، الصفحة نفسها .

وقمصانه هذي الدروع وبيضها
 فيالك ليثاً خادراً كل خادر
 حمى الغور حتى لا يراع^(١) بهيعة
 / وبين شناخيب الجبال له صدئ
 وغزو كولغ الذئب في إثر غارة
 / بما بين «بيش»^(٢) و«الحصيب»^(٣) فخيله
 فقل لبقايا «النهروان»^(٤) لقاكم
 لقاكم شجاع مستحث وصفته
 أخو غمرات ينجلين بضربة
 فلا تفرحوا إن نلتهم منه غرة
 «لبيت الفقيه»^(٥) «الزيلي»^(٦) توثبا
 فعثتم بها إغفالة الحافظينها
 كما عاث في زرع الحداثق غفل

قلانسه بيض الثياب وسود
 إذا كان يوم الروع عنه يحيد
 لها بين أمواج البحار هديد
 كما جلجلت بين السحاب رعود [ص ٤٦]
 مع الصبح يفني يومها ويبيد
 مدى الدهر ما جفت لهن لبود [١٤/ب]
 ابن صاحب يوم «النهرزان» فهودوا
 سماعاً ورأي العين فيه يزيد
 وقد خدرت بالضاربين زنود
 تسوق بكم نحو الحفا وتقود
 يرى الفرسخ الكعبين فيه بريد
 وقد ضيعت بالحافظين حدود
 لـ النواطير في أطرافهن قرود

- (١) في نصح العود للبهكلي : لا يباح . الصفحة نفسها .
 (٢) أخذت بلدة بيش اسمها من وادي بيش المشهور ، وهي بلدة قديمة تبعد عن جازان حوالي ٦٠ كم شمالاً . انظر : العقيلي . المعجم الجغرافي . ٨٠ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب . ٥٥ .
 (٣) الحصيب هو الاسم القديم لمدينة زبيد وسبق التعريف بزبيد .
 (٤) النهروان هي المنطقة الممتدة بين بغداد وواسط في العراق . انظر : ياقوت . معجم البلدان ٢٢٥/٤ ، والشاعر يشير هنا إلى معركة النهروان بين علي بن أبي طالب والخوارج والتي أبيد فيها الخوارج إلا القليل منهم . انظر : الطبري ٨١/٥ : ابن الأثير ، الكامل ١٧٢/٢ ، والشاعر هنا يشبه أتباع الدعوة السلفية بالخوارج . وفي هذا إجحاف كبير بحقهم ، وتناول يدفعه التعصب المذهبي والإقليمي ، واتباع لما يقوله أعداء الدعوة عنها .
 (٥) مدينة تهامة مشهورة تقع جنوب شرق الحديدة بمسافة ٢٥ كم ، نسبت إلى الفقيه أحمد ابن موسى بن عجيل : لأنه أول من سكنها (ت/٦٩٠هـ) .
 انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ص ٦١ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٦٣٦/٢ .
 (٦) الزيلي أو الزيلية ، بلدة يمنية تقع على بعد حوالي ٢٥ كم شمال شرق بلدة الزهرة .
 - G.H map .
 انظر :

كرهتم لها أخرى الزمان تعيد
وعثمان^(٢) لم يحضر عليه ورود
على برها أهل الصلاح شهود
تطأطأ قليلاً بالقيام قعود
بذي سمعته في القديم ثمود
(لآل كبار)^(٤) سيمطهن قصيد
إلى شرفا المخلاف منه جديد
كلام لصبح الصدق فيه عمود
واني لأمجاد الرجال وديد^(٥)
يقوم بإحماس الرجال نشيد
ومدتك من عون الإله جنود^(٦)

فلا تحسبوها ديدناً فهو حيثما
يعد لطاميك^(١) شراب ابن عامر^(٢)
أبا أحمد بالله أشهد حلفة
لنقت مقاماً لو تزيلت عنه أو
إذا لسمعنا راعياً في الحديث كالد
خذوا آل موسى الجون عقداً نظمته
يعفي قديماً رقصة ابن هتيمل
/ مدحت بها هذا الشريف أميركم
على وده لا رفته أصل نظمها
فقوموا لها : إن أنشدت عنده فقد
فدتك الأعادي يا ابن بطحاء «مكة»

[ص ٤٧]

(١) يقصد طامي بن شعيب المتحمي ، أمير عسير خلال الفترة من ١٢٢٤ - ١٢٣١ هـ ، والذي أسره محمد علي باشا عام ١٢٣١ هـ وأرسله إلى إستانبول حيث شق هناك .

انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٦٤ : ابن بشر ، عنوان المجد ١/ ١٨٣ : محمد بن مسلط ، تاريخ عسير - حاشية المحقق ، ٦٨ : Philby , Saudi , 130 .

(٢) هو : عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة ، أمير عسير خلال الفترة من ١٢١٥ - ١٢٢٤ هـ ، دخل في صراع مرير مع الشريف حمود ، حتى قتل في معركة بيش عام ١٢٢٤ هـ .

انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٦٣ : العقيلي ، المخلاف السليماني ١/ ٤٦٨ : هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ١٣٣ : Philby , Saudi , 99 .

(٣) عثمان المضايقي أحد كبار قادة الدولة السعودية الأولى ، ولاء الإمام عبدالعزيز بن محمد إمارة الطائف وما حولها من الحجاز عام ١٢١٧ هـ ، شارك في بعض الحملات ضد الشريف حمود عام ١٢٢٥ هـ ، أسر أثناء حملات طوسون باشا على الحجاز وقتل عام ١٢٢٨ هـ .

(٤) هي نفح العود للبهكلي : كبار لآلي ، انظر : ص ٢٧٥ .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/ ٢٦٩ : ابن بشر ، عنوان المجد ١/ ١٢٢ : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ١٥١ : Philby , Saudi , 94 .

(٥) الأصل : ودويد ، ع : وديد والتصحيح من ع ، وكلمة ودود أو وديد كلاهما فصحي بمعنى : المحب . انظر : المعجم الوسيط ، باب الواو ، وفي نفح العود للبهكلي : ودود . انظر : ٢٧٦ .

(٦) يظهر في هذه القصيدة مدى التعصب المذهبي والسياسي إضافة إلى تأثير الدعايات المغرضة ضد الدعوة في الأوضاع الفكرية والأدبية في المنطقة ، وقد لعب الشعراء اليمنيون من الطائفة الزيدية المتعصبة دوراً رئيساً في تشويه الدعوة ، وناصبوها العداء في تلك الفترة نظراً للنشاط الذي يقوم به الدعاة السلفيون في المنطقة ، وتأثر الأهالي والعلماء بهم ، وظهور القناعة لديهم بالدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب .

[١/١٥] وهذه القصيدة غاية النهاية في البلاغة ، على أنه لقي مكان القول ذا سعة ، ومن العجائب أن المقولة تلك القصيدة فيه لم تحظ بلثم يديه ، ولم يقيم بواجب حقها عليه ، فإن قائلها لم يبرزها إلى حيز الوجود إلا بعد وفاة الشريف حمود .

واعلم أن وقائع هذا الشريف كثيرة ومشهورة ، وفي صفحات الدهور مسطورة .

وفي السنة السابعة عشرة بعد المائتين ((كان صباح قرية « ضمد » على يد أصحاب عبدالعزيز بن سعود من أهل تهامة وغيرهم من جبال^(١) عسير وقحطان وغيرهم ، وهو صباح عظيم قتل فيه خلق كثير ، وأسر فيه جماعة من أهله^(٢) ، وأخذ جميع ما في القرية وأحرقت . وثبت في ذلك جماعة من الأشراف الحوازمة . وواسطة عقدهم الحسن بن خالد : فإنه هو الذي دارت عليه رحى الحرب في ذلك اليوم ، إذ هو قطب رحى المعارك / ، وليثها الهزير الفاتك ، ثم إن أهل القرية تفرقوا في القرى ، [ص ٤٨٤] ومنهم من رجع إلى القرية ، إلى أن ((كانت الوقعة الكبيرة التي أفضت إلى صباح « أبي عريش » في شهر رمضان ٢١ منه .

وسببها أنها لم تزل الغزايا من طريق أمراء نجد تتابع على أهل هذه الجهات ، ويقع منهم النهب والتعدي في الطرقات^(٣) ، والشريف حمود لم يزل يحمي أطراف بلاده بأسنته وحداده ، ولكنهم لكثرتهم كلما بعثوا

(١) هي من : رجال .

(٢) يقصد أهل وادي ضمد .

(٣) هذه أيضاً من الشائعات التي كانت تنتشر عن الدعوة الإصلاحية لتغيير الناس عنها فواقع الحال غير هذا ، فقد كانت الفوضى وقطع الطرق والسلب هي الشائعة في أماكن كثيرة من جزيرة العرب ، ولما قامت الدعوة انحسرت هذه الأفعال في الأماكن التي دخلت تحت حكم أنصار الدعوة من آل سعود في تلك الحقبة . وليس لما ذكر من أنهم قاموا هم بالسلب وقطع الطرق . مما يشيعه أعداء الدعوة تغييراً للناس منها ، لكن الله كتب النصر للحق على الرغم مما أثير ضده من وشايات .

سرية خلفتها أخرى ، فوقع منهم صباح قرية « السلامة »^(١) وقرية « ضمد »^(٢) واتفقت أمور منهم ينكرها العقل والشرع^(٣) .

وكان ما كان مما لست أذكره فاكف لسانك لا تسأل عن الخبر^(٤)

وبعد ذلك تأبط عبدالوهاب بن عامر الشر ، ولم يزل يطلب الإذن من الأمير سعود ، ليمده لقتال الشريف حمود بجنود ، فأسعده إلى ذلك المراد ، ولم يزل يجمع الناس من الأغوار والأنجاد ، فزحف إلى « أبي عريش » بجيش جرار ، ورماه من رجال « نجد » و « تهامة » بمارج من نار .

فهم في جموع لا يراها ابن داية وهم في ضجيج لا يحس به الخلد^(٥)

وكان وصولهم إلى « أبي عريش » في شهر رمضان من السنة المذكورة ، فأحاطت بالمدينة العريشية الأجناد ، وصدق بين الفريقين الجلال ، واستقام [١٥/ب] الشريف حمود ، وابن أخيه الشريف علي بن حيدر في ذلك اليوم مع أهل المدينة غاية القيام ، وصدرت منهما / أفعال [ص ٤٩] تدل على أنهما من الأبطال الذين لم يتكبوا عند الصدام ، وما غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد هلك جمع غفير من الجانبين نحو الألف ،

(١) السلامة : اسم يطلق على أكثر من مكان في تهامة ، ولعل المقصود إما السلامة العليا أو السفلى وهما متجاورتان ، وتقعان جنوب قرية أم الخشب ، حوالي ٧٠ كم شمال مدينة جازان ، وقد وقعت المعركة التي يسميها المؤلف : صباح قرية السلامة في أواخر ذي الحجة عام ١٢١٦ هـ ، وانتصر فيها الشريف حمود على عرار بن شار الشعبي .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٢٢ : البهكلي ، نفح العود ، ١١٢ - ١١٥ .
(٢) وقعت معركة ضمد في شهر ربيع الأول ١٢١٧ هـ بين قوات الدعوة السلفية بقيادة حزام العجماني وزيبران القحطاني وسلطان بن ربيع ، وبين أهالي ضمد بقيادة الحسن بن خالد الحازمي ، وانتهت بهزيمة الحازمي وجنوده وسيطرة قوات الدعوة على البلدة .
لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١١٩ - ١٢٦ .

(٣) المؤلف هنا متأثر بما قيل عن الدعوة والشائعات التي روجها أعداؤها عنها كما أشرنا إليه سابقاً ، ومثل هذا الكلام العام من السهل إطلاقه لكن تحديد هذه المنكرات والتدليل عليها مما لا يستطيع إثباته مشيعو هذه الشائعات التي تطلق بهذه الصورة من غير تحديد ولا توثيق .

(٤) البيت من البسيط ، القائل : ابن المعتز ، انظر : الديوان ص ٢٤٧ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للمنتبي ، انظر : الديوان ١٠/٢ .

واستولوا على المدينة بأسرها ، ونهبوا ما فيها ، وهكذا يفعل من كان همه عمارة الملك العضوض ، غير ملاحظ لقاعدة مسنون ولا مفروض^(١) ، وحين شاهد الشريف ذلك الحاصل عاد إلى « الديرة »^(٢) ، بخاطر مقهور ، وجناح مكسور ، وفي حساب عبدالوهاب أن يبكر اليوم الثاني على « الديرة » ، ويلحقها « بأبي عريش » في السيرة ، وكاد الشريف أن يسلم الأمر ، حين رأى مبادئ الغلبة والقهر ، لكن قام وقعد ابن أخيه الشريف علي بن حيدر بن محمد ، وامتنع عن تسليم الأمر . بل أظهر أنهم إن لم يوافقوا على المراد ، فلا بد من القتال من بطون الثغور ، وأنه غير راض بإعطاء الدنية . ولو أدى ذلك إلى ذهاب الأرواح تحت الأسنة والصفاح^(٣) ولله القائل :

فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا^(٤)

فخرج إلى قبلي « أبي عريش » حيث مطرح عبدالوهاب / ليفاوضه [ص ٥٠] فيما تم به الخطاب ، بقلب أشد من الصخر ، وعزم أعز من الدهر ، فطال بينهما الكلام في هذا المجال ، وحين رأى عبدالوهاب أنه غير واصل إلى ما يريده بدون سفك الدماء ، جنح إلى تسكين الدهماء^(٥) ، وشاهد حاله :
أرى دُونَ ما بين « الفرات » و « برقة » ضراباً يمشي الخيل فوق الجماجم
وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم^(٦)

(١) مثل هذا الكلام مجرد ادعاء ، كتب بعاطفة خلت من التحري عن الحقائق والإنصاف . شأنه شأن من يكتب من وجهة نظر سبق فيها الحكم على التصرفات والأفعال .

(٢) الديرة : وتسمى أيضاً ديرة الأشراف ، وهي حي الأمراء آل خيرات في مدينة « أبو عريش » ، كان عليها سور خاص ولا يسكنها أحد غيرهم ، ويقال : إن المسجد ذا القبة في مدينة « أبو عريش » حالياً كان في وسط حي الديرة .

انظر : العقيلي ، حاشية نفع العود ، ص ١٢٤ .

(٣) يذكر البهكلي أن الشريف حمود هو الذي كان ضد فكرة الاستسلام ، وضرورة مقاتلة عبدالوهاب ، وأن الذي أصر على طلب الأمان والاستسلام هو الشريف علي بن حيدر وبقية الأشراف .

انظر : نفع العود ، ص ١٢٨ .

(٤) البيت من المتقارب .

(٥) من الواضح من هذا الكلام وما بعده أن قائد الجيش السعودي حاول أن لا يكون هناك سفك دماء ، لأن ذلك ليس مقصوداً ولا مرغوباً مما يدل على أن المراد البحث عن الحق وحفظ الدماء ، أما حمل تصرف عبدالوهاب على غير ظاهره كما يوحي كلام المؤلف فتدخل في النيات التي لا يعلمها إلا الله ، وكان الأولى أن يحكم على الظاهر .

(٦) البيتان من الطويل ، والقائل : المتنبّي ، انظر : الديوان ١١٤/٤ .

[١٦/أ] فساعد في الكلام ولانت منه العبارة ، وأراد من الشريف علي القيام بالإمارة ، وبذلها له من غير خفاء ، فممنع أن تكون إلا للشريف حمود محافظة على الوفاء ، وقياماً بحق عمه الواجب عليه من غير التباس ، ومن وصايا الحكماء « عليك بالوفاء فيه يعيش الناس » ، فتم الكلام بينهم على أن الولاية تكون للشريف حمود على شروط منظومة ، وأمور معلومة^(١) ، ((وبإيع الشريف لعبدالعزیز)) ، ورجع عبدالوهاب وجنده من حيث جاؤوا بعد بذل الجهد ، والأمر لله من قبل ومن بعد^(٢) .

((وفيها عزم السيد العلامة حسن بن خالد من «أبي عريش» قاصداً إلى «صنعاء» ظناً منه بالمناصرة والاتحاد من إمام صنعاء المنصور أحمد بن علي^(٣) ، ولما وصل أقام في «صنعاء» شهراً ، ولم يتم له مرام ، فوصل إلى «صعدة» وقد آيس من أهل « صنعاء » وأقام بها أيضاً شهراً ، ثم عاوده الشريف حمود بالمكاتبة ، وأكثر عليه في الرجوع إلى «تهامة» فنزل إليه^(٤) .

وفيها استولى الشريف حمود على مدينة « مور » وبندر « اللحية »^(٥) وامتدت يده)) (وأوامره إلى الجهات اليمانية وأطاعه أهلها^(٦) .

(١) ذكر البهكلي تلك الشروط وهي :

- ١ - إجازة الإمام عبدالعزیز بن سعود لقرار تولية الشريف حمود إمارة أبو عريش .
 - ٢ - نشر الدعوة السلفية في الجهات المجاورة وقطع العلاقة مع إمام صنعاء .
 - ٣ - أن لا يحكم إلا بما اقتضاه الدين الحنيف والهدي المحمدي المنيف .
- انظر : نفح العود ص ١٤٢ .

(٢) هذا وغيره يدل على حسن نية هؤلاء الذين ناصروا الدعوة ، حيث لم يسقطوا إمارة أحد ، وإنما قبلوا الانضواء تحت لواء دولة رعت الدعوة وإقامة الدين الحق ، ولو كان القصد كما ذكر المؤلف « عمارة ملك عضوض » لما اكتفى عبدالوهاب بهذا القدر وهو الذي قد انتصر في المعركة ، لأن المنتصر يفرض ما يريد .

(٣) إمام صنعاء في تلك الفترة هو المنصور علي بن المهدي عباس ، (ت/١٢٢٤هـ) ، وقد خلفه ابنه المتوكل أحمد بن المنصور علي ، ولعل عاكساً عن طريق الخطأ قد وضع الاسم كذلك ، أو لعله ظن أن المتوكل أحمد هو الإمام في تلك الفترة .

انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٥١ ؛

- The Yemen in The 18th and 19th Centuries , 14 - 57 .

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٥٤ - ١٥٦ .

(٥) مدينة تهامة يمنية على ساحل البحر الأحمر ، تقع شمال غرب الزيدية بحوالي ٨٢ كم . انظر : المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ٢٥٦ ، كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ٣٢٧ .

(٦) انظر التفاصيل في : نفح العود للبهكلي ، ١٤٦ - ١٥٦ .

وفيهما غزا جماعة من أهل المشرق إلى أطراف « الحسيني »^(١) ،
فقتلوا جماعة من أهل « الحسيني » ، وأخذوا بعض أهواش^(٢) .

(وفي سنة ثمانى عشرة غزا الشريف حمود بلاد « مستبا »^(٣)
فغنم الأموال وقتل وعاد ظافراً ، وفيها غزت قبائل « أسلم »^(٤) على قبائل
« عيس »^(٥) وهم ممن قد أطاع الشريف حمود . أعني « عيس » ، فقتلوا
/ في « أسلم » قتلاً ذريعاً ، وانهزمت « أسلم » إلى ديارها .

[ص ١٥]

وفيهما كان الحصار والمطارح على قرية « الزيدية »^(٦) ، وذلك أن
أهل « الزيدية » قد كانوا عاهدوا الشريف حمود ثم نكثوا العهد ، فجمع
لهم جموعاً وحاصروها ، وطال الحصار إلى أن دخلت سنة تسع عشرة ،
ثم أخذت عنوة وانتهبت أكثر المدينة والسوق^(٧) .

(١) اسم يطلق على قرية معروفة شرق قرية صلوبة ، تبعد حوالي ٥ كم جنوب شرق صبيا .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٤٨ .

(٢) ما بين القوسين غير واضح في هامش الأصل . وساقط في ص ، والزيادة من ع .

(٣) ناحية من لواء حجة ، في الشمال الغربي منها .

انظر : المحض ، معجم المدن والقبائل ، ٣٨٢ .

(٤) قبيلة من حاشد تعرف حالياً باسم ناحية أسلم في لواء حجة باليمن .

انظر : المحض ، معجم المدن والقبائل ، ٢٢ : ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ١٩ . ٣١ .

(٥) مدينة تقع شمال غربي حجة بمسافة ١١٢ كم وهي مركز الناحية ، وتسمى عيس بن

ثواب .

انظر : المحض ، معجم المدن والقبائل ، ٢٧٦ : البهكلي ، نفح العود ، ١٤٦ .

(٦) من المدن اليمنية الحديثة في تهامة ، تقع شمال شرق الحديدة بمسافة ٦٢ كم بالقرب

من وادي سررد .

انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ٢/٣٩٧ ، المحض ، معجم المدن والقبائل ،

١٩٤ .

(٧) انظر التفاصيل في البهكلي ، نفح العود ، ١٧٠ - ١٧٥ ، ويلحظ التأمل للكلام كيف كان

المؤلف وغيره يأخذون على أنصار الدعوة ما يزعم أنهم ارتكبهوه من قتل ، وهنا يصف

المؤلف أفعال الشريف حمود من قتل وسلب وأخذ للأموال ، وكأن هذه جائزة محببة ،

وهي في نظره واقعة حقيقية ، وتلك الأفعال التي تسبب لأنصار الدعوة مجرد شائعات

وهي مما يعده من الموبقات .

وفي سنة تسع عشرة ملك الشريف حمود « القفل »^(١) من حصون الشرق^(٢) واستولى على جهات الشرف^(٣) (٤) .
(وفيها أخذ « ملّحان »^(٥) و « حُفاش »^(٦) و « حجة » ، وتقدم إليها السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي والشريف علي بن حيدر ، وتقدم إلى « الشرف » بعد أخذه لضبطه السيد محسن^(٧) بن علي الحازمي^(٨) .
وفيها وقع الخلاف بين الشيخ عرار الشعبي^(٩) صاحب

- (١) حصن القفل من جبل حفاش باليمن ، والقفل ناحية من قضاء الشرفين بلواء حجة .
انظر : المقضي ، معجم البلدان والقبائل ، ٢٣٤ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ٦٥٧/٢ .
- (٢) هكذا وردت في الأصل وأظن أن الصحيح : الشرف .
- (٣) يطلق هذا الاسم على العديد من الأماكن في اليمن ، وتاريخياً يطلق على المنطقة الواقعة شمال غرب حجة حيث يسمى أيضاً شرف حجة أو الشرفين .
انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٢٦ : ٢/202 ، Smith , The Ayyubids -
- (٤) ما بين القوسين غير واضح في الأصل وأثبتناه من ص .
- (٥) جبل منيع حصين في بلاد المحويت ، يشرف على تهامة ويقابل جبل « حفاش » من ناحية الغرب ، وهو جبل غني بالزرزوع والقرى .
انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٤٠٧ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ٧١٨/٢ .
- (٦) جبل مشهور غرب صنعاء بمسافة ١٤١ كم يقابل جبل ملحان ، وهو غني بالثمار والفواكه وكثرة القرى . انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ١٢٤ : كحالة ، جغرافية شبه الجزيرة ، ٣٢٨ .
- (٧) الأصل : محمد ، والصواب من نفح العود للبهكلي ، ص ١٧٩ : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤١) .
- (٨) محسن بن علي بن عز الدين الكبير ، من رجال الشريف حمود وقواده المرموقين ، كان يرسله في المهمات العسيرة ، فقد شارك الحسن بن خالد في السفارة إلى إمام صنعاء للاستتجاد به ضد الدولة السعودية الأولى ، قاد عدداً من الجيوش وقتل عقب معركة « الكولة » ضد جنود الإمام المتوكل عام ١٢٢٩ هـ .
- انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤١) ؛ زيارة ، نيل الوطر ٢/٢٠٩ .
- (٩) من أبرز الشخصيات في قبيلة « بني شعبة » ثم أميرها ، ارتحل إلى الدرعية بعد سماعه عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتلمذ لمشايعها ثم عاد إلى المخلاف السليمان ، وبدأ يدعو الناس إلى اتباع الدعوة ، دخل في صراع متواصل مع أشراف « أبو عريش » وخاصة الشريف حمود ، ثم ساءت العلاقات بينه وبين الأمير عبد الوهاب أبو نقطة ممّا دفع بالدرعية إلى التدخل ، وطلبت من عرار وعبد الوهاب وحمود الحضور لمقابلة الإمام سعود ، وذهبوا ما عدا الشريف حمود فقد أرسل ابنه أحمد نيابة عنه ، وقد استبقى الإمام سعود عراراً لديه في الدرعية وتوفي بداء الجدري عام ١٢٢٠ هـ .
انظر التفاصيل في : البهكلي ، نفح العود ، ١٠١ ، ١٧٩ - ١٩٨ .

« الدرب »^(١) وعبد الوهاب العسيري ، وانحاز مع الشيخ عرار بعض عسير ، ثم تخاذل أصحاب عرار ، وتفرقوا في الآراء ، وهرب عرار إلى بلاد الشريف حمود ، ومن انضاف إليه من القبائل^(٢) .

(وفيها وقعة « دير عطا »^(٣) من أعمال بلاد « صليل »^(٤) بين الشريف حمود وبين الفقيه صالح العلفي^(٥) ، وهي وقعة عظيمة كان الظفر فيها للشريف ، فأخذ جميع ما في مطرح الفقيه صالح ، واسترلى عليه^(٦) .

((وفي سنة عشرين طلع الشريف حمود إلى جبال « الشرف » وغيرها ، وفيها كانت الوقعة بين الشريف حمود وبين الفقيه صالح في قرية « باجل »^(٧) آل الأمر فيها إلى تضعضع أجناد صالح)) .
وفيها اشتغل الشريف بالتملك لليمن ، والعناية في دخوله تحت وطلاته ، بعد أن حصلت من أهل « نجد » غزايا على اليمن أضعفت منه

(١) يسمى درب بني شعبة ، ويقع شمال المخلاف السليماني ، ويبعد عن مدينة جازان حوالي ١٢٠ كم على طريق جازان - جدة ، كان يسمى « درب ملوح » ، وهو قاعدة المنطقة الشمالية لمنطقة جازان .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٨١ : الأدب الشعبي في الجنوب ١٣/٢ .
(٢) لمزيد من المعلومات عن الخلاف بين الأميرين وموقف الدرعية من ذلك انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٧٩ - ١٨٥ ، ١٩٨ .

(٣) قرية يمنية صغيرة تقع على بعد حوالي ١٢ كم شمال شرق مدينة الزيدية . انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ٦٠٦/٢ .

(٤) من قبائل عك باليمن ، وهي تسكن المنطقة الممتدة بين الزيدية في الشمال إلى الحديدة في الجنوب ، انظر : النعمي ، حوليات ، ٩٧ : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٥١ .

(٥) كان والي الحديدة من قبل الإمام المنصور أثناء امتداد النفوذ السعودي في تهامة . انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٥١ ، ١٥٦ : Philby , Saudi , 106 .

(٦) ما بين القوسين غير واضح في هامش الأصل وساقط من ص وأثبتناه من ع ، ولمزيد من التفصيل عن هذه المعركة انظر : نفح العود للبهكلي ، ١٧٣ .

(٧) مدينة تهامية في الشمال الشرقي من الحديدة بمسافة ٥٥ كم على طريق صنعاء . انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ، ١٠١/١ : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٤١ .

[ص ٥٢] القوى ، وخضدت ثمار / أهله بتلك الفواقر حتى ذبل وذوى ، وكان في الثغور بقايا أجناد إمام « صنعاء » ، فبعضهم سلم الطاعة من غير مشقة ، وبعضهم امتنع ، مثل من كان « بالحديدة » ، فتقدم الشريف يحيى بن حيدر^(١) عن أمر عمه بأجناد ، وحاصر أهل البندر مدة ، وعاقبة الأمر أرسل صاحب « صنعاء » جنداً مقدمتهم نقيب اسمه سعد غدارة^(٢) ، لقصد الإغاثة على من كان بالبندر والإغارة ، فتلقاهم الشريف حمود في جنده بعزم قوي ، واستولى على مطرحه ، وعصفت بسعد رياح ذلك اليوم ، فلحق بأهل العالم الأخرى ، وحين علم من كان في « الحديدة » بالحاصل [١٦/ب] خرجوا بعد أن بذل لهم الشريف الأمان ، ورأوا أنهم قد أدوا ما عليهم في هذا الشأن ، واستقر اليمن^(٣) من يومئذٍ للشريف حمود ، وجببت إليه حاصلاته من الطعامات والنقود^(٤) .

وفي السنة الحادية والعشرين بعد المائتين وألف (في شهر رمضان ظهر فساد إبراهيم الكلفود^(٥) و « صليل » ، وجهز الشريف حمود لحربه جيشاً عظيماً ، واستولى على البلاد الصليبية جميعاً .

وفيها من الشهر المذكور أتت غازيتان إحداهما من الشريف عليها السيد العلامة حسن بن خالد ، والشريف علي بن حيدر ، والأخرى من « صليل » ، ووقع القتال من الطائفتين ولم ينج من « صليل » إلا القليل ،

(١) من كبار أشراف أبو عريش من آل خيرات ، شارك عمه الشريف حمود في إخضاع اليمن، وولاه الحديدة ، ساءت بينهما العلاقة فعزله الشريف حمود ثم سجنه عام ١٢٢٥هـ حتى أطلقه خليل باشا بعد استيلائه على المخلاف السليماني عام ١٢٢٤ هـ ، وتوفي بعد خروجه من السجن في العام نفسه .

انظر : البهكلي ، نفح العود ، ٩٩ وما بعدها .

(٢) من عبيد أحمد ابن الإمام المنصور ، انظر : البهكلي ، نفح العود ، ٢١١ .

(٣) يستخدم عاكش لفظ اليمن هنا للتعبير عن المنطقة الساحلية المسماة « تهامة اليمن » ، وليس القصد كامل اليمن .

(٤) انظر تفاصيل المعركة بين الشريف حمود وسعد غدارة في نفح العود للبهكلي ٢١١ - ٢١٨ .

(٥) إبراهيم بن علي الكلفود ، شيخ قبيلة صليل في اليمن .

انظر : البهكلي ، نفح العود ، ١٥٠ ، ١٩٦ .

وفي شوالها ، وقعة « المصين »^(١) من بلاد « صليل » بين الشريف ، وبين « صليل » فأخذهم الشريف ، واستولى على بلادهم وغنم أموالهم / وأخذ [ص ٥٢] سلاحهم وكراهم ، وبعد هذه الحوادث ثابت « صليل »^(٢) إلى الطاعة والانقياد^(٣).

وفيها اختط الشريف حمود مدينة « الزهراء »^(٤) قبلي « وادي مور » ، وهو من أعظم أودية اليمن ، وسماه بعض المتقدمين « ميزاب تهامة » ، وهو مشهور في الكتب القديمة من التاريخ كما يعرف ذلك المتطلع ، فأحيا فيه الشريف أراضي كثيرة . واشترى البعض ، وحصلت العناية التامة بتلك المحارث ، وكان يحصل منها من الحبوب شيء واسع يستعين به على نوائبه ، ويقضي به بعض مآربه ، وابتنى هناك قلعة عظيمة ، وكان غالب إقامته هناك .

(٥) وفيها^(٦) في شهر جمادى الآخرة رابع^(٧) الشهر ليلة الجمعة كانت وفاة سيدي الوالد أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن حسن بن حسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر^(٨) ، هو أحد

(١) لم أعثر على معلومات عنها وحسب ما ورد في النص فإنها تقع في بلاد صليل .
(٢) العبارات بين القوسين وردت في هامش الأصل ولكنها غير واضحة وتم إثباتها من ص .
(٣) انظر تفاصيل ذلك في : نفح العود للبهكلي ، ١٩٦ - ١٩٧ ، والبهكلي يذكر أن الصراع بين الشريف حمود والكلفود كان في عام ١٢٢٠ هـ وليس كما ذكره عاكش هنا بأنه في عام ١٢٢١ هـ .

(٤) تسمى حالياً « الزهرة » ، وهي مدينة تهامية شرق اللحية بمسافة ٤٠ كم .
انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ١٩٤ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ٣٩٧/١ .

(٥) انظر : نهاية القوس ص ١٠٩ .
(٦) عند هذه الكلمة وضع المؤلف إشارة إلى الهامش حيث كتب فيه هذه العبارة (هذا سبق قلم وإنما وفاته في السنة الثانية والعشرين) وبناء على ذلك فقد قام ناسخ ع بالتعديل ونقل الترجمة إلى السنة الثانية والعشرين ، وسنشير إلى ذلك في موضعه ، أما ص : فلم يشر إلى تلك العبارة ، ولعل المؤلف أضافها بعد أن تم نسخ ص .
(٧) ص : تاسع ، وقد لاحظت أن المؤلف قد كتب تاسع ثم شطبها وكتب رابع بدلاً عنها ، ففعل ناسخ ص قام بعملية النسخ وتم التفتير بيد المؤلف بعد ذلك .
(٨) انظر ترجمته أيضاً في : حقائق الزهر للمؤلف ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ص ٩ - ٣٠ .

المجتهدين وحجة الإسلام ، والمرجع إذا دجت المشكلات على الأعلام ،
عباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب تتقي صرعته الأنواء ، وكان بمحل من
الورع والدين وسلوك سبيل الفضلاء من السلف الصالحين ، صاعد بالحق
لا يخاف لومة لائم ، صادق النية لا يخشى بطشة ظالم ، وغاية الأمر أنه
[ص ٥٤] شيخ وقته ورعاً وعلماً ، وإمام / التحقيق حقيقة واسماً .

مولده سنة أربع وسبعين بعد المائة والألف ، أخذ عن مشايخ وقته
في جميع العلوم ، وارتحل إلى « صنعاء » ، ولقي بها أعيان العلماء ،
ومصاييح الظلماء ، فأخذ عنهم في جميع المعارف ، وقطف من أزهار
علومهم اللطائف ، ولازم شيخ مشايخنا [١٧/أ] إمام المحققين عبدالقادر
ابن أحمد الكوكباني^(١) وغيره ، ولم يزل يدأب في تحصيل المعارف حتى
تضلع في جميع العلوم ، وصار المشار إليه في المنطوق والمفهوم ، ولم يرجع
إلى وطنه إلا وقد صار وعاءً من أوعية العلم ، وإماماً في كل فن من
الفنون ، ودرس عليه جماعة من أهل هذه الجهة ، وتخرج به السيد
العلامة حسن بن خالد الحازمي ، وكان ملازماً له في القراءة مدة حياته .
وانتهت إليه - رحمه الله تعالى - رئاسة العلم، وشُدَّتْ إليه الرحال،
ولم يزل منظوراً بعين الاحترام والإجلال ، يقدمه الأمير والمأمور على من
سواه، ويرون له من الحق ما لم يبلغ غيره إلى أدناه، يستند في المشكلات
إليه ، ويعوّل في العضلات عليه ، إذا برزت فتواه في مقام العلماء الأعلام،
ذلت أعناقهم خاضعين^(٢) ، وقالوا : « القول ما قالت حذام »^(٣) .

(١) أحد أبرز علماء مدينة زبيد (ت/١٢٠٧هـ) . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/ ٢٦٠ ؛
زيارة نيل الوطر ، ٤٤/٢ ؛ الحبشي ، مصادر ، ص ٢٣٤ .

(٢) هذه مبالغات كان الأولى بطالب العلم تحاشيها ، لأنها عن الحقيقة في معزل ، وفيها
إسناد لأشياء ليست مما ترك للخلق فيه اختيار أو قدرة ، نعم يذكر لذوي الفضل مقامهم ،
ولذوي العلم منزلتهم ، لكن لا يرتقى بهم إلى ادعاء ما لا يبلغه البشر .

(٣) هذا مثل ؛ وهو عبارة عن شطر بيت ، وقيل : حذام اسم امرأة وهي بنت العتيك بن
أسلم ، ويقال : لجيم بن صعب وحذام امرأته :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

انظر : لسان العرب ، مادة : حذم .

وعكف على كتب الحديث / والتفسير في آخر عمره ، واجتهد في [ص: ١٠] نشر السنة بسره وجهره ، وتبحر في علم الحديث فصار من حفاظه . واطلع على معرفة الأسانيد والرجال ، وبرز في علم التفسير ، ونال من لطائفه ما هو على غيره عزيز المنال ، وهاجر في « مكة المشرفة » مدة مثابراً على الطاعة . ملقًى إليه زمام التحقيق بين أهلها ، وأخذ عن جماعة من العلماء الوافدين إليها في علم الحديث ، وجرت بينه وبينهم مراجعات في عدة مسائل ، يفوز بالحق في أكثرها ، وارتحل إلى « المدينة المنورة » وهاجر فيها مدة ، وبعد رجوعه من الحرمين لبث في أوطانه مدة ، وعاد إلى « صنعاء » المحمية . وارتحل إلى جبل « كوكبان » (١) . ولاقى هناك جماعة من الأعيان ، وأقام « بصعدة » مدة مع حصول الفتن في جهة تهامة من أهل نجد كما سبق (٢) ذلك .

وبعد انفصاله من « صعدة » كانت إقامته « بأبي عريش » . ولم يزل مجتهداً في الاستفادة والإفادة حتى سبق من قبله [١٧/ب] ، وجلا في ميدان العلوم وتقدم ، فصُلِّيَ (٣) كلُّ سابق خلفه / وبالتبريز له سلّم . [ص: ١١] وله مؤلفات منها : شرحه على « الأنوار في دلائل الأزهار » (٤) للإمام المهدي (٥) - رحمه الله تعالى - في أربعة مجلدات من (٦) القطع

(١) حصن ومقل شير بطل على مدينة شبام الأثرية باليمن . أهل بالسكان وبه آثار قديمة . انظر : المقضي . معجم المدن والقبائل ، ٣٥٢ :

- Smith , Kawkaban , Arabian Studies .

(٢) الفتن لم تقع من أنصار الدعوة وإنما وقعت ممن وقف منها موقف المعادي ، وكيف تكون منهم الفتن وهم الذين عملوا على القضاء عليها ، وقد ذكر المؤلف شيئاً من هذا في ص ٩٨ .

(٣) الأصل : فصلاً .

(٤) ورد اسم الكتاب في المصادر اليمنية بطريقتين :

١ - الأنوار في الآثار الواردة لمسائل الأزهار ، انظر : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ١٣١٨/٣ .

٢ - الأنوار في محاسن الآثار الناصية على حل مسائل الأزهار . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر ، ٥٨٦ ، توجد منه نسخة مخطوطة برقم ٢١ بالجامع الكبير بصنعاء .

(٥) المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، دعا لنفسه بالإمامة عام ٧٩٣هـ ونازعه فيها المنصور علي بن صلاح الدين ، وبعد صراع بين الطرفين انتهى بسجن المهدي ثم الإفراج عنه ، ومن ثم ترك المطالبة بالإمامة وتفرغ للعلم .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/١٢٢ : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ١٣١٤/٣ .

(٦) الأصل : في .

الكبير سماه « مشارق الأنوار »، جمع فيه الفوائد فأوعى، وأبان فيه الدلائل أصلاً وفرعاً، وحوى من التحقيقات وإيضاح المشكلات ما لا يوجد في مؤلف سواء، وشهرته تغني عن الإطناب بوصفه، وله شرح مفيد على « ملحة الإعراب »^(١) في النحو سماه « منحة الطلاب » يعز نظيره في شروحها لما هو عليه من جمع الفوائد والتحقيق، وله شروح على أراجيز مفيدة، ومتسك جليل مربوط بالدليل، وفتاوى كثيرة تخرج في مجلد، وله رسائل مفيدة في مراجعات بينه وبين علماء وقته، وله « رسالة في حكم التباك » المعروف، وقد مال إلى التحريم، لَمَّا شهد من شهد عنه أنه مسكر.

وقد كثر الكلام في ذلك بين علماء الإسلام؛ فمن جازم بالتحريم لذلك كالعلامة ابن حجر المكي^(٢)، والشيخ أبي الحسن السندي^(٣) رحمهما الله تعالى، والعلامة الكبير الحسين بن ناصر المهلا^(٤)، رحمه الله تعالى، ومن مائل إلى القول بالتحليل نظراً إلى أن أصل الأشجار [ص ٥٧] الإباحة / كالسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير^(٥) - رحمه الله تعالى - وغيره، ومن متوسط بين الفريقين قائل بأن ذلك من الشبهات [و] طريقة أهل الورع تركه؛ لأن المؤمن وقّاف عند الشبهات، ولعلّ هذا القول الأخير أقرب إلى الصواب، والله القائل:

- (١) مؤلفها هو: القاسم بن علي الحريري (ت/٥١٦ هـ) وهي مطبوعة. انظر: الزركلي، الأعلام ١٢٦/٦.
- (٢) أحمد بن محمد بن علي الهيثمي، فقيه وعالم مصري (ت/٩٧٤ هـ). انظر: الشوكاني، البدر الطالع ١٠٩/١؛ الغزي، الكواكب السائرة ١١١/٢؛ أبو الخير، المختصر ٨٧/١.
- (٣) محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، محدث وفقيه حنفي (ت/١١٢٨ هـ) انظر: الزركلي، الأعلام ١٣٢/٧؛ المرادي، سلك الدرر، ٦٦/٤.
- (٤) من علماء اليمن المشهورين (ت/١١١١ هـ).
- انظر: الشوكاني، البدر الطالع ٢٣١/١؛ زيارة، نشر العرف ٦٢٨/١.
- (٥) من كبار علماء اليمن، تفرّد برئاسة العلم في زمنه، وله إنتاج علمي غزير (ت/١١٨٢ هـ).
- انظر: الشوكاني، البدر الطالع ١٢٢/٢؛ القنوجي، أبجد العلوم، ١٩١؛ العمري، مصادر التراث اليمني، ٢٩٦.

وما سبب الخلاف سوى اختلاف العلوم هناك نقصاً أو تَمَاماً^(١) وكانت وفاته في هذا العام بعد رجوعه من الحرمين . لأنه لم يرجع إلا وقد أسرى ألم الموت بجسده ، فدهى الأنعام رزء فوته ، وأجرى عبرات المعالي موته ، وأظلمت أرجاء التحقيق والأندية ، وصار العلم أحق من آله بالتعزية ، [١٨/أ] ولبست الليالي ثياب الحداد لفقده ، وآلت ألا تقع من بينها على نده ، وأظلمت الدنيا وولت بخطبه ، وضاق به عرض البسيطة والطول ، وكان الأسى فرضاً وإن لم يطلب الردى منها الفداء . والحزن واجباً وإن كان الحمام لا يترك أحداً^(٢)، وراثه بعد موته من أهل الجهة كل شاعر، وعزى العلوم فيه كل ناظم ونائر ، [و] ممّا قاله السيد العلامة البليغ يحيى بن محمد القطبي^(٣) رحمه الله تعالى^(٤) :

<p>ما لي أرى نشر العلوم قد انطوى / لوفاة أحمد نجل عبدالله من العالم الحبر المصين لعلمه لو قيل ما يأتي الزمان بمثله</p>	<p>تحت التراب وقد وهت منه القوى جلّ العلوم على فوائدها احتوى^(٥) [ص ٥٨] من غير كتم بل أفاد وما طوى قلنا : صحيح^(٦) لا يُماري من روى^(٧)</p>
--	---

(١) البيت من الوافر .
(٢) هذه كلها مبالغات لا يقبلها عقل سليم ولا ذوق يتحرى الدقة في الكلام . فموت العلماء بلا شك مصيبة ، لكنه سنة ماضية ، فهذا خير البرية عليه الصلاة والسلام . ومن بعده خير الخلق بعده أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، توفوا وما أثر أن قيل في أحد منهم ما قيل هنا أو قريب منه ، لأن الدنيا قائمة ، والخير باق في الأمة ، مع أن الموت مظنة الحزن المشروع ، وخاصة عندما يفقد العلماء والعلمون رحمهم الله رحمة واسعة .
(٣) يحيى بن محمد الأمير القطبي الهاشمي الحسني ، أديب وشاعر تهامي ، عاش في « أبو عريش » وتوفي بها عام ١٢٢٧ هـ .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤٨) : زيارة ، نيل الوطر ، ٤٠٦/٢ .

(٤) القصيدة من الكامل .
(٥) ورد قبل هذا البيت قول الشاعر :
عظم المصاب وأدهش الخطب الذي ترك القلوب لعظم موقعها هوى
انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ص ٢٩ .
(٦) في حدائق الزهر : تحقيق ، انظر : ص ٢٩ .
(٧) هذه مبالغة ممقوتة ، وفيها تال على الله تعالى أن لا يأتي بعده من هو مثله ، والواقع يكذب هذا وينفيه والعالم ليس بحاجة لهذا الإطراء المجافي للحقيقة .

فأقول لما أن بباطنها ثوى
طوبى لقبر مثل ميتك قد حوى
لقدوم شخص مخلص فيما نوى^(١)
لله لا يصفي إلى داعي الهوى
ما الدين والدنيا لديه على سوى
وأقامه للرشد يهدي من غوى
ما زاغ قط ولا عن الرشd التوى
ولداعي الأخرى توقع وارعوى
لعبادة المولى الذي فلق النوى
أحيا المدارس بالقراءة واستوى
للمستفيد قُرأ المنزل أوروى
صدر على صدق الحديث قد احتوى
فأجابه يسعى إلى ظل اللوى
بيضاء حاملها عن الفحش انزوى
تحكي لنا عن طيف أحلام الروى
وطويت أحشاء المريد على الطوى
خفقا عليك كمن^(٢) بأهلك من حوى
من كل ذي قلب على الحزن انطوى
وسقا ظمأك بشرية الحوض الروى
ويحلنا في جنة المأوى سوى
صلى عليه الله ما نجم هدى^(٣)
هذا نبي لا يقول عن الهوى

قد صح نقص الأرض من أطرافها
يا قبر أحمد كم حويت محاسناً
ما أنت إلا روضة قد زخرفت
وهو الصفي حبيب كلّ موحد
ما كان إلا عاملاً بعلومه
لا والذي بعث النبي محمداً
وبأن أحمد تابع لطريقه
بل طلق الدنيا وصرم حبلها
ما شأنه إلا التفـرغ دائماً
أحيا الليالي بالقيام وبالضحى
[١٨/ب] / ما همه إلا الإفادة دائماً
بحقائق ودقائق قد حازها
حتى دعاه إلى الكرامة ربه
فرحاً يلاقي ربه بصحيفة
[ص ٥٩] / ناديت لما أن رأيت دياره
أيتمت أبناء المدارس كلهم
الله أكبر كم قلوب أودعت
فالله يجبر كسر كلّ مخلف
وحباك رب العرش منه برحمة
وعساه يجمع شملنا بك في غدٍ
في زمرة فيها النبي محمد
مع من أحب المرء يحشر قد حكى

(١) المشروع هو الدعاء للميت ، ورجاء ما عند الله سبحانه من عفو ومغفرة ، وأن يجزي

المجتهد العالم العامل بما يجزي به عباده الصالحين ، أما الجزم فأمر شأنه لله تعالى .

(٢) في حدائق الزهر للمؤلف : كما ، انظر : ص ٣٠ .

(٣) في حدائق الزهر للمؤلف : وشفا ، هوى ، انظر : ص ٣٠ .

صلى عليه الله (ما جن الدُّجى) (١) والآل ما ركب إلى قصد نوى
وقد أفردته بترجمة مستقلة مطولة، أتيت فيها على جملة من مناقبه
وكراماته ، وأوردت منها شيئاً في المؤلف المقصور على تراجم العلماء
المسمى « حدائق الزهر » (٢)، وقُبر «بأبي عريش»، فلا برحت تصافح روحه
الشريف راحات الرحمن والرضوان ، ولا انفكت تطارح ضريحه المنيف
بالتحيات وارادات الإحسان (٣)، وجمعنا الله به تحت ظل عرشه على منابر
النور ، وجعلنا من المنعم عليهم إذا بعثر / ما في القبور، أمين أمين (٤). [ص ٦٠]

السنة الثانية والعشرون بعد المائتين والألف [١/١٩] ((فيها خرج
السيد الحسن بن خالد في ثلة من الأقوام ، وانتهى سيره إلى أطراف
« بني الحرث » (٥) ، وذلك عن أمر الشريف حمود ، ولم تزل الحرب
سجالاً حتى ظفر المذكور بجماعة من شياطينهم نحو اثنين وعشرين نفرًا .
فعرضهم على السيف ، وحكّمه فيهم وإن كان قد يقع في حكمه
الحيث (((٦) ، ولم يزل فيها الشريف حمود قائماً بوظائف ما اتفق بينه
وبين أهل نجد من الإصلاح ، من تسليم ما يحسن السكوت عليه ، ويندمل
به أثر الجراح ؛ لأنه كان قد أرسل الشريف فيما سبق إلى الأمير سعود

- (١) الأصل : ما جن الرحا ، والتعديل من حدائق الزهر للمؤلف ، ص ٣٠ .
(٢) عنوان الكتاب كاملاً : حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر ، وقد قمت بتحقيقه
ونشره عام ١٤١٣ هـ ، دار هجر للطباعة - القاهرة .
(٣) هذا الكلام ليس عليه من الله تعالى ولا من رسوله ﷺ برهان ، وهو مجرد قول وتخمين
وظن ليس عليه دليل . وغاية ما ورد هو تكريم المؤمنين بالنظر إلى وجه الله تعالى الكريم
بعد انجلاء الموقف ، أما دعوى المصافحة ، والمطارحة فدعوى مثارها الظن ، والظن لا
يفني من الحق شيئاً .
(٤) ما بين القوسين من صفحة (١٠٧) إلى هنا هو ترجمة والد المؤلف التي قام ناسخ (ع)
بنقلها إلى أحداث السنة الثانية والعشرين بعد المائتين والألف .
(٥) قبائل بني الحرث عبارة عن مجموعة من البطون تسكن المنطقة الواقعة على الحدود
السعودية اليمنية حالياً ويحدها جنوباً وشرقاً اليمن وشمالاً قبيلة المسارحة والعبادل
وغرباً المسارحة ، وحاضرتها « الخوية » .
انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ، ٧٥/١ .
(٦) انظر التفاصيل في نفح العود للبهكلي ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ . وقد ذكر البهكلي حملة
الحسن بن خالد على بني الحرث في حوادث عام ١٢٢٣ هـ .

ولده الشريف أحمد في جملة من الأعيان فيهم السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي ، ووصلوه^(١) إلى بلدة « الدرعية » ، ورمّموا كلاماً في ذلك المسير حفظاً للبلاد من الغير ، وهم في أثناء ذلك يبعثون المراسيل لقبض المعلوم^(٢) .

واستمر على ذلك إلى دخول^(٣) السنة الثالثة والعشرين بعد المائتين والألف فتصبح الشريف من رسلهم لما هم عليه من المطالب المتكاثرة وأفصح لهم كما قيل بالشقاق ، ورأى أن الصبر على تحمل ما [ص ٦١] يوهي / عرى الشهامة ممّا لا يطاق ، وأنشد لسان حاله عن فعالة :

لا بد أن أركبها صعبة وقاحة تحت غلام وقاح
أجهدّها أو تقتلني بالردى دون الذي أمّلت أو بالنجاح
أمّا فتى نال المنى فاشتفى أو بطل ذاق الردى فاستراح^(٤)

ولما انفصل الرسل من عنده على هذا الحال ، بلغ أن بعضهم اتفق بعبد الوهاب فأخبره ، فسُرّ بذلك ، ظنّا أنه قد لاحت له الفرصة ببلوغ الآمال ، وكان بذلك انتقاض الصلح بين الشريف وسعود ، وابتدأ عبد الوهاب في تحشيد الجنود ، لقصد مناجزة الشريف حتى يُفتح عليه

(١) هكذا في الأصل والصواب : ووصلوا .

(٢) يشير المؤلف إلى النزاع الذي حدث بين عبد الوهاب وعرار وحمود ، وكانت نتيجة ذلك قرار الدرعية باستمرار انفصال حمود عن عبد الوهاب وارتباطه بالدرعية بثلاثة شروط هي :

١ - أن ترسل الدرعية عمالاً يشرفون على الزكاة وأن يكون للدرعية ما عدا قدر معلوم لحمود .

٢ - عدم استخدام قبائل همدان إلا أن يدخلوا في الدعوة ويقبلوا مبادئها .

٣ - أن لا يبرم أي اتفاق مع عمال إمام صنعاء ولا يصالحهم .

لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي ، نفع العود ، ١٩٤ .

(٣) في هامش الأصل مكتوب هذه العبارة (ترجمة الوالد محلها هنا وإنما غلط الكاتب لأن وفاته سنة اثنين وعشرين تعلم ذلك . كاتبه حسن بن أحمد) .

(٤) الأبيات من الرجز ، وهي للشريف الرضي ، انظر : الديوان ٢٥٤/١ .

بالمقاتلة أبواب ، وأمدّه مخدمه سعود بثلة من خياله مقدمهم رجل يُسمّى غصاب^(١) .

((وفيها وصلت^(٢) قوم من السراة من أتباع سعود قائد القوم « مشيط »^(٣)) ومحمد بن دهمان^(٤) ، وكان وصول المذكورين للصالح بين الشريف حمود وبين الشريف علي بن حيدر والشريف منصور بن ناصر^(٥) ، ثم غزا الشريف بالقوم المذكورة إلى بلاد « بني قيس »^(٦) ، ومع

(١) غصاب العتيبي . أحد قواد الدولة السعودية الأولى . كان له أثر بارز في حروب الدولة السعودية الأولى ، شارك في الدفاع عن الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها عام ١٢٣٢ هـ ، ولكنه خرج طالبا الأمان لنفسه ممّا كان سببا في تخاذل أكثر المدافعين ومن ثم سقوط الدرعية .

انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١/١٤٦ : ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ١/١٩٦ : Philby , Saudi . 113 .

(٢) هكذا في الأصل والأوجه : وصل .
(٣) مشيط بن سالم . شيخ قبيلة شهران وناهس ، دخل في طاعة الدولة السعودية الأولى عام ١٢١٠ هـ ، وهاجر إلى الدرعية وتعلم فيها القرآن الكريم وأصول الدعوة ، وعاد إلى بلاده لنشر الدعوة السلفية . شارك في معظم الحملات على عسير والمخلاف السليماني . انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١/١٤٦ : ابن مسفر ، أخبار عسير . ٦١ : آل طالع ، قبيلة شهران ٤٠ - ٤٣ .

(٤) محمد بن دهمان . قائد سعودي من تبالة .
انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ١١ : ابن بشر ، عنوان المجد ١/١٤٦ .
(٥) ابن أخي الشريف حمود ، من أمراء آل خيرات . تنازل له والده عن إمارة صبيح عام ١٢٠٥ هـ ، وتأثر بالدعوة السلفية عند وصولها إلى المخلاف السليماني ، وأتبعها . وأمر رعيته بالالتزام بمبادئها ، كان له أثر بارز في أحداث المخلاف السليماني خلال زخم الدعوة السلفية بين عام ١٢١٥ - ١٢٢٥ هـ ، عزله عمه الشريف حمود عن إمارة صبيح فكون جبهة معارضة مع بعض الأشراف ، وارتحل إلى مكة المكرمة لطلب المساعدة من والي الحجاز حسني باشا ، شارك في حملة سنان أغا على عسير عام ١٢٢٣ هـ ، وعندما هزم جيش سنان أغا في منطقة بلاد بني مالك قتل منصور وقائد الحملة سنان أغا في أسفل العقبة المسماة « شعار » .

انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٧٧ : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤٥) : العقيلي ، المخلاف السليماني ١/٤٧١ .

(٦) قبيلة يمنية تستوطن المنطقة الواقعة أعالي وادي مور ، ومنطقتهم خصبة ، وتبعد عن حجة حوالي ٢٥ كم .
انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٢/٦٥٩ : المقضي ، معجم المدن والقبائل . ٣٣٩ .

الشريف جموع كثيرة غير من ذكر ، فأخذ بلاد « بني قيس » واستولى على جميعها إلى « الطور »^(١) و « المدرك »^(٢) قطع « آل جزيلان »^(٣) .

[ص ٦٢]

وفي هذا / العام كانت وفاة الوالد العلامة ، التقي الزاهد الفهامة ، محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز^(٤) [١٩/ب] مولده سنة ثمان وستين ومائة وألف ، وكان - رحمه الله تعالى - من أهل العلم والتقوى ، وممن تحقق بالزهادة في هذه الدنيا ، أخذ عن أخيه سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - في الفقه وغيره ، ولازمه مدة حياته ، واتصف بمحاسن صفاته ، وفاق في الفضل أهل زمانه ، وتميز بمعارفه على أقرانه ، وله أحوال دلت على رسوخ قدمه في الفضائل ، هذا مع ما حواه من حسن الأخلاق ولطف الشمائل ، وحج إلى بيت الله الحرام ، ولم يزل مثابراً على فعل الخيرات ، وملازماً لطاعة ربه في جميع الأوقات ، حتى توفاه الله - تعالى - إلى كرامته في هذا العام ، جمعنا الله به وبكافة أحبائنا في دار السلام .

السنة الرابعة والعشرون بعد المائتين والألف : تحقق للشريف حمود خبر عبدالوهاب ، وهو إذ ذاك في « الزهراء » ، فشمخ بالعرنين^(٥) ،

(١) مدينة بالغرب من حجة بمسافة ٢٧ كم ، وهي مركز بني قيس .

انظر : المقحفى ، معجم المدن والقبائل ، ٢٦٤ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٥٥٩/٢ .

(٢) المدرك يطلق على أكثر من موقع في اليمن ، ولعل المقصود هو « مدرك بن باري » كما ورد عند المقحفى ، وهي تتفق مع مسار الأحداث ومواقعها ، وهي عزلة من أرحب بن الدعام من همدان شمال حجة .

انظر : معجم المدن والقبائل ، ٣٧١ .

(٣) آل جزيلان ، من قبائل برط ، شمال صنعاء .

انظر : المقحفى ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٨٩ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ١٠٩/١ .

(٤) عم المؤلف وترجمته كافية في النص ، وانظر أيضاً : زيارة ، نيل الوطر ٢٨٥/٢ : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٤٥) .

(٥) العرنين : أول كل شيء ، وما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم ، ويقال : هم شُمَّ العرنين : أعزة أباة ، وعرنين القوم : ساداتهم وأشرافهم . انظر : المعجم الوسيط ٦٠٣/٢ .

وبرز منها إلى ملاقاتهم بُرُوزٌ ليث العرين . وحشد على اقتتال قبائل
البلاد ، وحرص على جمعهم من أغوارها والأنجاد ، واستحث من عنده
من العساكر على هذا المراد ، وتوجه إلى المدينة العريشية^(١) . ثُمَّ توجه
في لقاء عبدالوهاب ، ولما سمع عبدالوهاب بادر إلى وادي / « بيش » [ص ٦٣]
بالكتائب ، وفي ظنه أن جنده هو الغالب ، فعدم التبصر برأيه
والاستضاءة ، وبادر إلى أمر كان له فيه أناة ، ودارت به الدوائر . وزل عنه
قول الشاعر :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل^(٢)
فالتقى الفريقان في ذلك الوادي ، وكثر الصياح والتنادي ،
واشتجرت الرماح . واشتد الكفاح ، واختلف الجيشان بالرصاص ، ونادى
لسان الحال : ﴿ وَلَا تَحِينَ مَنَاصِرَ ﴾^(٣) وخرت الرؤوس ، وتداعت
إلى فنائها النفوس ، [٢٠/١] ولما (حمي الوطيس)^(٤) ، وهدرت من
الأبطال شقاشق العيس ، برز الشريف علي بن حيدر في الخيل من
أصحاب الشريف حمود ، لمقابلة الشيخ غصاب ومن معه من الخيالة من
جند سعود ، فأبان الشريف علي بن حيدر عن تحليق العقاب .
وشجاعة « حيدرة » في اليوم الذي اقتلع فيه الباب^(٥) ، وصدق عليه
الشاهد في هذه الموارد .

-
- (١) مدينة « أبو عريش » .
(٢) البيت من البسيط وهو للقمامي ، انظر : الديوان ، ٢٥ .
(٣) سورة ص : الآية ٣ .
(٤) قيل : أول من قالها الرسول ﷺ ، ويروى أن النبي ﷺ رُفِعَتْ له الأرض يوم مؤتة فرأى
معترك القوم ، فقال : « حمي الوطيس » . انظر : مسند أحمد بن حنبل ٢٠٧/١ ،
والنهاية ٢٩٧/١ ، كان ذلك في غزوة حنين .
والوطيس : حجارة مدورة فإذا حميت لم يُمكن لأحد أن يطأ عليها ، فيضرب لذلك
مثلاً للأمر إذا اشتد . وجاء في اللسان : الوطيس : المعركة ؛ لأن الخيل تطسها
بحوافرها . انظر : لسان العرب ، مادة أوطس .
(٥) انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٢٨٧/٢ ؛ باشميل ، غزوة خيبر ، ١١٦ .

ونصبت نفسي للرماح دريئة إن الرئيس بمثل ذا لفعول^(١)

وحين تكسرت الرماح ، بالطعن في الأعداء في تلك الفياح ،
اخترطوا السيوف ، وأقبلوا على الحتوف ، واختلط الفريقان حتى اغبر^[ص ٦٤] الدو^(٢) ، واصطدمت الهامات في الجو ، وانخزل أصحاب الشريف / من
العسكر عن مركزهم ، وثبت للكفاح في ذلك الموقف ، وصار هو ومن معه
هدفاً للرصاص ، واتفق الفشل من الجانبين ، وركبتهم موجات البحرين ،
وانجلت المعركة عن قتل عبدالوهاب ، والهزيمة على الشريف وأصحابه ،
والأمر للملك الوهاب .

وقُتل من الجيشين أناس كثير ، وقتل ابن أخي الشريف ؛
الشريف حسن بن ناصر بن محمد^(٣) ، ورجع الشريف حمود من يومه
إلى « صبيا » ، وتفرق الناس مع الرجوع في الطريق ، ورمي الأجناد مع
الهزيمة بالتمزيق ، وعاد إلى « أبي عريش » ، والنفوذ إلى « الزهراء » ،
وهو رأي فائل^(٤) ، وكيف يرتحل ويدع الحرم وراء ، لكن لم يرتض ذلك
الرؤساء من « ذو محمد »^(٥) وهم من صميم « همدان »^(٦) ، وأبطال
الأجناد ، فترجع للشريف البقاء في المدينة العريشية ، وهم من لقاء شر
أهل نجد على ميعاد [٢٠/ب] .

(١) البيت من الكامل .

(٢) الدو : القلاة الواسعة والمستوي من الأرض .

انظر : المعجم الوسيط ٢٠٦/١ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة ، وهو ابن أخي الشريف حمود .

(٤) قال رأيه قَيْلاً وقَيْولاً : أخطأ وضعف ، ويقال : قال الرأي ، وقال الرجل في رأيه .

انظر : المعجم الوسيط ٧١٥/٢ .

(٥) ذو محمد بن غيلان ، من قبائل بكيل يسكنون المنطقة الواقعة شمال اليمن .

انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٦٩١/٢ : المحققي ، معجم المدن والقبائل ٣٦٦ .

(٦) أشهر قبائل اليمن وأكثرها عدداً ، وتحتل رقعة واسعة تبدأ من شمال صنعاء إلى صعدة

شمالاً ، ومن مأرب شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً ، وهي تنقسم إلى فرعين كبيرين هما :

قبيلة بكيل وتقطن القسم الشرقي من هذه الرقعة ، وقبيلة حاشد ولها القسم الغربي .

انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٧٥٢/٢ : ابن رسول ، طرفة الأصحاب . ٧ - ٨ :

المحققي معجم المدن والقبائل ، ٤٥٠ .

((ولما وصل الشريف إلى « أبي عريش » من الهزيمة بعد ثلاثة أو أربعة أيام ، أمر جملة من الخيالة / يسيرون بالليل)) مع (١) السيد [ص ٦٥] العلامة المقدام حسن بن خالد الحازمي ليوصلوه إلى قلعة « ضمد » . فأوصلوه إلى هنالك ورجعوا ، وتدير هو (٢) وجماعة معه بحصن « ضمد » ، وما كان من الجيش النجدي بعد هذه المتفقة (٣) إلا أنهم طرحوا عليه ، ولم يزل الحرب قائماً عليهم ، وكان من لطف الله - تعالى - بعباده أن أولئك الجند جعلوا ثلاث غزايا (٤) ، فما رجعت راية منهم إلا وهي مكسورة . فتضجروا من الإقامة ، ورأوا أن الارتحال لهم على هذا الوجه فيه السلامة ، فأصبحوا وقد زموا مطايا الترحال ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان في ذلك فرجة للناس كحل العقال ، وبعد هلاك عبد الوهاب قام مقامه في الإمارة طامي بن شعيب ، وهو من قبيلته « رفيدة » (٥) ونسبهم في « الأزد » (٦) ، ومرجعهم « قحطان بن هود » (٧) وتضريح أنسابهم معروفة في كتب الأنساب (٨) .

- (١) ساقطة في الأصل والزيادة من ص ليستقيم السياق .
 (٢) ما بين القوسين مكتوب في هامش الأصل بخط المؤلف ولكنها غير كاملة فأثبتنا النقص من ص .
 (٣) المتفقة : الحادثة ، وقد استخدم المؤلف هذه الكلمة للإشارة إلى المعركة السالفة الذكر .
 (٤) يلحظ أن المؤلف يجمع غزوة على غزايا ، والمشهور أنها تجمع على غزوات .
 (٥) طامي بن شعيب من قبيلة ربيعة ورفيدة ، والمؤلف هنا يخلط بين رفيدة وهي قبيلة تقع في الجنوب الشرقي لمدينة أبها ، ربيعة ورفيدة قبيلة أخرى تقع في الشمال الغربي من مدينة أبها ، وفيها عاصمة عسير في ذلك الوقت وهي بلدة « طب » .
 (٦) هو الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، ويقال الأزد والأسد لغتان بالزاي والسين ، وقد اختلفت الأزد على نيف وعشرين قبيلة ، وروي عن النبي ﷺ قال : « الأزد جرثومة العرب » .

- انظر : الأشعري ، التعريف في الأنساب ، ١٢٤ - ١٢٥ .
 (٧) قحطان بن هود : أبو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها كما ورد في سيرة ابن هشام ٢/١ ، وقد اختلف النسابون جميعاً في نسبة قحطان بن هود على آراء كثيرة ، انظر تفاصيل ذلك في : الإنباه على قبائل الرواة للنمري ، ٦٥ : التعريف في الأنساب للأشعري ، ١٢٢ .
 (٨) انظر تفاصيل حملة عبد الوهاب أبو نقطة على المخلاف السليماني ومعركة بيش في : نفح العود للبهكلي ، ص ٢٤٩ - ٢٥٩ .

((السنة الخامسة والعشرون [بعد المائتين] فيها تقدم جيش فيهم عثمان المضايقي)) وقصد موضعاً غربي « وادي مور » يسمى « العيسية »^(١) ، وكان به بعض أصحاب الشريف واستباح بعض من هناك (وكان طامي بن شعيب في شردمة من عسير السراة فعزم على غزو « اللحية » / بمن معه ، [ص ٦٦] وأذاق أهلها من الإذلال ، وفعل بهم من الأفاعيل ما لا يخطر بالبال)^(٢) ، ومع رجوعهم ترجع للشريف حمود أن يعترض لهم ليمنعهم عن الذهاب ، ويدفع ما لحقه من العار باستباحة رعيته والانتهاك ، فقد قيل :

وعارٌ على حامي الحمى وهو في الحمى

إذا ضاع في البيدا عقال بغير^(٣)

فجمع الشريف من لديه من العساكر ، وبعض قبائل تهامة ، ووافقهم في موضع يقال له : « بربر »^(٤) - بموحدتين ورايين مهملتين على وزن جعفر - غربي « أبي عريش » مائلاً إلى جهة اليمن ، فلما أحس به الجند النجدي تعبؤوا للقتال ، وأرسلوا بصواعق من بطون البنادق ، فصدمهم الشريف بخميس هو غرته ، وبجمع هاشمي لا تتقى معرفته . وحينئذٍ أشرع الأشراف خُرصانهم^(٥) ، وأرخوا [٢١/أ] أرسانهم .

وفي أكفهم النار التي عبدت قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم

(١) نسبة إلى رجل يسمى عيسى ، وهو مورد ماء لأهل بلدة اللحية باليمن .

انظر : البهكلي ، نفح العود ، ٢٦٦ .

(٢) ما بين القوسين مكتوب في هامش الأصل بخط المؤلف ، ولكن العبارة غير كاملة فأثبتنا النقص من ص و ع .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) بربر : شعب ماء صغير يقع جنوب قرية المضايا قرب « أبو عريش » ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٧٦ .

(٥) الخرص : سنان الرمح وقيل الرمح نفسه .

انظر : المعجم الوسيط ٢٢٦/١ .

هندية إن تُصغّر معشراً صغروا بعدها أو تُعظّم معشراً عظموا^(١)
 فلفح بين الفئتين العراك ، ووقع الاختلاط والاشتباك ، حتى
 احتست الرماح من أقداح الرؤوس المغلقة ، وفاضت أرواح من الجند
 النجدي ما أظنها من التي في أجواف طير خضر معلّقة^(٢) ، وممن قتل
 في ذلك اليوم الشريف منصور بن محمد بن أحمد^(٣) / . وكان من كلمة [ص ٦٧]
 الرجال ، وممن دعائمه في الفخار طوال . نخبة الأشراف الكرام . وفرغ
 تلك الشجرة النبوية المثمرة بكل ماجد همام ، وكانت الدائرة في ذلك اليوم
 على الشريف حمود ، (وإنما إنها)^(٤) انضدت ثلة من ، ذو محمد ، من
 عسكر الشريف ، وواجهوا الفئة النجدية . فجعلوا ما قذفته البنادق بينهم
 تحية . وأثخنوا فيهم القتل والجراح حتى آيسوا من الخضر بهم . فولى
 الجند النجدي الأدبار ، ورجع أولئك الفئة وقد تردوا ثياب المجد والفخار .
 ذي المعالي فليعلون من تعالي هكذا هكذا وإلا فلا لا^(٥)
 ولما وصلوا إلى حضرة الشريف عاتبوه على الانهزام . وتركهم في
 تلك القفار ، وهيهات لا ينفع الملام فيما جرت به الأقدار^(٦) .
 ومع وصول الأمير طامي إلى « صبيا » واجهه « رجال ألمع »^(٧) وقد
 تخلفوا عنه ، فروي أنه خيرهم بين أن يقدموا على قلعة « ضمد » أو على
 « بندر جازان » ، فاختاروا البندر وقصدوه ، وكان في قلعته الشريف

(١) البيتان من البسيط وهما للمنتبي ، انظر : الديوان ، ٤٢٢ .
 (٢) تجاوز المؤلف في التعبير حيث يشير إلى أنهم غير شهداء ، والغيب يعلمه الله ، والمعروف
 شرعاً أن من يقتل في سبيل الدعوة إلى الله وإحقاق الحق ومعارضة الباطل والشرك أنه
 شهيد والله يتولى السرائر .

(٣) صنو الشريف حمود ، لم أعثر له على ترجمة .

(٤) هكذا في الأصل .

(٥) البيت من الخفيف ، وهو للمنتبي ، انظر : الديوان ، ٤٠٩ .

(٦) انظر : تفاصيل هذه المعركة في نفع العمود للبهكلي ص ٢٦٦ - ٢٦٩ .

(٧) من عسير تهامة ، وهم عبارة عن عشر قبائل كبار معروفة ، وقاعدتهم بلدة الشعبين .
 انظر : الجاسر ، معجم قبائل المملكة ٢٠/١ : العمروي ، قبائل إقليم عسير ١٦٨/١ .

أحمد بن علي حوزان^(١) والشيخ فتحي بن علي مجلي^(٢) ، فأحرق العسكر بقلعة « جازان » ، كما أحرق بالعين الأجفان ، وأدخلوا من فيها بخبر كان ، وحصلت من هذين الرجلين أفعال دلت على أنهما [٢١/ب] من [ص ٦٨] شجعان الرجال ، ولله القائل :

وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ^(٣) دَامَتْ لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضْلُنَا الشُّجْعَانَا^(٤)

ودافعوا دفاعاً أفضى بهم إلى ذهاب الحياة ، وكل حي مصيره للزوال بلا اشتباه ، وصدق على كل واحد منهما هذا الشاهد في هذا المقام ، الذي تحار فيه الأفكار وتزل الأقدام :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ عَارًا عَلَيْكَ وَرُبَّ قَتْلِ عَارٍ^(٥)

ثم بعد وصول طامي إلى بلاده ، توقف ريثما يستريح أجناده ، وألزمهم بالغزو معه إلى اليمن ، فخرج في أجنادٍ متكاثرة ، وكان منتهى سيره « اللحية » فاستباح حماها ، وأذاق أهلها من المنية كأس حمياها ، وفرق منهم ما اجتمع من الشمل ، فنفذ الشريف غارة من الخيل والرجل ، ولم يصلوا إلا وقد قضى الأمر ، وانطوى ذلك النشر ، وفعلوا ما أرادوا من الأمور القبيحة ، ورجعوا وقد تركوا قلوب أهلها جريحة ، وحين علم الشريف برجوعهم أراد أن يعترضهم ويأخذ بالثار ، فجمع من عنده وخرج في لقاهم ، ولم يقض منهم الأوطار^(٦) ، فرجع ولسان حاله ينشد :

وَلَا أَتَمَنَّيَ الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) البيت من الخفيف ، وهو للمتبني ، انظر : الديوان ، ٤٧٤ .

(٤) الأصل : الحيوية .

(٥) البيت من الكامل .

(٦) لمزيد من التفصيل انظر : البهكلي : نفع المود ، ٢٧٢ - ٢٧٤ .

ولست بمفراح إذا الأمر سرّني ولا جازع من شره المتقلب (١)

وجمع أيضاً أجناداً بعد رجوعه إلى السراة ، وقصد « الحديد » / [ص ٦٩]
واستباح هناك ما استباح ، وفي خلال هذه المدة توجه جند من خيالة
نجد (٢) قيل إن مقدمهم محمد بن أحمد الرفيدي (٣) ، فوصل إلى قرية
« الشقيري » (٤) ، واستباحها ، وقتل جماعة من فضلاء « آل النعمان » ،
ولم يراقب فيهم الملك الديان (٥) .

/ وما الله عما تعملون بغافل ولكنه يُلي لطاغٍ وفاجر (٦) [٢٢/١]
وممن فاز في ذلك اليوم بالشهادة الوالد العلامة الولي الفاضل
إسماعيل بن إبراهيم النعمان (٧) ، كان - رحمه الله تعالى - من العلماء
العاملين ، والأولياء المشهورين ، والفضلاء الصالحين :

-
- (١) البيتان من الطويل والقائل زياد بن زيد ، انظر : النويري ، نهاية الأرب ٧٠/٣ : وفي
جواهر الأدب للهاشمي ٤٦٦/٢ أن القائل هدية العنزي .
(٢) يلحظ أن المؤلف يطلق على السرايا التي توالى على الخلاف من إمارة عسير لفظ :
نجد ، مثل قوله هنا : خيالة نجد ، وقوله : فولى الجند النجدي الأدبار ... إلخ . ولعله
يقصد أن ذلك وفق سياسة الدرعية التي تتبعها إمارة عسير آنذاك .
(٣) تولى إمارة عسير خلفاً لطامي بن شعيب عام ١٢٣١ هـ ، دخل في صراع مرير ضد
القوات التركية - المصرية التي هاجمت عسير آنذاك ، واستطاع أن يخرج الحامية
التركية من طيب ، ولكنه لم يتمكن من الصمود في وجه قوات محمد علي فقبض عليه ،
وأرسل إلى مصر حيث توفي بها ، يعد أول أمير عسيري مستقل عن الدرعية ، وآخر
أمير من أسرة المتحمي (أبو نقطة) .
انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٥٨ : ابن مسفر ، أخبار عسير ٧٣ - ٧٨ .
(٤) قرية من قرى وادي ضمد تبعد حوالي ٦٠ كم شمال شرق جازان .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٣٠ .
(٥) هذه من مبالغات المؤلف في نقد الدعوة ورجالها ، وقد اعتدل منهجه بعد ذلك وأشار إلى
موقفه المؤيد للدعوة ، انظر : ص ٨٨ - ٨٩ .
(٦) البيت من الطويل .
(٧) من رجال التصوف في تهامة ، درس في صعدة باليمن ، واستقر في قرية الشقيري حتى
وفاته في شهر رمضان ١٢٢٥ هـ .
انظر : ترجمته في عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٥١) .

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً^(١)
وكان بمحل من الورع الشحيح ، والفضل الرجيع ، له كرامات
جمسة ، ومناقب تدل على علو الهمة ، وحاله في الفضل أشهر من أن
يذكر ، أو يعرف حاله ويصدر ، رحمه الله وإيانا .

لقد ظَهَرَتْ فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكمه لا يعرف القمر^(٢)
((السنة السادسة والعشرون بعد المائتين والألف)) فيها بعد هذه
المتفقات سعى السيد العلامة محمد بن علي^(٣) - ينتهي نسبه إلى الإمام
القاسم وهو صاحب « صعدة » - في إصلاح ذات البين ، وتلافي بعض ما
[ص ٧٠] أجلب الحين، وتم السداد والصلح / على ما يراد، بأمر محكمة، وقواعد
مرسومة ، ودفعات من المال معلومة ، وتزحلق يد الشريف عن « صبيا »
و « المخلاف »^(٤) ، وكان لها عاملاً من جهة أهل نجد . وبعد تمام الصلح
اطمأنت البلاد ، واستقرت أحوال العباد ، والتفت الشريف إلى ضبط مملكته
بجأش ثابت، وقدم أرسخ من الثوابت، تركع بين يديه الأشراف والملوك^(٥) ،
وتزهو باسمه المناير والصكوك ، وهذا كله بعد أن وقعت بينه وبين الفئة
النجدية الملاحم الكبار، التي تسك^(٦) المسامع وتعمي الأبصار، فحمى حمى
بلادهم، وأعانهم الله - تعالى - على القيام بمراده، وأذاق أولئك في حروبهم
السم الزعاق^(٧) ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهرق .

(١) البيت من البسيط .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) محمد بن علي بن القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد ، من علماء اليمن ، عاش وتوفي
في صعدة عام ١٢٢٩ هـ ، ويشير ابن مسفر إلى أنه كان أميراً بها .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٠٦) ؛ ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٦٨ .

(٤) مخلاف بيش .

(٥) هذا خطأ جسيم ، وقول ذميم ، إذ الركوع والسجود إنما يكون لله تعالى وحده ، ومن زعم
غير ذلك فقد سلب ما هو حق لله تعالى لمن لا يستحق هذا الحق ، حتى وإن كان من باب
المجاز لأن المجاز إذا جاوز المقبول ودخل في حدود المحذور أصبح باطلاً كما ذكر هنا .

(٦) سَكُ الشيء سكا : سدّه ، وفي الكلام : أصمّه لشدته ، ويقال : ما سَكُ سمعي مثل ذلك ؛
ما دخل . انظر : المعجم الوسيط ٤٤١/١ .

(٧) زعق الماء والطعام : إذا كان مُراً غليظاً لا يطاق شربه .

انظر : المعجم الوسيط ٣٩٥/١ ، ومن الواضح هنا وغيره تحامل المؤلف على الدعوة وأصحابها،
وإن كان أحياناً يحتكم إلى العقل ويقول الحق، لكنه في الأعم الأغلب يتحامل بغير وجه حق .

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهرًا منه في القل (١)
 [٢٢/ب] وما أوردنا في هذه الأوراق إلا ما بلغنا من الوقائع الكبار .
 وإلا فالغزايا والسرايا الواقعة في خلال ذلك كثير . وحصرها على سبيل
 الاستقصاء غير يسير ؛ لأن الفتنة دامت بين الشريف وبينهم مدة ، ولكن
 كل شيء وإن تطاول بلغ حدّه ، فوضعت بعد ذلك الحرب أوزارها ، وكمنت
 في مدة من السنين نازها / وفي خلال مدة الصلح جهز الشريف ثلة من [ص ٧١]
 العساكر ، وجعل مقدمهم السيد الماجد محسن بن علي الحازمي لملاقاة
 سعود أيام الحج ، ولإشعار بأنه قد دخل إلى طاعته من [كل] فج .
 ولعل ذلك كان أحد الشروط على الشريف ، وتخلّف « المحمل الشامي
 و » المحمل المصري » عن الحج بسبب منع الأمير سعود لهم . وبذلك كان
 انفتاح سد السلطنة عليه (٢) .

ولم تزل أمور سعود تنقبض عن إمساك البلاد ، وأيديه تتقاصر
 عن المطاولة التي تعتاد ، وهكذا الدنيا لها بدايات ونهايات ، والغالب أن
 ما (٣) حصل من الأمراء منه ، وبسببه سفك الدم بغير حقّه (٤) أن لا يدوم
 له حال ، ولا تستقر أموره وإن استطال (٥) ، ولقد فني في هذه الفتن
 الواقعة بين الشريف وأهل نجد عوالم من الناس ، وهلك كثير من
 القرى (٦) وأشرفت أمور الخلق على الاندراس ، ولله القائل :

(١) البيت من البسيط ، والقائل المتنبّي ، انظر : الديوان ، ٢٧٤ .
 (٢) لم يكن منع المحمل هو السبب في قيام الدولة العثمانية بالقضاء على الدولة السعودية
 الأولى ، ولكنّ هناك أسبابًا أكثر أهمية مثل زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ، وتوسع
 الدولة السعودية الأولى شمالاً إلى جهات العراق والشام ، وفقدان السلطان لهيبته أمام
 العالم الإسلامي . ومنع الإمام سعود للمحمل كان بسبب انتشار البدع المصاحبة له .
 انظر : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٣٠٥/١ : ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ١٨١/١ .

(٣) الأصل : من ، والصواب من ع .

(٤) الأصل : حقها .

(٥) يلحظ هنا استمرار موقف المؤلف المناوئ للدعوة السلفية والتطاول على حكام الدولة
 السعودية الأولى ، وإشارته هنا إلى أن سفك الدم بغير حقّه كان بأمر الإمام سعود فيه
 تجاوز للحقيقة وتهجم بغير علم .

(٦) الأصل : القرى .

في فساد الأمور لله سرٌّ والتباس في غايصة الإيضاح
فيظن الجهول أن فسد الأمر وذلك الفساد عين الصلاح^(١)

ومن عرف الله - تعالى - حق معرفته علم أن له في كل شيء حكمة
وإن جهلها العبد ، ولا يسعه غير التسليم والرضى ، وكف لسانه عما
[ص ٧٢] يحبط أعماله من الاعتراض على ما يجري به القضاء / وقد جرت عادة
الله سبحانه أن العباد إذا قصروا في حقوقه [٢٣/أ] وحقوق بعضهم
بعضاً ، وقع منه - سبحانه وتعالى - من البليات عليهم ما عسى يتعظ به
من كان قلبه حياً ، ويقلع عما هو فيه من الذي لا يرضاه خالقه .

ونقل ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه « الجواب
الشافعي »^(٢) قال : « وفي بعض الآثار الإلهية عن الرب - تبارك وتعالى -
أنه قال : وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل
منه إلى ما أكره إلا انتقلت له ممماً يحب إلى ما يكره ، ولا يكون عبد من
عبيدي على ما أكره ثم ينتقل عنه إلى ما أحب إلا انتقلت له ممماً يكره
إلى ما يحب »^(٣) ، وقد ذكر في هذا^(٤) الكتاب العقوبات الحاصلة بسبب
المعاصي ، وهو كتاب مفيد جداً من أحب كمال الفائدة فليطالع .

وقد أفاد هذا المعنى من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(٥) ،
والفتنة ما يصيب الإنسان من الأمراض ، والقحط ، وغيرها من أي بلاء ،

(١) البيتان من الخفيف .

(٢) اسم الكتاب الصحيح : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي . مطبوع أكثر من
طبعة ، منها الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠ هـ عن دار الرشد بالرياض .

(٣) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ، ص ٨٦ .

(٤) الأصل : هذى ، والصواب من ص .

(٥) سورة التوبة ، الآية ١٢٦ .

كذهاب النفوس والأموال ، كما أشار إلى ذلك أثمة التفسير ، وقد ذكر العلامة الخفاجي^(١) رحمه الله تعالى / : (٢) أنه حكى بعضهم قال : [ص ٧٣] بلغني ما وقع ببغداد يعني من التتر^(٣) ، وهي واقعة مشهورة ، وفي كتب التاريخ مسطورة ، فقلت : يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ، فرأيت رجلاً في النوم وفي يده كتاب فأخذته فإذا فيه مكتوب :

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك^(٤)
ثم قال : أجر [ي] الله عاداته أن العامة إذا زاد فسادها ، وانتهكت
الحرمان بينهم ، أرسل الله عليهم ما لا يستطيعون له رداً ولا دفاعاً^(٥) ،
انتهى .

وما أحسن قول من قال :

سلم له الأمر تعيش سالماً وارض بأحكام اللطيف الخبير
/ ولا تقل علمي ولا حكمتي فالحكم لله العلي الكبير^(٦) [٢٣/ب]

السنة السابعة والعشرون بعد المائتين والألف فيها كان اختطاط
الشريف لأرض « مختارة »^(٧) ، وبنى القلعة فيها على ذلك الجبل ، وهو
الذي سماها بهذا الاسم ، واختار سكنها على سائر بلاده مدة من

(١) أحمد بن محمد بن عمر بن شهاب الدين ، عالم بالأدب واللغة ، كان قاضي بلدة
الرومللي ، ثم سالونيك التركيتين (ت/١٠٦٩هـ) .

انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ٢٣١/١ : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٨٦/٣ .

(٢) انظر : نهاية القوس في ص (١٢٩) .

(٣) إشارة إلى سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ .

(٤) الأبيات من المتقارب .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : دفعاً .

(٦) الأبيات من السريع .

(٧) تقع في أعلى وادي مور في جبل قبيلة بني قيس غرب حجة . انظر : عاكش ، تكملة نفع

العود ، ٢٧٧ .

[ص ٧٤] الزمان ، وجعل لها ضريبة يتعامل بها الناس ، وقد كان يتعامل / الناس بضريبة له عليها رسم « أبي عريش » ، وهذا الشريف حمود هو أول من جعل من أهل هذا البيت ضريبة يتعامل بها الناس في مملكته ، وغيره ممن سلف ومن بعده من أهل بيته لا يتعامل الناس في بلادهم إلا بضريبة غيرهم ، وجعل أيضاً ضريبة باسم « الزهراء » ، ولم يزل يقع التعامل بتلك الضريبة مدة ، ثمَّ يجعل غيرها كما هي عادة الملوك في كل زمان ومكان ، وجعل ابنه الشريف أحمد ضريبة باسم « زبيد » أيام عمالته بها بإذن والده ، ووقع التعامل بها .

السنة الثامنة والعشرون بعد المائتين والألف ؛ فيها كانت (١) وفاة الأمير سعود بن عبدالعزيز (٢) ، بعد أن دوَّخ البلاد ، وقهر العباد (٣) ؛ فسبحان من تفرد (بالبقاء ، وحكم على غيره بالفناء) (٤) وما أحسن قول عدي بن زيد (٥) الذي أورده ابن خلكان (٦) ، فإنه من المواعظ الحسان (٧) :

أيها الشامتُ المعيرُ بالدهر أنت المبررُ الموفور
أم لديك العهد القديم من الد أيام بل أنت جاهل مغرور

(١) الأصل : كان .

(٢) كانت وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز ليلة الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٢٩ هـ ، وليس كما ذكر المؤلف .

انظر : أمين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، ١٠٢ : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٣٢٦/١ .

(٣) هذه من المغالطات التي لا يؤيدها دليل مادي صحيح ، وإلا فالثابت أن الامام سعود ومن قبله ممن ناصر الدعوة من آل سعود قد أقاموا السنة وقمعوا البدعة ، واطمأنت البلاد ، وحوربت الفتن ، وأمنت سبل الحج ، ومع هذا يبرز من يجترئ على مثل هذا الكلام من غير دليل ولا برهان .

(٤) مكتوبة في هامش الأصل بخط المؤلف ولكنها غير كاملة فأثبتنا النقص من ع .

(٥) عدي بن زيد العبادي، شاعر جاهلي، عمل مترجماً في بلاط كسرى الذي قتله عام ٥٨٧م.

انظر : شيخو ، شعراء النصرانية ٤/٤٢٩ - ٤٧٤ : الزركلي ، الأعلام ٩/٥ .

(٦) أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، قاضي الشام في عام ٦٢٢ هـ (ت/٦٨١ هـ) .

انظر : ابن تقي بريدي ، النجوم الزاهرة ٧/٢٥٣ : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية

١٥٨/٢ : القنوجي ، التاج المكلل ، ١٥٥ .

(٧) انظر القصيدة في : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٢٨/٢ .

من رأيت المنون خلّدن أو من
أين كسرى الملوك أنوشروان^(١)
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم
/ وأخو الحضرة^(٢) إذ بناء وإذ « دج
/ شاده مرمراً وجلّله كلسا
لم يهبه صرف المنون فباد الـ
ثم بعد الفلاح (والملك) والأمة
ثم صاروا كأنهم ورق جفّ

ذا عليه من أن يضام خفير
أم أين قبله سابور^(٣)
لم يبق منهم مذكور^(٤)
لما « تجبى إليه » الخابور^(٥) [ص: ٧٥]
فالطير في ذراه وكور
ملك عنه فبابه مهجور
وارتهم هناك التبر
فألوت به الصبا والديور^(٦)

((وكان ابتداء دولة آل سعود في جهات « اليمامة » ونجد ، إلى أن
غلبوا على أكثر جزيرة العرب من حدود سنة ستين ومائة وألف^(٧) إلى

(١) كسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز . تولى الملك لمدة ثمانية وأربعين سنة ، من أعظم
ملوك فارس وأحكمهم .

انظر : المسعودي ، مروج الذهب ١/ ٢٩٠ - ٢٩٨ .
(٢) سابور الجنود وهو ابن أردشير ، وسابور ذو الأكتاف بن هرمز ، وكلاهما من ملوك فارس
مثل كسرى أنوشروان .

انظر : أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ٢/ ١٢٩ .
(٣) من بداية القوس في ص (١٢٧) إلى هنا ساقط من ص .
(٤) الحضرة : كان قصراً بجبال تكريت بين دجلة والفرات ، وأخا الحضرة الذي ذكره عدي
هو : الضيزن بن معاوية ملك تلك الناحية .

انظر : قصة الضيزن في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢/ ١٤٠ .
(٥) دجلة والخابور نهران في العراق .

(٦) الأنبيات من الخفيف .
أما الموت فهو حق لا يختلف عليه أحد ، مات الأنبياء ، والصالحون ، وغيرهم ، لكن
التباهي بالتهجم وتشبيه إمام مثل سعود بن عبدالعزيز ببعض من ذكروا من الملوك تشبيه
ظالم ، والفرق بين من نذر نفسه لنصرة الدين إلى أن توفاه الله ، وبين من لم يؤمن بما
جاء من عند الله ومات وترك مكانه فرق يدركه كل عاقل فضلاً عن أن يكون معدوداً في
العلماء ، أو الطالبين للعلم .

(٧) بداية الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ بعد التحالف بين الإمام محمد بن عبد الوهاب
والإمام محمد بن سعود في الدرعية .
انظر : ابن عثيمين ، تاريخ المملكة ١/ ٨٥ .

سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف^(١) ، وزالت دولتهم على يد محمد علي^(٢) صاحب مصر من جهات صاحب الروم^(٣) .

وفي هذه السنة لم يزل المتوكل على الله أحمد بن علي بن العباس^(٤) إمام « صنعاء » يبعث العساكر لمناجزة أجناد الشريف الذين في « زبيد » مع أن العامل بها من طريق الشريف حمود ، وما زالت المناجزة من يحيى بن علي سعد^(٥) بأمر الإمام حاصلة ، والأجناد في كل وقت إليه من طريق الإمام نازلة ، وكان ذلك انفتاح باب الخلاف بين الإمام وبين الشريف حمود ، وكان خاتمة الأمر واقعة « مختارة » وهي في سنة تسع وعشرين بعد المائتين والألف ، وكان من خبرها أن المتوكل جهز جيشاً

(١) ساقطة في الأصل والزيادة من ص .

(٢) محمد علي باشا بن إبراهيم أغا بن علي ، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر ، الباني الأصل، قدم إلى مصر ضمن قوة تركية لرد الفرنسيين ، تمكن من الوصول إلى السلطة سنة ١٢٢٠هـ بعد صراع مع المماليك الذين قضى عليهم عام ١٢٢٦هـ غدرًا ، اختاره العثمانيون للقضاء على الدولة السعودية الأولى ، وأتم ذلك عام ١٢٢٤هـ ، دخل في صراع مع الباب العالي وسيطر على المورة وبلاد الشام والسودان ، حصرت دولته في مصر بعد معاهدة لندن ١٢٥٦هـ ، وتوفي عام ١٢٦٥هـ .

انظر : زكي ، محمد علي : الرافعي ، عصر محمد علي : الزركلي ، الأعلام ١٩١/٧ :

- Welgall , A history of events in Egypt , 44.

- Young , Egypt , 23.

(٣) السلطان العثماني محمود خان الثاني ، تولى أمر السلطنة في عام ١٢٢٣هـ ، وفي عهده تم إرسال الجيوش للقضاء على الدولة السعودية الأولى (ت/١٢٥٥هـ) .
انظر : محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ٣٩٨ - ٤٥٤ .

(٤) أحمد بن علي بن العباس ، إمام اليمن خلال الفترة من ١٢٢٤هـ حتى وفاته في عام ١٢٣١هـ .

انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ١٤٧ : الشوكاني ، البدر الطالع ٧٨/١ :

- Al Amri , The Yemen , 57 .

(٥) قائد يماني مشهور ، كان حاكمًا لمدينة حجة من قبل الإمام المتوكل .

انظر : النعمي ، حوثيات ، ٤٩ : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ١٧٥ .

جراراً من « بكيل »^(١) لما بلغه استقراره « بمختارة » ولما سمع الشريف حمود بقدوم ذلك الجيش / وفيهم الأسود الضارية من صميم « همدان » ، [ص ٧٦] الذين هم صناديد الصدام عند الحرب العوان ، ولذا اشتهر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال فيهم [٢٤/ب] من جملة قصيدة :

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام^(٢)
لم يزل يجمع الجنود ، ويستلحق القبائل من كل مكان ، وعنده
أبطال الأشراف ، صفوة الصفوة من آل عبد مناف :
قومٌ إذا اقتحموا العجاج رأيتهم شمساً وخلصت وجوههم أقمارا
وإذا زناد الحرب أحمَد نأرها قدحوا بأطراف الأسنة نارا^(٣)
وحين بلغه أنهم طرخوا بالمحلات القريبة منه ، وكان في حسبانه
أنهم لا يستعجلون بالشر ، فلم يشعر إلا بصوت البنادق ، فخرج في الجيش
بأبهة لها أساليب ، يرجف لها فؤاد شبيب^(٤) ، لاجرم قائدهم داهية في

(١) قبيلة مشهورة من همدان تنقسم إلى أربعة فروع كبرى ، وتحتل بكيل الجزء الشمالي الشرقي من صنعاء .

انظر : المقحف ، معجم المدن والقبائل ، ٥٦ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله
- Wilson ، « al - Hamdanis description » ، ١٢٥/١ :

(٢) البيت من الطويل ، ولم أعثر على هذا البيت سوى عند القلقشندي في كتاب « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » ١٠٥/١ ، وهو قول غير مستند ولا يغفل أن علياً - رضي الله عنه - يقول مثل هذا ففيه شهادة بالجنة لكل فرد من قبيلة همدان ، ولا ريب أن فيهم المسلم والمنافق ، والصالح والطالح ، والسني والمبتدع ، بل لا يبعد أن منهم من كفر وارتد عن الإسلام .

(٣) الأبيات من الكامل .

(٤) لعل المؤلف يشير إلى شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي ، من الأبطال المشهورين النافرين ضد بني أمية ، كان يصيح في جنابات الجيش إذا أتاه فلا يلوي أحد على أحد ، أرسل إليه الحجاج خمسة فؤاد قتلهم واحداً بعد الآخر ، ومزق جبرشهم ، توفي غريقاً سنة ٧٧ هـ ، وإليه نسبة الفرقة « الشببية » من فرق النواصب . انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٢٩/٣ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٢٢/١ .

سريال ، وقارعة تقوم بها قيامة الأبطال .

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزِيرِ خِضَابُهُ مَوْتُ فَرِيصِ الْمَوْتِ مِنْهُ يَرْعُدُ^(١)

فتقابلت الفتتان ، وتخالفت بالطعن والضرب الشجعان ، وما زالت
سعير الحرب حامية ، وأحوال الفريقين متكافئة ، إلى أن جادت صولة
أصحاب الشريف في ذلك المقام ، وخفقت لهم بريح النصر الأعلام ، ووقع
في أصحاب الشريف جراحات ، وجرح هو بنفسه .

[ص ٧٧] وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ / يَلَاقِي الْحُرُوبَ بَأْنَ لَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزاً^(٢)

وعقرت خيل كثير من خيل أصحاب الشريف ، وقتل في تلك الوقعة
السيد الماجد محمد بن خالد الحازمي^(٣) وغيره من الأجناد ، ولله
القائل :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ^(٤)

وتراجعت^(٥) بعد ذلك الفئة الإمامية إلى مطرحهم ، وقد أرخصوا
الدماء ، وحين رأوا الشريف أن شوكة تلك الفئة قوية ، وأنه ربمّا يحصل
منهم لشدة بأسهم الأذية ، جنح إلى رأي محضوف بالسداد ، وفيه بلوغ
المراد ، عملاً بقول من قال :

[٢٥/أ] / الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ

لَوْلَا الْعَقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

(١) البيت من الكامل ، وهو للمتبّي ، انظر : الديوان ، ٤٨ .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو للخنساء ، انظر : الديوان ، ١١٦ .

(٣) شقيق الحسن بن خالد الحازمي ، لم أعثر له على ترجمة .

(٤) البيت من السريع ، وهو للمتبّي ، انظر : الديوان ، ٥٥٧ .

(٥) الأصل : وتراجع .

وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ الْعُقُولُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكُفَاةِ عَوَائِي الْمُرَانِ^(١)
 فُدِسَ عَلَيْهِمْ فِي جَنَحِ اللَّيْلِ مِنْ يَوْصِلُ إِلَيْهِمُ الْبِرَاطِيلُ^(٢) ، الَّتِي كَمْ
 انْتَفَعَ بِهَا مِنْ عَلِيلٍ ، وَانْتَفَعَ^(٣) بِهَا كَمْ مِنْ غَلِيلٍ ، فَلَبِثُوا بَعْدَ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ
 الْأَيَّامِ ، وَقَوَّضُوا^(٤) مِنْ مَطَرِحِهِمُ الْخِيَامَ ، وَأَضْرَبُوا عَمَّا أُرْسِلُوا إِلَيْهِ
 وَالسَّلَامَ ، وَشَاهَدَ الْحَالُ بَعْدَ مَضِيِّ الْجَيْشِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَقَالَ :
 مَضَى بَعْدَ مَا اتَّفَقَ الرُّمَّاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْيَنْبَا
 / وَلَكِنَّهُ وَلَّى^(٥) وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا^(٦) [ص ٧٨]
 وَكَانَ ذَلِكَ فَرَجَةً لِلشَّرِيفِ ، سَاعَدَهُ عَلَيْهَا الْحِظُّ الْمَنِيْفُ^(٧) .

هُوَ الْحِظُّ خُذَهُ إِنْ أَرَدْتَ مُسْلِمًا وَلَا تَطْلُبِ التَّعْلِيلَ فَالْأَمْرُ مُبَيَّنٌ^(٨)
 ((وَبَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ أُرْسِلَ الشَّرِيفُ لِلسَّيِّدِ الْمَاجِدِ مُحَسِّنِ بْنِ عَلِي
 الْحَازِمِيِّ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ بِمَدِينَةِ « أَبِي عَرِيشٍ » ، وَجَهَّزَهُ الشَّرِيفُ بِجَيْشٍ
 كَثِيفٍ إِلَى بَلَدَةِ « حَيْسٍ » ، وَمَعَ وَصُولِهِ إِلَى « حَيْسٍ » كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ يَحْيَى بْنِ عَلِي سَعْدٍ ، الْمَقْدَمِ مِنْ جِهَةِ إِمَامِ « صَنْعَاءَ » سَجَالًا ، وَآخِرَ

(١) الأبيات من الكامل ، والقائل : الممتبي ، انظر : الديوان ، ٤١٤ .

(٢) البرطيل : الرشوة وجمعها براطيل .

انظر : المعجم الوسيط ، ٤٩/١ .

(٣) انتقع : ارتوى ، وانتقع الشيء ، انحلَّ من طول مكثه في ماء أو نحوه .

انظر : المعجم الوسيط ، ٩٥٦/٢ .

(٤) الأصل : وقبضوا ، والصواب من ص .

(٥) الأصل : ولا ، والصواب من ص .

(٦) البيتان من الطويل ، وهما للممتبي ، انظر : الديوان ، ٦٤/١ .

(٧) انظر تفاصيل واقعة مختارة في : عاكش ، تكملة نفع العود ، ٢٨٢ : العمري ، مائة عام

من تاريخ اليمن ، ١٧٥ .

(٨) البيت من الطويل .

الأمر كان الملتقى قبلي « حَيْس » لدى « جبل الكولة »^(١) ووقع بينهم مناوشة حرب ، وملازمة بالطعن والضرب ، فأصاب السيد محسن رصاصة كان بها إزهاق روحه وخلاصه ، وهذا السيد محسن من أمجد الرجال ، وأكابر الأبطال ، له العقل الكامل والدهاء ، وإليه في حسن السياسة المنتهى ، وكان يرسله الشريف حمود في العظام ، ويركن عليه في الأمور المهمات ، وما توجه لمقصد إلا وتممه الله على يديه ، وهو ممن يتعلق بالأدب والعرفان ، وله إلمام بهما تميزه على أبناء جنسه من الأقران ، وقد اطلعت له على أشعار دلت على لطف طبعه وحسن المعية)) ، وفي أثناء هذه المدة وقع التجرم على الشريف من الأشراف ، ورأوا أنه^(٢) لم يعاملهم في سيرته بالإنصاف ، ولله القائل :

وَلَمْ تَزَلْ قَلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم^(٣)

وعاملهم بما ليسوا له أهلاً من الإبعاد ، وهكذا الدهر ممزوج بالأنكاد .

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمَهْجَتَهُ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ^(٣)

[ص ٧٩] / لا سيما مثل الشريف البطل الهزبر علي بن حيدر ، وأخيه الشريف الماجد يحيى بن حيدر ، وابن عمهما الشريف منصور بن ناصر ، مع أن هؤلاء درة تاج المجد الباذخ [٢٥/ب] وعصابة دائرة بهامة الفخر الشامخ ، لا غرو فهم فرع تلك الدوحة الحسنية ، وشعاع متصل بتلك الهالة الهاشمية .

خصوصاً الشريف علي بن حيدر، فهو ممن أطعم الآساد، وأروى

من الألى غَيْرُ زَجَرِ الْخَيْلِ مَا عَرَفُوا إذْ تَعَرَّفُ الْعَرَبُ زَجَرِ الشَّاءِ وَالْعَكْرِ
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمالُ الكُتُبِ وَالسَّيْرِ^(٤)

(١) الكولة : قرية من مخلاف بني سيف السافل ، من أعمال قنر يريم .

انظر : المحققي ، معجم المدن والقبائل ، ٣٥٢ .

(٢) الأصل : أنهم .

(٣) البيتان من البسيط ، وهما للمتبني ، انظر : الديوان ، ١٦١/٤ ، ٩٦/١ .

(٤) البيتان من البسيط وهما للمعري ، انظر : الديوان ، ٥٨ .

الصعاد، إذا همهم مالت الأسد عن طريقه . وإذا غضب خلع هياكل الطاعة من عنقه^(١) .

وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَضْعَبَاتِ بِرَأْيِهِ فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَ^(٢) ،
وله العناية التامة بالشريف حمود أيام مناجزته أهل نجد^(٣) ،
وكان أحد أركان المملكة التي وقع له بها الحل والعقد . وما زالوا
منكرين للجفاء ، وهم منه في جميع حالاتهم على شفا ، حتى دخلت
سنة ثلاثين بعد المائتين والألف فأودع الشريف حمود ابن أخيه الشريف
يحيى بن حيدر دار الاعتقال ((بمدينة « الزهراء » آخر يوم من شعبان))
فخرج الشريف علي وفي صحبته الشريف منصور وغيرهم من الأشراف
أرباب الكمال، متلهبي^(٤) الأنفاس مخاطبين نفوسهم بقول أبي فراس^(٥) :
ومن كانَ غير السيف كافلَ رزقه وللذل منه لا محالة جانب^(٦)
فتوجهوا إلى نحو « الشام »^(٧) بخواطر مكلومة ، وقلوب مسمومة / [ص ٨٠]
لما أصابهم من الشريف ، وكانوا حقيقين بالتكريم والتشريف ، وأنشد
لسان حالهم :

- (١) هذا ليس مدحاً، بل غاية في الذم، لأن الحليم هو المالك لنفسه عند الغضب، وانعافي عند المقدرة. وما ذكر هنا مثلب شرعي ظاهر، لأن خلع الطاعة معصية لا يمدح عليها فاعلمها .
- (٢) البيت من الطويل وهو للمتنبى ، انظر : الديوان ٢٨٢/١ .
- (٣) يلحظ القارئ التعصب المذموم في عبارات المؤلف فهو يعبر بأهل نجد ، صاحب نجد ، النجديين . مع أن الدعوة ناصرها كثيرون من المنطقة التي فيها المؤلف وما حولها ، وما جرى من معارك دارت بين أنصار الدعوة ومن ذكرهم فيها الكثير من الناس من مناطق متعددة غير نجد .
- (٤) الأصل : متلهبين .
- (٥) الحارث بن سعيد بن حمدان ، أمير وشاعر وفارس ، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني، قتل عام ٢٥٧ هـ .
انظر : الأميني ، الفدير ٢٥٠/٣ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٤٩/١ : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٤٩/٢ .
- (٦) البيت من الطويل .
- (٧) كلمة الشام أو الجهات الشامية وكذلك اليمن والجهات اليمنية تستخدم بواسطة المؤلف بعدة دلالات :
أ - للإشارة إلى المناطق الواقعة شمال المخلاف السليماني مثل قوله هنا : وتوجهوا نحو الشام أي : إلى مكة المكرمة .
ب - للإشارة إلى المناطق الشمالية في المخلاف السليماني نفسه مثل قوله في ترجمة أحمد بن إدريس في أحداث ١٢٥٣ هـ : حتى ترجع له المسير نحو الشام ، أي : أنه تقرر له أن يسير إلى صبيا .

لا تحسبن ذهابَ نفسك موتَها ما الموتُ إلا أن تعيش مذللاً
فارق تكن كالسيف سُلَّ فبان في متنيه ما أخفى القِرابُ وأجملاً^(١)
فوصلوا إلى « مكة المشرفة » ، واتفقوا بحسن باشا^(٢) وتلقاهم
بالقبول ، وحسّن لهم أن [١/٢٦] يكون بجهة « حلي » الإقامة والنزول ،
وقرر لهم من المال ما يقوم بالأحوال ، ووعدهم بالنصرة من طريق محمد
علي باشا بعد أن يفرغ الوجه من قتال أهل « الدرعية » ، وكانت تلك المدة
قد توجهت الأجناد المصرية لمناجرتهم ، وقد صار نجم أهل « الدرعية »
في سقوط ، وشامخ عزتهم إلى هبوط^(٣) .

(وفي أول شهر شوال توجه الشريف من « مختارة » إلى جهة الشام ،
ولم يدخل « أبو عريش » بل طرح في قرية « الجرية »^(٤) وكان أهل جبل
شرقي المدينة العريشية اسمه « سلا »^(٥) - بلفظ الماضي من السلو - قد

= ج - الأماكن الواقعة شمال أي موقع يتحدث عنه المؤلف مثل قوله في ص (١٦٢) : رجال
ألع الشام ، وهو بهذا يمثل الاتجاه السائد في المنطقة حيال هذه الدلالات ، وهي
مبنية على العرف السائد في الجزيرة العربية أن ما كان شمال مكة المكرمة فهو شام
وما كان جنوبها فهو يمن .

د - فيما يخص اليمن مثل قوله ص (١٣٨) : وتوجه هارباً إلى جهة اليمن ، أي أنه هرب
إلى المخلاف ؛ وقوله ص (١٦) : رجال ألع اليمن ، أي القسم الجنوبي من قبيلة رجال
ألع ؛ وقوله ص (٥٣) عن المخلاف السليماني : من أحسن مخاليف اليمن فالمقصود
لدى المؤلف الجهة لا الموقع .

(١) البيتان من الكامل .

(٢) حسن باشا ، أحد قواد محمد علي باشا البارزين ، عمل فترة من الزمن قائم مقام مكة
المكرمة ، وتسميه بعض المصادر حسني باشا ، والصواب ما ذكر آنفاً .
انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة ، ٢٧ .

(٣) يلحظ القارئ هنا مدى التشفي والارتياح لما حدث لأنصار الدعوة من محمد علي باشا
وجنده ، وهو مما لا يقبله عقل فضلاً عن طالب علم . ومع ذلك فشامخ العز لم يهبط
والجرح الذي أحدثه محمد علي باشا التأم بحمد الله وعادت الدعوة وأنصارها
وانتشرت داخل الجزيرة وخارجها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ونصر الله الموعود
به للمؤمنين لا يتخلف والابتلاء والامتحان سنة من سنن الله تعالى ماضية للتميز
وظهور الصادقين من غيرهم .

(٤) يطلق هذا الاسم على ثلاثة أماكن في منطقة جازان هي :

أ - قرية على عدوة وادي مقاب . ب - قرية من أعمال بني الغازي .
ج - بقعة في جهة بلدة هروب .

وليس في النص ما يدل على أي منها ، ولكني أرجح أنها الأولى منها . انظر : العقيلي ،
المعجم الجغرافي ، ١١٩ .

(٥) جبل معروف شرقي بلدة العارضة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٢١ .

صدر منهم بعض خلاف ، وتعدُّ على حدود مملكة الشريف والأطراف ،
فقصدتهم بجموعه الكثيرة ، (وعساكره المنصورة ، وطرح تحت ذلك)^(١)
الجبل ، ونازلهم مقدار خمسة أشهر ، ولم يبلغ منهم الأمل . وقد كان تقدم
إلى ذلك الجبل جماعة رئيسهم السيد الماجد (ناصر بن حسين
الحازمي)^(٢) فانكسر الجماعة ، وقتل السيد ناصر ، ولم يُنج أصحابه إلا
الفرار من ذلك الأمر القاهر ، فلم ير أحداً يقوم بهذا المقصد / غير ولده [ص ٨١]
الشريف أحمد ، و)^(٣) كان عاملاً « بزبيد » فأمره بالوصول إليه ليكون
بيده - بإذن الله - هدم ذلك الركن المشيد ، فوصل إلى حضرته ، وجعل
معه طائفة من « بكيل » ، فَرَقُوا ذلك الجبل الطويل ، ولما وصلوا إلى أهليه
حيَّوهم بما في أجواف البنادق ، فاستولوا على الجبل وما فيه من صامت
وناطق ، وأخربوا بيوتهم وتشتتوا في الشعاب ، وأصبحوا كأمس الدابر
وكل شيء مصيره للذهاب))^(٤) .

وفي هذه السنة أو التي قبلها^(٥) كان وصول محمد علي باشا إلى
« مكة المشرفة » فتوجه لملاقاة أهل نجد ، وقائد تلك الطائفة طامي ،
فوقع بينهم التلاق في موضع يسمى « كُلاخ »^(٦) - بكاف مضمومة وآخره
خاء معجمة - فوقع بين الجيشين التصاف ، واشتجروا بالهنديات

(١) ناقص في الأصل وأثبت النقص من ص .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) ناقصة في الأصل وأثبت النقص من ص .

(٤) المؤلف - عفا الله عنا وعنه - يسوق هذه الأحداث من أفعال الشريف حمود بصيغة المادح
المتشوق ، وهي أفعال يظهر فيها الإفساد ، والقتل والتدمير ، ولم ينتقد من قام به والغرض
منها غير مشروع ، وتجده يتعامل على أنصار الدعوة ويتهمم بما يمدح به غيرهم ، وهم
أصحاب رسالة ودعاة إلى الحق والإصلاح ، والقتال ليس غرضاً وإنما يلجؤون إليه عند
الحاجة والإلجاء إليه ، ويبحثون عن وسائل الصلح وحفظ الدماء بكل وسيلة .

(٥) وصل محمد علي باشا إلى جدة في ١ رمضان ١٢٢٨ هـ ، ومكث فيها حوالي شهرين ثم
انتقل إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في الوقت نفسه الذي بدأ فيه التخطيط
للقضاء على الدولة السعودية الأولى .

انظر : عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ٢٢٢ .

(٦) بلدة صغيرة تقع على بعد حوالي ٥٠ كم شرق مدينة الطائف .

انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ١٠٥٢/٢ .

وتخالفوا بالقنا الرعاف ، فكانت ملحمة عظيمة طحنت رؤوس ، وذهبت فيها نفوس^(١) ، وكانت الدائرة على طامي وأصحابه ، فولوا منهزمين ، والأجناد التركية بعدهم بالطرد مجدين ، فلما وصل طامي إلى بلدة « طب »^(٢) ، وهي بموحدتين محركتين بعد طاء مهمة ، وهي من بلاد السراة ، وكان لما أصابه من الذعر لم يقر قراره ، ولم ير أن تقيه من شر أولئك الجند داره ، فارتكب الخطر بمفارقة أوطانه ، والبعد عن سكانه ، [ص ٨٢] وركب جواده وتوجه / هارباً إلى جهة اليمن^(٣) ، فلما وصل « مسلية »^(٤) بضم الميم وسكون السين المهمة واللام - من السلو - وهي من المخلاف السليماني توجه إلى قرية « الحقو »^(٥) وهو بجاء مهمة وقاف مثناة

(١) هذه المعركة هي معركة « بسل » المشهورة (٢٨ محرم ١٢٢٠ هـ) وقائدها من الجانب السعودي هو الأمير فيصل بن سعود ، وليس كما ذكر المؤلف بأن طامي كان هو القائد ، وإنما كان قائداً لقبائل عسير المشاركة في تلك المعركة التي انتهت بهزيمة كبرى للسعوديين ، وفتح الباب بعدها أمام قوات محمد علي باشا للسيطرة على جميع المناطق الواقعة جنوب مكة المكرمة .

انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١/ ١٨١ : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ١/ ٢٢٨ .

(٢) عاصمة إمارة عسير في عهد الأمراء من آل أبو نقطة خلال الفترة من ١٢١٥ - ١٢٢٢ هـ ، تقع على بعد حوالي ٣٥ كم شمال غرب مدينة أبها .
انظر : أطلس منطقة عسير ، خارطة رقم ٣ .

(٣) يستخدم أهل المنطقة لفظ « اليمن » للدلالة على الأماكن الواقعة في الجنوب منهم ، وليس المراد بلاد اليمن المعروفة ، وهنا يشير المؤلف إلى توجه طامي بن شعيب من بلاد عسير إلى جهة الجنوب وهي المخلاف السليماني . انظر : ص ١٣٥ هامش [٧] .

(٤) قرية في أعلى وادي بيش ، تبعد حوالي ٧٠ كم شمال جازان ، سبق لطامي بن شعيب أن اختلط فيها مزارع وأحيائها ، وهي من القرى المشهورة حالياً وإن كانت تتطوق حالياً بالكسر : مسلية ، وليس كما أورد المؤلف .

انظر : عاكش ، تكملة نفع العود ، ٢٩١ ؛ العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٨٨ .

(٥) بلدة معروفة شرقي قرية بيش في سفح جبل يسمى ماغص .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٥٢ .

ساكنة بعده واو ، ثُمَّ لم يشعر السيد العلامة يحيى بن محسن النعمي (١) إلا وقد وصله إلى عقرداره بقرية « الدهناء » (٢) وشكى عليه (٣) ما لاقاه من الحدثان ، وما عاناه من صروف الزمان :

ولا بُدَّ من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع (٤)

وطلب شوره في الإقدام أو الإحجام على الشريف حمود ، مع أنه لم يكن له سابقة خير عند الشريف غير تلك الملاحم العظام ، والوقائع التي يشيب منها رأس الغلام ، فبلغني [٢٦/ب] أن السيد يحيى أشار بما يعلم ، وأنه لا يتوجه إلى الشريف حمود بل يتوجه إلى الجبال الشرقية التي يخفى خبره فيها بالكلية ، فمنع من ذلك الرأي المحمود ، وصمم على قصد الشريف حمود ، وكان تلك المدة غائباً عن هذه الجهة ، بل مستقره في « مختارة » ، والسيد العلامة حسن بن خالد في هذه الجهات ، وهو أحد أركان مملكة الشريف حمود ، وله التقديم والتأخير فيما به على نفع المملكة يعود ، والشريف حمود لا يرى صواباً غير ما يقول ، لعلمه أنه الذي فاق النظراء في علمي العقول والمنقول ، فجعله سراجاً يهتدي به / في [ص ٨٣] ظلم المشكلات ، وإماماً يقتدي به في المسائل الشرعيات ، فبلغه الخبر وهو بقرية « ضمد » فما كان منه إلا المبادرة بالوصول إلى « صبيا » ، فدخلها وملك قلعتها وأرسل رعيلاً من الخيل في لقاء طامي ، فوجدوه وفي صحبته السيد يحيى بن محسن ، فما كان من السيد الحسن بعد وصوله إليه إلا [أن] أوثقه في الحديد ، ولم يلتفت إلى قول أحد من أهل العذل والتفنيد .

(١) من علماء المخلاف السليماني ، ولد في الدهناء من قرى وادي بيش ، وارتحل لطلب العلم إلى صنعاء ومكة ، عاد ليعمل قاضياً في بلدته الدهناء (ت/١٢٦١هـ) .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٥٦) .

(٢) من قرى وادي بيش غرب قرية العالية ، تبعد حوالي ٨٦ كم شمال جازان .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٨٤ .

(٣) هكذا في الأصل ، والأصوب : شكى إليه .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لبشار بن برد ، انظر : الديوان ، ١٠٠ .

وقد كان محمد علي باشا وصل إلى « طيب » ، ويعث طليعة من الخيل ليعلموا من حيث ذهب ، ولما وصلوا أطراف المخلاف ، وطلبوا طامي أطلقه عليهم السيد الحسن بن خالد ، وكان حال طامي كما قال القائل :

وإذا خشيتَ من الأمور مقدراً وفرتَ منه فتحوه تتوجه^(١)
فذهبوا به وأنفاسه تتصعد ، وقلبه من الأحزان يتوقد ، وكان يظن
بوصوله إلى هذه الجهات يقع له الرحمة في قلوب من توجه إليهم ،
ويمنعونه من الترك أن يقع في أيديهم ، ويرى كونهم عرباً أحسن حالاً من
العجم ، فركب أخف الخطرين ، وقارب أدنى الشرين ، ولكن عومل
بنقيض قصده ، وأصبح بكونه في أيدي الترك وإن كان حياً في لحدّه ،
ولله القائل :

رُبَّمَا يَرْجُو الْفَتَى نَضَعَ فَتَى خَوْفُهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ أَمَلِهِ
[ص ٨٤] / رُبَّ مَنْ تَرْجُوهُ دَفَعَ الْأَذَى سَوْفَ يَأْتِيكَ الْأَذَى مِنْ قَبْلِهِ^(٢)

[٢٧/أ] وفي حسابان الناس أنه لو وصل إلى حضرة الشريف حمود
لمنع عليه ، ولم يصل أحد من الأتراك إليه ، والعلم لله سبحانه^(٣) .

وقد خاض الناس في فعل السيد الحسن بن خالد في هذه
القضية ، ويرونها عليه رزية ، ولكن هذا السيد الحسن من العلماء النقاد ،
وممن تسنم كاهل الاجتهاد ، وقد قرر أهل الأصول الفقهية العمل
بالمصالح المرسلة ، وذكر صاحب « الفصول »^(٤) أن العمل بها مذهب

(١) البيت من الكامل وهو لابن الرومي ، انظر : الديوان ٣/ ٣٧١ .

(٢) البيتان من الرمل .

(٣) الأصل : سبحنه .

(٤) كتاب الفصول اللؤلؤية في أصول الفقه ، ومؤلفه : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن
عبد الله الوزير (ت/ ٩١٤هـ) مخطوط برقم ١٠٢٦ في الجامع الكبير بصنعاء ، ورقم
٣٧٩٥ في المتحف البريطاني .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي ، ١٥٩ : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٣٧ .

الأئمة ، وجماهير الأمة ، فلعله ترجح له في هذا الباب العمل بالمصالح المرسله ، وهو أن هؤلاء الأتراك قد استأصلوا شأفة العساكر النجدية ، مع أن شوكتهم أقوى من شوكة أهل هذه البلاد . ووقع منهم من سفك الدماء والفساد ، ما هو أعظم من دفع طامي إليهم في الكيفية والمقدار ، وقد قيل : « إن في الشر خيار » ففي دفعه إليهم والحال ما شرح حقن للدماء ، وتسكين للدهماء ، وكان الأمر كذلك ، فإنه رجع بعد ذلك الأتراك ، ولم يفتحوا شراً على أهل هذه الجهات . وقد تتبع أحوال هذا الرجل . فرأيتة يجنح كثيراً في أفعاله إلى العمل بالمصالح المرسله^(١) . وهذا من ذاك / والعلم لمالك الأملاك .

[ص ٨٥]

((وفي هذه السنة كانت واقعة « المهدف » بين « بني الحرث » والسيد الحسن بن خالد ، وكانت الدائرة على أولئك القبائل ، بعد أن استولوا على بعض مطرحة ، وأحرقوا خزانة البارود . ووقعت فيه جراحات أفضت إلى السلامة ، وأصاب جواده رصاصة ، [و] بعد أن نزل عنها ماتت ، ولكنه لما كانت اليد له على أولئك الأقوام ، ولم يتأثر بما حصل من تلك الآلام ، وقُطِعَ منهم رؤوس ، وأوصلت إلى المدينة العريشية للإرهاب)) ، وفي هذه المدة ترجح للشريف حمود أن يبعث إلى محمد علي باشا هدية ، فبعث بأربعة^(٢) من جياد الخيل إليه وأصبحه مكتوب ، ولما بلغه ذلك جاء من الباشا جواب بليغ أحببت إثباته ، وهو هذا^(٣) :

« أهدي تحيات وافرة وافية ، وتسليمات زاهرة زاهية . تهدي وتحف بأنواع من الظرف ؛ إلى محبنا ومعتدنا سلالة آل الرسول . وعين أبناء البتول ، أخينا العزيز الشريف حمود بن محمد ، لا زالت عواقبه تحمد ، ولا زال على المنهج القويم ، مثابراً على ما يعنيه مقيم . وبعد ؛ فقد^(٤) وصلت إلينا كتبك الثلاثة مشعرة باستقامتك ، مسفرة عن

(١) دعوى العمل بالمصالح المرسله في معزل عن الضوابط الشرعية الحاكمة للعمل بها مجرد تعليل ، يخرج عن أن يكون عملاً بالمصلحة أي الأخذ بالهوى والتشهي في الاختيار ، وأي مصلحة عمل بها في أن يسلم مسلماً جاهد في نصرة الحق ودعوة الإصلاح إلى من عرف بالسوء في قوله وفعله وهو محمد علي باشا عامله الله تعالى بعدله .

(٢) الأصل : بأربع .

(٣) الأصل : هذى ، والصواب من ص .

(٤) ساقطة من الأصل والزيادة من ص .

سلامتك وشهامتك ، منبئة^(١) عن طلب جزيرة « فرسان »^(٢) وعن حال
[ص ٨٦] « رجال ألمع » / وأهل « الدرب » ، ومن قدمناه على [٢٧/ب] « بني شعبة »^(٣)
والفحص عن « مسلية » و « السلامة » و « أم الخشب »^(٤) ، وأن المذكورات
كانوا بأجمعهم لأمر منقادين ، وأحلت معرفة ذلك جميعه على
الحاضرين والبادين ، فليكن في علمك أنه قد بلغنا أن ظلمك في الرعية ،
تركها من الراحة عرية ، والظلم مرتعه وخيم ، وهو إن دام دمر كما أخبر
به النبي الكريم ، ونحن ما بلغنا من تلك الأراضي إلى تلك المبالغ ،
وطوعنا منهم العاصي بلا فرق بين الشيخ والبالغ ، إلا طلباً لرضاء الله -
سبحانه - باستراحة أهاليها من النصب والوصب ، وتسبيهاً لابتهاج ولي
نعمتنا الذي أفاض الله علينا بملاحته بفيوض الفتوح وصب^(٥) .

وقد استشعرنا من الواردين علينا أنك ما حملك على ما حمل ،
وأركبك الوعر بظلم من قلّ وجلّ ، إلا توارد « الوهابية »^(٦) على جهاتك ،
وطلبهم من الدنيا الدنية ما لم يكن مقدوراً لك ولا لمن بمواجهاتك ،
فعذرناك فيما سلف من الأمر ، وأدرجناه في سلك ضرب زيد لعمره ،
وبعد اليوم : إن استرعت رعيته بالرفق والشفقة ، وهم أهل بلدك الذين
قلوبهم على محبتك متفقة غير مفترقة ، وسمعنا من الصادر والوارد ،

(١) بياض في الأصل والزيادة من ص .

(٢) جزيرة تقع غرب مدينة جازان وتبعد عنها حوالي ٥٠ ميلاً بحرياً ، وهي أكبر جزر البحر الأحمر . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٢٥ .

(٣) قبيلة بني شعبة تسكن المنطقة الواقعة بين الشقيق وبيش ، كان لهم دور مشرف بزعامه
عرار بن شار في بداية الدعوة السلفية ، تنقسم إلى عدة بطون وحاضرتها مدينة الدرب
التي تبعد عن جازان حوالي ١٢٥ كم شمالاً .
انظر : العقيلي ، الأدب الشعبي ١٢/٢ - ٢٢ .

(٤) بلدة صغيرة تبعد حوالي ٥ كم شمال شرق بيش ، اتصلت حالياً بمدينة بيش .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٦٥ .

(٥) يقصد السلطان العثماني محمود الثاني (١٢٢٣ - ١٢٥٥ هـ) .
انظر : عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٣٠٥/١ .

(٦) إطلاق لقب الوهابية على الدعوة الإصلاحية لا يضيرها وقد اشتهرت بهذا اللقب ولكن
القصدها هنا الإساءة . ومواقف محمد علي باشا وجنوده ومناصريه من الدعوة
الإصلاحية معروفة بالعداء وهذه الرسالة دليل شاهد على ذلك .

أنهم قد استعذبوا منك ما أجنّ من الموارد ، نزجي لك عند حضرة ولي نعمتنا^(١) / في استرعائك على من أخبرت أنهم من سابق رعاياك ، وأنه [ص ٨٧] لم يخرجهم من طاعتك إلا من مانعك من الوهابية وعاياك ، فلعله لا يرد طائر رجانا مهيض الجناح ، وعساه أن يداوي مريض الأمل بمرهم النجاح ، فإن مولانا السلطان - نصره^(٢) الله تعالى - هو مالك زمام حلنا وعقدنا ، ومرجعنا في كل الأمور إليه ولا نستطيع نحدث أمراً من عندنا ، فكن - رعاك الله - من الرعية الذين راعوا من استرعاهم^(٣) ، وما أراعوا بالمخالفة من رعوه ورعاهم ، وتطلب سلامة العقبي بدعاء الفقراء لك .

وإياك أن تهلك باقتحام الأخطار فيمن هلك ، فإن شمس (العدالة بها)^(٤) [١/٢٨] تنزاح ظلم الظلم وتتجابه ، واحذر دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب ، فلا يبلغنا عنك صدور ما يوغر الصدور ظاهراً وباطناً ، ويستثير ما كان في الأفئدة كامناً ، فالحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن ، والسيئة في نفسها سيئة ، وهي من أولاد الحسنين أسوأ وأخشن ، والمأمول هو الله - سبحانه - أن يجعل هذه النصيحة لك كافية ، فإن العصا تقرر الحليم ، والحكيم من شاهد الأمور قبل وقوعها كما هيه ، هذا وقد وصلنا كتابك الرابع / متضمناً لإرسال هديتك ذات الحسن الرائع ، التي لها من الحسن والجودة غرر وحجول ، فقد حلت عندنا محلاً ، بالقبول محلّ^(٤) ، فما أظرفها من هدية جميلة ، مقدمة عندنا على كافة الهدايا الجزيلة .

وما أحسن الشيء النفس إذا أتى إلى أهله من أهله في محله^(٥)

(١) ولي النعم هو الله سبحانه وتعالى ، وغيره مهما عظم شأنه بشر وعبيد له وليسوا أولياء نعمة .

(٢) في الأصل : نصر .

(٣) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٤) الأصل : محلاً .

(٥) البيت من الطويل .

ومهما حدث من تلك الحوادث التي يجب رفعها إلينا ، فليكن بالمبادرة منك عرضها علينا ، كما هو المعهود من شيمتك الجميلة البهية ، وفقك الله لكل محمودة سنية بمنه وكرمه ، وذكرنا لك حفظك الله تعالى أنا لا نسمع فيك كلام الحساد ، الذين^(١) يسعون بالفساد ، فنحن ما أصغينا سمعاً ، ونكره ذلك طبعاً ، غير أن أخبار ما أنتم به من الجهات ، مفصلاً عندنا قبل ذلك بست سنوات ، ولو كشف الغطاء ما ازدادت على علمي يقيناً^(٢) ، والسلام^(٣) .

انتهى المكتوب بحروفه ، وهو في أعلى درجات البلاغة ، وفيه من رياسات الألفاظ وتخيرات كلمات الأنفة والسمو ما لا مزيد عليه ، وهذه صناعة فحول الملوك على يد كبراء البلغاء من العلماء ، وقد بلغني أنه تولى^(٤) ذلك رجل من علماء « المدينة المنورة » كان عول عليه محمد علي باشا في الجواب ، وقد نمي إلي أنه تولى^(٥) الجواب على هذا المرقوم / [ص ٨٩] من لا يحسن الدخول في هذا الباب ، ولأمر ما حافظ الملوك على مناصب كُتّاب الإنشاء [٢٨/ب] كالصاحب^(٦) ، والصابي^(٧) ، والقاضي

(١) الأصل : الذي ، والصواب من ص و ع .

(٢) النصيحة في جملتها فيها حق ، لكن الكلام يصدقه أو يكذبه العمل ، وما عرف عن كاتب هذه النصيحة - والله المطلع على السرائر - لا يتفق مع قوله هذا ، فهو ينهى عن الظلم وهو ممن ارتكب المظالم العظام ، ويحث على العدل وهو له مجانب ، نسأل الله العفو والعافية .

(٣) توضح هذه الرسالة الطريقة الجافة التي تعامل بها محمد علي باشا مع الشريف حمود ، وقد وصفه في رسالة إلى السلطان بأنه ضعيف ومتملق .

انظر : الوثيقة رقم ١٩٥٩٢ (خط همايون) وتاريخ ١٢٣٢ هـ من محمد علي إلى الباب العالي ، إرشيف رئاسة الوزراء العثماني ، إستانبول .

(٤) الأصل : تولا .

(٥) إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني ، كان وزيراً في بلاط مؤيد الدولة بن بويه ، عرف بكونه أديباً أكثر من كونه وزيراً (ت/٣٨٥ هـ) .

انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٢٧٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٠٦ ؛ الثعالبي ، يتيمة الدهر ٣/٣١ .

(٦) إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابي ، أديب مشهور خلال حكم بني بويه في العراق (ت/٢٨٤ هـ) .

انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٧٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٤ ؛ الثعالبي يتيمة الدهر ٢/٢٣ .

الفاضل^(١) وغيرهم ، ممّا تضمنت ذكرهم كتب التاريخ . ممن يكون ترشيحه في دست الكتابة نصف المملكة أو ثلثها ، ولا يحسن بملك يطبق ملكه قطر من أقطار الإسلام ، ولا يجد إذا نابّه ما يدعو إلى الكتابة غير الأقدام^(٢) .

والإنشاء لا يتمكن منه إلا من حقق في العلوم العربيّة ، وتضلع من علوم البلاغة كالمعاني ، والبيان ، والبديع . وقد ذكر ابن الأثير^(٣) في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »^(٤) الشروط التي لا يتهيأ الإنشاء إلا بها ، وأمّا انتحال رسائل من تقدم المبنية على أسبابها ، وجعلها في القضايا المتجددة فليس ذلك من الإنشاء في شيء .

وما كلّ دارٍ أقفرت دار عِزّةٍ ولا كلّ بيضاءٍ التراب زينب^(٥)
نعم : وبعد أن انطوت أيام طامي قام في مقامه محمد بن أحمد
الرفيدي ، واجتمع على طاعته أهل السراة رغبة ورهبة : لأنه كان لابساً
رداء الجبروت ، سفاكاً للدماء من غير مراقبة للحي الذي لا يموت^(٦) .
أصم لا يسمع الشكوى وأبكم لا
يدري المقال وعن حال المشوق عمي^(٧)

(١) محيي الدين بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي ، شاعر وأديب مشهور ، عمل وزيراً لصالح الدين الأيوبي (ت/٥٩٦هـ) .

انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٣٢٣ : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ١/١٥٦ .
(٢) القدم : ثقل الفهم عبي الحجة ، تجمع على فِدَام .
انظر : المعجم الوسيط ٢/٦٨٤ .

(٣) نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني ، من العلماء الكتاب ، ولي الوزارة للملك الأفضل

ابن صلاح الدين في دمشق (ت/٦٢٧هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٨/٣٥٤ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥/٢٥ .

(٤) مطبوع .

(٥) البيت من الطويل .

(٦) هذا الكلام فيه جرأة عجيبة ، لأن فيه تدخلاً بالنوايا التي لا يعلمها إلا الله تعالى ،
والمؤلف - عفا الله عنا وعنه - هذا شأنه متى جاء الحديث عن أحد من أنصار الدعوة
انبرى لوصفه بأسوأ الأوصاف ، متجاهلاً ما اقترفه آخرون عدّ أفعالهم في القتل
والتشريد بطولة ورجولة .

(٧) البيت من البسيط .

[ص ٩٠] / ولم يزل مضمراً للشر حتى دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين بعد الألف فجمع الجنود ، وعقد البنود ، لأجل قتال الشريف حمود ، وذلك لما تمكن في قلبه من الضغينة بإطلاق قريبه طامي على الأتراك ، وبما قد سبق من العداوة التي سفكت فيها دماء كادت أن تبلغ معقد الشراك ، ويرى أن خروج « صبيا » ومخلافها^(١) من أيديهم فيه عليهم عار ، فلما بلغ الشريف ما يريده من إضرام تلك النار اهتم بجمع الأجناد (وكان بمدينة)^(٢) أبي عريش ، واجتمعت لديه المقاتلة من قبائل البلاد ، وخرج في لقائهم وقد نشر الرايات ، ودعا داعي النصر بالثارات .

[٢٩/١] / في فيلقٍ من حديدٍ لو قذفت به صرفَ الزمان لما دارت دوائره^(٣)

وكان اللقاء قريباً من قرية « الدرب » يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب ، وفي ذلك الموضع وقع تخالف الطعن والضرب ، فصف الشريف الأجناد أحسن صفوف ، وجعل على كل طائفة رئيساً له في الشجاعة يوم معروف ، وتقدم الشريف في غرة العساكر ، بعد أن تسريل الحديد ، وتقلد الهندي الباتر ، وكان ابنه الشريف أحمد [في] ذلك اليوم مقدماً في طائفة من أهل الخيل ، فأصدق الإقدام ، على أولئك الأقوام ، وفعل أفعالاً عنترية ، وأبان عن شجاعة علوية ، دل أن هذا الشبل فرع ذلك الليث :

[ص ٩١] / وخاض بالسيف بحر الموت خلفهم وكان منه إلى الكعبين زاخره
فكم دم رويت منه أسننته ومهجة ولغت فيها بواتره^(٣)

(١) الأصل : ومخلافه .

(٢) في الأصل كتب المؤلف : ووصل إلى أبو عريش ، ثم كتب فوقها في الهامش : وكان بمدينة أبو عريش ، وفي ص و ع حذف الناسخ عبارة : ووصل إلى ، وأثبت : وكان بمدينة . وقد قمتُ بتثبيت عبارة « وكان بمدينة » لأنها تتفق مع السياق أكثر من عبارة ووصل إلى أبو عريش .

(٣) الأبيات من البسيط ، وهي للمتبهي ، انظر : الديوان ١٢١/٢ .

والتحتم القتال بين الفريقين ، وتصادقوا الطعان . وأرسلوا من
البنادق ما يصك الآذان ، واختلط الأبطال السيوف ، وكان للشمس من
عثير الخميس^(١) كسوف ، وانطحنت هناك جماجم ، واشتد على تلك
الظهور المدبرة طعن الردينيات وضرب الصوارم . ووئى الجند الشرقي^(٢)
الأدبار ، بعد أن انهلت من دمائهم على الأرض أمطار ، وبلغت القتلى إلى
عدد كثير تطيش له الأذهان ، وصارت لحومهم طعاماً للوحوش في فلات
البلدان ، وانصرف الشريف إلى مخيمه تخفق على رأسه الرايات ، ولسان
السعادة ينشد بعد هذه المتفقات :

وقد ظُلَّتْ عقبانُ راياته ضحَى بعقبان طيرٍ في الدماء نواهلٍ
أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقايل^(٣)
وقتل في ذلك اليوم الشريف الأمجد محمد بن منصور بن
محمد^(٤) ، وقد كان في الإقدام [٢٩/ب] من^(٥) الضراغم ، وممن
يلقى الكتيبة بوجه وضاح وثغر باسم ، وقتل ذلك اليوم السيد الماجد
إدريس بن إبراهيم الحازمي^(٦) - رحمه الله تعالى - ((وكان من الرجال

(١) الخميس : الجيش الجرّار . سُمِّيَ بذلك لأنه خسر فرق : المقدمة والقلب ، والميمنة .
والميسرة ، والساق .

انظر : المعجم الوسيط ٢٥٥/١ .

(٢) استعمل المؤلف لفظ : الجند الشرقي للدلالة على جيش عسير ، ولعله استخدم ذلك إماماً
لأن « عسير » تقع شرق المخلاف السليماني ، أو بسبب التعاون القائم بين عسير ونجد
حيث تقع نجد أيضاً شمال شرق المخلاف ، وكلمة « الشروق » تطلق محلياً على سكان
منطقة نجد .

(٣) الأبيات من الطويل ، وهي لأبي تمام ، انظر : الديوان ، ٢٤٨ .

(٤) ابن أخ الشريف حمود ، لم أعثر له على ترجمة .

(٥) مكررة في الأصل .

(٦) من رجال الشريف حمود وقواده ، تولى إمارة صبيا بعد استعادتها من طامي بن شعيب
مما كان سبباً في مغاضبة الأمير منصور بن ناصر للشريف حمود ؛ لأنه كان أميرها من
قبل .

انظر : عاكش ، تكملة نفح المود ، ٣٠٥ .

[ص ٩٢] الأفاضل / وله في فعل الخير مقاصد حسنة ، مع محافظة على أنواع العبادات ، واتصافه بكمال المروءة ومحاسن الأخلاق ، رحمه الله)) وغيرهما من سائر الأجناد ، ونادى منادي القدر على أولئك بعد انقضاء القتال ، « يوم بيوم » بيش » ، والحرب سجال « (١) .

ورجع بعد ذلك الشريف حمود إلى المدينة العريشية تزهو به ممالكه زهو الغيد بالحلل ، منشداً لسان حاله : « أعلى الممالك ما بينى على الأسل » (٢) ، ودخل المدينة العريشية ، بأبهة ملوكية وشارة حسنية ، يحف به من جميع جوانبه الأبطال ، المعدودون ليوم النزال ، وعليه لوائح الجلالة تلوح ، وطيور الإقبال تغدو عن ميامنه وتروح ، [٢٠/أ] ((ومِمَّا قاله الأديب البليغ بندر بن شبيب (٣) ممتدحاً للشريف ، ومنوهاً بقدره المنيف)) (٤) :

هو المجدُ فاختره وإن يكن الصبر	فصبرٌ فكم صبر تجرعه الحر
وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له	فيوم يُرى حلُّو ويسوم يُرى مرُّ
وما عن طلاب المجد للحرِّ مذهبٌ	ولا عن سهام الموت للمتقي ستر
ولا لذوي المجد المؤئل تالداً	إذا قصرُوا عن مجد أسلافهم عذر

(١) إشارة إلى قول أبي سفيان بن حرب بعد معركة أحد حينما صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر .

انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ٤٥/٣ .

(٢) شطر بيت للمتنبى من مطلع قصيدته في سيف الدولة عندما سار إلى الموصل لنصرة أخيه ، وهي :

أعلى الممالك ما بينى على الأسل والطعن عند محبيه كالقفل
انظر : الديوان ٣٤/٣ .

(٣) بندر بن شبيب العامري العراقي ، شاعر بليغ وأديب حافظ لأشعار الجاهلية والإسلام ، وفد من العراق إلى الشريف حمود ، واستقر في الحنية ، وقرر له الشريف ما يقوم بكفايته ، وبعد وفاة الشريف حمود عام ١٢٣٣ هـ ارتحل عن البلاد اليمنية .

انظر : زبارة ، نيل الوطر ٣٠٩/١ : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٦٣) .

(٤) القصيدة من الطويل .

وإن عاش ما عاش الفتى في مذلة
فإن شيد المجد الصوارم والقنا
أرى الموت خيراً للعزيز من البقا
شموس المعالي مهرها الموت في الوغى
/ وحاذر ظبيات الخدور ولحظها
هي اللحظ لا تأمن مخايل سحرها
فإن بإرسال اللحاظ رسائل
ظباء أضممتها الخدور ولا ترى
فمالي وألحاظ الظبا وهي إن رنت
حذاراً حذاراً لا يفرك أن ترى
فكم سلبت أُلحاضها من متوج
وكم من صليب العود في معقل الحجى
سوى أن^(١) ترى فجراً إذا النحر أسفرت
وأضحى طريقاً بين معترك الهوى
وأغصان كُثبان تموج فروعها
وأكفائها نهد وفحم قرونها
/ وحاجبها قوس وسهم جفونها
فضاجع رهيفات انظبا واهجر الضبا^(٢)
فجد على العليا وصفطها الردى
فتى جرد الأفكار عن كلل الهوى
وأورثه المجد المؤتل في العلا

فلا عيشه عيش ولا عمره عمر
تحكم لا نهى عليه ولا أمر
بدار هوان لا يعز ولا يثرو
وما دون حوض الموت قط لها مهر
فإن بألحاظ الظبا للعلا جزر [ص ٩٢]
إذا لم تك الأُلحاض سحراً فما البحر
يهش لها ويس ويصبو لها الخبر
ظباء الفلا قبلاً تضمهم الخدر
محاجرهما بيض وأحداقها سمر
لواحظ غزلان بأجفانها فتر
فأمسى من العليا أنامله صفر
سلج سويداً لبه الشعر وانحدر
وليلاً مع الفجر إذا انتشر اشعر
تنازعن في أسلابه الخضر وانصفر
كأمراس سُن قد يموج بها البحر
وأكبادهما ملس وأرياحها عطر
وأحداقها رام وأهدابها وتر [٣٠/ب]
وإن كان في حجر الضبا المركب الوعر
كجد حمود والمهند محمر
كما جرد الصمصام والنقع مغير
حجاء وجدواه وأيامه الغر

(١) ساقطة في الأصل وع والزيادة من ص ليستقيم الشطر الأول .

(٢) في الأصل و ص : الظباء ، والصواب ما ذكر ؛ لأن « الظباء » الأولى : جمع ظبي ، وهو الغزال العربي ، و « الضبا » في الثانية معناها : لصق واختبا واستحى ، ويقال : ضباً الصائد ، أي : استتر ليختل الصيد . انظر : المعجم الوسيط ٥٢٤/١ : ٥٨١/٢ .

[ص ٩٤] وحرب عوان مستطير ضرامها
 /تخال هويّ البيض في جوف نقعها
 وإن بان للسادات في المجد كوكب
 إذا شاهدته الحرب ألفت وسلّمت
 وإن صاح بالفرسان أصمت وأبكمت
 وإن أضرمت نار الحروب وأشرقت
 وقد نفرت منه الفوارس خيفة
 وترجع في يوم الطعان خيوله
 إذا شئت أن تخبر بشدة بأسه
 بيوم به الفرسان تهفو جناهم
 ببارق فيه البيض والنقع داجياً
 وسمر القنا في الدارعين صريرها
 هناك ترى علم اليقين بآسه
 وطار على الآفاق طائر نبلة
 / ومفخر عصر لو تقدم عصره [٢١/أ]
 وراحته في وابل السيف والندی
 ففي بطنها عذب المناهل مترع
 عجبت لأضداد بها قد جمعت
 سنين أمضت كسبعة يوسف
 / وأعظم أسباب الوفود لقاكم [ص ٩٥]
 فهذي عروس أقبلت في لآلئ^(١)
 فما قالها الكندي ولا قال مثلها

بها البيض حمر والأنامل تصفر
 كليل هوت في جوفه الأنجم الزهر
 له بان فيه الشمس والنجم والبدر
 وقد صار في أكوانها وهو السر
 تخال السما هُدّت وقد قُضي الأمر
 صوارمه أمست حرارتها قر
 كما نفرت خوف القساورة الحمر
 مسلمة الأكفال مكلومها الصدر
 فزره زمان الحرب حين يرى الكر
 لشد زحام الخيل قد عيّل الصبر
 فيشرق من إبراقها في الدجى فجر
 كصلصال رعد والدماء لها قطر
 على صفحات البيض خطّ لها سطر
 كما طار في أفق السما الطائر النسر
 لما كان للأعصار في ختمها فخر
 جوانبها حمر وأجوافها خضر
 وفي ظهرها من وابل المشرفي نهر
 فللمرتجي بحر وللمعتدي جمر
 وكان لها عصر وأنت لها عصر
 وإن كنت للحسنى وجودك مضطر
 من المدح لا نظم حكاها ولا نثر
 لبيد ولا الطائي^(٢) وليس بها نكر

(١) الأصل : لالي .

(٢) الأصل : الطاي والتصحيح من ع .

فَرَزْتُ إِلَيْكُمْ رَغْبَةً فِي عِلَاكُمْ وَلَا شَاقَهَا زَيْدٌ سَوَاكُمْ وَلَا عَمْرُو
فَخَذَهَا بِتَعْظِيمٍ وَعَظَّمَ بِقَدْرِهَا عَلَى قَدَرِ التَّعْظِيمِ يُشْتَهَرُ الشَّعْرُ

انتهت . وهي قصيدة فصيحة الألفاظ بديعة المعاني ، تدل على عراقية منشئها في البلاغة ، ورقة حاشيته^(١) ، وقد عارضها أديب العصر العلامة عبدالكريم بن حسين العتمي^(٢) - رحمه الله تعالى - بقصيدة بليغة طالعها :

قفوا وانظروا ما أحدث الصدُّ والهجرُ بِمَنْ قَدْ جَفَاهُ بَعْدَ بَعْدِهِمُ الصَّبْرُ^(٣)
وهي طويلة ، وفي بعض قصيدة بندر ما يُمكن المناقشة عليه ، ولكن غالبها الجودة ، وقد انتقد عليه بعض العلماء في مستهلها من حيث الإعراب بأن الصواب نصب الصبر خبراً ليكن . وهذا الانتقاد غير جيد لإمكان التأويل بإضمار هو الضمير المنفصل ، ويكون مبتدأ والصبر خبره ، والجملة خبر يكن .

وقد جرى في هذه القصيدة في غزلها على نوع من أنواع التجريد البديعي يسمى مخاطبة المرء نفسه ، وبيان التجريد في ذلك أن ينتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سبق لها الكلام ثُمَّ يخاطبه كقول أبي الطيب :

/ لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيَسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يَسْعِدِ الْحَالُ^(٤) [ص ٩٦]

[٣١/ب] أي الغنى ، كأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل والمال وخاطبه ، وعلى هذا النمط جرى هذا الشاعر في غزل هذه القصيدة ، فتأمل ، وقائلها هو رجلٌ وفد على الشريف حمود من نواحي

(١) في الأصل : حاشيتها .

(٢) فقيه وأديب يمني ، تولى عمالة زييد أيام المهدي عبدالله بن المتوكل ، وجرت عليه محنة بسبب ذلك ، فترك المناصب وعكف على التدريس في زييد حتى تارخ وفاته في عام

١٢٤٦ هـ .

انظر : زبارة ، نيل الوطر ٥٢/٢ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٢٦) ، عاكش ، حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ١٧٦ .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) البيت من البسيط .

العراق ، وأجزل عليه الإنعام ، وطوقه بأنواع الإكرام ، لا جرم أن صدح المطوق بغرائب الألحان ، وتضمن في المعاني « فاللها تفتح للها »^(١) في كل زمان ومكان ، وقد سمعت كثيراً من علماء العصر ينسب إلى هذا الرجل الرفض ، و « الرفض »^(٢) في الأصل كما قال في القاموس « فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرني جدي فتركوه وأرفضوا عنه »^(٣) ، والنسبة رافضي « انتهى »^(٤) .
وأما في الاصطلاح الحادث فهو عبارة عمن ينال من الصحابة ، وهؤلاء مبتدعة عند جميع علماء الإسلام ، فإن علماء أهل البيت مصرحون بابتداع من نال من عرض الصحابة وفسقه : بخلاف ما يتوهمه من لم يطلع على مؤلفاتهم .

والمراد بعلماء أهل البيت من شرع الشارع التمسك بهم^(٥) ، وهم المجتهدون منهم الذين لا يخلو الزمان عنهم إلى يوم يردون الحوض بنص الأحاديث المتواترة معنى ، وأما غيرهم من المقلدين فإنما أوجب الله تعالى محبتهم ونصحهم ، والدعاء بهداية الخارج عن طريق الاستقامة منهم ، [ص ٩٧] والشارع حكيم لا يشرع التمسك بالمقلدين في شيء من الدين ، وقد اتفق الأئمة الأطهار ، وجميع علماء الأمصار على أنه إنما يقلد مجتهد ، ونحن نورد لك حكم الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - عند آل قرياء الكتاب ،

(١) اللهاة : الحلق ، ومثله للها ، وبضم أوله : العطايا ، أي : العطايا تفتح الفم وتطلق الألسنة بالمدح . انظر : لسان العرب ، مادة : (لهو) .

(٢) الرفضة أو الروافض أحد الأسماء التي تطلق على الشيعة ، وهناك رأيان حول سبب هذه التسمية ، الأول أنه أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم يرفضون إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والثاني : أن ذلك كان بسبب رفض شيعة الكوفة لزيد بن علي حينما رفض أن يتبرأ من الشيخين : أبي بكر وعمر .

انظر : البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ١٢ - ٥٣ : الأشعري ، مقالات الإسلاميين : ابن تيمية ، منهاج السنة .

(٣) يلاحظ هنا : أن الكلام المنسوب إلى زيد بن علي ينتهي عند قوله « كانا وزيرني جدي » وقوله فتركوه وأرفضوا عنه ، وصف للتعلم وليس للشيخين ، والعبارة بسياقها هذا قد توهم ذلك .

(٤) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ٢/ ٣٢٢ .

(٥) أما أن الشارع شرع التمسك بأحد فهذا قول على الشرع بلا علم ، والشرع إنما ألزم بالتمسك بالكتاب والسنة ، والاجتهاد ليس وقفاً على من زعم المؤلف ممن سماهم علماء آل البيت فقط ، ولكنه موهبة ونعمة يؤتيها الله من يشاء من آل البيت وغيرهم والواقع شاهد ذلك ، والصالحون والعلماء والأتقياء من آل البيت له حق كغيرهم وزد على ذلك كونهم من آل بيت الرسول ﷺ .

وننقل لك ذلك من كتبهم المتداولة بينهم وبين شيعتهم ، فأقول : قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة^(١) - رحمه الله تعالى - في كتابه « الشافي »^(٢) وهو كتاب من وقف عليه [علم] علماً يقينياً أن الإمام :

علامة العلماء والنج الذي لا ينتهي ولكل بحر ساحل^(٣)

فقال في كلام كثير ما حاصله : « من نسب إلى أحد آبائنا سباً

الصحابة الذين تقدموا [١/٣٢] علياً فهو كاذب » .

وقال في جواب « المسائل التهامية »^(٤) بعد أن أثنى على الصحابة

السابقين وعدّ مزايهم ما لفظه : « وهذا مذهبنا لم نخرجه غلطة ولم

نكتم سواء تقية ، ومن هو دوننا مكاناً وقدرًا يسب ويلعن . ويذم ويطلعن ،

ونحن إلى الله - تعالى - من فعله براء . وهذا ما يقتضي به علم آبائنا إلى

علي رضي الله عنه » . إلى أن قال : « وفي هذه الجهة من يرى محض

الولاء سباً الصحابة - رضي الله عنهم - / فيبرأ من حيث لا يعلم وأنشد : [ص ٩٨]

إذا كنت لا أرمي وترمي كنانتي تصب جانحات النبل كشحي ومنكبي^(٥)

انتهى » .

(١) الإمام المنصور عبد الله بن حمزة ، تولى الإمامة عام ٥٨٣ هـ ، وهو من أشهر العلماء

الأئمة في اليمن ، فقيه وشاعر له أكثر من ستين مؤلفاً (ت/٦١٤ هـ) .

انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٥١ : الحبشي ، مصادر الفكر ، ٥٣٨ .

(٢) الشافي في الجواب على الرسالة الخارقة للفقير عبد الرحيم بن أبي القبائل ، وهي

تدور حول مسائل في الاعتقاد ، مخطوط توجد منه عدة نسخ بمكتبات صنعاء .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٤٣ .

(٣) البيت من الكامل ، وهو للمنتبي ، انظر : الديوان ، ١٧٩ .

(٤) اسم الكتاب : الرسالة الإمامية في الجواب على المسائل التهامية . أجاب فيها عن أسئلة

وردت من الفقيه محمد بن أسعد الصليحي ، توجد منها نسخة مخطوطة ضمن

مجموعة برقم ٣٨٢٨ في المتحف البريطاني .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٤١ .

(٥) البيت من الطويل .

وقد روى ما نقلناه من « المسائل التهامية » السيد العلامة محمد الطاهر بن الحسين بن عبدالرحمن الأهدل^(١) في كتابه الذي سماه « بغية الطالب في أنساب آل علي بن أبي طالب »^(٢) ، رواه عن المؤيد بالله يحيى بن حمزة^(٣) وعن المنصور بالله^(٤) وذكره العلامة العامري في كتابه « الرياض المستطابة »^(٥) . وقال المتوكل على الله أحمد بن سليمان^(٦) في كتابه الذي سماه « أصول الأحكام »^(٧) قال فيه في كتاب « الخمس » أو كما قال : « خبر وجاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه تطلب ميراثها من رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ، فروى لها حديث : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » فقالت : أنت وذاك »^(٨) .

- (١) عالم محدث وحافظ ، انتقل من المراوعة إلى زبيد وسكنها ، وإليه انتهت رئاسة الحديث بعد وفاة ابن الديبع (ت/٩٩٨ هـ) . انظر : الأكوخ ، هجر العلم ومعاقله ٢٠٠٦/٤ .
- (٢) لم أجد ما يشير إلى مكان وجود هذا الكتاب ، ولعله ما يسمى : أسانيد الأهدل ، مخطوط تحت رقم ٥٠ ق جامع الغريبة ٢٠ مجاميع . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٥ .
- (٣) أحد أئمة اليمن ومن أكابر علماء الزيدية ، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٧٤٨ هـ . وعارضه أكثر من إمام ، ولكن الناس لم يستجيبوا إلا له (ت/٧٩٤ هـ) . انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٧٦ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٣١/٢ .
- (٤) المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، تقدمت ترجمته .
- (٥) اسم الكتاب : الرياض المستطابة في معرفة من روي له في الصحيحين من الصحابة ، طبع بالهند سنة ١٢٢٠ هـ .
- (٦) دعا لنفسه بالإمامة في صعدة سنة ٥٢٢ هـ وبايعه الناس ، وفي عصره قوي نفوذ دولة بني حاتم ولم يستطع السيطرة على الأمور في اليمن الأسفل (ت/٥٦٦ هـ) . انظر : الحبشي ، مصادر تاريخ الفكر العربي ، ٥٢٤ : الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ١٧٩ .
- (٧) اسم الكتاب : أصول الأحكام في الحلال والحرام ، مخطوط تحت رقم ٢٥٤٩٨ في دار الكتب المصرية ورقم ٢١٩٢ بمكتبة الأمبروزيانا ، ونسخ أخرى عديدة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .
- (٨) رواه البخاري في فضائل الصحابة ، باب : مناقب قرابة رسول الله ﷺ ؛ وفي المغازي ، باب : حديث بني النضير ؛ وباب غزوة خيبر ؛ ومسلم في الجهاد ، وهو عند أبي داود والنسائي وأحمد في المسند .

ومن هذا يعلم عقلاً وشرعاً أن ما في الكتابين المنسوبين إلى المتوكل أحمد بن سليمان وهما : « الحكمة الدرية » (١) و « حقائق المعرفة » (٢) ، مدسوس من « القرامطة » نسبوه إليه لينفق رفضهم ، وحاشاه من ذلك .

وفي كتاب « البيان » (٣) وهو مدرس معتمد في فروع أهل البيت في كل مكان ، ما لفظه : « مسألة الإمام يحيى : ولا تصح الصلاة خلف من سب الصحابة - رضي الله عنهم - الذين تقدموا علياً رضي الله عنه » ، ولم ينقل خلافاً في ذلك ، مع التزامه نقل الخلاف بين أهل البيت ونقل خلاف / غيرهم إلا نادراً مع أن « الشافعية » وغيرهم ممن يرى ابتداء [ص ٩٩] من سب الصحابة ، وكل مبتدع لم تبلغ بدعته حد الكفر يجيزون الصلاة خلفه [٢٢/ب] خلافاً لأهل البيت كما ذكرنا .

وفي « البستان شرح البيان » (٤) وهو من معتمداتهم ما حاصله : « قوله : لا تصح الصلاة خلف من يسب الصحابة ، قال الإمام يحيى (٥) يعني في كتابه الذي يسمى « الانتصار » (٦) ، وهذا الكتاب وكتاب

-
- (١) اسم الكتاب : الحكمة الدرية والدلالة النبوية ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٠٢ (علم الكلام) : ونسخة أخرى في مكتبة الأمبروزيانا برقم ٨٢ .
- (٢) اسم الكتاب : حقائق المعرفة في معرفة النظر ووجوبه ، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٢ (علم الكلام) ، ونسخ أخرى : المكتبة التيمورية برقم ٦٨٧ .
- (٣) يوجد أكثر من كتاب بهذا الاسم ، ولعل المؤلف يقصد كتاب : البيان والثبات إلى كافة البنين والبنات ، للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير الغربية برقم ٧٢ تفسير .
- (٤) اسم الكتاب : البستان الجامع الناطق بحجج مسائل البيان ، لمحمد بن أحمد بن مظفر ، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ٣٦٩ فقه .
- انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٢٠٨ .
- (٥) المؤيد بالله يحيى بن حمزة ، تقدمت ترجمته .
- (٦) اسم الكتاب : الانتصار النجاص لمذاهب علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة في المباحث الفقهية والمضطربات الشرعية ، توجد منه أجزاء مخطوطة بالجامع الكبير بصنعاء تحت عدة أرقام .
- انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٦٥ .

« البحر الزخار »^(١) كتابان لم يؤلف مثلهما على مرور الأعصار ، إلا أنهما لا تكمل الفائدة بهما إلا بأحد تخريجي « البحر الزخار » ، ونظر العالم المنصف فيهما أعظم شاهد عند ذوي الاستبصار - قال الإمام يحيى بن حمزة : « لأن من يُفسق الصحابة فهو فاسق تأويل ؛ لأنه اعتقد ذلك لشبهة طرأت^(٢) عليه ، وهو تقدمهم على علي رضي الله عنه ، فلم تصح الصلاة خلف من يسبهم ؛ لأنه جرأة^(٣) على الله تعالى ، واعتداء عليهم ، مع القطع بتقديم إيمانهم واختصاصهم بالصحبة لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ، ومن أكثر الأئمة ، ومن أكثر علماء الأمة » إلى أن قال : « وقد روى أئمة الآل لا يؤمكم ذو جرأة^(٤) في دينه ، وأي جرأة^(٥) أعظم من اعتقاد فسق من له السبق » انتهى .

وقال الإمام المهدي أحمد بن يحيى^(٦) مؤلف « البحر الزخار » [ص ١٠٠] ومؤلفاته في علوم الاجتهاد في كل علم / هي المعتمدة عند علماء الآل في

= وقد أورد الأکوع اسم الكتاب هكذا : الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة في الأسرار الشرعية والمسائل الفقهية في المضطربات الشرعية ، وتقع في ثمانية عشر مجلداً وهو مأخوذ من كتاب الاستبصار للقاضي عبدالله بن زيد العشي .

انظر : هجر العلم ومعاقله في اليمن ٥٠٤/١ .

(١) اسم الكتاب : البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، من أشهر كتب الفقه عند الزيدية ، ومؤلفه المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى ، طبع في خمسة أجزاء بمصر سنة ١٢٦٨ هـ .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٨٦ ؛ الأکوع ، هجر العلم ومعاقله ٢٦١/١ .

(٢) الأصل : طرت .

(٣) الأصل : جرأة .

(٤) المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، دعا لنفسه في صنعاء بالإمامة عام ٧٩٢ هـ في الوقت نفسه الذي خرج فيه المنصور علي بن صلاح الدين في صعدة ، ودخل الطرفان في نزاع انتهى بتولي المنصور للإمامة وانسحاب أحمد بن يحيى من المسرح السياسي ، وتفرغ للتأليف حيث ألف أكثر من ٦٠ مؤلفاً (ت/٨٤٠ هـ) .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٨٣ ؛ الشوكاني ، البدر الطائع ١٢٢/١ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ١٩٦ .

جميع الأعصار ، فقال في « شرح القلائد » ^(١) وتبعه العلامة النجري ^(٢) في مختصر ذلك الشرح ^(٣) عند قول الإمام : وحُكِّمَ أبي بكر في « فدك » ^(٤) صحيح قال ما حاصله : « إنها جاءت فاطمة - رضي الله عنها - إلى أبي بكر - رضي الله عنه - تطلب ميراثها من رسول الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فروى لها حديث : « إنا معشر الأنبياء لا نورث » . فقنعت » انتهى .

ولمَّا أفضت الخلافة إلى علي - رضي الله عنه - لم ينقض ذلك الحكم ^(٥) ، ولا مانع له من نقضه إلا مجرد دعوى البعض مانعاً موهوماً . وقال الإمام المهدي أحمد بن يحيى في « شرح يواقيت السير » ^(٦) : « إن علياً - رضي الله عنه - دخل على أبي بكر حين مات فقال : رضي الله عنك ، والله لقد كنت بالناس رؤوفاً رحيماً » ^(٧) ، مؤكداً لشهادته بالتسم .

(١) اسم الكتاب : الدرر الفرائد في شرح كتاب القلائد في تصحيح العقائد ، وهو شرح لكتابه : القلائد ، توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٢٩٥٦ ، وعدة نسخ بالجامع الكبير بصنعاء منها برقم ١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ (علم الكلام) .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٨٨ : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٠٨ .

(٢) علي بن محمد النجري ، عالم وفقه محقق من تلاميذ الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت/ ٨٤٠ هـ) .

انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٣٢ : الشوكاني ، البدر الطالع ١٧١/٢ .
(٣) الكتاب الذي اختصره النجري هو : شرح الأزهار . وسمى كتابه : الأنوار وجملاء الأثمار المفتح لكماثم الأزهار .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١٩٦ .
(٤) فدك : بلدة تقع إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة ، وتبعد عنها حوالي ١٥٠ كم .

انظر : كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ١٥٢ .
(٥) ليس هنا حكم ينقض ، ولكنه إخبار عن الرسول - ﷺ - والكلام عن نقضه يعني تجاهل الحديث الوارد عن النبي ﷺ ، وحاشا لأمر المؤمنين علي رضي الله عنه ، أو غيره من أئمة الهدى أن ينقض ما به الحديث صح عن النبي ﷺ .

(٦) اسم الكتاب : يواقيت السير شرح كتاب الجواهر والدرر من سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الفرر ، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء برقم ١ (تاريخ) ، ونسخة بمكتبة الأمبروزيانا برقم ٢٥٩ G ، وأخرى بالمتحف البريطاني برقم ٢٧٧١ .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢١١ : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٥٩٤ .

(٧) لم أجده بأي لفظ من هذه الألفاظ في معظم كتب الحديث .

ولذا قال صاحب^(١) « البسامة الصغرى » :

وقف عن السبِّ أمّا كنت ذا حذر فَرَضُ عنهم كما رَضَى أبو حسن^(٢)

الآيات . ونكتفي بهذا القدر عن استيعاب ما صح عن الأئمة
الأعلام ، لأن المقصود إنّما هو الإشارة حيث استدعى ذلك ذكر هذا
الرجل ، ليعلم أن أهل البيت براء من أفعال هؤلاء الذين يدعون الانتساب
إلى مذهبهم ، وفي هذا القدر كفاية لمن له من ربه بعض هداية .

ولنعد إلى ما كنا بصدده : وهو أن الشريف حمود ألقى إلى السيد

[ص ١٠١] العلامة حسن بن خالد في البلاد / العريشية وجهاتها الزمام ، قائماً

مقامه في ذلك المقام ، ولم يزل منفذاً فيها الأحكام ، ومقررّاً أحوال
المملكة في النقض والإبرام ، ولما كان الناس أكثرهم عوام ، وفيهم غفلة
عن تعلم ما يجب من التكاليف الشرعيّة ؛ نصب لهذا الشأن الشريف
العلامة الحسن بن شبير بن مبارك بن محمد بن خيرات^(٣) ، وجعل له
رسائل مشتملة على معرفة التوحيد الذي هو حقيقة ما بعث الله - تعالى -
به الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - من أفراد الله بالعبودية ، وترك
الاعتقادات بالضر والنفع في سوى خالقهم ، ومعرفة معنى « لا إله إلا الله »
التي هي كلمة الإسلام ، ومعرفة ما يتعين على كل مكلف معرفته من
الصلاة والزكاة^(٤) ، وبيان ما يجوز وما لا يجوز في العبادات ، فقام المذكور

(١) مؤلف البسامة الصغرى هو : صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير ، واسم هذه القصيدة
الكامل : الجواهر المضيئة في سير الأئمة الأخيار ، وتتكون من ٢٤٠ بيتاً من الشعر .

انظر : صبحي ، الزيدية ، ٦٠٢ ؛ سيد ، مصادر تاريخ اليمن ، ١٩٢ .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) من فقهاء المخلاف السليماني ، أسندت إليه وظيفة « المحتسب » كما ذكر المؤلف
(ت/١٢٤٢هـ) .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٠) : زيارة ، نيل الوطر ١/٣٢٧ .

(٤) الأصل : الصلوة والزكاة .

بهذا الأمر المهم ، وكان في صحبته جماعة من أهل المعرفة يعلمون
الجاهل ، ويرشدون السائل ، ويوقظون الغافل ، فمشى الشريف الحسن
على جميع ممالك الشريف ونشر فيها لواء^(١) الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، وعمرت في القرى المساجد ، وحافظ الناس على الجمعة
والجماعات / في كل مكان من هذه الجهات ، وأنس الناس بمعرفة معالم [ص ١٠٢]
الدين ، وظهرت من شعائر الإسلام العلامات ، وأقيمت الحدود ، وأزيلت
الأعراف المخالفة للشرعية المحمدية ، وكان التذكير لعامة الناس في كل
أسبوع ، والتعليم [٢٣/ب] في كل مسجد ، وناهيك أن تلك الأيام في جبهة
الدهر غرر وحجول ، وصار بها ريع الإسلام مأهولاً أي مأهول ، وقد
استفادوا بها - إن شاء^(٢) الله تعالى - الأجر ، والأحدوثة الحسنة على
مهر الدهر :

فكن حديثاً حسناً لمن روى وإنما المرء حديث سائر^(٣)
وفي سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين والألف ((فيها بلغ الشريف أن
محمد بن أحمد العسيري في حركة ، فجمع الجموع ، ومشى إلى وادي
« بيش » ، وأقام مقدار شهرين ، والعسيري لما بلغه حركة الشريف استعمل
السكون ، وأخلف الظنون ، فرجع الشريف إلى « أبي عريش » ، ومن أثناء
الطريق غزا البدو من « آل عبس »^(٤) وأخذ من أموالهم ما لا يحصى

(١) الأصل : لواء ، والصواب من ع .

(٢) الأصل : انشا .

(٣) البيت من الرجز ، وهو لابن دريد في مقصودته ، انظر : ديوانه ، ١٢٢ حيث ورد هكذا :
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

(٤) قبيلة عبس من قبائل المخلاف السليمانى القوية ، تمتد بلادها من قرية الشقيري جنوباً
إلى شمال قرية الحقو ، ويحدهم جنوباً سفيان ، وغرباً قبائل ضمد والحسيني وبيش ،
وشرقاً بني الغازي وهروب ، وقاعدة بلادهم ضمد .

انظر : العقيلي ، الأدب الشعبي في الجنوب ٥٥/٢ : الجاسر ، معجم قبائل المملكة
العربية السعودية ٤٤٥/٢ .

عدده ، « وتفرقوا أيدي سبأ »^(١) وأمعنوا في الجبال هرباً ، وبعد ذلك رجع الشريف إلى المدينة العريشية يخفق على رأسه لواء النصر ، متوجاً بالسعادة في النهي والأمر^(٢) ، وأقام فيها مقدار نصف شهر ، ومشى على الجبال . وكان أول خروجه على بلاد « الحرث » لتصليح تلك النواحي ، ولم يزل يرمم الأمور ، ويدبرها على حسب ما / ساعده المقدور نحو أربعة أشهر ، وانتهى نزوله منها إلى جبل « مختارة » من بلاد « الشرف » ، والسيد حسن بن خالد أقام في تصليح « قلعة الحسينية »^(٣) لأجل صلاح « آل عبس » ، وبعد دخولهم في الطاعة ، وانتظامهم في سلك الجماعة ، لحق بالشريف حمود وهو مستقر « بجبل الخميس »^(٤) ، وأقام معه حتى نزل الشريف حمود إلى « مختارة » كما ذكرنا ، بعد حروب في تلك الجبال ، يشيب منها القذال ، واستولى^(٥) الشريف على جبل « كحلان »^(٦) وقلعته ، ودخلت أولئك الرعايا تحت وطأته .

وبعد وصول الشريف حمود وصحبته السيد الحسن إلى « جبل مختارة » كان في ذلك الوقت طلوع حسن باشا بالأترار إلى بلاد عسير ، واستولى عليها ، وبعد انفصاله عنها وقع الخلاف (وكان إذ ذاك رئيسهم

(١) ويروي أيادي سبأ ، وأصله أن سبأ بن يشجب لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد ، فقبل لكل جماعة : تفرقوا . والمراد بالأيدي : الأنفس . انظر : الزمخشري ، المستقصى ٨٨/٢ .

(٢) كيف يتأتى أن يمتدح الشريف حمود بهذا الفعل ، حيث غزا في طريق عودته أناساً مسلمين ، آمنين ففرقهم بعد اجتماع ، وسلبهم بعد استقرار . وأخذ مالهم المحترم ، ثم يرجع - كما يقول المؤلف - وعلى رأسه لواء النصر ؟ وليس العجيب ما فعله الشريف حمود ، لكن العجيب سياق المؤلف لهذه الأفعال سياق المعجب بها ، المراتح لمجرياتهما .

(٣) الحسينية : قرية من قرى قبائل الحسيني ، شرق جبل عكوة الشمالية جنوب طريق صبيا - هروب .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٤٨ .

(٤) مثني خميس ، قرية يمنية من ناحية حيران ، وحيران واد مشهور تبدأ مصباته من أسافل حجور في بلاد حجة ، وينتهي في البحر الأحمر بالقرب من ميدي .

انظر : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ١٦١٦/٢ : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٣٤ .

(٥) الأصل : استولا .

(٦) كحلان اسم يطلق على أكثر من موقع في اليمن ، وهناك كحلان تاج الدين : بلدة جبلية إلى الشمال الشرقي من « حجة » بمسافة ١٧ كم ، وتسمى أيضاً كحلان عفار . وهناك أيضاً

كحلان الشريف : حصن في بلاد حجور إلى الشمال من « حجة » بمسافة ٢٧ كم . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٤٤ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٠١ .

محمد بن أحمد الرفيدي ، فوقعت المفاوضة بينه وبين علي بن مجتل^(١) رأس « بني مفيد »^(٢) أنهم يستنجدون الشريف ؛ لأن كلاً من الرجلين صار في بيته ، ومعه جماعة من عشيرته وباقي عسير قائمون عليهم بالحرب صباحاً ومساءً ، وأصبحوا الرسل إلى الشريف هدية ؛ دروع وحصان ، فلهذا جهز الشريف السيد الحسن بن خالد إلى تلك الجهات ، فنفذ من عنده^(٣) ، وجمع السيد العلامة حسن بن خالد المقاتلة من القبائل ، ومن بهذه^(٤) الجهة من أهل الخيل وأمّ بهم ((تلقاء ذلك المقصود . وكان قد قدم قبله / القاضي حسن بن عطيف^(٥) في ثلثة من الجند . [ص ١٠٤] فاستقر في بلاد « رجال ألمع » من اليمن^(٦) ففاجأه الخبر بأن الشريف علي بن حيدر ، والشريف منصور بن ناصر ، والأمير جمعة^(٧) متوجهون

(١) علي بن مجتل بن مسفر بن عبدالرحمن . اختير بالإجماع أميراً لعسير بعد وفاة سعيد بن مسلط عام ١٢٤٢ هـ . يعد من أبرز أمراء عسير حيث تمكن من مد نفوذه في اليمن إلى ميناء المخا اليمني وجزيرة دهلك ، خفت في عهده حملات الأتراك على عسير (ت/١٢٤٩ هـ) .

انظر : الحفظي ، تاريخ عسير . ٨٧ : ابن مسفر ، أخبار عسير ٨٩ - ٩٤ .
(٢) بنو مفيد : أشهر وأكبر قبائل عسير وحاضرتها مدينة أبها ، وتنتشر معظم قرى هذه القبيلة على وادي أبها وروافده . يحدها من الشرق شهران . ومن الشمال علكم وبنو مالك . ومن الغرب رجال ألمع . ومن الجنوب قحطان وشهران وبنو شعبة . وتضم عدداً من البطون والأفخاذ .
انظر : النعمي ، تاريخ عسير . ٢٤ : شاكر . عسير . ٥٦ : العمري ، قبائل إقليم عسير ١٧٩/١ .

(٣) ناقصة في هامش الأصل والزيادة من ص و ع .

(٤) الأصل : هذه .

(٥) من الشخصيات التي جمعت بين العلم والقدرة العسكرية ، يصنفه عاكش أنه من أعوان الدولة الحمودية ، وكان يقدمه مخدمه في الأمور المهمات ، ويعتمد عليه فيما نابه في أغلب الحالات ، قتل عام ١٢٣٢ هـ أثناء قيامه بحملة عسكرية ضد قبائل الخميسين .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٤) .

(٦) يقصد المؤلف في الجهات الجنوبية من منطقة رجال ألمع ، وسبق أن أشرنا إلى استخدام كلمة الشام واليمن .

(٧) حاكم القنفذة من طرف محمد علي باشا .

انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة ٢/٢١٠ .

إليه في جيش جرار ، وبحر من الرجال زخار (وكانوا في أطراف بلاد (« رجال ألمع » من الشام)^(١) ، وكان السيد حسن) بموضع يسمى « الحمأة » - بمهملة وميم مشددة بعدها ألف وهاء تأنيث - وهو بين « الدرب » وجبال « رجال ألمع » ، فالتقى الجيشان في ذلك المكان (في شهر القعدة) واشتد بينهما الجلال ، واستقام الضرب بينهما على ساق ، ونهلت المثقفة السمر من الدم المهرق ، وكانت الدائرة على جند أهل الشام ، وخفقت من النصر للجند اليمني أعلام ، وذهب من الفريقين من وفد أجله ، وانقطع من الدنيا أملة ، وحمل السيد حسن رؤوس القتلى إلى « أبي عريش » .

وفي حمل الرؤوس من مكان إلى مكان بعيد خلاف شائع بين أهل العلم ، فبعضهم قرره ، وبعضهم أنكره ، والمجيز يجعله من باب الإرهاب ، وهو مقصد قد روعي في الشرع على سبيل الجملة من غير أن يشهد له أصل معين في الشرع ، ومثل هذا طريق المصالح المرسلة التي قلنا : إن هذا الرجل يلاحظها في بعض اجتهاداته ، وهو غير مدفوع عن رتبة الاجتهاد^(٢) ، وقد صرحت الأحاديث الصحيحة بأن « من اجتهد فأصاب [صره ١٠] فله أجران ، ومن اجتهد / فأخطأ فله أجر »^(٣) ، فردده بين أجر وأجرين ، وهذا مني من باب التأويل^(٤) ، وإلا فالأمور بمقاصدها ، ولكل عامل عمل

(١) غير واضحة في هامش الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) ذكر الفقهاء للاجتهاد سبع مراتب ، منها أربع يعدون أصحابها مجتهدين : والثلاث الباقية يعد أصحابها مقلدين وإن كان لهم فرع اجتهاد ، والمؤلف هنا أطلق وصف الاجتهاد دون تحديد على الحسن بن خالد ، ولا أعتقد أن الحسن بن خالد قد وصل إلى رتبة المجتهد المطلق .

ولمزيد من المعلومات عن الاجتهاد وشروطه ومراتبه انظر : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ١٠٠/٢ - ١٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ؛ ومسلم في الأفضية (١٧١٦) ١٣٤٢/٣ .

(٤) أما حمل رؤوس القتلى فليس من شرع الله تعالى في شيء ، ولم يفعل ذلك الرسول ﷺ بالكفار فكيف بالمسلمين ؟ وتعليل ذلك بالإرهاب وبالمصالح المرسلة قول بلا بينة ، وحمله على الاجتهاد المشروع حمل للفعل على غير محمله ، وإلا فليدع كل فاعل فعلاً مشيئاً أنه مجتهد ويكون باب الاجتهاد لكل عقل مهما قبح شرعاً ، وحاشا أن يكون الاجتهاد مطية يركبها من لا يحسن سياستها .

نيتته ، وقد صح : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » (١) والتأويل بحسب ما يظهر [١/٣٤] لكل مسلم واجب ، فضلاً عن العلماء المجتهدين (٢) .

وقد أنكر عليه بعض العلماء ذلك مسنداً بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - لم ينقل عنهم أنهم حملوا الرؤوس من مكان إلى مكان ، وأن أول من حمل الرؤوس معاوية بن أبي سفيان (٣) ، ولعل ملحظ السيد العلامة حسن بن خالد - رحمه الله تعالى - ما ذكرناه ، والله - سبحانه - هو المتولي لعلم بواطن الأنام ، وعنده يجتمع الخلق يوم القيامة .

نعم : وبعد انقضاء هذه الملحمة طمع السيد العلامة الحسن في استملاك بلاد السراة (٤) ، وإدخالها في مملكة الشريف حمود ، فاتصل به رؤساء من أهل تلك الجهات ، وفاوضهم فيما يريد ، فرغبوه في الوصول إليها ، فأرسل بين يديه القاضي حسن بن عطيف الحكمي ، ولما تغلغل في تلك البلاد ، وتوسط في الأنجاد ، لم يبذلوا له النصيح كما يراد ، ولم يتمكن من الرجوع إلى من أرسله ، فلم يزل السيد حسن بن خالد يبذل الرغبات لكبار عسير ، ويتوصل إليهم بالدرهم التي يتسهل بها بين بني الدنيا كل أمر (٥) عسير / فلحق إلى تلك الأماكن ، واستقر بين أهلها بعد [١٠٦] المواطأة بينه وبين أميرهم محمد بن أحمد ، واجتمع في الظاهر أمرهم على ذلك المقصد ، ولكن لما كانت قلوبهم تتوقد مما قد سلف من تلك الوقائع ، وينظرون من ذهب من إخوانهم في هاتيك المصارع ، ولله القائل :
لاتأمننَّ امرأً أسكنت مهجته غيظاً (٦) وتحسب أن الجرح يندمل (٧)

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي (١) وفي الإيمان (٥٤) : ومسلم في الإمارة .
(٢) من الواضح التماس المؤلف المعاذير حتى للأفعال التي يظهر فيها المنكر من الفعل ، في حين أنه يتجاهل ويتجاهل هذا المبدأ حينما يكون الفعل المشابه لما بعده اجتهداً وإعمالاً للمصلحة إذا كان مصدره ممن لا يميل إليه المؤلف معتقداً أو مكاناً .
(٣) الأصل : سفين ، والتعديل من ص و ع ، وما ذكره المؤلف عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يحتاج إلى دليل ، وهو ممن لهم فضل الصحبة ، والخوض فيما وقع مما تجنب أهل السنة الخوض فيه وتعبدوا الله بالإمساك عما حدث بين الصحابة وعدم الخوض فيه مع حفظ حق كل منهم حسب مكانته .

(٤) يقصد المؤلف بلاد عسير .

(٥) الأصل : أمير ، والصواب من ع .

(٦) الأصل : غيظاً .

(٧) البيت من البسيط .

فأبدوا له ظواهر من الولاء صحيحة ، وفي اليواطن قلوبهم جريحة ،
« ورموه بثالثة الأثافي »^(١) ، ولم يقع له منهم حبيب مصاف^(٢) . ولزموا
عليه أطراف السراة حتى لم يتمكن من الخروج ، وسدّوها برجال وقالوا
ما لطرقها من خروج^(٣) ، فلم يزل يبعث الرسائل إلى الشريف حمود ،
ويستجده لإنقاذه من لهوات هؤلاء الأسود ، والشريف مهتم بهذا الشأن ،
مع أنه يرى أن تلك الجهات أهلها غير ناصحين ، وليس [٢٤/ب] في تلك
البلاد مصلحة عائدة على المملكة .

ولم يزل يطلب العساكر ، ويبذل لهذا الأمر الذخائر ؛ لأن مع وقوع
السيد الحسن في هذا الحادث ، لم يسعه غير تجلية هذا الخطب
الكارث ، والوفاء بالذمام ، طريقة أهل الإسلام ، لا سيما وهو إنما يسعى
في ما به يقع اتساع المملكة له ، فجمع جيوشاً يعسر لها التعداد ، وهم من
المعدودين للجلاد ، وفيهم الأبطال الكماة ، والشجعان الكفاة ، والشريف
[ص ١٠٧] لث تلك العصابة / ومقدمها الذي لا يتم نصابها إلا به ، فخرج في أبهة
تملاً للنواظر ، يحف به من أهل الخيل كل هزبر كاشر .

وشزّب أحمّت الشعري شكائهما ووسمتها على آناها الحكم^(٤)
فلما وصل « الدرب » انحزل « يام »^(٥) لما علموا أن مقصده إنما هو

(١) رموه بثالثة الأثافي ، والأثافي هي الحجارة التي تنصب عليها القدر ، والمراد بثالثتها
قطعة الجبل التي يضم إليها الحجران الآخران ، وهي مثل لأكبر الشر وأفظعه .
انظر : الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ١٠٢/٢ .

(٢) الأصل : مصافي .

(٣) لمزيد من المعلومات انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٧٦ .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لأبي الطيب المتبي ، انظر : الديوان ، ١٩/٤ .

(٥) قبيلة مشهورة تقطن في منطقة نجران ، ذكرها الهمداني ، وهي تنقسم إلى ثلاثة بطون ،
بطن آل فاطمة وبطن آل أم واجد ، وبطن أدشم (أجشم) ، وهي تنتشر على ضفاف
وادي نجران وحيونا ، ومركزهم بلدة بدر .

انظر : حمزة ، في بلاد عسير ، ١٦٧ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٧٧٤/٢ : الجاسر ،
معجم قبائل المملكة ٧٩٥/٢ : النعمي ، عسير في مذكرات سليمان الكمال ، ٢٥١ .

السراة ، مع علمهم أن السلامة لسالك تلك الأماكن غير مظنونة ، ولم يبق معه غير عقّالهم ، وثلة من صناديدهم ، رأوا أن الرجوع عن الشريف عار ، وأن طريقة الوفاء أن يسعد فيما يريده في الإيراد والإصدار . مع أنهم غير راضين لذلك الصنيع ، ويرون أنه مخالف للصواب ، وكل منهم يود دفعه لو يستطيع ، ولكن صمم الشريف على ذلك المرام ، ورأى أن استخلاص السيد حسن بن خالد بغير ذلك لا يتم ، وأنه من الوفاء بالذمام ، فلما وصل إلى السراة وَهَتَّ من أهلها قوى الشقاق ، ورأوا أن مقابلة الشريف بالشر لا تطلق .

وفي سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف وصله قبائل السراة ، وأظهروا الانتظام في سلك طاعته مع أن قلوبهم مريضة . ويعتقدون أن مباينته مع القدرة على ذلك فريضة^(١) ، ومِمَّا قاله في هذه المدة الأديب بندر بن شبيب هذه القصيدة مادحاً بها الشريف حمود^(٢) :

تردت جديلاً حالك اللون مرسلا	وقامت فهزت سَمْهرياً معدلا
/ تبتدت فلما آنستنا تقنّعت	وسلّت من الأجفان سهماً منبلا [ص ١٠٨]
(٢) فما حجبت أحداقها تبتغي التقى	ولكن بقي سهماً لترصد مقتلا
من اللاء لَمْ يُرَخِّنْ خُموراً حجبته ^(٤)	خداعاً ويرخين الخمار المهلا
ليترك ذا المجد الممنع في العلا	رقيقاً ويخلفن العليم المبعلا
تنورت ليلاً في نهار بجفنها	وناراً على الخدين توري وجدولا
حواجبها حجّابها وعيونها	عيونٌ بقي ورد الخدود المعثلا
وشعشع من خلف البراقع كوكب	بدا في جلايب الجدیل مسريلا

(١) لمزيد من المعلومات انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٦٠ : ابن مسفر ، أخبار عسير ، ٧٧ .

(٢) القصيدة من الطويل .

(٣) انظر : نهاية القوس في ص (١٧٠) .

(٤) يستقيم الوزن لو قيل : من اللاء لَمْ يُرَخِّنْ خُمراً حجبته .

تمزق أثواب الدجى عن جبينه
وتبسم عن درّ نضيد تشربت
فما استطعتُ عن ترشيفه من تصبر
فحالت من الأصداغ بيني وبينه
فلاحظتها حتى تنشب بي الهوى
فما زالت الألحاظ تحمل بيننا
رعى الله أياماً تقضت وأربعاً
لطيف الحشا نهد الروادف أجيداً
إذا نضّ عنه الدرع في حرز لهوة
وإن كان في الأدنان خمراً محرماً
وكم ليلة بتنا ثملاً من الهوى
[ص ١٠٩] / فقمنا ولا نخشى على السر واشياً
إذا رمت عنها فرقة سلّ صارم
وإن خطرت أيام لهوٍ بعهداها^(٢)
وليس لمخلوق يسهل ما يشا
فعذراً أخا المعروف من موقف القضا
ولو عُرِضت زرقُ الأسنةِ دونه
ولم يثنه عن حزنه لوم لائم
أغر من الفتیان من آل عامر

سناء وهل تُخفي الغياهب مشعلا
ثناياه من ريق الكواعب أعسلا
فما صبر صاّد أن تنور منها
عقاربُ تحمي ثغره أن يقبلا
وأرخت على الخدين دمعاً مسلسلا
رسائل يسلمن الفؤاد المغفلا
عهدت بها من «ريم وجرة» مسجلا
نسيب^(١) اللما ريّ المخلخل أكحلا
تسربل مظفورا وبعضاً محللا
ففي فيه من خمر الجنان محللا
وخمر اللّمي ما بيننا مترسلا
ولكن وشانا الدمع حين تهللا
من الشوق لا يعدو لدى الضرب مفصلا
غدا كلما أبرمت أمراً تفللا
بلى إن يشاء الله^(٣) أمراً تسهلا
فلو كان مطلوقاً لهباً وأعجلا
لما رام عن وطءِ الأسنة معدلا
ولو ذات طفل تسكب الدمع محولا
كأن محياه الصديق المعللا

(١) في ص : سبب ، وقمت بتصحيحها ليستقيم المعنى .

(٢) في ص بعدها ، والتعديل من ع .

(٣) لو قال الشاعر : بلى لو يشاء الله ، لكان أصوب .

إذا ما بكى رنت فكان بكاهما
ولكنه يضحى ويُمسي مولعاً
يحن إلى رؤيا ابن خيرات كلما
حمودٌ دعا للحق يصدع بالهدى
فتى خلقت من تربة الجود ذاته
يُحلُّ بأيام النزال صواعقاً
بنى معقل الإيمان من محكم الهدى
/ يرى الموت بأطراف القنا خير مطعم
أكرَّ وأجرى من أسود جريئة^(١)
حريص على أن لا يرى الناس سبة
وينقاد للحق انقياد ابن ماجد
وقائلة مات الندى بعد أحمد^(٢)
ولكن أحياني حمود بجوده
والبسني أثواب فخرٍ بسببه
فقلت أحرَّ أنت أم تحت رقبته
فقلت بلى رِقٌّ وآدم في الثرى
وهل ترك المعروف منهم على الورى
ألستم بني الزهراء^(٥) أندى وأعلما

تظل له صم الجنادل تهملاً
تحمل من ثقل الهوى ما تحملاً
تسمع شاكٍ أو تسمع معولاً
فلباد واجتث الهوى المضللاً
عليه وأماً ما لديه فمسبلاً
وفي السلم يندي الوابل المتحفلاً
ومجداً على الخطي ربيعاً مؤثلاً
وأعذب مشروب فَعَلَ وأنهلاً [ص ١١٠]
وأعطى وأوفى من أبرٍّ وأنقلاً
عليه وأماً ما لديه فمسبلاً
ويقتاد للهيجا جياداً وجحفلاً
وحيدر^(٣) والسبطين^(٤) قال الندى بلى
حياة تبلغني المعاد المؤجلاً
مدى الدهر لا تبلى ولا تتبدلاً
وهل حادث في الرق أم كنت أولاً
لأشباحهم من يوم قال الملا : بلى
محزراً إلا صار عبداً مذلاً
وأفضل من لله لبى وهلاً^(٦)

(١) ص : جرية .

(٢) يقصد الرسول محمداً ﷺ .

(٣) يقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) يقصد الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم .

(٥) يقصد فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

(٦) أما أنهم أفضل من لله لبى وهلاً فهذا غير صحيح فإن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أفضل ، والمفاضلة إنما تكون بالتقوى والعمل الصالح عربياً كان أو أعجمياً ، ومفالة الشاعر في ذكر أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة على من تقدمه وكمال آل البيت على من سواهم وحصر التبليغ بهم دون سواهم معتقد خاطئ ، ولا مجال هنا لمناقشته .

وأولى بأمر الله من كل أمر وأصوب خلق الله حكماً وأعدلاً
ولو سُئِلَ التَّزِيلُ عَنْكُمْ وَعَنْهُمْ لَقَالَ : أَوْلُوا الْأَرْحَامَ أَوْلَى وَأَكْمَلَا
ولو حَكَّمُوا نَصَّ «الغدير»^(١) وَحَقَّقُوا به لَنْ تَضِلُّوا لَمْ يَرَوْا عَنْهُ مَوْثِلَا
وَفِي حِجَّةِ التَّأْذِينَ بَلَّغْتُمُ الْهَدَى بَنَصٍ مِنَ الْبَارِي وَأَحْمَدَ فَصَلَا
بِحَصْرِ فَلَا عَنِي يَبْلُغُ فِي الْوَرَى سَوَى رَجُلٍ مِنِّي وَغَيْرِهِمْ فَلَا
[ص ١١١] / فَصَبِرًا عَلَى الدُّنْيَا فَمَا مَثَلْنَا بِهَا وَمِثْلَهُمْ إِلَّا كَظُلِّ تَنْقَلَا
فَمَنْ يَفْتَرِرُ فِيمَا لَدَيْهِ فَإِنَّهَا كَرَقَرَاقِ آلٍ يَسْتَغَرُّ الْمَغْفَلَا
وَأَفْخَرُ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمُ نَائِلِ وَيَوْمَ لَدَى الْبَارِي أَغْرَّ مُحْجَلَا
وَيَوْمَ بِهِ لِلَّهِ نَاهٍ وَأَمْرٌ يَحَقُّ مَعْرُوفًا وَيَنْكَرُ مَدْخَلَا^(٢)

انتهت . وهي جيدة غزلها ومدحها ، ويمكن المؤاخذه في بعضها ،
مع أنه في تأخر عصره ويتصور على هذه البدائع من أقوى دليل على أنه
أحودى المعارضة ، رقيق الحاشية ، جيد القريحة . وقد أرشد أبو محمد
ابن الخازن^(٣) إلى معنى ما نقول وصدق فيما قال :

لَا يُحَسِّنُ الشَّعْرَ مَنْ لَمْ يَسْتَرْقِ لَهُ حَرَّ الْكَلَامِ وَيَسْتَخْدِمُ لَهُ الْفِكْرُ
انظر تجد صور الأشجار واحدةً وَإِنَّمَا لِمَعَانٍ تُعْشَقُ الصُّورُ

(١) إشارة إلى حديث الغدير الذي يعتمد عليه الشيعة في أحقية علي - رضي الله عنه -
بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ، وقد ورد بعدة ألفاظ ، انظر : الألباني ، صحيح الجامع
الصغير ٢٨٦/١ برقم (١٣٥١) ؛ و ٤٨٢/١ برقم (٢٤٥٧ و ٢٤٥٨) .

(٢) في الأبيات العشرة الأخيرة يتضح لنا تشيع الشاعر ، ومن خلال هذه الأبيات يردد أقوال
الشيعة في أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة متكئاً على حديث الغدير وغيره مما
يستند عليه الشيعة الرافضة . وانظر إلى غلوّه في قوله :

فَصَبِرًا عَلَى الدُّنْيَا فَمَا مَثَلْنَا بِهَا وَمِثْلَهُمْ إِلَّا كَظُلِّ تَنْقَلَا

(٣) عبد الله بن محمد بن أحمد بن الخازن ، شاعر عباسي . انظر : الثعالبي ، يتيمة الدهر
١٤٨/٣ .

والمعدمون من الإبداع قد كثروا وهم قليلون إنَّ عُدُّوا وإن حُصِرُوا
 قوم لَوْ أَنَّهُمْ ارتاضوا لما قرضوا أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا^(١)
 وهذا في زمانه ؛ كيف بهذه الأزمنة المتأخرة ، ولكن كم ترك الأول
 للآخر ، والمواهب قِسَمَ ، وفضل الله - تعالى - ما انحصر على أهل زمان ،
 ولا على أهل مكان ، وفي المتأخرين من لهم الانسجام عادة / ولهم في [ص ١١٢]
 البدائع إجادة ، هذا أبو محمد الخازن على جلالته قدره في الأدب يقول
 في قصيدته السائرة التي طالعها :

هذا فؤادك نهباً بين أهواءٍ وذاك رأيك شورى بين آراء^(٢)
 إلى أن قال في ممدوحه الصاحب بن عباد^(٣) :

وقد تَجَنَّبَ (لا) يوم العطاء كما تجنَّبَ ابن عطاء لفضلة الرءاء^(٤)
 وهذه لطيفة ، لأنه يشير إلى واصل بن عطاء^(٥) إمام أهل
 الاعتزال ، وكان رأساً في البلاغة ، وكان ألشغ لا ينطق بالراء بل يقلبها
 عيناً مهملة ، وكان يخطب الخطب الطوال ولا يأتي فيها بلفظ
 الرءاء لسعة دائرته في علم البلاغة ، فانظر لهذه اللطيفة ما أحسنها ،
 لكن جاء في المتأخرين وهو المحقق البليغ إسحاق بن محمد

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، أول من استقل بأشبيلية ، لقب بذي
 انوزارتين ، قال عنه ابن عذارى : كان آية من آيات الله علماً ومعرفة وأدباً وحكمة .
 انظر : الزركلي ، الأعلام ١/ ٢٢٢ .

(٤) البيت من البسيط .

(٥) واصل بن عطاء الغزال ، رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين ، سمي أصحابه
 بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري ، وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في
 الآفاق (ت/ ١٢١هـ) .

انظر : الأعلام ، الزركلي ٩/ ١٢١ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥/ ٦٠ : الكتبي ، فوات
 الوفيات ٢/ ٦٢٤ .

العبدى^(١) الصعدي فزاد على هذه اللطيفة حيث قال :

غَمَضِي لِسَهْدِي صَارَ فَيْكَ وَاصِلاً كَأَنَّهُ الْأَلْثَغُ وَالْعَيْنُ كَرَا
فَكَلَّمَا رَامَ كَرَايَ زُورَةً لَمَقَلَّتِي قَلَّتْ لَهُ أَطْرَقُ كَرَا^(٢)

فقد جعل الغمض واصلاً للسهد ، وبذلك ينتفي الغمض عن العين حتى كأنها راء ، وهو واصل بن عطاء فبين العين والغمض ما بين واصل والراء ، فأراد بالألثغ واصلاً^(٣) [١/٣٥] ، وقد ذكر الغمض بأنه واصل [ص ١١٣] للسهد من المواصلة / لا سيما وقد ذكر صاحب « الخصائص »^(٤) أن لثغة واصل كانت بقلب الراء عيناً مهملة ، فوافق قوله هنا « والعين كرا » ، وأما البيت الثاني فلا يخفى ما فيه ، وهذه اللطيفة كما أنها أحسن من لطيفة أبي محمد الخازن أحسن من لطيفة البوصيري^(٥) - رحمه الله تعالى - حيث قال في الهمزية :

أَيَّ حَبِّ يَصِحُّ فَيْكَ وَطَرْفِي وَاصِلٌ لِلْكَرَا وَطَيْفُكَ رَاءُ^(٦)

وقوله : « تحن إلى رؤيا ابن خيرات » فيه استعمال لفظ رؤيا على ما يرى بالعين بقضة ، وهو جائز ، قال في « فتح الباري » في الكلام على

(١) قاضي أبو عريش للإمام المهدي صاحب المواهب (ت/١١١٥هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/١٢٢ : زيارة ، نشر العرف ١/٣١٨ .

(٢) الأبيات من الرجز .

(٣) من بداية القوس في صفحة (١٦٥) إلى هنا مفقود في الأصل ، وأثبتنا النقص من ص مقارنة بـ ع .

(٤) مؤلف كتاب « الخصائص » في اللغة هو عثمان بن جني الموصلي ، من أئمة الأدب والنحو (ت/٣٩٢هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٣٦٤ .

(٥) محمد بن سعيد الصنهاجي ، شاعر وأديب مشهور ، عاش ومات بمصر واشتهر بقصيدته « البردة » (ت/٦٩٥هـ) .

انظر : الكتبي ، فوات الوفيات ٢/٤١٢ : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٣٠ .

(٦) البيت من الخفيف .

تفسير آية ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ۖ ﴾ (١) الآية : « حيث قال البخاري : قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليلة أسري به ، قال في الفتح ما لفظه : واستدل به على إطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة ، وقد أنكره الحريري تبعاً لغيره وقالوا إنما يقال : رؤيا في المنامية ، وأما التي في اليقظة فيقال : رؤية . وممن استعمل الرؤيا على التي في اليقظة المتنبى في قوله : « ورؤياك أحلى في العيون من الغمض » ، وهذا التفسير يرد على من خطأه » (٢) انتهى .

نعم : ولم يشعر الشريف حمود إلا وقد بلغه توجه سنان أغا (٣) إليه ، وفي معسكره جند كثيف من الأتراك ، وصحبتهم الشريف علي بن حيدر ، والشريف منصور بن ناصر ، ولكن / الشريف علي بن حيدر تأخر [ص ١١٤] عنهم لعارض ، ولم يقدر له المسير معهم ، فزحف أولئك الجيش الجرار ، إلى أن طلّعوا قنن (٤) السراة حاملين كل صارم بتار ، فأيقن الشريف أن لا مقصد لهم سواه ، فعبأ جنوده ، وعقد لأبطال عسكره بنوده ، وكان ذلك اليوم قد علق به المرض ، فالتقى الجندان في تلك الشعاب ، وصدق بينها الطعن والضراب ، وتنفست البنادق بالرصاص ، وتبين ذلك اليوم ما فيها من خواص ، وهزت أبطال الكمأة [٣٥/ب] لعوالي المران ، وتعاطى بأطراف اللهذميات الفريقان ، فما كان إلا ساعة من نهار ، حتى ولّى الجند التركي الأدبار ، وركعت منهم رؤوس بوقع السيوف ، وتحسوا بعد

(١) سورة الإسراء ، الآية ٦٠ .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٩٨/٨ .

(٣) سنان أغا : أحد قواد محمد علي ، لم أعثر له على ترجمة كافية ، قتل في معركة « شعار »

سنة ١٢٣٣ هـ .

انظر : عبد الرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ٤٦/٢ ، ٤٧ .

(٤) القنّة : قنّة كل شيء أعلاه ، والجبل المنفرد المرتفع في السماء وجمعها : قنن وقنّان .

انظر : المعجم الوسيط ٧٦٩/٢ .

كؤوس الصهباء كؤوس الحتوف ، والشريف حمود بين الجنود على جواده ، ولولا قوة بأسه لما استطاع لمرضه أن يقوم من مهاده ، وأهل السراة كانوا بأطراف الجبال ، وينظرون لمن يكون الظفر ، ويتبعون بالقتل والأسر بعد المنهزم الأثر ، فلما شاهدوا انهزام الأتراك لزموا لهم كل مضيق ، وتقاسموهم قتلاً ونهباً فكل ثلة منهم بعد فريق^(١) ، ولحقوا سنان أغا في رأس العقبة المسماة « تية »^(٢) - بتاء مثناة من فوق وتحتانية مشددة وهاء تأنيث - فأذاقوه حد الحسام ، فلم يؤوه قبر ، بل تمزق في تلك الرجام ، وراحوا أصحابه في تلك الشعاب كأنهم أحلام ، وتعدوا على الشريف [ص ١١] منصور بن ناصر فاستحلوا منه / الدم الحرام^(٣) ، وألحقوه بالملك العلام ، وقد كان هذا الشريف العين الناضرة في آل خيرات ، والهرماس^(٤) البطل إذا تلاقت الكماة ، له مجد باسل ، وعقل كامل ، وسياسة في الأوامر والنواهي ، وهو مع طيب عنصره داهية من الدواهي .

هذا مع أخذه بطرف من العرفان كان بها طراز فخاره ، وتعلق بالآداب انتقش بها مجد نظاره ، ولي على « صبيا » ومخلافها سنوات ، وأذاقهم (العدل) وأزال عنهم الظلامات ، ولكن رنق^(٥) صفو أيامه كدر

(١) هذه معركة « الملاحه » التي وقعت في يوم الخميس الموافق ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٢ هـ كما ذكر ذلك العقيلي بناءً على وثيقة تاريخية عبارة عن رسالة من الحسن بن خالد الحازمي إلى الإمام عبدالله بن سعود .

انظر : العقيلي ، محاضرات في الجامعات والمؤتمرات ، ص ٢٤ ؛ انظر أيضاً ما يؤيد ذلك في: الحفظي، تاريخ عسير، ص ٨٠، حيث ذكر أن المعركة استمرت ثلاثة أيام هي الثلاثاء والأربعاء والخميس بدءاً من الثاني والعشرين وحتى الرابع والعشرين من ربيع الأول عام ١٢٣٢ هـ .

(٢) وادي تية : مآتية من السفوح الغربية لجبال السروات شرق محاليل ، وأكبر روافده وادي طيب ، ثم يتجه غرباً حتى يلتقي بوادي حلي بن يعقوب بعد بلدة محاليل .

انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣٠ ؛ أطلس عسير ، خارطة رقم ٤٩ .

(٣) ليس واضحاً تخصيص المؤلف حرمة الدم بشخص معين من أشخاص في صف واحد ، فهو إن كان معتدياً فحكمه حكم غيره ممن أشار إليهم المؤلف ، ولم يتعرض لحرمة دمائهم، وإن كان معتدي عليه فشأنه كذلك شأن من معه .

(٤) الهرماس : ولد النمر ، والهرموس : الصلب الرأي ؛ الداهية المجرب .

انظر : المعجم الوسيط ٩٩٢/٢ .

(٥) رنق الماء : كدر .

انظر : المعجم الوسيط ٣٧٧/١ .

العساكر النجدية ، فاختر المقام بإذن عمه الشريف حمود في المدينة العريشية ، وبعد أن صُفِّيت « صبيا » من أهل نجد لم يرجعها الشريف إليه ، وهذا من الأسباب الموجبة لارتحاله مغاضباً مع ابن عمه الشريف علي بن حيدر ، وقد رثاه الوالد القاضي العلامة شيخنا وحيه الإسلام عبدالرحمن بن أحمد بن حسن البهكلي^(١) - رحمه الله تعالى - بهذه القصيدة الفريدة^(٢) [١/٣٦] :

لقد أبى الضيم ماضي العزم ذو جلد
أشم يشمخ عزاً أن تلامسه
/ لا يمتطي غير سرج الأعوجي ولا
يصبوا إلى المجد والعلياء ناظره
يأتي غمار العلا قسراً وإن نكصت
مثلهم سيفه عند الرهان فلا
يغشى المهم بقلب غير منفهق
يأبى الدنية حتى لا يصاحبها
ولا يصغر خديسه على أشر
طالت^(٣) مساعي علاه إذ منابتها الـ

وحل من شرف العليا في صعد
هوج الرياح فماذا شأن كف يد
تراه معتقلاً غير القنا الملد [ص ١١٦]
حتى ينال ذراها غير مضطهد
عنه الجياد تراه وارد التمد
تداس أعقابه في الرفع والوخد
عن الثبات وعقل كامل الترشد
ولا يغمض عينيه على ضمد
ولا يبيت على الإقتار ذا حرد
صريح من «مضر»^(٤) الحمرا ومن «أدد»^(٥)

(١) من علماء المخلاف السليماني . ولد بمدينة صبيا سنة ١١٨٢ هـ ، رحل إلى صنعاء لطلب العلم ثلاث مرات ، عينه المنصور علي بن المهدي قاضياً في بيت الفقيه . أبرز مؤلفاته كتاب « نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود » . وكتاب « انثقات بمعرفة رجال الطبقات » ، توفي سنة ١٢٤٨ هـ .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٢٤) : الشوكاني ، البدر الطالع ٣١٨/١ : زيارة نيل الوطر ٢٣/٢ : عاكش ، حقائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ٨٠ .

(٢) القصيدة من البسيط .

(٣) في تكملة نفح العود : طابت ، انظر : ص ٣٠٦ .

(٤) مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ويقال لعقبه : مضر الحمراء ، ولا خلاف بين العلماء أن الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام : مضر وربيعه أبناء نزار بن معد بن عدنان .

انظر : ابن عبد البر ، الإنباه على قبائل الرواة ٧٢٠ : ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ١٣٦ .

(٥) أدد بن اليسع بن الهميسع ، جد عدنان وقيل والده .

انظر : ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ١٣٦ .

أرومة من « قصي »^(١) غيضاها أسل
 ثبت الجنان كريم الخيم ما فعلت
 ماذا الذي علّمته فيك فانخزلت
 أنت الذي ضربت فسطاط نخوتها
 كانت تراك حريّا أن تقود لها
 وأنت والله أهل أن تبلغها
 لك الأيادي عليها إذ بنيت لها
 ما كنت أحسب أن المجد يقصده^(٢)
 كنا نعد الليالي منك هائبة
 [٣٦/ب، ص ١٧٧] / وإن أمّ المعالي عنك حادثة^(٥)
 لكن تنافس في عليك صاهلة^(٦)
 وزاحمت فيك غايات العلا شرقاً
 فأسلمتك يد العلياء عائضة
 وصيرتك صريعاً حول جندلة
 ضنت بك الهضبات الشم حين غدت
 ما كنت تخفى على عاف ومنتجع
 في ركنها شرف العلياء والسند
 بك العلا بعد أن وافتك طوع يد
 ويحاً لها كيف تعصي^(٢) عزها الأبدي
 عليك أيام عين الدهر في رمد
 شَمّ الجبال على بطحاء ذي وهـد
 فوق الذي طلبت من منتهى الأمد
 بيتاً على هامة الجوزاء ذا عمد
 صرف الزمان بصرف^(٤) فيك منتقد
 كما يهابك ذلاً زائر الأسد
 عن أن يصيبك سهم البين بالقصد
 من الجياد وتخت الملك عن حسد
 فما رأتك مخلاً عن عُلا عدد
 خوف اشتراط وقد تسمو يد الحقد
 تاهت بقربك منها فوق ذي حيد
 تحثو عليك وقد صانتك عن وهـد
 بل كنت في كل حال ظاهر الجسد

(١) قصي : الجد الرابع للرسول ﷺ واسمه زيد ، وسمي قصياً لأن أمه تزوجت بعد أبيه رجلاً من قضاة وأخذت معها زيدا لأنه كان فطيماً فسمي قصياً لأنه أقصي عن داره .
 انظر : ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ١٢٤ .

(٢) في تكملة نفح العود : تقضى ، انظر : ص ٣٠٦ .

(٣) في تكملة نفح العود : مقصده ، انظر : ص ٣٠٦ .

(٤) في تكملة نفح العود : بطرف ، انظر : ص ٣٠٦ .

(٥) في تكملة نفح العود : حادثة ، انظر : ص ٣٠٦ .

(٦) في تكملة نفح العود : فائضة ، انظر : ص ٣٠٦ .

فألت الأرض أن لا زال ظاهرها
ففي الحياة ظهور شامخ بذخ
كذا العلا حين لا ترضى مفارقة
فليعظم الأجر كفو الرزء لو قصمت
وليعتبر بك يا ليث العرين فتى
بالله لو ملكت كفاك عاملها
لكنت تارك راميها بمصرعه
لو كان يملك يوم الروع ذو حذب
لهان فيك الذي فوق الورى وسخى
لكن جرت حَكَمُ البارى وقدرته
/ فليهنك الخلد في دار النعيم مع
وفي جوار علي والبتول ومن

مضمخا بك لا يلزى على لحد
وفي الممات ظهور البدر في الكبد
لما جد وهو فيها بيضة البلد
به ظهور أولى اللامات والسرد
له إلى طلب العلياء فضل يد
حين اعتلى بك نعب الصارخ الفرد
طعم الحبارى وأشلاء لذي لب
عليك منه فداء كنت خير فدي
من ظن بالنفس أو بالطرف والتلد
أن لا يقاوي صريع الحادث العتد
خير العباد أبيضك السيد السند [ص ١١٨]
حلّت بهم في معاد رحمة الأحد

[١/٢٧] قوله : « ولا يغمض عينيه على ضَمَد » : « ضمد » بالتحريك
الحقد كما في القاموس ، وقد ورى بالوادي المعروف : لأن الشريف
(منصور) مستفيض عنه أن معتقده أن ما وقع ((عليه)) إنما هو
بسبب ((بعض)) أعيان أهل « ضمد »^(١) ممن هو نافذ الكلمة عند
الشريف حمود ، فبنى شيخنا الوجيه - رحمه الله تعالى - فيما جعله من
التورية على ما استفاض من معتقده ، وحقيقة الواقع يعلمها الله سبحانه ،
والذي علينا حسن الظن بالجميع ، والحمل على السلامة ، والله يغفر لنا
ولهم بفضله وطوله ، و « ضمد » هو من أودية اليمن^(٢) .

(١) ضمد : واد عظيم تسكن على ضفافه قبائل ضمد ، وعددها ست . انظر : العقيلي .
المخلاف السليمانى ٧٦/١ : الأكوغ ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ١٨٧ .
(٢) انظر التعليق حول مفهوم اليمن لدى المؤلف ص (١٢٥) هامش [٧] .

وفي نهاية ابن الأثير^(١) في باب الضاد مع الميم ما لفظه : « إن رجلاً سأل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عن البداوة فقال : « اتق الله ولا يضرك أن تكون بجانب » ضمّد »^(٢) . وهو بفتح الضاد والميم : موضع باليمن »^(٣) . انتهى بلفظه .

وفي بعض كتب اللغة : « ضمّد » واد باليمن تسكنه « خزاعة »^(٤) . انتهى . ولا شك أنه الوادي المعروف بين وادي « صبيا » و « جازان » ، وهو وادٍ مبارك مشهور بالخير والبركة ، وروي أن بعض الأئمة دعا فيه بالبركة ، وفي « شرح الخمر طاشية »^(٥) على قوله^(٦) :

[ص ١١٩] واهأ لقوم غألهم صرّف الردي / والتحقوا « بضمّد » و « بصدا »^(٧)

قال ما لفظه : « ضمّد وصدا هما قبيلتان من مذحج » ، حتى قال : « وضمّد بن يزيد بن الحرث بن (علة بن جلد)^(٨) بن مذحج » هذا كلامه .

(١) المبارك بن محمد بن محمد الشيباني ، عالم عراقي مشهور ، وكتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ، محقق ومطبوع في خمسة مجلدات : حققه طاهر بن أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي .

انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٢٩١ : القنوجي ، التاج المكلل ، ١٠٠ .

(٢) من مراسلات ابن الأثير في كتابه : غريب الأثر ٢/٩٩ ، مادة : ضمّد .

(٣) انظر : النهاية لابن الأثير ج ٣ ، ص ٩٩ .

(٤) خزاعة : قبيلة أزدية تسكن حوالي مكة المكرمة ، ولم أعثر على معلومات بشأن سكانهم حول ضمّد .

انظر : الجاسر ، معجم قبائل المملكة ١/١٧٢ : كحالة ، معجم قبائل العرب ١/٢٢٩ .

(٥) اسم الكتاب : الرياض الأدبية في شرح الخمر طاشية ، ومؤلف الخمر طاشية هو أبو العباس أحمد بن خمر طاش (ت/٥٥٢هـ) ، أمّا شرحها فهو لسليمان بن موسى بن علي الجون الأشعري (ت/٦٥٢هـ) .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٢٧٢ ، ٢١٦ ، ٣١٨ .

(٦) البيت من الكامل .

(٧) صداء : قبيلة تسكن أعالي وادي ضمّد ، وهي صداء بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج .

انظر : العمروي ، قبائل إقليم عسير ١/١٠٦ .

(٨) في الأصل : علي بن خالد ، والصواب من كتاب التعريف في الأنساب للأشعري ، ص ١٧٠ : العمروي ، قبائل إقليم عسير ١/١٠٦ .

ولا يبعد أن يسمى المكان باسم الساكن فيه كما هو معروف في كثير من المدن والقرى . [و] كما تحكيه كتب التاريخ ، فربما سكنته (١) القبيلة المذكورة في قديم الزمن فنسب إليهم .

وهذا الحديث من مرسلات ابن الأثير . وقد عُلِمَ في الأصول الفقهية والحديثية الخلاف في قبول المرسل ، والذي عليه جماهير المحدثين عدم القبول له ، ((ولأئمة أهل البيت تفصيل في قبول ذلك ذكره في « شرح الغاية » (٢))) وعلى القول بثبوت هذا الحديث المرسل فهو صادق بالنجود من شرق وادي « ضمد » كما يفيد لفظ الجانب ، فإن أهل تلك الجبال أغلبهم لا يتصف بالإسلام (٣) ، وفيهم من الجفاء وعدم التقيد بقوانين الشريعة المحمدية ما لا يخفى على من يعرف أحوالهم . وقد [٢٧/ب] ورد « من بدا فقد جفا » (٤) ، فمن كان بالجانب الشرقي منه المتاخم لنجوده فالجفاء فيهم ظاهر .

وأما مساقط وادي « ضمد » بتهامة ففيه قرى كثيرة ، وأهلها أهل استقامة على الشرع المحمدي ، والتقيد بالقوانين الشرعية حالاً وقالاً ، وأشهر قرأه في هذه الأزمنة قريتان : « الشقيري » و « ضمد » . فأما « الشقيري » فالذي اختطه جد آل النعمان ، / وأما « ضمد » فالمشهور [ص ١٢٠] أنه أول ما اعتمر في زمن والدنا القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر رحمه الله تعالى ، وبنى فيه المساجد الحجر ، وعمر جامعها القديم

(١) في الأصل : سكته .
(٢) غاية السؤل في علم الأصول ، ومؤلفه : الحسين بن القاسم بن محمد (ت/ ١٠٥٠ هـ) ، وهو مختصر جمع فيه الأدلة والرود على قواعد الزيدية ، مطبوع ؛ وشرح المؤلف هذا الكتاب وسماه : هداية العقول شرح غاية السؤل ، طبع في صنعاء .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١٦٢ ؛ وهناك شروح أخرى للغاية منها : شرح غاية السؤل لأحمد بن علي مطير الحكمي ، انظر : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ، الفهارس ٢٤٩/٥ .

(٣) النفي العام مزلق خطير لا يقدم عليه إلا من سبر الغور ، وعرف الحقائق ، وليس أخذاً بمجرد القول والشائع من الكلام ، لكن قد يحكم الإنسان بانتشار المعصية ، وعدم التقيد بالأحكام الشرعية في ظاهر الحال ، ولا يعني ذلك الحكم بالخروج من وصف الإسلام ، لأن ذلك يعني الدخول في الوصف المعتاد ، وهو قول يحتاج إلى بينة وبرهان لا يملكها المؤلف كما هو ظاهر من كلامه .

(٤) ورد في صحيح الجامع الصغير برقم ٦١٢٢ : ٦١٢٤ ، ج ٢ ، ص ١٠٥٥ .

الذي اجتحفه السيل في عام واحد بعد المائتين والألف ، وقد رثى الجامع بقصيدة بديعة الوالد القاضي العلامة أحمد بن حسن البهكلي^(١) لولا الإطالة لذكرتها ، وهي مشهورة .

و « ضمّد » القديم كان بموضع « مختارة »^(٢) التي بنى فيها السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي قلعتة ، وهو الذي سماها بهذا الاسم وزالت إليه أراضيتها ، وكان فيما سلف يسمى « نجران »^(٣) ، وبه كان الأديب ابن هتيمل وغيره من أولئك العلماء القدماء ، وفي أهل هذا^(٤) الوادي من العلماء عدد واسع لا سيما قرية « ضمّد » و « الشقيري » ، ففيهم العلماء النحارير والأدباء المصاقعة ، وقد تتبعت بحسب ما اطلعت عليه من علمائهم قديماً وحديثاً فأنافوا على مائة عالم ، (فيهم) من اتصف بكمال التحقيق ، وفيهم من اطلع على سائر العلوم تفسيراً وحديثاً وفقهاً وكلاماً وأصولاً وعربية ، وغير ذلك من سائر العلوم العقلية والنقلية ، وفيهم من صنف وتصانيفه موجودة .

وقد ذكر ابن أبي الرجال في « مطالع البدور »^(٥) أن ممّا اشتهر على الألسنة أن « ضمّد » لا يخلو عن عالم محقق وأديب بليغ ، وإلى زماننا [ص ١٢١] هذا وفيهم من اتصف بالعلم والأدب ، وفيهم / من اتصف بأحدهما ، هذا

(١) قاضي صبيا في عهد الشريف حمود ، جمع بين العلم والأدب والشعر (ت/ ١٢٣٣هـ) .

انظر ترجمته في : وفيات ١٢٣٣هـ من هذا الكتاب .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢) : الشوكاني ، البدر الطالع ١/ ٢٢٢ : زيارة ، نيل الوطر ١/ ٨٣ .

(٢) قرية من قرى وادي ضمّد .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٣٧٩ .

(٣) على اسم نجران المشهورة ، وهي قرية بناحية وادي ضمّد اندثرت وبني مكانها بلدة مختارة .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٤٠٧ .

(٤) الأصل : هذى ، والصواب من ص و ع .

(٥) سبق التعريف بالمؤلف والكتاب ، وأن صحة الاسم : مطلع البدور .

مع ما فيهم من الفضلاء والأولياء سابقاً ولاحقاً ما لا ينحسرون . والغالب في المخلاف السليماني أنه لا يكون الحاكم والمفتي والمدرس إلا منهم .

نعم : وبعد انتهاء المعركة [٢٨/١] رجع الشريف حمود إلى مخيمه ، ورافق في الإقامة السرير ، وتزايد عليه المرض حتى لحق باللطيف الخبير ، وكانت (١) وفاته في هذا العام يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول (٢) ، ودفن في بقعة من بلاد « بني مالك » (٣) السراة تسمى « الملاحه » (٤) ، بميم ((مفتوحة)) ولام وألف بعدها حاء مهملة وهاء تأنيث ، ومضى من هذا العالم الدنيوي ولسان حال الليالي ينشده قول من قال :

وبكل أرض جنّة من عدله الصّدّ	حافي أسال نداه فيها كوثرًا
عدل يبيت الذئب منه على الطوى	غرثان وهو يرى الغزال الأعطرا
سيف صقال المجد أخلص منته	وأبان طيب الأصل فيه الجوهرا
ما مدحه بالاستعثار له ولا	آيات سؤدده حديث يفترى
بين الملوك الغابرين وبينه	في الفضل ما بين الثريا والثرى

(١) الأصل : وكان .

(٢) يشير العقيلي إلى أن وفاة الشريف حمود كانت في يوم السبت الموافق العاشر من ربيع الثاني سنة ١٢٣٢ هـ ، وليس كما ذكر المؤلف هنا . وقد اعتمد في ذلك على وثيقة تاريخية

عبارة عن رسالة من الحسن بن خالد الحازمي إلى الإمام عبدالله بن سعود . انظر : محاضرات في الجامعات والمؤتمرات ، ص ٢٤ ، ويؤيد ذلك ما ورد في كتاب تاريخ عسير للحفظي ، ص ٨١ الذي أشار إلى أن الشريف حمود مات مقتولاً على يد أحد أقرباء طامي بن شعيب .

(٣) قبيلة عسيرة تقطن شمال مدينة أبها ، وهم أولاد مالك بن كعب بن الحارث من الأزد ، تنقسم إلى عشرة بطون ، وتقع قراهم على ضفاف وادي أبها ووادي أتانة ووادي عشرين . انظر : العمروي ، قبائل إقليم عسير ١/١٧٦ : شاكر ، عسير ، ٥٨ .

(٤) إحدى قرى بني مالك ، تبعد عن أبها حوالي ١٤ كم شمالاً ، وفيها دارت معركة الملاحه المشهورة التي انتصر فيها العسيريون بقيادة الشريف حمود أبو مسمار على قوات محمد علي باشا بقيادة سنان أغا والشريف منصور بن ناصر حيث قتل الاثنان . انظر تفاصيل ذلك في : الحفظي ، تاريخ عسير . ٧٩ - ٨١ .

نسخت خلائقه الحميدة ما أتى في الكتب عن كسرى^(١) الملوك وقيصر
ملك إذا خفت حلوم ذوي النهى في الروع زاد رصانة وتوقرا
ثبت الجنان تخاف من وثباته وثباته يوم الوغى أسد الشرى
يقظ يكاد يقول عما في غد ببديهة أغنته أن يتفكرا
[ص ١٢٢] / حلم تخفُّ له الحلوم وراءه^(٢) رأي وعزم يحقِّر الإسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرما ويصد عن قول^(٣) الخنا متكبرا
لا تسمعن حديث مَلِكٍ غيره يُروى فكل الصيد في جوف الفرا^(٤)

وقد تبدل بعد الأرائك على الأسرة التراب ، وتفرش الرِّجام^(٥) بعد
أن زهت [٢٨/ب] به صهوات الخيل العرب ، وتوسد بيده الصعيد بعد أن
هزت الصعاد وقبضت الأعنة ، وجُمع في الأكفان بعد أن تسربل
السابريات^(٦) الدُّلص^(٧) عند تحاطم الأسنة ، وضُمَّخ بالكافور بعد أن شُمَّ
من سيفه البتار دم الأضداد ، ونُثر على رأسه من الأرض بعد أن أثار
عليها العثِير^(٨) يوم الجلال ، ووُضعت على قبره الأحجار ، بعد أن جاد

(١) الأصل : كسر .

(٢) الأصل : وراء ، والصواب من ع .

(٣) الأصل : قيل ، والتعديل من تكملة نفع العود لعاكش ، ص ٢١١ .

(٤) القصيدة من الكامل .

(٥) الرِّجام جمع رجمة ، وهي الحجارة التي توضع على القبر .

انظر : المعجم الوسيط ١/ ٣٣٢ .

(٦) السابري من الدروع الدقيقة النسج في إحكام .

انظر : المعجم الوسيط ١/ ٤١٥ .

(٧) الدُّلاص : اللين البراق الأملس ، ودرع دِلاص ودلص : لينة .

انظر : المعجم الوسيط ١/ ٢٩٢ .

(٨) العثِير : الغبار .

انظر : المعجم الوسيط ٢/ ٥٩٠ .

على العفاة بالفضة والنضار ، وتفرق عنه بعد دفنه الأحباب . وقد كان في جموع لا يقطعها بطيرانه الغراب^(١) .

لقد دفن الأقوامُ أروع لم تكن^(٢)
سقى جدًّا هالت عليه ترابه
ففيه سحابٌ يرفع المحل سيبه
يمر على الوادي فتثني رماله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما
هو السيد المهتز للثم بـدره
/ أفاض عيون الناس حتى كأنما
متى يسألوه المال تندي بنانه
وكم عاد منه بالخسار مقنع
له الغلب العاصي على كل باسل
/ جرت تحته العليا ملأى فروعها
فما مات حتى نال أقصى مراده

بمدفونة طول الزمان فضائله
أكفهم ظل الغمام ووابله
وبحر ندى^(٣) يستغرق^(٤) البر ساحله
عليه وبالنادي فتبكي أرامله
سرى جوده فوق السحاب ونائله
وللجود عطفاء وللطعن عامله
عيونهم ممّا تفيض أنامله [ص ١٢٢]
وإن يسألوه الضيم تندي عوامله
وكم نال منه قانع ما يحاوله
يُجالد أو كل خصم يُجادله
إلى غاية طالت على من يطاوله [٢٩/أ]
كما يستسر البدر تَمَّت منازلُه

وما أحقه بما قاله صاحب « البسامة الكبرى »^(٥) بعد أن خلت منه الديار ، وعفت من مملكته الآثار ، وصار خبراً من الأخبار :

من للأسرة أو من للأعنة أو
من للبراعة أو من للبراعة أو
من للأسنة يهديها إلى الثغر
من للسماحة أو للنفع والضرر^(٦)

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) الأصل : لم يكن ، والأوجه من ص .

(٣) الأصل : ند .

(٤) في الأصل و ص : استغرق ، والتعديل ليستقيم البيت .

(٥) مؤلف البسامة الكبرى هو : أبو محمد عبدالمجيد بن عبدون الفهري ، شاعر أندلسي ، توفي عام ٥٢٩ هـ .

انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٢٦ : فروخ ، تاريخ الأدب العربي ١٩٢/٥ .
(٦) هذه من المبالغات المذمومة ، إذ النفع والضرر إنما هو مما تفرده الله تعالى به ، فهو النافع الضار ، سبحانه وتعالى .

من للدا وعوالي^(١) الخط قد غمدت أطراف ألسنها بالعي والحصر
أو رفع كارثة أو دفع حادثة أو قمع أزفة تغني عن القدر^(٢)
ولكن الدنيا مآلها وأهلها إلى الفناء ، والله - سبحانه - هو المتفرد
وحده بالبقاء ، ولقد صدق صاحب « البسامة » المذكورة حيث يقول :
فلا يَغُرَّنْكَ من دنياك نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالي أقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يد الغير
في كل حين لها في كل جراحة منا جراح وإن زأغت عن البصر
[ص ١٢٤] / تسر بالشيء لكن كي تُغَرِّبَه كالأيام ثار إلى الجاني من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها لم تبق منها وسل ذكراك عن خبر

ولقد ناحت عليه في جميع البقاع العلا والمكارم ، ولبست الليالي
عليه ثياب الحداد فكلها ظلمة ومآتم ، وعقمت الأيام بأن تلد له نظيراً^(٣)
في المعالي ، وقالت المفاخر حين عدَّ لها طوائف الأنام ما لهن وما لي ،
وقد رثاه جماعة من أدباء الوقت ، وكلُّ مقصر فيما قال ، ولا يفي^(٤)
بحقه الرثاء ، وإنَّما هي لذات يذكرها الشعراء [٢٩/ب] في هذا المجال ،
ولم يقع في يدي عند رقم هذه العجالة شيء منها حتى أثبتته في هذا
المقام ، وأما المدائح التي^(٥) قيلت فيه فهي كثيرة ، لو جمعت لجاءت^(٦) في
جزء مستقل ، وإنَّما لطول المدة غالتها يد الذهاب :

وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعٌ وأي جديد لا يغيره الدهر^(٧)

(١) الأصل : وعولي .

(٢) الأبيات من البسيط . وهذه من المبالغات المذمومة في حق من لا يملك لنفسه دفع شيء ولا جلبه .

(٣) الأصل : نظير . وهذه من البدع التي نهى عنها الإسلام إن صحت عن أحد .

(٤) الأصل : تفي .

(٥) الأصل : الذي ، والصواب من ص .

(٦) الأصل : لجأت ، والصواب من ع .

(٧) البيت من الطويل ، وهو لعبد المجيد بن عبدون ، انظر : فروخ ، تاريخ الأدب العربي ١٩٥/٥ .

وكان ميلاد الشريف حمود سنة سبعين ومائة وألف : لأن مدة عمره ثلاث وستون^(١) سنة ، وله من المآثر الدينية والدنيوية ما لم يتفق مثلها لملك من ملوك هذه الجهة ، فإني قد استقصيت تاريخ من سلف ممن تملك في « المخلاف السليماني » ، فلم يتفق له ما اتفق لهذا الشريف ، ولم يبلغ أحد مبلغه في ذلك ولا دأده / ؛ فإنه بنى [ص: ١٢٥] العمارات الباذخة ، والقلاع الشامخة في « أبي عريش » . وجعل سوراً على « ديرة الأشراف » المشهورة ، وجعل له بابين : شامي ويمني ، وصار « أبو عريش » ببركات عمارته من أمنع مدن اليمن^(٢) ، وهو نقطة دائرة المملكة له ، ومستقر من جاءه من الوفود . فلذلك زها على التهائم والنجود . وبنى قلعة ببندر « جازان » . وبنى بإذنه السيد العلامة حسن ابن خالد الحازمي - رحمه الله تعالى - قلاعاً عظيمة بقرية « ضمد » . وله في مدينته « الزهراء » مبان كثيرة ، وسور على بندر « الحديد » . وكان المتولي لذلك السيد العلامة حسن بن خالد بإذنه ، وسور على مدينة « زبيد » (بمشارفة السيد العلامة حسين بن عقيلي الحازمي^(٣)) ، وقل بلد من بلاد مملكته إلا وتجد له فيها آثاراً^(٤) . تشد بلسان الاعتبار :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار^(٥)

(١) الأصل و ص : ثلاثاً وستين .

(٢) انظر التعليق حول مفهوم اليمن لدى المؤلف ص (١٣٥) هامش [٧] .

(٣) الحسين بن عقيلي بن حسين الحازمي الضمدي ، من علماء المخلاف السليماني البارزين ، نصب للفتيا في زبيد ثم نصب للقضاء فيها في عهد الشريف حمود ، كان يحضر حلقة

تدرسه أكابر علماء زبيد ، توفي تحت سياط التعذيب عام ١٢٣٤ هـ .

انظر : زيارة ، نيل الوطر ٣٨٢/١ : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٦٥) .

(٤) الأصل : آثار .

(٥) البيت من الخفيف .

ومن المآثر الدينية الجامع الذي بناه في باطن السور الذي^(١) في « الديرة » [١/٤٠] ثم بعد [ذلك] ترجح له أن يبنيه بقبب ، فنقض البناء الأول وبنى مقدمه بناءً عظيمًا ، ولم يكمل بناء المقدم (حال الأجل دون ذلك) ، وأتم بناءه بعد مدة الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، وبنى [ص ١٢٦] مسجدا « ببیت الفقيه » ، وحفرت بأمره آبار كثيرة / وجعل من أرضه فوق الخمسمائة معاد^(٢) وقفاً على ثمانية أصناف ، ووقف على جامعته الذي بناه وعلى العلماء والمتعلمين خصوصاً ، ووقف على السور الذي في « الديرة » ، ولكن حال رقم هذا وقد اجتحفه السيل .

وكان في زمانه ظهور رئاسة العلم ، ونفاق تجارته ، والسبب أن السيد العلامة حسن بن خالد معاضده ووزيره ، وهو من العلماء ، وكل شكل يميل إلى شكله ، فكان بذلك نفاق تجارة العلم في ذلك الزمان ، وصار لهم المزية على كل قاص ودان ، وقصده العلماء من كل جهة ، فيحلهم في أعلى منازل الرفعة والتعظيم ، ويسكن بعضهم في قلاعه ، وكان في جامعته جماعة يدرسون العلم ، وصارت القراءة^(٣) في كل فن من فنونه ، وطار بذلك صيت الشريف حمود كل مطار ، وسار ذكره حيث مسير الليل والنهار ، وغنى الناس بالثناء عليه في الأقطار .

وقد ذكر الماوردي^(٤) في « أدب الدنيا والدين »^(٥) وغيره أنه «يتعين على السلاطين العناية بأهل العلم ، وتمييزهم على من سواهم وكفايتهم مهماتهم في أمر دنياهم ، ليتفرغوا لنشر العلوم ، ولأنهم حملة الشرع المحمدي ، والتعظيم لهم تعظيم له ، وبذلك يحصل الرغبة في العلم

(١) الأصل : اللذي .

(٢) الأصل : المعاد ، وهو وحدة قياسية محلية تساوي حوالي (٢٦٠٠ م) .

(٣) الأصل : القراءة ، والصواب من ص و ع .

(٤) علي بن محمد بن حبيب ، أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين ، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال (ت/ ٤٥٠ هـ) .

انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٤٤/٢ : الزركلي ، الأعلام ١٤٦/٥ : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٢٢/٢ .

(٥) حقق الكتاب وعلق عليه مصطفى السقا ، مطبوع أكثر من طبعة .

والاشتغال به ، ويتم بذلك نشر الشريعة المحمدية للأنام / وتعريفهم [ص ١٢٧]
ما يجب عليهم من أنواع الحلال والحرام ، وبذلك تعمّر البلاد ، وينتشر
العدل بين العباد « ، هذا معنى ما ذكره ، ومن أراد استكمال البحث طالع
ذلك الكتاب ، والبحث يطول في مثل هذا الباب (١) .

وكان سيرته غالبها جارية على نهج السداد ، لا سيما في هذه
الأزمة الأخيرة التي غالب على أهلها الاغوجاج في الإصدار والإيراد ،
وانضبطت [٤٠/ب] أمور الناس في زمانه ، وجرت المملكة على قوانينها
بالوزراء العظماء ، والأعوان الذين فيهم الكفاية عند حدوث الدهماء .
ولاحظته مع ذلك السعادة التي يرتفع بها الإنسان إلى عنان السماء ، وكان
له من العبيد الممالك ما ينيف على الألف ، وهم ما بين حاملين البندق ،
وراكبين على ظهور الخيل ، فصاروا بذلك جنداً مستقلاً ، واجتمع لديه
من الخيل الجيدة ما لم تجتمع عند أحد من ملوك هذه الجهات .

وفي زمانه أمنت الطرقات وذلّ أهل الفساد ، ولم ينبض لمعتد عرق لما
له من السطوة على أهل العناد ، وقد بلغ من أمان الطرق في ذلك الزمان أن
الشيء المحمول يعجز صاحبه عن حمله ، وهو في قصر من الأرض فيتركه
حتى يرجع إليه ، ولا يتعدى عليه إنسان ، وكان له وقت (٢) يجلس فيه لسماع
الشكايات ، وإزالة الظلامات ، وأوقاته مرتبة على حسب مقتضيات / لا [ص ١٢٨]
يكاد يذهب عليه وقت لغير مصلحة على اختلاف المرادات .

ووقع إقامة الحدود في زمانه على اختلاف أنواعها ، واتفق أثناء
ذلك خوض ونزاع بين علماء وقته بسبب التقصي في اشتراط الإمام الذي
إليه إقامة الحدود ، المشروطة فيه شروط منها الاجتهاد عند البعض من
العلماء ، والمسألة معروفة بأطرافها ودليلها ، فلا حاجة إلى الإطالة ،
وهي من المطارح الظنية ، وغيرها أجدر في التعمق في إصلاحه ، والمركز
الأعظم في العصور المتأخرة التي تضاعفت شرّيتها بمصداق الحديث

(١) انظر : باب أدب العلم ، ص ٤١ .

(٢) الأصل : وقتاً .

النبوي^(١) هو حقن الدماء ، وتسكين الدهماء ، ومراعاة قانون الشرع جملة^(٢) .

(٣) ومن استقرأ كتب التواريخ ، واطلع على أيام الناس ، عرف أن أكثر الأقطار الإسلامية قد غلب عليها أئمة الجور بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم ، فإن الشام ومصر والمغرب والهند والسند والحجاز والجزيرة والعراقين واليمن ، وأمثالها ما استدامت فيها [٤١/أ] دولة حق من^(٤) قرون عديدة ، ودهور طويلة^(٥) .

ولا شك أنهم في هذه المدد العديدة ، وفي هذه الأقطار الكثيرة ، لو تركوا هملاً لا يقام فيهم حد ، ولا يقضى فيهم بحق ، ولا يجاهد فيهم كافر ، ولا يؤدب فيهم عاصٍ ، لفشا فيهم الفساد ، وتظالم العباد ، [ص ١٢٩] ومرج أمر المسلمين / وتعطلت أحكام رب العالمين ، وقد علمنا على الجملة أن الله - تعالى - ما قصد بإقامة الحدود وشرعها إلا زجر أهل المعاصي ، ولا قصد بالجهاد إلا حفظ الحوزة الإسلامية ، وإرغام العدو ، فمتى توقفت على شرط وتعذر تحصيله لم يعتبر ذلك الشرط ، ولذلك نظائر يعرفها من عرف الشريعة المحمدية .

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري : « اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » . وورد في الفتن ، باب : لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ، وأخرجه ابن منده والطبراني في المعجم الصغير .

(٢) من الواضح أن هنا مبالغات في حق من أعجب به المؤلف ، وهي مبالغات يناقضها الواقع الذي ذكره المؤلف نفسه من حروب وغارات وسلب لمن يقاتله ، وهذه أمور لا يتأتى الاستقرار بها إلا إذا كان المراد حاضرة إقامة الحاكم ، فهذا مما لا ينطبق عليه الوصف الذي ذكره المصنف وبالع في .

(٣) انظر نهاية القوس ص ١٨٩ .

(٤) الأصل : في ، والصواب من ص .

(٥) هذا الكلام فيه تجن واضح وإجحاف في حق الأمة بأسرها ، حيث سلب عنها وصف العدل في جملتها إلا في بقعة يسيرة ، وواقع الحال أن ثمة إقبالا في زمن وإدارا في زمن ، ورواج للعلم والعدل والأمن في زمن ، وحدوث ما يضادها في أزمنة أخرى ، وتجاهل الحقائق بباعث العصبية المقيتة أمر مذموم شرعاً وذوقاً .

فإذا عرفت هذا فكيف يبقى عامة المسلمين في قدر مدة كثيرة من السنين في أقطار الإسلام وأمصاره لا ينصب فيهم حاكم بعدل ، ولا يقام فيهم حد ، ولا يجاهد فيهم عدو ، إذن تعظم المضرة بلا شك ، وقد علم أن هذه الأشياء ما شرعت إلا لمصالحهم ، فوجب الحكم بتنفيذها عند عدم شرطها للضرورة ، على أن من اشترط تلك الشروط من الأئمة الأعلام . وناطوا بها صحة تلك الأحكام ، لم يبتلوا في أزمنتهم بأحد من الولاة الجائرين ، وكان الأمر جارياً بينهم على سنن العدل ، فهم كالمعافى الذي لم يعرف علة . وأما في هذه الأزمنة الأخيرة فالضرورة ألجأت إلى ذلك ، ومن لم يفرق بين حال الاضطراب والاختيار فقد جهل المعقول والمنقول . أما المعقول / فلاجماع العقلاء على دفع أعظم المفسدتين^(١) بأهونهما . ومن [ص ١٣٠] ثمة قالوا : « بعض الشر أهون من بعض »^(٢) ، ومن أمثاله : « إن في الشر خياراً »^(٣) . وأما المنقول فمعلوم بالضرورة من الدين في مواضع ، أعظمها قوله - تعالى - في جواز النطق بكلمة الكفر : « **إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** »^(٤) ، وأعمها قوله تعالى : « **وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ** »^(٥) ، وقد روي : « عند الضرورات تباح المحظورات »^(٦) . وفي حد الضرورة [٤١/ب] اختلاف بين العلماء ، وهو ظني معروف ، وقد جعلها بعض الأئمة ما خرج عن حد الاختيار في كثير من

-
- (١) الأصل : المفسدين ، والصواب من ص و ع .
 (٢) عجز بيت لطرفة بن العبد ، وصدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ، انظر : الديوان : ٤٨ .
 (٣) يضرب هذا المثل عند ظهور الشرين بينهما تفاوت . ومعناه أن في الشر أشياء خياراً ، ويجوز أن يكون « الخيار » الاسم من الاختيار ، أي : أن في الشر ما يختار على غيره . انظر : فصل المقال ، ٢٤٤ .
 (٤) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .
 (٥) سورة الأنعام ، الآية ١١٩ .
 (٦) هذه العبارة ليست حديثاً وإنما قاعدة فقهية ذكرها كثير من الأصوليين في كتبهم . انظر : زين العابدين بن إبراهيم (ابن نجيم) . الأشباه والنظائر .

المواضع ، وقد رخص النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في لباس الحرير المحرّم لأجل الحكمة ، وذلك في حديث متفق على صحته^(١) ، فنحن وإن قلنا بقولهم في تلك الشروط في صحة الإمامة لكننا نقول : الضرورة اقتضت خلاف ذلك عند فقد بعض شروط الإمامة ، فمن جَوَزَ أمراً للضرورة ونسب إليه جوازه مطلقاً كان الناسب قائلاً بخلاف الواقع .

وقد ورد القرآن الكريم بقتل النفس لمصلحة غير كلية في قصة « يونس » عليه السلام^(٢) ، وأنه لما عرف أن أهل السفينة يفرقون جميعاً إن لم يُلْقَ أحد بنفسه إلى التهلكة ويرم بها في البحر ، رأى^(٣) أن رمي واحد بنفسه أهون من موتهم الجميع^(٤) ، فرمى - عليه [ص ١٣١] السلام - بنفسه الشريفة حين وقع السهم عليه / قال تعالى : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾^(٥) . ولا شك أن قتل النفس في الأصل حرام ، لكن جاز للضرورة ، وهذا في فعل المحرم في الشرع لمصلحة^(٦) . فأولى وأحرى أن يجوز ما ورد الشرع به من إقامة الحدود ونحوها للمصلحة : لأنه في نفسه مصلحة لكنه قد تعذر بعض شروطه ، وعمل المصلحة المشروعة عند فقد بعض شروطها للضرورة أولى من عمل المفسدة للضرورة ، مثاله : الصلاة بغير طهور ولا تيمم للضرورة أهون من أكل الميتة للضرورة .

(١) انظر : البخاري في الجهاد ، باب : الحرير في الحرب : وفي اللباس ، باب : ما يرخص للرجال من الحرير للحكمة : ومسلم في اللباس ، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير من حجة كانت بهما .
(٢) هذا الكلام غير صحيح ، فقتل النفس لم يرد في هذا الموضع ، وإنما أخبر الله تعالى عما وقع من يونس عليه السلام ، والكلام في قصة يونس لا يتأتى اجتزاؤه بهذه الصورة ، وقد بسط في سورة يونس ، والأنبياء ، والصفات ، انظر تفسير القرطبي (٨/٢٨٤ ، ١١/٣٢٩ وما بعدها ، ١٥/١٢١ وما بعدها) حيث بسط الروايات وساق القصة بأوجهها . وعليه فلا يصح الاستدلال بهذه القصة على قتل النفس ولا الإسهام في رميها في البحر أو ما تظن فيه الهلكة ، ولهذا قال القرطبي رحمه الله ١٥/١٢٦ : « السابعة : الاقتراع على إلقاء الأدمي في البحر لا يجوز ، وإنما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه وزيادة في إيمانه ، فإنه لا يجوز لمن كان عاصياً أن يقتل أو يرمى في النار أو البحر ... إلخ . وقد تعرض لدعوى التخفيف من السفينة ورده رحمه الله .

(٣) الأصل : را ، والصواب من ص .

(٤) هكذا في الأصل و ص ، والصواب : من موتهم جميعاً .

(٥) سورة الصفات ، الآية ١٤١ .

(٦) هذا غير صحيح ، وقد سبق بيانه في الهامش السابق .

ولم يزل العقلاء يدفعون المضرة العظمى بما دونها ، ويستحسنون قطع العضو من السراية^(١) ، وقد ذكر علماء الأصول الكلام في المصالح ، وطوّلوا القول فيه ، وقد تكلم الرازي^(٢) في « المحصول »^(٣) بكلام حسن في المصالح^(٤) ، وتكلم « شارح البرهان »^(٥) فيها ، ومن أحب الاستقصاء في المصالح وما يتعلق بها فليطالع كتاب « قواعد الأحكام في مصالح الأنام »^(٦) للعلامة عز الدين ابن عبد السلام^(٧) ، وأنّ كتابه أنفُس الكتب في هذا الشأن ، وللعلامة [أ/٤٢] المقرئزي^(٨) صاحب « الخطط والآثار »^(٩) كلام في هذه المسألة التي الكلام فيها ليراجعه من أراد من كتابه المذكور ، وهذا الشريف / غير مدفوع عن القيام بوظائف^(١٠) الكمال .

[ص ١٣٢]

هذا مع ما له من المواظبة على الجمعة والجماعات ، وتلاوة القرآن ، وقيام الليل كما روي ، وحضور مجالس الذكر ، وقد تم له الحج أيام

- (١) ما بين القوسين من ص (١٨٦) إلى هنا نقله المؤلف من المواعظ والقوامص لابن الوزير (١٧٢/٨ - ١٧٦) ولم يشر إلى ذلك .
- (٢) محمد بن عمر بن الحسن التيمي ، فخر الدين الرازي ، أوجد زمانه في المعقول والمنقول ، عالم في التفسير والأصول والفقه (ت/٦٠٦هـ) .
- (٣) انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٠٢/٧ : ترجمته في مقدمة محقق كتاب المحصول ، ص ٢٢ .
- (٤) اسم الكتاب : المحصول في أصول الفقه ، حققه ودرسه د . طه جابر فياض العلواني ، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٩٩هـ في ستة مجلدات .
- (٥) انظر مبحث المصالح المرسل في المحصول - الجزء الثاني ، القسم الثالث ، ص ٢٢٤-٢٢٨ .
- (٦) كتاب البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني ، حققه د . عبد العظيم الديب ، وطبع في مجلدين .
- انظر : الطبعة الثانية ، دار الأنصار بالقاهرة ، ١٤٠٠هـ .
- (٦) اسم الكتاب : قواعد الأحكام في إصلاح الأنام ، مطبوع .
- (٧) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي ، سلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، تولى الخطابة في الجامع الأموي بدمشق ، ثم انتقل إلى مصر وتولى بها القضاء والخطابة ، ثم اعتزل (ت/٦٦٠هـ) .
- انظر : الزركلي ، الأعلام ١٤٤/٤ : الكتبي ، فوات الوفيات ٥٩٤/١ .
- (٨) أحمد بن علي بن عبد القادر ، المؤرخ المشهور ، ولد ونشأ ومات في القاهرة ، ولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات (ت/٨٤٥هـ) .
- انظر : الزركلي ، الأعلام ١٧٢/١ : الشوكاني ، البدر الطالع ٧٩/١ .
- (٩) اسم الكتاب : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ويعرف بخط المقيريزي ، مطبوع .
- (١٠) الأصل : بوضايف .

سيادته، والزيارة لجده المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام^(١)، لا سيما وبين يديه السيد العلامة حسن بن خالد، وهو من أكابر العلماء، وتلك الأمور الواقعة من إقامة الحدود بمراى ومسمع منه، فلا يبعد مجراها على الوجه الذي ذكرناه، فلا يتوجه عليه اعتراض بذلك كما عرفت، والله أعلم.

وبعد وفاة الشريف حمود - رحمه الله تعالى - انحل عقد اجتماع

جيشه :

وتفرقوا فرقاً فكلُّ قبيلةٍ فيها أميرُ المؤمنين ومنبر^(٢)

وطلب السيد العلامة حسن بن خالد البيعة من رؤساء الجند للشريف أحمد بن حمود كما روي، فمنهم من استعد، وغالبهم منع؛ لأنهم تعللوا أنه طلب البيعة لنفسه، والعلم عند الله تعالى. وأما الأشراف فلم يبايع منهم أحد كما بلغ، وبعد ذلك أشعل الجند على السيد المذكور نار الخلاف، واحتسى بذلك الواقع من الهموم سلافاً بعد سلاف، والله القائل :

لا تلقَ دهرَكَ إلا غيرَ مكترثٍ ما دام يصحب فيه روحَكَ البدنُ
فلا يديم سروراً ما سررت به ولا يرد عليك الفاتتَ الحزن^(٣)

[ص ١٢٢] / فاعتزل في ناحية عن أولئك القوم، ولم يقابلهم بعتب ولا لوم، وهم صمموا على النزول إلى تهامة، وعزموا على أن من اعترضهم أقاموا عليه بالقتال القيامة، وما كان من ذلك الجند بعد وصولهم إلا أنهم سلموا إلى الشريف أحمد بن حمود القياد، وبايعه من طلب بيعته من أولئك الأجناد، وأشعروا في جميع ممالك والده (أنه قد تقلد جيداً المملكة [٤٢/ب] الشريف أحمد^(٤))، ونفذت أوامره فيما يروم من كل مقصد، ومدت الممالك جرانها لديه، وأنشد لسان حالها بين يديه :

(١) الأصل في شد الرحال بقصد الزيارة أن تكون للمسجد النبوي، ثم السلام لمن قصد ذلك على النبي ﷺ، وهذا ما جاء به النص عنه عليه الصلاة والسلام: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... الحديث » فجعل الشد للأماكن المذكورة.

(٢) البيت من الكامل.

(٣) البيتان من البسيط، والقائل: المتنبى، انظر: الديوان ٢٣٤/٤.

(٤) هكذا في الأصل.

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر^(١)

وفي هذا العام توفي الوالد القاضي العلامة صفى الإسلام أحمد ابن حسن بن علي البهكلي ، كان - رحمه الله تعالى - من القضاة المشهورين ، ارتحل في طلب العلم إلى « زبيد » و « صنعاء » ونال الحظ الوافر من كل فن ، وكان له الذهن الوقاد ، والخاطر المنقاد ، فأتى من العلم في الزمن القصير ، ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير . ولقي السيد العلامة محمد بن إسماعيل^(٢) الأمير - رحمه الله تعالى - وتلك الطبقة العالية ، وأخذ عنهم .

وكان مولده عام ثلاثة وخمسين بعد المائة والألف في شهر ذي القعدة الحرام بمدينة « صبيا » ، وتولى القضاء بمدينة « صبيا » مدة ، ثم ترك ذلك ، وسكن بلده / « هجرة ضمد » ، وكان يتردد منها إلى « أبي [ص ١٣٤] عريش » وهو مع ذلك على حال رضي ، ومنهج سوي . أوقاته معمورة بالطاعات ، من تدريس وذكر وتلاوة قرآن في كثير من الأوقات ، وله رسائل عديدة في مراجعات بينه وبين سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - وبين علماء عصره ، وقد رأيت بعض ما دار بينه وبين سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - في حكم صوم « يوم الشك » ، فبهرني منه ذلك التحقيق بعبارة جزلة ، وفصاحة ألفاظ . وناهيك أنه نادرة عصره ، وأصمعي دهره ، وأماً البلاغة فهو إمامها الذي إذا جلاً في محرابها صلّى بعده الأدباء ، والضارب فيها بالسهم الوافر الذي أقر بالعجز عنه مصابقة الخطباء ، وهو مجيد في النظم والنثر ، وشعره كثير ، فمن أحسن ما وقفت عليه من شعره هذه القصيدة^(٣) :

(١) البيت من الطويل .

(٢) الأصل : اسمعيل .

(٣) القصيدة من الطويل .

شرى^(١) البرق من أرض الحجاز وأتهما
فما رعدُهُ إلا زفيرٌ تولّهي
[٤٣/أ] / وما لمع ذاك البرق غير تنفس
تسعّره نار الفراق وطالما
إذا ما شدّت ورقاءٌ تُطربُ إلّها
وإن عبرت في سحرة نسمة الصبا
فيا ساكني أكناف «رامّة»^(٢) هل لنا
[ص ١٣٥] / ويا وطني هل أنت باق كعهدينا
وهل ربّعك المعمور راق لناظر
وهل طافه من زائر العرب رائد
وهل خيمت في جزعه من ظعينة
من البيض لكن عندها البيض جردت
وحول خباها كلّ لدن مثقف
جاذر أنس قد نصبن لعاشق
سقتك الغوادي يا ديار أحبتي
فيا زمن التفريق هل أنت مسعدي
أما للنوى من عدّة قد تصرمت

فهيج شوقاً في حشاي وتيما
وما المزنُ إلا ودق جفني إذا هما
تصعد من قلب الشجي تضرما
يعلّل نفساً في عسى ولعلما
توهمتها تبكي لما بي ترحما
صبت بفؤاد حنّ شوقاً إلى «الحمى»^(٢)
إلى وردكم من نهلة تذهب الظما
وقد ظلّ فيك السحب يوماً وغيماً
إذا ما كساه النبات زهراً وأنجماً
ليوطئه خفّاً هناك ومنسماً
ومدت إلى الأطناب كفاً ومعصماً
وهن الدمى من دونها تسفك الدما
بكف كمي للردى قد تلثماً
إذا رام مرمها نبالاً وأسهما
وجادك هطال الربيع وديماً
إلى كم تجرعني من البين علقماً
ووقت التداني قد دنا لي وحتماً

(١) شرى في الأمر : لج ويالغ ، وفي البرق : تتابع لمعانه .

انظر : المعجم الوسيط ٤٨٣/١ .

(٢) الحمى : قرية تقع شرق الشقيري وهي تبعد عن ضمد بحوالي ٧ كم شرقاً .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٥٥ ، زيارة ميدانية للباحث .

(٣) موقع على الطريق بين البصرة ومكة المكرمة في بني تميم ، يبعد عن البصرة بحوالي ١٢ مرحلة .

انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٨/٣ .

هذا غزلها ، وبعدها مديح ، وهذه القطعة من أدبه تدل على كمال بلاغته ، ولطف عارضته ، وقد رثاه ولده شيخنا القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد بقصيدة بليغة لولا الإطالة لذكرتها . وقد أثبتتها في غير هذا الموضع^(١) ، وقوله : يجرّعني - بإسكان الراء في الفعل المضارع (المجرد) قد ورد مثله في شعر العرب ، وللنحاة في ذلك كلام معروف ، وأما قوله : من البيض إلى آخره [٤٣/ب] ففيه الجنس التام مثل قول ابن الرومي^(٢) :

للسود في السود آثارٌ تركن بها لمعاً من البيض تثني أعين البيض^(٣)
/ ومعناه أن لليالي السود في اللّمم السود آثاراً تركن بها لمعاً من [ص ١٣٦]
الشعرات البيض تثني - أي تصرف - أعين البيض الكواعب الخرد
الحسان ، وكون الشيب صارفاً لأعين الحسان ، فهو متداول بين أهل هذا
الشأن ، وقد أكثر من ذلك الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وقد أحسن
أبو العلاء المعري^(٤) في قوله :

خبريني ماذا كرهت من الشيب فلا علم لي بذنب المشيب
أضيأ النهار أو وضح اللؤلؤ أو أنه كثفـر الحبيب
واذكر لي فضل الشباب وما يجمع من منظر يروق وطيب
غدره بالحبيب أم حبه للغي أم أنه كدهـر الأديب^(٥)

(١) انظر القصيدة ضمن ترجمة عبدالرحمن بن أحمد في عقود الدرر للمؤلف . الترجمة رقم (١٢٤) ، ومطلعها :

هل ينعم الرسم الخلي الداعيا أم هل تجيب الدارسات مناديا
يا دار أهل العلم أين تيمموا سكانك الشم الكرام مساعيا

(٢) علي بن عباس بن جرجيس الرومي ، من أشهر شعراء العصر العباسي (ت/٢٨٣هـ) .
انظر : فروخ ، تاريخ الأدب العربي ٢/٢٤٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣/٤٢ ؛ الخطيب
البغدادى ، تاريخ بغداد ١٢/٢٣ ؛ الأميني ، الفدير ٣/٢٩ .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي . أديب شاعر مشهور (ت/٤٤٩هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٩٤ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة المربية ٢/٢٦٠ .

(٥) الأبيات من الخفيف .

وهذا من تصرف الشعراء في تحسين الشيء وتقبيحه ، وقد كان ابن الرومي ممن يخالف الناس ، ويعكس القياس ، فيذم الحسن ، ويمدح القبيح ، وهو القائل :

في زُخرف القول ترجيح لقائله والحقُّ قد يعتريه بعض تغيير
تقولُ هذا مجاج النحل تمدحه وإن تَعِبَ قلت ذا هيِّ الزنابير^(١)
مدحاً وذمّاً وما جاوزت مدحهما سحر البيان يري الظلماء كالنور^(٢)

والحريري^(٣) إنّما فاق على من سواه بما أتى في مقاماته من مدح الشيء وذمّه ؛ كما فعل في المقامة الدينارية والتي فاضل فيها بين كتابة الإنشاء والحساب ، والتي ذكر فيها البكر والثيب ، والزواج والعزوبة ، وغير ذلك ، ولعمري أن مثل هذا / هو البلاغة والقدرة على التلعب بالكلام ، وصحة التخيل والذوق ، لكن [٤٤ / أ] ابن الرومي مشى في طريق الناس في بيته الأول ؛ لأن المعلوم لكل ذي ذوق أن الصفاء والعذوبة والهناء إنّما هي معصوبة بالشباب ، فإذا أتى زمن المشيب كدّر منهل العيش ، وغصص وأردّه بكدر ضده ، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾^(٥) ، وما أحسن قول أبي العلاء :

وقد تعوضتُ من كل بمشبهه وما وجدت لأيام الصبا عوضاً^(٦)

(١) الأصل : الزنابير ، والصواب من (ص) و (ع) .

(٢) الأبيات من : البسيط .

(٣) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، أديب وعالم في اللغة ، اشتهر بمقاماته (ت/ ٥١٦ هـ) .

انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٧ ؛ زيدان ، آداب اللغة العربية ٣/ ٣٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٥ .

(٤) سورة النحل ، الآية ٧٠ .

(٥) سورة يس ، الآية ٦٨ .

(٦) البيت من البسيط ، انظر : سقط الزند لأبي العلاء المعري ، ٢٠٨ .

وما بكت العرب على فائت من الأحباب ، مثل بكائها على أيام
الشباب ، (قال المفضل^(١) : حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور
النمري^(٢) فأنشده :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزعٌ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع
بأن الشباب وفاتتني بلذته صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي حسن غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع^(٣)

قال : فتحرك الرشيد ، وقال : أحسن ، والله لا يتهنى أحد بعيش
حتى يخطر في رداء^(٤) الشباب^(٥) .

ولو جمع ما قيل من الشعر في البكاء على الشباب^(٦) لجاء^(٧) في
جزء مفرد ، ومِمَّا قلته في هذه المادة حين راعني لمعان المشيب ، وردن
الشباب مني قشيب^(٨) :

بأن الشبابُ وجاء الشيبُ بالهرم فإن بكيت فما بالعهد من قدم
/ قد راعني لُمعاً في العارضين غدت مثل النجوم بدت في جانح الظلم [ص ١٣٨]
إن قلت شيبٌ بدا من قبل عاداته يحكي لدرٌ غدا في السلك منتظم
فليس ينفعني عذري بسرعته عند اللواتي كرهن البيض في اللمم
فليت عصر الصبا بالحسن دام لنا وليت أن زمان الشيب لم يدم

(١) المفضل بن محمد الضبي ، أديب من رواة الشعر ، جمع بعض الأشعار المختارة للمهدي
وسماها المفضليات ، مطبوع (ت/١٦٨هـ) .

انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٤١٢/١ .
(٢) منصور بن الزبرقان بن سلامة ، شاعر عباسي (ت/١٩٠هـ) .
انظر : الزركلي ٢٣٨/٨ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٨٠/٥ .

(٣) الأبيات من البسيط .

(٤) الأصل : رداً .

(٥) انظر : الغيث المسجم للصفدي ١٧٦/٢ .

(٦) الأصل : الشاب ، والصواب من ص .

(٧) الأصل : لجأ ، والتصحيح من ع .

(٨) الأبيات من البسيط .

ويعجبني في تعليل إسراع الشيب ما قاله شيخنا البدر الشوكاني^(١)
بل الله ثراه بالرحمة :

[٤٤/ب] / إن شبتُ من قبل أنرابي فلا عجيبي فمثل ذا لبني الأيام قد وقعا

رأى الشبابُ صنيعي لا يوافقـه فـقـرَ إذ لَمْ أجب داعيه حين دعا
وأقبل الشيب مسروراً بطلعته كالصبح بعد ظلام الليل قد طلعا

وأنشدني القاضي العلامة الأديب يحيى بن عبدالواسع العلفي^(٢)
ونحن « بالروضة »^(٣) من منتزهات « صنعاء » عام ثلاثة وأربعين بعد
المائتين والألف لنفسه عكس هذا المعنى وقال : إنه قال ذلك حين عثر على
أبيات شيخنا المذكور :

قال العواذلُ ما بالُ الشباب له ملازماً ومشيب الرأس ما طلعا
فقلت إن مشيبي ساءه^(٤) عملي ففر إذ لَمْ أجب داعيه حين دعا
فأعرض الشيب مُزَوَّراً^(٥) يقول لقد دعوته بفلاحي^(٦) قـطـ ما سمعا^(٧)

بعد انفصال تلك الأجناد لم يزل السيد العلامة حسن بن خالد

(١) محمد بن علي الشوكاني ، عالم ومجتهد من كبار علماء اليمن ، ولي القضاء بصنعاء
وأصبح قاضي القضاة من ١٢٢٩هـ إلى أن توفي عام ١٢٥٠هـ .

انظر : الشجني ، التقصار في جيد علّامة الأمصار (مخطوط) : الشوكاني ، البدر
الطالع ٢١٤/٢ : زيارة ، نيل الوطر ٢٩٧/٢ : انظر ترجمته في هذا الكتاب في وفيات
عام ١٢٥٠هـ : عاكش حدائق الزهر ، تحقيق : د . إسماعيل البشري ، ٢١ :

- Al - Amri , The Yemeni scholar .

(٢) في الأصل : العنفي ، والصواب العلفي ، شاعر وأديب يمني .

انظر : زيارة ، نيل الوطر ٤٠٤/٢ .

(٣) روضة أحمد : شمال مدينة صنعاء بمسافة ٥ كم وتدعى أيضاً روضة حاتم ، وهي
مشهورة بضروب عنبها . انظر : المحففي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ١٨٢ .

(٤) الأصل : ساء .

(٥) في نيل الوطر لزيارة : حيراناً ، انظر : ٤٠٦/٢ .

(٦) في نيل الوطر لزيارة : فلاح ، انظر : ٤٠٦/٢ .

(٧) الأبيات من البسيط .

يتوصل إلى نظم / شمل عسير ، فاجتمع له منهم جمع كثير ، ولما كان [ص ١٣٩]
السيد المذكور عند الشريف حمود بمنزلة الواسطة من العقد ، وقد ناط
به جلّ أموره لما علم منه صدق المؤازرة ، وعرف منه النصيح له والمعاضدة .
وقد قيل لعبد الحميد الكاتب^(١) : أيما أحب إليك أخوك أم صديقك ؟
فقال : أنا أحب أخي إذا كان صديقي ، وفي المثل « رب أخ لك لم تلده
أمك »^(٢) . وقال أكثم بن صيفي^(٣) : القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة
لا تحتاج إلى قرابة .

وكان الأشراف يرون إقعاد الشريف حمود له هذا المقعد ، وتأثيره
عليهم مع أنه من الأجانب لا يليق ، ويرون أنهم الأحقاء بمقامه لكونهم
عشيرته الأذنين ، وما زال يفرج بهم كل مضيق ، ولله القائل :

[٤٥/أ]

/ ما لمتُ دهري على شيء عصيت له

على الحوادث حتى جار في القسم^(٤)

ولكن الشريف حمود لا يلوي إلى قول قائل ، ولا يسمع فيه عدل
عادل ، ويرى كلام المتكلم في هذه المجرة من اللمم ، لا جرم أن المحب عن
العدال في صمم ، وكان الشريف في آخر أيامه قد أوحش منهم النفوس ،
وأودع بعضهم الحبوس ، ولم يفتقر لهم أدنى حاصل في الأقوال والأفعال ،
ولله من قال :

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري ، عالم بالأدب من أئمة الكتاب ، يضرب به المثل
في البلاغة ، ويقال : فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، قتل مع مروان
ابن محمد في بوصير بعصر سنة ١٢٢ هـ .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٦٠/٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢/٢٩٤ .
(٢) قاله لقمان العادي لامرأة رأى معها رجلاً مستخياً بها فسألها عنه فقالت : هو أخي .
انظر : الزمخشري ، المستقصى ٩٣/٢ .

(٣) أكثم بن صيفي بن رياح التميمي ، حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين ، أدرك
الإسلام وقصد المدينة ومات في الطريق سنة ٩ هـ .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٤٤/١ ؛ ابن حجر ، الإصابة ١/١١٣ .

(٤) البيت من البسيط .

ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
[ص ١٤٠] ومن يتتبع جاهداً كل عثرة يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب^(١)

وكانوا منه مع هذا على جناح طائر من الحذر ، وقنعوا منه
بالسلامة عن بذل النوال ورأوها^(٢) غاية الوطر ، فلما لحق بالعالم
الأخروي ظنوا أنهم بولاية ولده الشريف أحمد ينالون المراد ، ويرجعون
إلى عادتهم السالفة من التكرمة والإمداد .

والمرء ما دام ممدوداً له أمل لا ينقضي العيش حتى ينقضي العمر^(٣)
فلم يزل قرابته يدلونه على الاستبداد في جميع أموره ، لأن العاجز
من لا يستبد ، ويرشدونه إلى عدم مطاوعة أحد ممن يريد إقصاءهم عنه ،
ويحذرونه من فعل والده ، فمال معهم إلى هذا التدبير ، وأظهر مباينة
السيد حسن بن خالد والله أعلم بما أجته في الضمير .

ولما استقر مطرح السيد العلامة حسن بن خالد بمن معه من
الأجناد بوطنه قرية « ضمد » نصب هنالك الخيام ، ورفع إلى الشريف
أحمد بمكتوب ، متضمناً أنه عضيده وأنه له كما كان لوالده ، ولا له غير
ذلك مطلوب ، والشريف أحمد في الظاهر مصمم على عدم المساعدة في
الخطاب ، ويرى أن السيد الحسن قد حاد عن طريق الصواب ، فتوسط
جماعة من الأعيان منهم الشريف حسن بن شبير بن مبارك على أن يكون
بين الرجلين الاجتماع [٤٥/ب] ما بين « وادي بلاج »^(٤) و « جازان » ،
[ص ١٤١] ويتفاوضان فيما بينهما وما شاء الله كان ، / فرضي كل منهما هذا الرأي
السديد ، والله - سبحانه - هو الفعال لما يريد ، فجمع الشريف أحمد

(١) البيتان من الطويل .

(٢) الأصل : ورؤها ، والتصحيح من ص .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) واد صغير مآتيه من بني الغازي ، يلتقي بوادي جازان جنوب قرية القمري .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٠ .

الأجناد الذين لديه ، ولبس الأشراف لأمات الحرب بين يديه ، وكان غالب الظن منهم أن ينفتح الشر بينه وبين السيد العلامة حسن بن خالد ، لما كان ظهر لهم من الشريف أحمد من المقال ، مع أن المقادير تجري بخلاف ما يخطر بالبال .

فلما أن ترا [ءى] الجمعان ، جالت خيل الشريف في ذلك الفضاء براعة استهلال ، لانفتاح باب القتال في ذلك المجال الواسع ، فلم يرض الشريف أحمد فعلهم بل قابلهم كما حُكي بالعتب والتقريع ، وانضم عقد الكلام في ذلك المقام على وقوف الشريف أحمد والسيد حسن بين الجيشين تحت شجرة ، وكل منهما يفيض على الآخر عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ (١) ، فطال بينهما بعد الاتفاق المجاذبة بأطراف الكلام ، وآل الأمر إلى أن بايع السيد الحسن الشريف ، وصار ما بينهما بالاتحاد أصفى من ماء الغمام ، وكأنه لم يكن جرى شيء من الخلاف ، وعاد الحال إلى اتفاق وائتلاف :
وكأنَّما برقٌ تألَّق بالحمى ثُمَّ انطفأ وكأنه لمْ يلمع (٢)
وفي آخر ذلك اليوم توجهوا جميعاً إلى « أبي عريش » ، وسكنت أمور الناس من التشويش :

وعاد الناس بين رضا وسخط تفرقهم كأنواع الطباق (٣)
ودخلوا المدينة العريشية ، بأبهة ملوكية ، وشارة / هاشمية ، [ص ١٤٢]
وضربت المدافع للأفراح ، واستحال ذلك الغسق صباحاً أي صباح .
سانحة : قوله في بيت الشاهد تفرقهم كأنواع الطباق ؛ فالطباق :
نوع من أنواع البديع ؛ لأن الرضى والسخط ضدان ، وأعظم [أ/٤٦]

(١) يعني همومه وأحزانه ، قاله علي بن أبي طالب لما رأى طلحة بن عبيد الله وهو صريع في وقعة الجمل ... إلى الله أشكو عَجْرِي وَبُجْرِي ، معناه : همومي وأحزاني .

انظر : لسان العرب ، مادة : عجر .

(٢) البيت من الكامل .

(٣) البيت من الوافر .

شواهد المطابقة قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) (١) ، وكقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ : « إِنْكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » (٢) ، فانظر إلى البلاغة النبوية ، والمناسبة التامة ضمن المطابقة . ومن الشواهد الشعرية قول الحماسي (٣) :

تأخرت أستبقي الحياة (٤) فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدما (٥)
وقول ابن الدمينه (٦) :

لئن ساءني أن فلتني بمساءةٍ لقد سرنى أني خطرت ببالك (٧)
والمطابقة عند المحققين من علماء البديع غير المقابلة ، والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين :

أحدهما : أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين ، والمقابلة تكون غالباً تجمع بين ضدين في صدر الكلام ، وضدين (٨) في عجزه ، ويبلغ الجمع بين عشرة أضداد خمسة في الصدر وخمسة في العجز .

والثاني : أن (المطابقة) لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغير الأضداد ، ولكن الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعاً ، ومن معجز هذا الباب قوله تعالى : ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا

(١) سورة النجم ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) لم أعثر عليه بأي لفظ في معظم كتب الحديث .

(٣) الحماسي : نسبة إلى حماسة أبي تمام ، والبيت من مقطوعة للحصين بن الحمام المري ، انظر : أبو تمام ، الحماسة ١١٤/١ .

(٤) الأصل : الحيوية ، والتصحيح من ص .

(٥) البيت من الطويل .

(٦) عبدالله بن عبيدالله بن أحمد ، من خثعم ، شاعر بدوي من أرق الناس شعراً ، وهو من شعراء العصر الأموي (ت/١٣٠هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٣٧/٤ : العباسي ، معاهد التنصيص ١٦٠/١ .

(٧) البيت من الطويل .

(٨) الأصل وص : ضدان .

فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾ ، فانظر إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام ، وهما ضدان ، ثُمَّ قَابِلُهُمَا فِي عَجْزِ الْكَلَامِ بِضِدِّينَ ، وهما السكون والحركة على الترتيب ثُمَّ عَبَّرَ عَنِ الْحَرَكَةِ بِلَفْظِ الْإِرْدَافِ ، والتزم في الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المقابلة ؛ فإنه عدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء (٢) الفضل ، لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة ، وهي تشير إلى الإعانة بالقوة ، وحسن [٤٦/ب] الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس ، وإضاءة الطرق إلى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدي المتحرك إلى بلوغ الأرب ، ويتقي أسباب المهالك ، والآية الشريفة سيقى للاعتداد بالنعم ، فوجب (٣) العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان ، فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح التي لو عددت بألفاظها الموضوعية لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة ، فحصل في هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ، ألا تراه - سبحانه وتعالى - كيف جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع / الإنسان قال : ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [ص ١٤٤] فجمعت هذه الآية الشريفة من أنواع البديع : المقابلة ، والتعليل ، والإشارة ، والإرداف ، واقتلاف اللفظ مع المعنى ، وحسن البيان ، وحسن النسق ؛ فلذا جاء بالكلام متلائماً آخذاً بعضه بأعناق بعض ، ثُمَّ أَخْبَرْنَا بِخَبْرِهِ الصادق أن جميع ما عدده من النعم بلفظ الحاض ، وما تضمنته العبارة من النعم التي يلزم من لفظ الإرداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعية ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ، وهذا كله في بعض آية عدتها عشر كلمات ، فتأمل هذه البلاغة الباهرة ، والفصاحة الزاهرة .

(١) سورة القصص ، الآية ٧٣ .

(٢) الأصل وص : ابتغى .

(٣) المؤلف هنا يتكلم وكأنه يتحدث عن كلام بشر يوجب عليه ما يجب لغة وما يلزم الحذر منه ، وغفل عن أنه يعرض كلام الله تعالى ، والتعبير بالوجوب خطأ ظاهر في حق الله تعالى ، إذ لا يجب عليه شيء ، وما كتبه على نفسه إنما هو تكرم وفضل منه سبحانه .

ومن أمثلة المقابلة في السنة الشريفة قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، والخرق في شيء إلا شأنه »^(١) ، فقابل - صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - الرفق بالخرق ، والزين بالشين ، بأحسن ترتيب وأتم مناسبة ، ومنه قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ : « إن لله عبادة جعلهم مفاتيح للخير [أ/٤٧] ومغاليق للشر »^(٢) ، هذا في مقابلة اثنين باثنين ، وأما مقابلة ثلاثة بثلاثة فقليل : إن المنصور الدوانيقي^(٣) ثاني خلفاء بني العباس سأل أبا دلامة^(٤) عن أشعر بيت في المقابلة فأنشده^(٥) :

ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفرَ والإفلاسَ بالرجل
[ص ١٤٥] / فالشاعر قابل بين أحسن بأقبح ، وبين الدين والكفر ، والدنيا والإفلاس ، قال ابن أبي الإصبع^(٦) : لم يصل قبله مثله ، ومن مقابلة خمسة بخمسة قول أبي الطيب :

أزورهم وسوادُ الليل يشفعُ لي وأنثي وبياضُ الصبح يُغري بي^(٧)
فأزورهم يقابل أنثي ، وسواد يقابل بياض ، والليل يقابل الصبح ،

(١) ورد عند مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٤) : وعند أبي داود في الجهاد ، باب : ما جاء في الهجرة (٢٤٧٨) : وأحمد في المسند ٥٨/٦ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٧١ .

(٢) ورد عند ابن ماجة في المقدمة ، باب : من كان مفتاحاً للخير (٢٣٧) .

(٣) أبو جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، أطلق عليه لقب الدوانيقي نظراً لبخله ، والدائق عملة ذلك الوقت (ت/١٥٨هـ) .

انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ١٥٤/٩ - ٢٢٢ : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٥٣/١٠ - ٧١ .

(٤) زند بن الجون الأسدي ، أبو دلامة ، شاعر مطبوع ومن أهل الظرف والدعابة (ت/١٦١هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٨٤/٢ : العباسي ، معاهد التنصيص ٢١١/٢ .

(٥) البيت من البسيط .

(٦) زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع العدواني ، شاعر وعالم بالأدب ، ولد وعاش بمصر (ت/٦٥٤هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٥٦/٤ : الكتبي ، فوات الوفيات ٦٠٧/١ .

(٧) البيت من البسيط .

ويشفع يقابل يغري ، ولفظ لي يقابل لفظ بي ، وهذا في غاية من الحسن .

وأما ما قاله أبو بكر ابن حجة^(١) في شرح بديعته من التنظير في المقابلة بين لي وبني بأن الباء واللام صلتا الفعل ، فلا تتم المقابلة الخامسة ، ثُمَّ حكم بترجيح (بيت) أبي دلالة المتقدم عليه ، فالحكم تَحْكُم ، والتنظير غير صحيح ؛ لأن مقابلة لي للفظة بي صحيحة ؛ لأن الشفاعة له ضد الإغراء به ، كأنه قال ذاك لي وهذا علي . قال الشاعر :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نُسر^(٢)

ألا تراه قابل عليهم بما لهم لما في ذلك من الإساءة^(٣) والسرور ، ولله در شيخ الإسلام ابن دقيق العيد^(٤) - رحمه الله تعالى - ما أصدق ذوقه ، وما أرق حاشيته ، حيث يقول : « قل لهؤلاء ؛ علماء المعاني والبيان والبيديع : أحسنون أن تقولوا مثل هذا - يعني أزورهم ... البيت - فإذا قالوا لا قل لهم : أي فائدة فيما / تصنعونه » انتهى .

[ص ١٤٦]

نعم ، وَلَمْ يزل الشريف أَحْمَد متفنياً ظلال الإمارة ، قد ملأت [٤٧/ب] أحكامه أقطاره ، والحال فيما بينه وبين السيد الحسن جميل ، وهو على الحال الذي كان مع والده من التكريم والتبجيل ، ولكن الشريف أحمد قد استماله من استمال من غير نظر إلى ما قيل في هذا المجال :

(١) أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ، شاعر وأديب وكاتب . تنقل بين مصر والشام (ت/٨٢٧هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٦٤/١ : السخاوي ، الضوء اللامع ٥٢/١١ .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو للنمر بن تولب ، انظر : النويري ، نهاية الأرب ٢٢٤/٣ .

(٣) الأصل : الاساء .

(٤) محمد بن علي بن وهب ، من أكابر العلماء بالأصول ، ولد في ينبع بالحجاز وتنقل بين الشام ومصر ، وولي قضاء الديار المصرية إلى أن توفي عام ٧٠٢ هـ .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٧٣/٧ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٩/٢ : ابن تغري بردي ؛ النجوم الزاهرة ٢٠٦/٨ .

وإنَّما رجل الدنيا وواحدُها من لا يُعوَّل في الدنيا على رجل^(١)
فحسن له المصاحبة للأتراك ليسكن عنه شرهم في جميع
الأحوال ، وتنسد باب فتنتهم التي لم تزل تزلزل الأبطال ، كما قال
صاحب « الصادح والباغم » :

وإن مَنْ حارب من لا يقوى لحربه جرَّ إليه البلوى^(٢)

لكن المقادير تجري بخلاف التقارير ، ولما كان السيد العلامة حسن
ابن خالد قد حنكته التجارب ، ولم يقنع بغير السيف صاحب ، لم
يستحسن هذا الضعال في إصدار ولا إيراد ، ويرى أن تصافي العرب
والعجم لا يمكن لأن بينهما نسبة التضاد^(٣) ، لكنه لم يصنع إلى مقالته ،
ففعل ما أراد ، وأرسل بعض الأعيان لتغليق هذا الباب ، ويكون بواسطته
تمام الخطاب ، وفي خلال ذلك بدا له الخروج إلى بلاد « الخميسين » ؛
لأنه قد كان أرسل إلى جهاتهم القاضي المقدام حسن بن عطيف الحكمي
في طائفة من الأجناد ، لعله يتسلم منهم بعض المعونات الدولية^(٤) ، وقد
[صره ١٤م] (*) كان أشرف أمرهم على تمام ، ففرق / المذكور من عنده من الأقوام ، لما
قد سبق في علم الملك العلّام ، فمع علم أولئك القبائل أنه لم يبق لديه
غير فئة قليلة لا يخشى منهم قوة الدفاع ، تجمعوا من كل جانب وملؤوا
تلك البقاع ، وجعلوه هو وأصحابه هدفاً للرصاص ، ولم يراقبوا فيهم الله
سبحانه وتعالى يوم التقاص^(٥) ، وكان هذا القاضي من أعوان الدولة

(١) البيت من البسيط وهو للطبراني ، انظر : فروخ ، تاريخ الأدب العربي ٢/ ٢٢٤ .

(٢) البيت من الرجز .

(٣) هذه المقولة غير صحيحة ، وهي تنبئ عن عصبية مقبلة ، فقد جمع الدين أصحاب
الأسن المختلفة والديار المتباعدة ، والفضل إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح كما ورد
بذلك الخبر عن الصادق عليه السلام . ولو علل الأمر بما فعل أولئك وما عانتهم البلاد منهم فإن
هذا أحرق من التعليل باللسان والجنس فحسب .

(٤) إشارة إلى الضرائب التي كان الأشرف يفرضونها على سكان المخلاف السليماني ،
والمؤلف هنا يربط بين تلك الضرائب وبين ما كان يطلبه الأتراك من الشريف ، أو لعله
يريد أن يلطف أو يفسر الموقف بالنسبة للأشرف .

(٥) وردت في الأصل غير معجمة الصاد ، فيمكن أن تكون : التقاص أو التقاض ، وكلاهما
يتفق مع السياق ، والتقاص أرجح لضرورة السجع مع الرصاص التي قبلها .

(*) ورد رقم ١٤٥ و ١٤٦ مكرراً في نسخة ص ، فأشرت إلى ذلك بإضافة حرف (م) .

الحمودية ، وله أفعال تدل على بسالة ونبالة ، وكان يقدم في بعض المهمات ، ويعتمد عليه في أغلب الحالات ، ولله القائل :

[١/٤٨]

/ هو الجد حتى تفضل العين أختها

وحتى يصير اليوم لليوم سيداً^(١)

هذا مع ما نال من المعارف العلمية والمكارم المرضية ، ولما وصل الشريف أحمد إلى بلاد « الخميسين » بلغ فيهم المراد ، وحكم فيهم السيف على ما جرى منهم من التجري والعناد :

في السيف جورٌ فاجتنب تحكيمه

ما لم يضع أمر المهيمن أو يُهن^(٢)

وتغلغل في تلك البلاد حتى وصل جبل « كحلان » ، وقد كان بلغ

استئصال الترك « للدرعية » وأسرههم لأميرها عبدالله بن سعود في

جماعة من قراباته وأصحابه بعد أن حوصروا مدة ، وكان المحاصر له

إبراهيم باشا^(٣) من تحت نظر والده محمد علي باشا صاحب مصر ،

وبذل / مجهوده في استئصال تلك الطائفة النجدية ، ولم يزل محاصراً [ص ١٤٦م]*

لهم حتى لم يبق لهم عين ولا أثر^(٤) ، فأصبحوا خبراً من الأخبار ، بعد أن

غنت بذكرهم السمار ، ونفذت أوامرهم في كثير من الأقطار . وبلغت

غزايهم أطراف العراق ، وطبقوا بالسرايا أغلب الآفاق :

(١) البيت من الطويل ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٢٨٦/١ .

(٢) البيت من الكامل .

(٣) أكبر أبناء محمد علي باشا ، تولى قيادة الجيوش التي أرسلت للقضاء على الدولة السعودية الأولى ، أنعم عليه السلطان بالباشوية مكافأة له على خدماته ، وكان يبلغ من العمر سبعة وعشرين سنة ، تولى ولاية مصر بعد تنازل والده سنة ١٢٦٤ هـ ، وتوفي بعد ذلك بسبعة أشهر . انظر : الزركلي ، الأعلام ٦٦/١ ؛ مردم ، أعيان القرن الثالث عشر ، ١٢٠ ؛ الرافعي ، عصر محمد علي ، ترجمة إبراهيم باشا ، ٥٦٧ - ٥٧٣ .

(٤) بدأ حصار الدرعية في غرة جمادى الثانية عام ١٢٣٣ هـ ، واستمر الحصار لمدة خمسة أشهر تقريباً حتى سقطت في الثامن من ذي القعدة من العام نفسه ، ولزید من المعلومات حول معارك الدرعية وصمودها ضد الفزاة . انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ١٩٦/١ - ٢١٠ ؛ عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى ٢٤٨/١ - ٣٥٥ .

تحكموا فاستطالوا في تحكمهم وعن قريب كأن الأمر لم يكن^(١)
فأصبحت «الدرعية» مأوى للبوم، يتجاوب فيها الصدى^(٢)، مؤذنة أن
هذه الدنيا متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا^(٣)، ينشدهم لسان الحال:
كان لم يكن بين «الحجون» إلى «الصفاء» أنيسٌ ولم يسمر «بمكة» سامر
ويجيب عنهم في ذلك المقال :

بلى نَحْنُ كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر^(٤)
ونطقوا بلسان الاعتبار أولئك النفر ، حين صاروا تحت الأسر ، بعد
أن كانوا ولاة النهي والأمر :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت لنا رغبة أو رهبة عظمائها
[٤٨/ب] / فلما انتهت أيامنا علقت بنا شدائد أيام قليل رخاؤها
وكان إلينا في السرور ابتسامها فصار علينا في الهموم بكاؤها^(٥)

وكان السيد العلامة حسن بن خالد ، وغيره من عقلاء الناس يرون
أن بقاء «الدرعية» في المناوأة للأتراك اشتغال لهم عن الالتفات إلى هذه
[ص ١٤٧] البلاد ، وأنه لا يردهم عن التوجه إليها - بعد أن يصفو^(٦) / لهم الجو -
رأى ، ولقد رأيت خطأ من السيد العلامة حسن بن خالد إلى شيخنا القاضي
العلامة عبدالرحمن بن أحمد البهكلي يعظّم عليه أخذ «الدرعية»، ويرأها

(١) البيت من البسيط .

(٢) هذا الكلام وما قبله وما بعده ، في أكثر من موضع يدل على موقف معاد للدعوة
وأنصارها ، وإن كان قد قال شيئاً من كلام الإنصاف في موطنين من هذا الكتاب ، ويدل
على تشف بما حدث وشماتة بأولئك القوم الداعين للصالح والاستقامة . ولكن أبى الله
تعالى إلا أن يتم نوره وتعود دونة الدعوة إلى ماضيها والمؤلف عايش عودتها ولم يلتفت
لذلك ، عفا الله عنا وعنه .

(٣) لم يمض على الدرعية إلا سنوات قليلة حتى قامت المحاولات لبعثها من جديد إذ تمكن
الإمام تركي بن عبد الله من تأسيس الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠هـ، فانتهاه مرحلة
وقيام مرحلة أخرى عاصرها المؤلف وسمع أخبارها ولا يستدعي منه مثل هذا الوصف .

(٤) البيت والذي سبقه من الطويل ، وهما للمضامض بن عمرو الجرهمي .

(٥) الأبيات من الطويل .

(٦) الأصل : يصفأ .

براعة استهلال للبلية ، بأنواع من ضروب الكلام يذيب قلب الجماد ، ويفصح له باستيلاء أيدي الأتراك بعد أخذها على هذه البلاد ، والله أعلم من أين استمد هذا الخاطر فاعله برؤيا منامية^(١) ، على أنه قد ورد في صحيح البخاري : « قد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر »^(٢) ، هذا لفظ البخاري ، وفي رواية له : « لقد كان فيما قبلكم من أمم بني إسرائيل^(٣) رجال يُكَلِّمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يك في أمتي منهم أحد فعمر » . والمحدثون : الملهمون كما قاله مسلم في صحيحه ، وفي « نهاية » ابن الأثير : « أنهم الملهمون . والملهم هو الذي يُلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدساً أو فراسة ، وهو نوع يختص به الله - تعالى - من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل : عمر ، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه » ، هذا لفظ « النهاية »^(٤) ، وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾^(٥) ولا محدث كما في البخاري / وقد تكلم الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح [ص ١٤٨] الباري » في هذه المادة بما يشفي ويكفي ، من أحبه فليطالعه^(٦) .

وللسيد الإمام محمد بن إبراهيم المرتضى^(٧) الشهير بابن الوزير

- (١) هنا أمران : الأول ، أن حزن الشيخ حسن بن خالد في محله . حيث يرى بلاد الدعوة تشتهك والظلم على أهلها يمارس فلا غرو أن يحزن هو وغيره لما أصاب المسلمين من مكروه .
- الثاني ، أن الحكيم يقرأ الحدث ويستنبط منه الدرس ، وهو يعرف سياسة الأتراك فلا يحتاج إلى خواطر منامات ليحلل الحدث ويتوقع حدوث ما حدث لبلاد الدعوة في بلاده بعد أن ينهي أولئك غرضهم هناك .
- (٢) هكذا في الأصل ، والصواب : فإن يك منهم أحد فعمر ، رواء البخاري في فضائل الصعابة ، باب : مناقب عمر (٣٦٨٩) ، وفي الأنبياء (٣٤٦٩) : وفي مسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٧) .
- (٣) الأصل : إسرائيل .
- (٤) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٣٥٠ .
- (٥) سورة الحج ، الآية ٥٢ .
- (٦) انظر : فتح الباري ، الجزء السابع ، ص ٥٠ - ٥١ .
- (٧) من آل الوزير ، مجتهد وباحث من أعيان العلماء ، تعلم بصنعاء وصعدة ومكة ، له عدد من المؤلفات أبرزها : العواصم والقواصم : إيثار الحق على الخلق ؛ الروض الباسم (ت/٨٤٠ هـ) .
- انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٨١ : السخاوي ، الضوء اللامع ٦/٢٧٢ .

- رحمه الله تعالى - مؤلف مشتمل على قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾^(١) ، من الأمور الكونية الغيبية فيكشفها لمن يشاء من رسله وأنبيائه وأوليائه ، [أ/٤٩] ومن الأمور الشرعية الإيحائية فلا يكشفها إلا لرسله وأنبيائه خاصة ، فقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾^(٢) إلا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿^(٣) من العام المراد به الخاص ، والمراد من الغيب في الآية المذكورة الشرعي الإيحائي^(٣) خاصة لا الكوني ، هذا معنى ما قال ، والكلام طويل ، وهذه^(٤) خلاصته .

على أن السيد العلامة حسن بن خالد حدث لنا بعض من يطلع على أحواله أنه كان يجري على لسانه شيء من هذا الباب فيقع مثل ما يقول ، والرجل بمحل من التقوى والله - تعالى - يقول : ﴿ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾^(٥) ، والكرامات من الأولياء أهل الاستقامة واقعة ، ومن نسب إلى أئمة أهل البيت إنكارها فهو لا يدري ما يقول ، ومن تتبع تراجمهم وعرف أحوالهم وقف على كرامات لهم عظيمة ، ويوردها [ص ١٤٩] بعضهم لبعض في تراجمهم / ويعدونها في مناقبهم ، ولولا خشية الإطالة لأتينا على ذكر شيء من ذلك لكن من أراد ذلك فليطلبه من تراجمهم في مظانها .

وممن قرر وقوع ذلك أحسن تقرير ، علامة العصر الأخير ، السيد الإمام محمد بن عز الدين المفتي^(٦) - رحمه الله تعالى - في كتابه في

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الجن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) الأصل : الإيحائي .

(٤) الأصل : وهذا .

(٥) سورة الأنفال ، الآية ٣٤ .

(٦) عالم وفقه يمني ، إليه تنتهي أسانيد أهل اليمن ، وأكثر مصنفاته في علم الكلام ، ألف

كتاب « البدر الساري » وشرح « تكملة البدر » و « واسطة الدراري » (ت/١٠٥٠ هـ) .

انظر : النعمان ، العقيق اليماني ، مخطوط ، ٢٩٥ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٢٠٢ .

أصول الدين المسمى « واسطة الدراري » وفي شرحه « البدر الساري »^(١) من أحبه فليراجعه فإنه شاف ، وللمنصف كاف .

وقد سمعت بعض أصحاب السيد المذكور يذكر أن ذلك أخذه من « علم الجفر »^(٢) ، وقد رأيت كلاماً لبعض العلماء في شأن علم « الجفر » يقضي بعدم ثبوت ذلك ، مع أن صاحب « مفتاح السعادة » المشهور بالفاضل الرومي قرره ، وكثير من أئمة أهل البيت عليهم السلام يقولون بصحة ذلك ، ويسندونه إلى جدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وصاحب البيت أدري بالذي فيه ، ومع معرفتنا بالاستقراء التام لكمال تقواهم ، وبلوغهم من العلم مبلغاً لا يبلغه غيرهم^(٣) ، وهم في أعلى طبقات الورع (نظن) أنهم لا يقررون إلا ما له وجود في الخارج ؛ بل تقطع بذلك ، وهم أعلم وأتقى لله - سبحانه - ممن يقول بعدم ثبوته بمراحل ، حتى إن [٤٩/ب] السيد العلامة صارم الدين^(٤) قال في « بسامته »

(١) لم أعثر على معلومات عن « واسطة الدراري » أمّا شرحه المسمى « البدر الساري » شرح واسطة الدراري في توحيد الباري « مخطوط برقم ٢٧٦٦ في المتحف البريطاني ، ورقم ٣٦ و ١٤٠ (علم الكلام) في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء .
انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١٢٦ .

(٢) الجفر : ولد الشاة إذا عظم واستكرش ، وقد قالوا : إن الجفر صار يطلق على نوع من العلم لا يكون بالتلقي ولكن يكون من عند الله تعالى ، وقال بعض الشيعة : علم الجفر : هو علم الحروف الذي تعرف به الحوادث إلى انقراض العالم . ويقول الكليني إن الجفر فيه توراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وعلوم الأنبياء والأوصياء . ومن مضى من علماء بني إسرائيل ، وعلم الحلال والحرام ، وعلم ما كان ويكون ... إلخ .
وأقول : هذه الأقوال ساقطة ، وعلم الجفر باطل في معناه وفاسد في مبناه ، ونسبته إلى الإمام علي - رضي الله عنه - أو إلى أحد أئمة أهل البيت نسبة كاذبة ، وفيه ادعاء علم الغيب وأنواع التنجيم وأصول السحر والكهانة مما يدل قطعاً على أنه من وضع أعداء الإسلام . لمزيد من المعلومات عن الجفر وما قيل فيه انظر : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ٥١١/٢ : أحمد جلي ، دراسة عن الفرق ٢٠١٠ .

(٣) هذه دعوى ليس عليها برهان ولا حقيقة من واقع ، بل الواقع أن العلم يؤتيه الله تعالى من يشاء منذ عهد الصحابة إلى أن تقوم الساعة ، وليس بلوغ ذروته وقفاً على من زعم المؤلف فيهم ذلك ، ومن آتاه الله تعالى من آل البيت علماً فهو زيادة في المنية ونعمة أنعمها الله تعالى عليه ولم يقصرها عليه دون غيره .

(٤) إبراهيم بن محمد بن عبد الله ، المعروف بصارم الدين ابن الوزير ، من علماء اليمن الكبار ، اشتهر بقصيدته « البسامة » التي سبق التعريف بها (ت/٩١٤ هـ) .
انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٢٤ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢١/١ .

[ص ١٥٠] في وصف إمام اليمن الهادي / يحيى بن الحسين^(١) بن القاسم رحمه الله تعالى :

مَنْ خُصَّ بالجفر من أبناء فاطمةٍ وذي الفقار ومن أروى ظلما الفقر^(٢) وفي ديباجة صحيفة زين العابدين^(٣) المشهورة شيء من ذلك ، وليس في ذلك استحالة لا من جهة العقل ولا من حيث الشرع ، فإنه قد جاء في الأحاديث أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - خطب فما من شيء كان أو يكون من يوم خلق الله الدنيا إلى أن دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار إلا أخبر به ، قال بعض الرواة : « فما من أمير عشرة أو فما فوق إلا أخبرنا به وبصفته ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه »^(٤) . فغير بعيد أن يتناقل ذلك المحفوظ الذرية الطاهرة ، ويبعد كل البعد أن ينسي الله - تعالى - عباده ذلك العلم الذي حدث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وإلا لما كان لتحديثه به فائدة ، وحاشاه من ذلك .

ومن اطلع على كتب الحديث عرف أن فيها من ذكر الملاحم شيئاً كثيراً^(٥) ، وقد قيض الله - تعالى - لحفظ كل علم رجالاً^(٥) ، فمن الممكن أن الله تعالى خص صفوة الصفوة من أهل بيت النبوة بمعرفة ذلك العلم ، ولم يزل يتناقلونه بينهم ، ويلقيه خاصتهم لخاصتهم^(٦) ، ومن أرادوا إخباره بذلك ممن ارتضوه من العلماء ، والمنقول من علم « الجفر »

(١) في الأصل : الحسن ، والصواب من ص ، سبقت ترجمته .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، يلقب بزین العابدين ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية ، اشتهر بالحلم والورع ، ولد ومات بالمدينة (ت/٩٤ هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٨٦/٥ ؛ ابن خلكان ، وفیات الأعيان ١/٢٢٠ .

(٤) ورد عند البخاري في بدء الخلق وفي القدر ، باب : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٦٦٠٤) ؛ وعند مسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٨٩١) .

(٥) الأصل : شيء كثير ، رجال .

(٦) المصنف عفا الله عنا وعنه بعيد عن الصواب ، فشرع الله كامل والرسول ﷺ تركنا على المحجة البيضاء وليس لأحد دون أحد علم الغيب .

مسندٌ إلى الإمام جعفر الصادق^(١) / وما بالعهد من قدم ، فلم يكن بينه [ص ١٥١]
وبين جده علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلا ثلاثة آباء ، وكفى به
قرباً إلى باب مدينة العلم الذي قد خصه النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ
بشيء من ذلك .

وقد ذكر الحافظ السيوطي في « الجامع الكبير »^(٢) في « مسند
علي » أنه أخرج ابن أبي شيبة^(٣) ونعيم بن حماد^(٤) عن علي - رضي الله
تعالى عنه - وكان يقول : سلوني فوالله لا تسألوني عن فئة تقاتل مائة إلا
أنبأتكم سائقها ، وقائدها ، وناعتكم ما بينكم وبين يوم القيامة^(٥) ، ومن
المعلوم أنه لم يستفد مثل ذلك إلا من صاحب الرسالة عليه الصلاة
[٥٠ / أ] والسلام ، وقد أقام أبو العلاء المعري البرهان على من استبعد
حصول « علم الجفر » بمرآة المنجم حيث قال :

لقد عَجِبُوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك « جفر »
ومرآة المنجم وهي صغرى أرته كلُّ عامرة وقفر^(٦)
وهذه - مرآة المنجم - ذكر السيد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير

(١) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ، يلقب بالصادق لأنه لم يعرف
عنه الكذب قط ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان من أجلاء التابعين ، ولد
ومات بالمدينة (ت/١٤٨هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٢١/٢ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٩١/١ .
(٢) الجامع الكبير ، ويسمى أيضاً : جمع الجوامع ، طبع في القاهرة في مجمع البحوث
الإسلامية ١٣٩٤هـ .

(٣) عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، من حفاظ الحديث (ت/٢٣٩هـ) .
انظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢٥/٣ : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٤٩/٧ .
(٤) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي ، أول من جمع المسند في الحديث ، كان
من أعلم الناس بالفرائض (ت/٢٢٨هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٤/٩ : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٥٨/١٠ .

(٥) انظر الخبر بطوله في مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الفتن (١٩٥٨٠) .

(٦) الأبيات من الوافر وهي للمعري ، انظر : اللزوميات ٢٤٩/٢ .

في كتابه «العواصم»^(١) ما لفظه: «أنه اشتهر عند أهل العلم أن من خواص بعض المرايات أن يرى منها الدنيا كلها ، وهي المرأة المسماة بمرآة المنجم»، ثم قال : « وقد اشتهرت الرواية بل تواترت لي عن حي القاضي شرف الدين حسن بن محمد النحوي^(٢) / - رحمه الله تعالى - أنه رأى^(٣) هذه المرأة مع بعض السياحين وأراه فيها أقاليم الدنيا ، ومدائن الإسلام، وأراه فيها ما يعرفه القاضي من بعض مزارع « صنعاء » وحوائلها ؛ ليعرف صدقه فيما يجهله من سائر ما أراه من الأقاليم ومدائن الإسلام ، وحدثني بذلك عن القاضي غير واحد من الثقات^(٤) انتهى^(٥) .

وهذا كله لا ينافي ما ورد في الصحيح : لما سأل السائل علياً^(٦) رضي الله عنه^(٧) : « هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء ؟ فقال : ما عندنا إلا كتاب الله تعالى ، أو ما في هذه الصحيفة ، أو فهم يعطيه الله من أراد » ، أو كما قال رضي الله عنه^(٨) ، فإن المراد ما عندنا من الأحكام الشرعية التي يعم التكليف بها^(٩) ، فلم يخصهم بتكليف

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، موسوعة كلامية ضخمة ، حققه شعيب الأرنؤوط ، وطبع في تسعة مجلدات ، انظر : الطبعة الأولى الصادرة عن مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٢ هـ ، وقد خرج للمؤلف كتاب : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (مختصر العواصم) مطبوع في القاهرة .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ١١٩ .
(٢) حسن بن محمد النحوي ، من كبار علماء الزيدية في القرن الثامن ، تولى القضاء في صنعاء ، له كتاب : التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة ، من الكتب الشهيرة في الفقه الزيدي (ت/ ٧٩١ هـ) .

انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٨٤ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢١٠/١ .

(٣) الأصل : رآه ، والصواب من ص .

(٤) انظر : العواصم والقواصم ٣٠٠/٨ .

(٥) هذا كله ضرب من الخرافة، وكيف تخفى على الناس ويختص بها شخص على الرغم مما لها من أهمية؟! وهذه طريقة بعض الطوائف تبني أموراً على دعوى الاختصاص بحيث متى جوبهت بالحجة ادعت الخصوصية الكاذبة ، لأن الدين شرع الله للبشرية كافة أكمله بالنص على جميع الملأ، فأي اختصاص ينافي المحجة البيضاء فهو باطل وساقط.

(٦) الأصل : علي ، والصواب من ص .

(٧) سقطت (عنه) والزيادة من ص و ع .

(٨) ورد عند البخاري في العلم ، باب : كتابة العلم (١١١) ، وكذا رقم (١٨٧٠ ، ٢٤٧ ، ٣١٧٩) وورد عند مسلم في الحج (١٢٧٠) .

(٩) هذا تخصيص لما قاله الخليفة الراشد علي رضي الله عنه من الحق من وجه صحيح لهذا التخصيص وحمل للكلام على محمل لا يحتمله اللفظ ، بغرض إثبات هذا الزعم الباطل.

منها دون الناس لاشتراك المكلفين في التلبس بذلك ضرورة دينية لا الأمور الكونية ، فيكون القصر في ذلك غير حقيقي كما قرره آئمة المعاني في مثله .

ولقد خص النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بعلم حال المنافقين حذيفة^(١) حتى كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لا يصلي على أحد إلا إذا صلى عليه حذيفة كما ورد في الصحيح^(٢) . وعلي - رضي الله عنه - أجلّ منه وأفضل ، فكيف يستبعد أن يخصه بشيء من ذلك القبيل^(٣) ، والله أعلم .

وأما « ذو الفقار » في بيت [٥٠/ب] / صارم الدين فالمراد به [ص١٥٢] سيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال في القاموس : « وذو الفقار : سيف العاص بن منبه^(٤) قتل يوم « بدر » كافراً فصار إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ثم صار إلى علي « انتهى^(٥) .
وذكر هشام الكلبي^(٦) في « جمهرة النسب » أن القاتل للعاص هو علي رضي الله عنه وهو الآخذ للسيف منه^(٧) .

-
- (١) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي ، واليمان لقب حسل ، صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين ، تولى المدائن لعمر بن الخطاب ، له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثاً ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/٢٦٠ : ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٢٤٩ : الزركلي ، الأعلام ٢/١٨٠ .
(٢) ورد الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٢/١٦٥ ، وهو بتمام خبره في السنن الكبرى للبيهقي ٨/١٩٩ ، دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ .
(٣) تخصيصه ﷺ حذيفة رضي الله عنه بشيء من المنافقين أمر معلوم ، ولذا كان الصحابة يسألون عما هو قد علم ، أما ما يدعى هنا فمجرد زعم ينفيه علي رضي الله عنه ، ويحاول من ابتدع أن يلزم به ويجعله حقيقة وهو منها بعيد .
(٤) العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر ، من وجهاء قريش وصناديدهم ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر كافراً ، انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٢/٣٦١ .
(٥) انظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ٢/١٠٥ .
(٦) هشام بن محمد بن أبي النضر بن السائب الكلبي ، مؤرخ وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها (ت/٢٠٤هـ) .
(٧) انظر : الزركلي ، الأعلام ٩/٨٧ : ابن خلكان ، وفیات الأعيان ٥/١٣١ .
انظر : جمهرة النسب ، ١٠٢ .

وقال غير الكلبي : إن ذا الفقار أعطاه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لعلي رضي الله عنه ، والفقار - بفتح الفاء - جمع فقار الظهر ، يقال في جمعها : فِقَار وفَقَارَات ، ويقال : ذو الفِقَار بكسر الفاء أيضاً جمع فِقْرَة بكسر الفاء وسكون القاف ، ولم يأت مثله في الجموع ، وسمي بذلك لأنه كان فيه ثماني عشرة فقارة .

وقد ذكر مصنف سيرة الإمام الهادي^(١) أنه خرج إلى اليمن ومعه ذو الفقار وكتاب « الجفر » ، وقد حُكي عنه من الضربات ما ضاهت ضربات جده أمير المؤمنين ، (ومِمَّا ذكره المؤرخون أن علياً - رضي الله عنه - قتل من الخوارج يوم « النهروان » ألفي نفس ، وكان يدخل ويضرب بسيفه حتى ينثني ويقول : لا تلوموني ولوموا هذا ويقومه ، قال بعض شعراء الأندلس :

فَعَاقَرَ سَيْفُكَ حَتَّى انثَنَى وَعَرَّيْدَ رُمْحُكَ حَتَّى انكسر

[ص ١٥٤] / وكم نُبت في حربهم عن علي وناب عن « النهروان » النهر^(٢)

ومن ضربات علي - رضي الله عنه - المشهورة ضربته « مرحباً »^(٣) فإنه ضربه ضربة على البيضة فقدّها وقده نصفين ، وما أحلى قول أبي الحسين الجزار^(٤) يمدح من اسمه علي من الأمراء :

(١) مؤلف سيرة الإمام الهادي هو : علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي ، وقد حققها ونشرها سهيل زكار ، وصدرت عن دار الفكر في لبنان سنة ١٣٩٢ هـ .

انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٧ - ٢٨ .

(٢) البيتان من المتقارب .

(٣) أحد قادة اليهود وفرسانهم المشهورين ، صاحب حصن الوطيح والسلالم ، قتله محمد بن مسلمة في غزوة خيبر ، وقيل : علي بن أبي طالب رضي الله عنه . انظر تفاصيل مقتله ومقتل أخيه ياسر في ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٢٨٥/٢ : ابن الأثير ، الكامل ١٤٨/٢ .

(٤) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد الجزار ، شاعر مصري ظريف ، كان جزاراً بالفسطاط وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك (ت/٦٧٩ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ١٩٠/٩ : الأميني ، الفدير ٤٢٦/٥ .

أقول لفقري مرحباً لتيقني بأن علياً بالمكارم قاتله^(١) وضربته لعمر بن ود العامري^(٢)، وكان جباراً غليظاً عتلاً من الرجال فقطع فخذ من أصلها ، ونزل عمرو فأخذ فخذ نفسه وضرب بها علياً فسلم، ووقعت في قوائم بعير فكسرتها، قال شرف الدين ابن الفارض^(٣) :

/ ذو الفقار اللحظ منها أبداً والحشا مني عمرو وحبي^(٤) (٥) [١/٥١]

وقد ذكر أهل السير أن عدة الذين قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بيده ثمانون ألفاً^(٦)، والأمر في وصفه يطول^(٧)، وإنما هذا عارض من القول لأجل التبرك بذكره^(٨)، وما أحسن ما قاله الصفي الحلبي^(٩) رحمه الله تعالى :

أمير المؤمنين أرى كأني ذكرتك عند ذي حسب صفائي
وإن كررت ذكرك عند نفل تكدر حاله وبغي قتالي
فليس يطيق طيب ثناك إلا كريم الأصل محمود الخصال
فكنت إذا شككت بأصل مرء ذكرتك بالجميل من الفعال

- (١) البيت من الطويل .
(٢) عمرو بن عبد ود العامري ، من بني لؤي ، فارس قريش وشجاعها في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في غزوة الخندق .
انظر : ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ٢٤١/٣ : والزركلي ، الأعلام ٢٥١/٥ .
(٣) عمرو بن علي بن مرشد بن علي الحموي ، أشعر المتصوفين ويلقب بسلطان العاشقين ، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى « وحدة الوجود » (ت/٦٣٢هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١٦/٥ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٨٣/١ .
(٤) البيت من الرمل .
(٥) ما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا نقله المؤلف من الغيث المسجم ١٩٥/٢ دون إشارة إلى ذلك .
(٦) لعل هذا من المبالغات في الإمام علي رضي الله عنه .
(٧) العقل يكذب هذا تمام التكذيب ، إذا ما عدد الغزوات والجموع التي قابلها علي رضي الله عنه حتى يكون قد قتل هذا العدد هذه من مبالغات من يدعي التشيع لعلي رضي الله عنه وليس هذا من باب المدح له لو ثبت لأن القتل ليس مطلباً إلا بحق ، ولم يثبت ذلك عنه بحق رضي الله عنه .
(٨) علي رضي الله عنه في غنى عن هذا الإطراء ، وإذا كان الأمر كذلك فالنبي ﷺ أفضل منه فليكن الذكر للنبي ﷺ والصلاة عليه .
(٩) عبدالعزيز بن سرايا بن علي بن القاسم ، شاعر وأديب عراقي (ت/٧٥٠هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٥٨/١ : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢٣٨/١٠ .

[ص ١٥٥] / فها أنا قد خَبَرْتُ بك البرايا فأنْتَ محكُّ أولادِ الحلال^(١)

يشير إلى الحديث المشهور : « لا يبغض علياً إلا ابن زنا أو حيضة »^(٢) والله أعلم وأحكم .

ولما دخلت سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف طلع نجم الدولة التركية ، وبدأ كسوف بدر الدولة الأحمدية ، فبلغ انفصال الأتراك من « مكة المشرفة » بجموع تملأ الوهاد ، في أبهة سلطانية ، ومملكة روميّة ، وخيول كالسعال ، وجنود تدكدك لها الشم العوالي ، مقدمهم رجل يسمى خليل باشا^(٣) ، وقصدهم القيام بحق الشريف علي بن حيدر ، ويبلغونه ما شاء ، ولا يبالون بمن صدهم عن ذلك ، بل من اعترض لهم أوردوه أوعر المسالك ، وذلك التجهيز من تحت نظر باشا مصر - محمد علي باشا - حيث والشريف علي [بن حيدر] أسند أمره في النصر إليه ، وعول بعد الله تعالى عليه ، فلم يشعر السيد العلامة حسن بن خالد إلا وقد صدمه خبر انفصال ذلك الجيش اللّهام ، المصحوب بفرسان النزال ، وأبطال الصدام ، فجمع من أهل تهامة [٥١/ب] من أراد ، وبادر إلى السراة وجمع جموعاً كثيرة ، والله القائل :

وما ينفعُ الجيشَ الكثير اجتماعه إذا لم يكن عون من الله يَشْمَلُ^(٤)

(١) الأبيات من الوافر .

(٢) لم أعثر عليه في معظم كتب الحديث ، ولعله بلفظه هذا غير صحيح ، ولكن ورد في المعجم الكبير للطبراني ٢٧٤/٢٠ ما لفظه : لا يبغض علياً مؤمن ولا يحبه منافق ، وفي مسند أحمد عن أم سلمة نحوه ٢٩٢/٦ .

(٣) ابن أخت محمد علي باشا ، وأحد قادة جيوشه المبرزين ، أرسله محمد علي إلى الحجاز على رأس قوة مساندة لإبراهيم باشا سنة ١٢٢٤هـ ، فوجهه إبراهيم باشا إلى المخلاف السليمان مع الشريف علي بن حيدر للسيطرة عليها ، وبعد نجاحه في مهمته وعودته عين محافظاً لمكة المكرمة بدلاً من حسن باشا ، (ت/١٢٣٥هـ) .

انظر : إسماعيل البشري ، « حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش) » : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربيّة ٧١/٢ : دحلان ، خلاصة الكلام ، ٣٠٣ .

(٤) البيت من الطويل .

وتوجه بهم إلى لقاء الأتراك ، فلم يزل هو وأصحابه في انتظار
لأولئك الأقوام ، ويظنون أنه لا مقصد لهم غير ملاقاتهم في ذلك / [ص ١٥٦]
المقام ، فانحرفوا عن التوجه لتقاء مطرحهم ، ومضوا إلى نحو طريق « أبي
عريش » بسرعة ، فما راعه إلا خبر رحيلهم لمقصدهم . ولا شك أن
« الحرب خُدعة »^(١) . فقام وقعد لهذه المكيدات ، وعلم صدق قول (سيد)
الخليقة عليه الصلاة والسلام : « اتركوا الترك ما تركوكم »^(٢) ، وذلك لما
هم عليه من القوة والنجدة والمعرفة بالحيل الحربية والعدة ، فأغار هو
ومن معه من الجند على الأثر ، قصده أن يبلغ منهم ولو بعض الوطر .
حتى انتهى بهم السير إلى « وادي بيض »^(٣) وحصل هنالك التعويق ،
وجعل المثل السائر : « سدّ عليكم ابن بيض الطريق »^(٤) . وفي أثناء مسير
السيد الحسن كان كل مكان ينخزل منه ثلة من الناس ، فلم يصل « وادي
بيض » إلا بجماعة قليلة ، وضاعت هنالك الحيلة والقياس :

والدهرُ لا ينفك عن حدثانه والمَرءُ منقادٌ لحكم زمانه
فدع الزمان فإنه لم يعتمد لجلاله أحد ولا لهوانه
كالغيث لم يخصص بِنافع صوبه أفقاً ولم يختار إذا طوفانه
لكن لباريه بواطن حكمة في ظاهر الأضداد من أكوانه^(٥)

(١) يضرب لكل أمر احتيل فيه فتم بالحيلة ، قاله النبي ﷺ . انظر : الزمخشري ، المستقصى
٢١١/١ ، وورد الحديث في البخاري ، باب الجهاد ، ١٥٧ ، ومسلم ، باب الزكاة ، ١٥٣

وغيرهما .

(٢) ورد عند أبي داود في الملاحم ، باب : النهي عن تهيج الترك (٤٣٠٢) .
(٣) وادي بيض مآتية من سراة جنب شرق قرى الدرب ، يصب في البحر على بعد حوالي ٣٥
كم جنوب بلدة الشقيق ، وقد أشار العقيلي إلى أنه يلتقي بوادي سمرة قبل المصب عند
قرية « الشرفاء » من آل حذرة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٣٦ : العقيلي ،
المعجم الجغرافي ، ٨٤ .

(٤) ابن بيض : قال الأصمعي : كان رجل في الزمن الأول يقال له ابن بيض عقر ناقته على
ثنية فسد بها الطريق ومنع الناس من سلوكها . انظر : لسان العرب ، مادة : بيض ؛

أمثال الميداني ٣٢٨/١ .

(٥) الأبيات من الكامل ، وقد وردت في الغيث المسجّم للصفدي ٢٩٣/٢ دون إشارة إلى القائل .

وحين استقر في ذلك الوادي آيس عن الظفر بأولئك التلة من
الأجناد ، وتردد بين أن يسبق الجند التركي إلى قلعة قرية « ضمد » ،
[ص ١٥٧] وبين الرجوع إلى بلاد السراة ، وكان غرة جنده / « بني مغيد » وقائدهم
الشيخ سعيد بن مسلط^(١) ، وأخوه لأمه علي بن مجثل [١/٥٢] ، وهما
ممن يجنح إلى معالي الأمور ، ولهما في الوفاء السموالي نصيب مشهور ،
فوقع الشور منهما أن يرجع إلى بلادهم ، وينزلوه^(٢) في الدفاع عنه
كأولادهم ، وعقدوا له البيعة أن يؤوه وينصروه ، ويعزروه ويوقروه ، فلما
رأى خذلان أصحابه من أهل تهامة له ، وتفلتهم من بين يديه حتى إن
بعضهم يعاهده بالليل ويفر بالنهار ، ولم يراقب في حفظ العهد الملك
الجبار ، وهكذا عند حصول النوائب تتبين جواهر الرجال ، ويعرف من
كان من أهل الوفاء ومن لا يثبت على حال ، قال صاحب « الصادح » :

إذا الرزايا أقبلت ولم تقف فثم أحوال الرجال تختلف
وفي الخطوب تظهر الجواهر ما غلب الأيام إلا الصابر^(٣)
ولله من قال في مثل هذا الحال :

جزى الله النوائب كل خير وإن تك غصصت حلقي بريقي
وما مدحي لها حباً ولكن عرفت بها عدوي من صديقي^(٤)
فرجع معهم إلى نحو السراة ، وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ،
بقلب قريح ، وخاطر جريح ، ممّا شاهد ممن كان يظن بهم بلوغ المراد :

(١) سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبدالرحمن ، أحد قادة عسير ، ومن الذين قبلوا الدعوة
السلفية وتأثروا بها ، شارك في جميع الأحداث السياسية والعسكرية في منطقة عسير ،
وتولى قيادة العسيريين في أكثر من معركة ضد قوات محمد علي باشا ، تولى إمارة
عسير في ظروف صعبة عام ١٢٣٩هـ (ت/١٢٤٢هـ) .

لمزيد من المعلومات انظر : الحفظي ، تاريخ عسير ، ٨٢ - ٨٧ : ابن مسفر ، أخبار عسير ،
٨٦ - ٨٨ .

(٢) الأصل و ص : وينزلونه .

(٣) البيتان من الرجز .

(٤) البيتان من الوافر .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد^(١)
وصحبه جماعة من أعيان هذه الجهات ، ولما طال المكث هناك / [ص ١٥٨]
تسأم بعضهم الإقامة ، وتوجه من غير إذنه ولا رضا إلى تهامة ، حتى
بلغني أن بعض أعيان السادة جاء يطلب منه الإذن ليرجع إلى الأوطان .
وقد كان يظن السيد الحسن أنه لا يفارقه ؛ لأنه يراه من أخصر الخلان .
فأنشد عند ذلك قول من قال :

ما في زمانك من ترضى بصحبته ولا صديق إذا خاب الزمان وفي^(٢)
[٥٢/ب] ولم يزل في جهات^(٣) السراة في قلاقل . وسيأتيك خبر
مقتله إن شاء^(٤) الله تعالى .

ولما وصلت الأجناد التركية أطراف « أم الخشب » من المخلاف
السليماني ، دخل الناس في طاعتهم ؛ القاصي منهم والداني ، وكان
الشريف أحمد في أطراف جهة « كحلان » ، وحين بلغه خبرهم ركب
جواده ، ولم يزل مغيراً حتى وصل مدينة « أبي عريش » ، ولم يصل إلى
المدينة العريشية إلا ومن كان في قلعة « ضمد » وأصلون ، أخرجهم منها
الروع من غير أن يتصل بهم ما يكرهون ، وخليل باشا حينئذ طارح بمدينة
« صبيا » ، فاستباح قبائل البلاد ما في قلعة « ضمد » بعد أن أحرقت
القرية :

أضحت خلاءً وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد^(٥)
ولما تحقق للشريف أحمد خبر الأتراك ، وقد كان خالج فكره ما قد
استماله به بعض من استمال ، وألقى إليه أنهم لا يريدون إلا أن يقيموك

(١) البيت من الكامل ، والقائل هو : عبدالله بن محمد بن عيينة .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) الأصل : جهة ، والصواب من ص .

(٤) الأصل : إنشا ، والصواب من ع .

(٥) البيت من البسيط ، وهو للناطقة الذبياني . انظر : الديوان ، ٢٨ .

في المملكة على حسب عادتك وعادة أبيك ، ولا يكدرن لك بالعزل ، إنَّما [ص ١٥٩] بالانتساب إليهم ، والدخول تحت طاعتهم تسكن عنك / حركات الفتنة ، وتحط عن كاهلك الأثقال ، وما علم أن دون ذلك المقصد خرط القتاد ، وأنهم إنَّما يريدون زحلفته^(١) عن مقامه والإبعاد ، وإنَّما لانحلال سلك المملكة شواهد تصيح على رؤوس العباد ، وبذل له بعض أعيان الأشراف النصح في المقاتلة لهم والدفاع ، وعلى حسب المستطاع ، عملاً بقول من قال^(٢) :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
وقد كان عنده جملة من صميم « همدان » وغيرهم ، فلم يصنع أذنًا إلى قول ذلك النصيح : بل رأى^(٣) أن ذلك القول الحسن هو عين القبيح ، وقد ورد في الحديث الصحيح : « إذا أراد الله أمراً سلب ذوي^(٤) العقول عقولهم حتى يمضيه »^(٥) أو كما قال عليه الصلاة والسلام . ولله القائل :
[١/٥٣] / يقضى^(٦) على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن^(٧)

فلما طرح خليل باشا في وادي « ضمد » راسله بالكلام بواسطة الشريف راجح بن عمرو الشنبري ، وكان الشريف راجح هذا لا يصطلى

(١) زحلفته بالفاء أو زحلقته بالقاف ، وكلاهما بمعنى واحد ، والزحلقة تعني الدحرجة : تزحلق : تدحرج .

انظر : المعجم الوسيط ٣٩٢/١ .

(٢) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبى ، انظر : الديوان ٢٢١/١ .

(٣) الأصل : راء .

(٤) الأصل وص : ذوو .

(٥) ورد الحديث هكذا : عن عمر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تعالى إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاءه وقدره » .

انظر : مسند الشهاب لمحمد بن سلامة بن جعفر ٢٠١/٢ .

(٦) الأصل : تعمى .

(٧) البيت من البسيط .

بناره في الشجاعة والدهاء ، فوصل إلى « أبي عريش » وأبدى للشريف أحمد الخطاب ، وحسن له الدخول في طاعة الأتراك من أبواب ، ولم يشعر الناس إلا بخروج الشريف أحمد صحبة الشريف راجح ، وحوادث الأيام تصيح بزوال المملكة على رأسه بالنوائج ، فعند ذلك علم كل عاقل أن هذا منتهى ملكه ، وغاية سير فلكه (١) .

/ هي السبيلُ فمن يوم إلى يوم كأنها ما تريك العينَ في النوم [ص ١٦٠]
لا تعجلنَّ رويداً إنها دول دنيا تُثقلُ من قوم إلى قوم (٢)

فوافقهم وهم طارحون بوادي « ضمد » ، ولم يصل « أبو عريش » إلا صحبتهم مأموراً بعد أن كان سار وهو أمير ، مطلقاً بينهم وهو في الحقيقة أسير ، ولما نصب خليل باشا قبلي « أبي عريش » الخيام ، ضربت المدافع من القلاع ، وكان يوماً شهده الخاص والعام .

ولما حصل الاستقرار ؛ أطلق الشريف يحيى بن حيدر من الاعتقال « بالزهاء » لقصد الوصول إلى « أبي عريش » ، والذي استفاض تلك الأيام بين الناس : أن الباشا سيقطعه ولاية البلاد ، وذلك برضا من أخيه الشريف علي (٣) ، ولكن جرى القضاء بغير ما في المراد ، فما وصل المدينة العريشية (٤) إلا وقد علق به المرض ، ولم يلبث غير أيام قلائل ، وانتقل في هذا العام إلى جوار الملك العلام ، وهذا غاية كل حي من الأنام :

(١) تختلف رواية خليل باشا في تقريره إلى محمد علي عن رواية المؤلف هنا ، فالمؤلف يشير إلى مفاوضات الإقناع للشريف أحمد بالقدوم على خليل باشا على أمل تنصيبه والياً على المخلاف ، وعدم إقالته عن الإمارة ، ويشير خليل باشا إلى أن الشريف أحمد طلب الأمان ، وجاء إليه في معسكره في ضمد ، ومعه جميع خيوله واستسلم هناك .
انظر : وثيقة رقم ١٩٦٨٢ وتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٤هـ الموافق ١١ يناير ١٨١٩م (خط همايون) من خليل باشا إلى محمد علي باشا ، محفوظة بأرشفة رئاسة الوزراء في إستانبول .

(٢) الأبيات من البسيط .

(٣) الشريف علي بن حيدر .

(٤) الأصل : العريشية .

أرى الدنيا الدنيـة لا تواتي فعالج في التصرف والطلاب
ولا يفررك منها حسن برد له علمان من ذهب الذهب
فأولها رجاء من سراب وآخرها رداءً من تراب^(١)

[٥٣/ب] وكان هذا الشريف من أمجاد الرجال ، وله في المكارم
الأيادي الطوال ، سلالة تلك السلسلة الذهبية ، وفرع الدوحة الحيدرية ،
[ص ١٦١] تولّى^(٢) « اللحية » مدة / من تحت نظر عمه الشريف حمود ، وبعد [ذلك]
انتقل إلى « بجيلة »^(٣) يماني « وادي مور » وبنى بها قلعة عظيمة ، وأحيا
بجنبها أرضاً للحرثة ، ولم يزل ساكناً هناك في أحسن حال ، وأنعم بال ،
حتى تغير عليه خاطر عمه ، فأودعه دار الأدب ، وقد علم الله سبحانه
حقيقة ما هو السبب ، وبين يدي الحي القيوم ، يجتمع الخصوم .

ولم يزل الشريف أحمد في الظاهر مع الأتراك على الإجلال ، وهو
يوصل خليل باشا في البكر والآصال ، وما برحت مطالبه له تتجدد
للخيل وغيرها ، حتى صارت أكثرها لديه ، والباشا يمد له حبال الآمال ،
بأنه سيقدم على هذه الجهة على حسب عادته ، فانتقش منه ذلك في لوح
الخيال ، وما زال يواعده بأنه سيحصل له التأييد بذلك من السلطان
بواسطة الوزير محمد علي باشا^(٤) ، وكل ذلك لأجل التسكين عليه ، ومد

(١) الأبيات من الوافر ، وهي لأبي العرب الصقلي ، انظر : الغيث المسجم للصفدي ٤١٨/٢ .

(٢) الأصل : تولا ، والصواب من ع .

(٣) قبيلة يمنية من بطون كهلان ، ولم أعثر على موقع بلدة أو قرية بهذا الاسم في معاجم
اليمن ، ولعل المؤلف أشار إلى القبيلة وأراد الموقع .

انظر : المقحف ، معجم المدن والقبائل ، ٤٣ .

(٤) في أثناء المفاوضات مع الشريف أحمد وطمانته من خليل باشا بأنه يشفع له عند محمد
علي باشا لإبقائه أميراً على المخلاف السليماني ، كان خليل باشا يشير على محمد علي
بضرورة إقالة الشريف أحمد ونقله إلى مكان آخر ، وهذا يؤيد ما ذكره المؤلف بأنهم
مضمرون له خلاف ذلك .

انظر : وثيقة رقم ١٩٦٢٦ (خط همايون) وتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٢٢٤هـ ، الموافق

١١ مارس ١٨١٩م ، من محمد علي إلى الباب العالي ، محفوظة في إرثيف رئاسة
الوزراء بإستانبول .

شبكة يصطادونه بها ، وإلا فهم مضمرون له خلاف ذلك ، حتى إنه بلغ أن الشريف علي بن حيدر أسرَّ إليه أن يغيب وجهه في بعض المحلات التي لا يُمكن اتصال يد الترك عليها ، فلم يحمل كلامه على النصيح وأخبر بذلك الباشا خليل ، فعاتب / الشريف علي بن حيدر على هذا الصنيع . [ص ١٦٢]

فما قابله بغير المغالطة ، وهكذا المقادير إذا حكمت على شخص بالإدبار ، صُمّت مسامعه عن النصيح ، وعميت منه عن الإرشاد الأبصار ، وإلا فكان له في قبول هذه النصيحة مندوحة ، ولكن لا راد لما سبق في علم الله سبحانه ، فاتفق أن في بعض الأيام وصل إلى خليل باشا على حسب المعتاد ، فعرض عليه مرقوماً من الباشا محمد علي مضمونه طلب الوصول إليه ، والمثول بين يديه ، فأنزله في بعض تلك الخيام ، واستدعى ابن عمه الشريف منصور بن مسعود بن محمد^(١) [٥٤/١] ، وحُمِل معه إلى بندر « جازان » ، وسارت بهم الجوارى المنشآت ، وضمته ومن في صحبته كأنهم أموات ، وأصبح حديث سمر بعد أن زهى به القصر ، وراق به العصر ، وأُجلي عن بلاده ، وأُعري عن طارفه وتلاده ، [و] نبذته منابر وأعواده ، وبعد عنه أعوانه وأجناده ، ولم يزل أسفاً يصعد زفراته ، وتطرّد أطراد المذنب عبراته^(٢) .

وبعد مدة قريبة أرسل إليه الحرم ، ولم ترع فيهم الذمم ، وفارقوا النادي ، وهم يبكون بدموع كالغواذي ، والنوح يحدوهم ، والبوح باللوعة لا يعدوهم ، ولما وصل إلى مصر نزل في بعض تلك القصور ، وكأنها لو حشّتها عليه قبور :

/ ما حطك الدهر لما حطّ عن شرف
والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت
ولا تجنف من أخلاقك الكرما [ص ٦٣]
ولو وفى لك دمع العين لانسجما^(٣)

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) لمزيد من المعلومات عن حملة خليل باشا ونتائجها انظر : د / إسماعيل البشري ، حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش) ، مطبوع .

(٣) البيتان من البسيط .

وبعد ذهابه : أخريت قلاع والده المنيعه ، وقصوره الشامخة
الرفيعة ، وأصبحت مغبرة الأرجاء ، موحشة الأفناء :

يجيب بها الهام الصدى ولطالما أجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى به الوفد جمعاً والخميس العرمرما (١)

ولم يزل معهم على هذا الحال ، حتى اختار الله - تعالى - له من
هذه الدار الانتقال ، وكان - رحمه الله تعالى - من الملوك الصيّد ، بناء
المجد وبيوت القصيد ، يعد في أبطال الرجال إذا دعيت نزال ، وكان في
السخاء كالسحاب الهامع ، ولا أقول كالرسم جامع مانع ، فبذلك نال
الفخر الرائع ، ولله القائل :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على أهلها من قبل أن تتفلت
فلا الجود يفيها إذا هي أقبلت ولا البخل يبقياها إذا هي ولّت (٢)

[٥٤/ب] وقد امتدحه الشعراء ، وغنّى بثناه الأدباء ، فمما قاله

[ص ١٦٤] أديب زمانه ، صاحبنا العلامة عبدالكريم بن حسين / العتمي - رحمه الله
تعالى - هذه القصيدة (٣) :

نام الخلي وضمتّه مضاجعه	والمستهام كراه لا يطاوعه
أطمعته فيك حتى حزت مهجته	بأسرها واستقاده مطامعه
بخلت عنه بطيف منك يؤنسه	فألله حسبك فيما أنت صانعه
ضيعت قلباً قد استودعته فيما	يلقى العميد وقد ضاعت ودائعه
لو كنت تعلم ما قاسى عليك وما	تضمه فيك من وجد أضالعه
لم تُصغِ أذنًا إلى الواشي الذي قطعت	ما بيننا صلة اللقيا قواطعه

(١) البيتان من الطويل .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) القصيدة من البسيط .

جهلت قدر الذي أوتيته فلذا
سقى المنازل من غربي «كاظمة»^(١)
حتى أرى الروض مظلواً جوانبه
وأحمد بن حمود ناشر علماً
يجر بحر خميس كله لجب
متوج بالبها من فوق مفرقه
لم يستطع هرباً منه محاربه
لا يعرف الخطب إلماًً بساحته
إن نازل القرن أرداه^(٢) وإن نزلت
/ مبارك الإسم ميمون النقية من
فخارهم عز عن جبريل مبلغه
/ يابن الذين لهم في كل مكرمة
إليك مدحة ذي ودٍ له ثقة

غُبنت والله فيما أنت بائعـه
مُبَكَّرُ المـزنِ تحدوه طلائعه
والزهر يعجب قانيه وفاقعه
إذا بدا انصرفت عنه موانعه
وطالع النصر في الخيلين طالعه
وفي الوغى أسد يُردى مضارعه
وإن تكلف أردته مصارعه
ولا يُلِمُّ بواديـه قوارعه
به العفاة تلقتها صنائعه
قوم منار علاهم لاح لامعه [ص: ١٦٥]
لما دنا وأجلّ الطهر رافعه
ذكر مدى الدهر لا تفنى شوائعه
بأن مدحك مربوح بضائعه

٥٥/أ

وهذه القصيدة سحر بابل ، وتغريد بلابل ، وما أرق قوله : « بخلت
عنه بطيف منك^(٣) يؤنسه » ، ولا لوم في هذا البخل : فقد اعتذر عن
بخل الطيف من قال :

لقد بَخِلْتُ حتى بطيفٍ مسلم عليّ وقالت رَحْمَةً لنحبيبي
أخاف علي طيفي إذا جاء طارقاً وسادك أن يلقاه طيف رقيببي^(٤)

(١) كاظمة : إحدى مدن الكويت حالياً ، وقد أشار إليها ياقوت بأنها في الطريق بين البصرة والبحرين على سيف البحر ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها . انظر : معجم البلدان ٤٣١/٤ .

(٢) الأصل : أرادته ، والصواب من ع .

(٣) في الأصل وص : منه ، والصواب من القصيدة نفسها .

(٤) البيتان من الطويل .

(وعلى ذكر الخيال ؛ فما ولع به أحد ولوع أبي الوليد البحتري^(١) ،
ولا أبدع فيه مثل إبداعه ، حتى صار لاشتهاره بذلك مثلاً بين الأدباء ،
يقال : خيال البحتري ، فمن ذلك قوله :

بلى وخيالٍ من « قتيلة » كلما تأوّهت من وجد تعرض يطمع
ترى ما لا ترى من لقاءه وتسمع أذني رجع ما ليس يسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل ترد به نفس الهيف وترجع^(٢)
وقوله :

قد كان مني الحزن^(٣) غبّ تذكر إذ كان منك الصبر غبّ تناسي
[ص ١٦٦] / تجري دموعي حين دمّعت جامد ويلين قلبي حين قلبك قاسي
ما قلت لللطيف المسلم لا تعد تغشى ولا كففت^(٤) حامل كاسي^(٥)

ويقال : أول من طرد الخيال طرفة بن العبد^(٦) حيث قال :

هقل لخيال الحنظلية ينقلب إليها فإني واصل حبل من وصل^(٧)
وتبعه جرير^(٨) فقال :

(١) الوليد بن عبيد الطائي ، شاعر عباسي مشهور ، له كتاب الحماسة (ت/ ٢٨٤هـ) . انظر :
ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٧٤/٥ ؛ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٥٩/٢ .

(٢) الأبيات من الطويل ، انظر : الديوان ٢٤٥/٢ .

(٣) الأصل : الوجد ، والصواب من الديوان ، انظر : الديوان ٢٢٥/٢ .

(٤) الأصل : نهنت ، والصواب من الديوان ، انظر : الديوان ٢٢٥/٢ .

(٥) الأبيات من الكامل ، انظر : الديوان ٢٢٥/٢ .

(٦) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري ، شاعر جاهلي ، قتله والي البحرين بأمر من
عمرو بن هند وهو ابن عشرين عاماً (ت/ ٦٠ ق هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٢٤/٣ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١٣٧ .

(٧) الأبيات من الطويل ، انظر الديوان ، ٩٢ .

(٨) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ، من تميم ، أشعر أهل عصره في العهد الأموي
(ت/ ١١٠هـ) .

انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٨٦/١ ؛ الزركلي ، الأعلام ١١/٢ ؛ ابن قتيبة ، الشعر
والشعراء ، ٤٣٥ .

طرقتك صائدة القلوب^(١) وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام^(٢)
حتى قال بعض الأدباء ردًّا على جرير :

يا خجلــــــــــــــــة لجرير من قول كـفـانـا الله عـارـه
طـرقـتـك صائـدة الفـؤاد وليس ذا وقت الزـيـارة
/ هل كان يلقي إن أتاه خيال من يهوى خسارة [٥٥/ب]
أو كان قلب قد حواه من حديد أو حجارة^(٣)

وأين جرير وطرفة من قول الشاعر يعنف من عتب على الخيال :
الطيب أعشق منك إذ يأتي إليك وأنت راقـد^(٤) (٥)
ومثل قول جرير وطرفة لا يليق بالعشاق ، ألا ترى أنهم عابوا على
ابن بقي^(٦) قوله :

حتى إذا مالت به سنة الكرى زحـرحتـه « عني » وكان معانقي
أبعدتـه عن أضلع تشـاقـه كي لا ينام على وساد خافق^(٧)
وقالوا : إن من الجفاء مـبـاعـدة / الحبيب ، وفضلوا عليه قول الآخر : [ص ١٦٧]
إن كان لا بُدَّ من رقـاد فأضـلـعي هـاك عن وسـاد
ونـمَّ على خـفـقـها هـدوً كالطفـل في نهـه المهاد^(٨)

- (١) الأصل : الفؤاد ، والصواب من الديوان ، ٥٥١ .
(٢) البيت من الكامل ، انظر : الديوان ، ٥٥١ .
(٣) الأبيات من مجزوء الكامل ، وهي للصفدي ، انظر : الفيت المسجم ٢٤٢/١ .
(٤) البيت من مجزوء الكامل .
(٥) ما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا منقول من الفيت المسجم للصفدي ٢٤٢/١ - ٢٤٣ ، دون إشارة من المؤلف إلى النقل .
(٦) يحيى بن عبدالرحمن بن بقي الأندلسي ، شاعر أندلسي من أهل قرطبة ، اشتهر بإجادة الموشحات (ت/٥٤٠هـ) .
(٧) انظر : الزركلي ١٨٨/٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٤٨/٥ .
(٨) البيتان من الكامل . انظر : فروخ ٢٦٠/٥ .
(٩) البيتان من المنسرح وهما للحكم بن عيال . انظر : الفيت المسجم للصفدي ٢٢٨/١ .

وقوله في الأبيات السابقة : « أخاف على طيفي » ... إلخ قد جرت عادة الشعراء بالحدز من الرقيب ، (وقد بالغ بشار^(١) في الحدز حيث قال :

يروءه السرار بكل شيء مخافة أن يكون به السرار^(٢)
وأخذه منه أبو نواس^(٣) فقال :

تركنتي الوشاة نصب المشيرين وأحدوثة بكـل مكان
ما أرى خالين للسر^(٤) إلا قلت : ما يخلوان إلا لشاني^(٥)
وأخذه بعده أبو الطيب فقال :

لو قلت للذنف المشوق فديته مما به لأغرته بفدائه^(٦)^(٧)
وأخذه من ابن الخياط الدمشقي^(٨) فقال :

أغار إذا آنست في الحي أنة حذاراً عليه أن تكون لحيه^(٩)
[أ/٥٦] وأما قوله : « وأحمد بن حمود » ، فهو اقتضاب ،
وهو مذهب العرب في شعرهم ، ولكن حسن التخلص ، اعتنى به

(١) بشار بن برد العقيلي ، من أبرز الشعراء المولدين ، كان ضريباً ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط عام ١٦٧هـ .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٢٤ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٤٥ .

(٢) البيت من الوافر ، انظر : الديوان ٣/٢٤٧ .

(٣) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح ، شاعر العراق في عصره (ت/١٩٨هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٢٤٠ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٧٢ .

(٤) الأصل : في الناس ، والصواب من الديوان ، ٦١٩ .

(٥) الأبيات من الخفيف ، انظر : الديوان ، ٦١٩ .

(٦) الأصل : بفدأيه ، والصواب من ص .

(٧) البيت من الكامل ، انظر : الديوان ١/٦ .

(٨) أحمد بن محمد بن علي التغلبي ، شاعر من الكتاب من أهل دمشق (ت/٥١٧هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١/٢٠٧ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/١٢٧ .

(٩) البيت من الطويل : وما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا منقول من الغيث المسجّم للمصفي ٢/٣١٦ .

المتأخرون من أهل الأدب ، على أن بعض العرب حافظ عليه وهو
أبداع وأحسن ، وقد اتفق له فيه مع الانسجام التورية ؛ لأن اسم
ممدوحه / ممتع في اصطلاح أهل العربية ، وأما قوله : « ضيعت قلباً » [مر ١٦٨]
... إلخ فهو وإن كان معنى مطروقاً بين أهل الأدب لكن قد سبكه في
قالب الجزالة ، وتعداد محاسن هذه القصيدة يطول ، وفي هذا القدر
كفاية .

وقد تولّى الشريف أحمد المملكة هذه المدة ، ولم تطل له الأيام ولم
يساعده المقدور في نيل المرام ، وكان مولده سنة ست بعد المائتين والألف ،
ووفاته بمصر عام خمس وثلاثين بعد المائتين والألف . ولله القائل :

ألا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا اختبر الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق^(١)

وبوفاته اندرست عنهم الآثار الملوكية ، وأتى الجديدان^(٢) على
الدولة الحمودية ، وتعطلت عن إمارتهم المغاني ، ولم يبق إلا عاطر ذكركم
الجميل وهو العمر الثاني ، وقد بالغ في الموعظة للأنام ، من قال من
الأعلام :

نهاية إقدام العلوم عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل دنيانا أذى ووبال
وكم قد رأينا من رجالٍ ودولة فبادوا جميعاً كلهن وزالوا
وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال^(٣)

[ص ١٦٩]

وذيلها بعضهم فقال :

-
- (١) البيتان من الطويل .
(٢) الجديدان : الليل والنهار .
(٣) الأبيات من الطويل .

[٥٦/ب] / ستسلف نفساً بعد طول قرارها
ولا جبل يبقى وإن طال مكثه
فكل له بعد الوجود زوال
تعود الجبال الشم وهي رمال
ولا النيرات الزهر تبقى ولا السما
ولا فلك عنه الفناء يُحال
ستفنى جميع الكائنات بأسرها
مواعيد حلق ما لهن مطال
تفسد بالبقاء وكل ما
سواء بقاء باطل ومحال^(١)
وبعد الفنا بعثٌ وحشرٌ وموقفٌ
يكون نَجاة بعده ونكال
وداران دار للنعيم مؤبد
ودار عذاب ليس عنه زوال^(٢)

وأما السيد العلامة الحسن بن خالد الحازمي فلم يزل في قتال هو
وأهل السراة ، وكلما داوى جرحاً سال جرح ، حتى كان نهاية الأمر أن
تجهز جماعة من الأتراك قائدهم رجل يسمى سليمان سنجق^(٣) (ومعهم
الشريف محمد بن عون . في جماعة من القبائل ، وطائفة من مشايخ
العرب منهم : فهاد بن سالم^(٤) صاحب « بيشة » ، (ومشيط^(٥)) بن
سالم كبير شهران^(٦)) كما بلغ . فدامت بينه وبين الجند التركي
المُصَاف^(٧) مدة ، حتى كان ليلة (الخميس) ثالث وعشرين من شهر
[ص ١٧٠] شعبان من السنة المذكورة قصده الأتراك ، والتحم بينه وبينهم القتال /
وتقارع باللهزميات الأبطال . وخفقت ريح النصر للسيد الحسن وأصحابه ،
وولى الجند التركي الأدبار :

(١) البيت مكسور وهكذا ورد في جميع النسخ .

(٢) الأبيات من الطويل .

(٣) سليمان سنجق ، أحد قواد محمد علي في الحجاز ، لم أعثر على معلومات عنه .

(٤) فهاد بن سالم بن محمد بن شكبان الرميثين ، أحد قواد الدولة السعودية الأولى
المشهورين ، وشيخ قبائل بيشة بعد وفاة والده سالم بن شكبان .

انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ٥٢ : ابن بشر ، عنوان المجد ١٢٦/١ .

(٥) بياض في هامش الأصل ، والزيادة من ص .

(٦) سبق التعريف به في ص (١١١) .

(٧) المُصَاف : موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، جمع مصف . انظر : لسان العرب ،
مادة (صفف) .

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم بالسهمرية مثل الوخز بالإبر^(١)
 وكانت عادته في جميع حروبه مهما منحه الله - تعالى - النصر على
 من قابله من الأجناد ينزل عن جواده ويسجد ، وهذا السجود مشروع :
 لأن سجود الشكر مستحب عند تجديد نعمة أو دفع نقمة ، وقد صح فعله
 عن صاحب الشريعة عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، واقتدى به
 خلفاؤه^(٢) الراشدون في فعل ذلك ، (إلا في هذه الواقعة : فلم يتم له ذلك
 لضيق الوقت) ، وبعد (انقضاء المعركة) وقف في طائفة من الخيل .
 وكان ممّا سبق في علم الله - تعالى - أنه اعتزل في شعب من تلك
 الجبال جماعة من بقايا المهزومين ، فأرسلوا رميات [أ/٥٧] بينادقهم
 فأصابته من تلك رصاصة ، كان بها إزهاق روحه وخلاصه ، فسقط من
 فوق جواده ميتاً ، وفاز بالشهادة^(٣) ، وقد ورد في الحديث : « أن أشرف
 القتل قتل الشهداء »^(٤) ، ولله القائل :

وهل مهجة الإنسان إلا طريدة يحوم عليها للحمام عقاب
 يحث بها في كل يوم وليلة مطايا إلى دار البلى وركاب
 ألا إن جسما يستحيل بجسمه وإن حياة^(٥) تنتهي لخراب^(٦)

/ وكان مولده - رحمه الله - تعالى سنة ثمان^(٧) وثمانين ومائة [ص ١٧١]
 وألف بوطنه قرية « ضمد » ، ونشأ على الطاعة والاشتغال بالعلم ، ولازم
 سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - وبه تخرج ، ولا شيخ له غيره سوى

(١) البيت من البسيط ، وهو لأبي العلاء المعري . انظر : الديوان ، ٦٠ .

(٢) الأصل : خلفاء ، والصواب من ع .

(٣) انظر : تفاصيل المعركة في تاريخ عسير للحفظي ، ٨٢ .

(٤) لم أعتز على حديث بهذا النص ، ولكن وردت أحاديث كثيرة في فضل الشهادة وشرفها
 وأنها أفضل القتل . انظر : أبواب الجهاد وفضائله في كتب الحديث .

(٥) الأصل : حيوة .

(٦) الأبيات من الطويل .

(٧) الأصل : ثمانية .

[٥٦/ب] / ستسفف نسفأ بعد طول قرارها ولا جبل يبقى وإن طال مكثه
ولا النيرات الزهر تبقى ولا السما فكل له بعد الوجود زوال
ستفنى جميع الكائنات بأسرها تعود الجبال الشم وهي رمال
تفـرد بالبقاء وكل ما ولا فلك عنسه الفناء يُحال
وبعد الضنا بعثٌ وحشرٌ وموقفٌ مواعيد حق ما لهن مطال
وداران دار للنعيم مؤبدٌ سواه بقاه باطل ومحال^(١)
يكون نَجاة بعده وتكال يكون عذاب ليس عنه زوال^(٢)

وأما السيد العلامة الحسن بن خالد الحازمي فلم يزل في قتال هو
وأهل السراة ، وكلما داوى جرحاً سال جرح ، حتى كان نهاية الأمر أن
تجهز جماعة من الأتراك قائدهم رجل يسمى سليمان سنجق^(٣) (ومعه
الشريف محمد بن عون ، في جماعة من القبائل ، وطائفة من مشايخ
العرب منهم : فهاد بن سالم^(٤) صاحب « بيشة » ، (ومشيط^(٥)) بن
سالم كبير شهران^(٦)) كما بلغ . فدامت بينه وبين الجند التركي
المصاف^(٧) مدة ، حتى كان ليلة (الخميس) ثالث وعشرين من شهر
[ص ١٧٠] شعبان من السنة المذكورة قصده الأتراك ، والتحم بينه وبينهم القتال /
وتقارع باللهزميات الأبطال ، وخفقت ريح النصر للسيد الحسن وأصحابه ،
وولى الجند التركي الأدبار :

(١) البيت مكسور وهكذا ورد في جميع النسخ .

(٢) الأبيات من الطويل .

(٣) سليمان سنجق ، أحد قواد محمد علي في الحجاز ، ثم أعثر على معلومات عنه .

(٤) فهاد بن سالم بن محمد بن شكبان الرميثين ، أحد قواد الدولة السعودية الأولى
المشهورين ، وشيخ قبائل بيشة بعد وفاة والده سالم بن شكبان .

انظر : ابن مسفر ، أخبار عسير ٥٢ : ابن بشر ، عنوان المجد ١/١٣٦ .

(٥) بياض في هامش الأصل ، والزيادة من ص .

(٦) سبق التعريف به في ص (١١١) .

(٧) المصاف : موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، جمع مصف . انظر : لسان العرب ،
مادة (صفف) .

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم بالسهمرية مثل الوخز بالإبر^(١) وكانت عادته في جميع حروبه مهما منحه الله - تعالى - النصر على من قابله من الأجناد ينزل عن جواده ويسجد ، وهذا السجود مشروع ؛ لأن سجود الشكر مستحب عند تجديد نعمة أو دفع نقمة ، وقد صح فعله عن صاحب الشريعة عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، واقتدى به خلفاؤه^(٢) الراشدون في فعل ذلك ، (إلا في هذه الواقعة : فلم يتم له ذلك لضيق الوقت) ، وبعد (انقضاء المعركة) وقف في طائفة من الخيل ، وكان ممّا سبق في علم الله - تعالى - أنه اعتزل في شعب من تلك الجبال جماعة من بقايا المهزومين ، فأرسلوا رميات [٥٧/أ] ببنادقهم فأصابته من تلك رصاصة ، كان بها إزهاق روحه وخلاصه ، فسقط من فوق جواده ميتاً ، وفاز بالشهادة^(٣) ، وقد ورد في الحديث : « أن أشرف القتل قتل الشهداء »^(٤) ، ولله القائل :

وهل مهجة الإنسان إلا طريدة يحوم عليها للحمام عقاب
يحث بها في كل يوم وليلة مطايا إلى دار البلى وركاب
ألا إن جسما يستحيل بجسمه وإن حياة^(٥) تنتهي لخراب^(٦)

/ وكان مولده - رحمه الله - تعالى سنة ثمان^(٧) وثمانين ومائة [ص ١٧١]
وألف بوطنه قرية « ضمد » ، ونشأ على الطاعة والاشتغال بالعلم ، ولازم
سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - وبه تخرج ، ولا شيخ له غيره سوى

(١) البيت من البسيط ، وهو لأبي العلاء المعري . انظر : الديوان ، ٦٠ .

(٢) الأصل : خلفاء ، والصواب من ع .

(٣) انظر : تفاصيل المعركة في تاريخ عسير للحفظي ، ٨٢ .

(٤) لم أعثر على حديث بهذا النص ، ولكن وردت أحاديث كثيرة في فضل الشهادة وشرفها وأنها أفضل القتل . انظر : أبواب الجهاد وفضائله في كتب الحديث .

(٥) الأصل : حيوة .

(٦) الأبيات من الطويل .

(٧) الأصل : ثمانية .

جماعة قليلين أو بالإجازات^(١) ، وكان في الذكاء آية باهرة ، ومعجزة لكل حسود قاهرة ، فنال في أيام يسيرة من العلم ما عزَّ على غيره ، وأربى في تحقيقه على الأقران ، وسارت بذكره الركبان ، وبرع في علمي التفسير والحديث ، وإليه الغاية في معرفة الفقه ، والعلوم الآلية^(٢) ، وآخر مدته جعل همه الاشتغال بعلمي الكتاب والسنة ، والعمل بما قاد إليه الدليل ، والميل عن ما اختاره العلماء من الأقاويل ، وجزم بتحريم التقليد ، وألف في ذلك رسالة ، وقرر فيها أنه يسع الناس في هذه الأزمنة ما وسع الصحابة - رضي الله عنهم - من أخذ الحكم من دليله للمتأهل ، والعامي فوظيفته السؤال كما كان في عصر خير القرون .

ولما اشتهر عنه القيام التام في ذات الله - تعالى - في الإقدام والإحجام ، اختصه لمؤازرته أمير زمانه الشريف حمود ، فكان لا يصدر ولا يورد في أغلب الأمور إلا به ، وجعل نفسه متقيداً بما يقول في المسائل [ص ١٧٢] الشرعية لمحلّه من العلم ، فطار بذلك صيته في / جميع الأقطار ، وقصده من كل ناحية [٥٧/ب] الأفاضل ، وأنضى الناس للمعرفة به من كل ناحية الرواحل .

ولم يزل يتجهز للغزايا ويسد الثغور بنفسه عن أمر الشريف حمود ؛ لأنه كان من الشجعان الأبطال ، إذا دعيت في الهيجاء نزال ، وآخر مدته جنح إلى العمل بظاهر الأدلة ، واختار لنفسه في المسائل الفرعيات

(١) الإجازة : هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ، ولم يقرأها عليه ، وذلك بقوله : أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني ، أو ما صح عندك من مسموعاتي .

لمزيد من التفصيل انظر : الصباغ ، الحديث النبوي ٢٠٢ - ٢٢٦ ؛ الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ٣٤٨ - ٣٨٣ .

- G . vajda and I . goldziher , EI 2 , article « Idjaza » .

(٢) العلوم الآلية : يقصد بها العلوم التي تكون وسيلة للعلم الشرعي المطلوب لذاته مثل النحو والصرف والبلاغة واللغة . انظر : الحازمي ، الدراسات النحوية في اليمن ، ١٥٢ ؛ وفي مفتاح السعادة لكبرى زاده ٧٥/١ : العلم المتعلق بالكتابة والعبارة والأذهان آلي البتة .

اختيارات منها : عدم الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية ، وله في ذلك رسالة مفيدة رجح فيها صحة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (١) ، ونفى عنه الاضطراب الذي قاله بعض الحفاظ ، وتأيد بنقل أئمة الحديث في ذلك وهذا هو مذهب الأئمة الثلاثة ، مالك (٢) ، وأبي حنيفة (٣) ، وأحمد بن حنبل (٤) ، واختاره من أئمة أهل البيت الإمام محمد بن إبراهيم ابن الوزير وقرره في « العواصم » ، لكن السيد الحسن - رحمه الله تعالى - ألزم الناس بالعمل بما اختاره من الإسرار ، وأنكر عليه علماء وقته ، وجرت بينه وبين بعضهم مراجعة في ذلك الإلزام ، وأنه لا يحسن إلزام أحد بما يختاره العالم إلا أن يلتزم المقلد لذلك القول فلا بأس ، وأفضى الأمر بذلك المراجع أن أزعج (٥) من هذه الأوطان (٦) ، ولله القائل :

- (١) حديث أنس المشار إليه هو : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، وفي رواية : « أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين » . أخرجه البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب ما يقول عند التكبير ٢٢٦/٢ رقم ٧٤٢ : وفي النسائي : باب ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١٢٥/٢ .
- (٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، محدث وفقه مشهور ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية (ت/١٧٢هـ) .
- انظر : الزركلي ، الأعلام ١٢٨/٦ : أبو زهرة ، تاريخ المذاهب ١٧٦/٢ - ٢٢٥ .
- (٣) النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، إليه ينسب المذهب الحنفي (ت/١٥٠هـ) .
- انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٩ : أبو زهرة ، أبو حنيفة .
- (٤) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة (ت/٢٤١هـ) .
- انظر : الزركلي ، الأعلام ١٩٢/١ : أبو زهرة ، أحمد بن حنبل .
- (٥) غير واضحة في الأصل ، وأثبتناها من ص ، وفي ع : انتزع .
- (٦) يشير المؤلف إلى محمد بن مهدي الحماطي الذي كان يرى الجهر بالبسملة ، وأن العمل بذلك من العمل المخير فيه العبد ، وهذا ضد رأي الحسن بن خالد الذي أمر المذكور بمغادرة البلاد ، فتوجه إلى صنعاء واستقر بها .
- انظر : لمزيد من المعلومات ترجمة محمد بن مهدي الحماطي في حقائق الزهر لعاكش ص ١٥٦ .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه^(١)
والحق ؛ أن مسألة الجهر بالبسملة أو الإسرار في الصلاة الجهرية
[ص ١٧٣] ممّا تعارضت فيه الأحاديث ، والمذهب الراجح في ذلك / أنه من العمل
المخير فيه المكلف ، وبأي ذلك عمل فقد أصاب السنة .

ومنها : أنه يرى وجوب القصر في طويل السفر وقصيره من غير
تحديد بمسافة ، وهذا هو مذهب طائفة من العلماء ، وإليه جنح ابن القيم
في كتابه « زاد المعاد »^(٢) ورجحه بعض المتأخرين من أهل البيت ، وغير
ذلك من المسائل الفرعية ، والخطب في ذلك يسير ، فالمسائل العملية
الظنيات المجال فيها رحيب ، وكل [٥٨/أ] مجتهد فيها مصيب .

وكان له - رحمه الله تعالى - قوة جنان في الصدع من غير مبالاة
بأحد ، وعندما^(٣) حصل التعصب والتحزب من بعض المشتغلين بعلم
الفروع ، والتمسك بكلام المفرعين المبني على التخريجات والمناسبات
المعروفة في علم الأصول ، من غير نظر إلى دليل منع قراءة^(٤) الفروع في
كل مذهب^(٥) من مذهب الشافعية ، ومذهب أهل البيت ، وغيرهم في
حدود مملكة الشريف حمود ، وأمر بالقراءة في الحديث ، وحرّج على من
اشتغل بغير ذلك .

وقد رأيت رسالة للسيد العلامة إسحاق بن يوسف الصنعاني^(٦)

(١) البيت من الطويل ، وهو ليزيد بن محمد المهلب ، انظر : النويري ٩٠/٢ .
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، مطبوع أكثر من طبعة ، وقد حققه وخرج أحاديثه وعلق
عليه شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط ، وطبع في خمسة مجلدات في جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية ، ١٣٩٩هـ .

(٣) الأصل : وعند أن .

(٤) الأصل : قراءة ، والصواب من ص .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعله يريد أن يقول : في كل من مذهب الشافعية

(٦) إسحاق بن يوسف بن إسماعيل الصنعاني ، من علماء اليمن الكبار (ت/١٧٣هـ) .

انظر : الشوكاني . البدر الطالع ١/١٣٥ ؛ الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ،

- رحمه الله تعالى - في الرد على من يمنع قراءة الفروع ، وأطال النفس في ذلك^(١) ، وخلاصة ما قال : « إنه لا وجه لذلك ؛ لأن الفقه ثمرة الأحكام الواقعة في الكتاب والسنة ، / والفقه هو التعبير عما قاد إليه [ص ١٧٤] ذلك اللفظ بالمعنى » ، ولعل السيد الحسن إنما منع التزام مذاهب آراء الرجال ، وأقوالهم العارية عن الاستدلال ؛ لأن الفقه في الدين هو معرفة الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية ، وهذا هو العلم النافع الذي صرح الكتاب والسنة بفضله وفضل حملته .

وأما آراء الرجال المجردة عن ذلك فلا تسمى فقهاً ولا علماً ، وهذا قد سبقه إليه جماعة من العلماء ، وألفوا فيه رسائل ، إنما الشأن في منع قراءة الكتب الفقهية ، ومن المعلوم أن كل كتاب منها تفاريعه الأكثر منها له مستند من الأدلة الشرعية ، وفيها أشياء مبنية على آراء الرجال واختياراتهم ، فسد الباب على القارئ فيها لما اشتملت عليه من الرأي ليس ممّا ينبغي ، والمسألة جديرة بالبسط ، وإنّما هذا عارض من القول .

نعم ؛ في أيامه عمرت بالعلوم المدارس ، وانتعش من المعارف كل دارس ، وأسدى إلى العلماء من أهل وقته أنواعاً من [٥٨/ب] الإنعامات ، وكفاهم مهم دنياهم وأمرهم بنشر العلم في كل الأوقات ، فصارت جهاتنا منهلاً واردة ، وبغية قاصد ، وله رسالة سماها « قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب »^(٢) ، وهي متضمنة / لبيان أدلة التوحيد العملي ، وإنكار ما [ص ١٧٥] عليه غالب الناس من الاعتقادات المنافية لتوحيد العبادة بجميع أنواعه ، وله شرح على « منظومة عمدة الأحكام » للسيد العلامة عبد الله بن محمد

(١) اسم الرسالة : « الوجه الحسن المذهب للحزن لمن طلب السنة ومشى على السنن » ، مطبوع عام ١٢٤٨ هـ .

انظر : عاكش ، حقائق الزهر ، تحقيق إسماعيل البشري ، ٦٤ .

(٢) حققها الأستاذ / علي بن محمد أبو زيد الحازمي بعنوان مختلف وهو : قوت القلوب في توحيد علام الغيوب ، نشرت عن دار الشريف بالرياض ، ١٤١٧ هـ .

بن إسماعيل الأمير^(١) - رحمه الله تعالى - ولكنه لم يكمل وقد رأيت منه قطعة وتأملتھا ؛ فرأيت فيها من التحقيق واستيفاء الأدلة ما أنبأ عن سعة اطلاعه وكمال عرفانه ، وله جوابات على مسائل عديدة ، ومراجعات بينه وبين علماء وقته ، وكلها مشحونة بالفوائد مريوطة بالدلائل .

ولقد رأيت رسالة إليه من قريبه السيد العلامة علي بن محمد بن عقيلي الحازمي^(٢) - رحمه الله تعالى - يذكره فيها بالأحاديث الواردة في الكف عن تكفير أهل لا إله إلا الله ، فأجاب عليه بما يقضي بأن الترك كفار^(٣)، وقال فيها : « من أردت بأهل لا إله إلا الله ، أهم الترك الكفرة الفجرة » إلى آخر ما قال ، والذي يغلب على الظن أنه أراد كفر العمل ؛ يعني أن أفعالهم كفعل الكفار ؛ لأن غالب أجنادهم يرتكبون الأمور التي حرمها الشرع ، وهي ظاهرة فيهم فاشية بينهم ، هذا الذي ينبغي^(٤) حمل كلامه عليه ، وأما كفر الاعتقاد فما أظن أن قصده / ذلك والله أعلم بنيته ، مع أن ظاهر لفظه في تلك الرسالة يحتمله ، ولا أحمل كلامه على كفر التأويل ويكون في ذلك يلاقي اختيار الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن القاسم - رحمه الله تعالى - في هذه الطائفة كما هو مشهور ، وبين علماء أهل البيت مزبور ، لأنه قد حدثني بعض الأخصاء به من العلماء [١٧٦/أ] أنه يجنح إلى رأي الإمام يحيى بن حمزة ، والمتأخرين من أهل البيت ، من عدم القول بكفر التأويل ، وهو الراجح لوضوح الأدلة القاضية بعدم تكفير أحد من أهل القبلة .

(١) ابن العلامة الشهير محمد بن إسماعيل الأمير ، من علماء اليمن المشهورين (ت/١٢٤٢هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٢٩٦ ؛ عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٢٦) .

(٢) علي بن محمد عقيلي الحازمي ، من علماء ضمد ، تولى القضاء فيها للشريف علي بن حيدر مدة (ت/١٢٥٢هـ) .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٤١) ؛ زيارة ، نيل الوطر ٢/١٦٠ .

(٣) التكفير على الجملة ولأمة بأسرها مزلق خطير ، والمتوخي للحق يتوقف عند الحكم بالكفر على أحد معين فرداً كان أو جماعة ، لكن يمكن الحكم بأن هذا الفعل مكفر أو كفر ، دون التنزيل على الأفراد أو الجماعات إلا إذا كان قد صدر من الشخص أو الجماعة ما لا يحتمل إلا الكفر فعند ذلك له وجه . وذلك عن طريق الهيئة الشرعية المختصة .

(٤) غير واضحة في الأصل والزيادة من ص ، وفي ع : يحسن .

ومن رأى ما في « إيثار الحق »^(١) وكتاب « العواصم والقواصم » لحافظ أئمة أهل البيت محمد بن إبراهيم الوزير عرف حقيقة ما ذكرناه ، فإنه أعاد الخلاف في مسائل أصول الدين بين « الأشاعرة والمعتزلة » لفظياً ، وهذا الذي ارتضاه الإمام الحسين بن القاسم - رحمه الله تعالى - صاحب « الغاية في علم الأصول الفقهية » وشرحها ، وهذا لا يكاد يصدق به إلا من خاض في علم الفريقين ، وصفقت به أمواج بحر المذهبين . وبعد ذلك يعرف أن هذا القول هو زبدة الحقائق ، وأن الخلاف إنما هو في العبارة لا غير ، وإلا فهم على اتفاق / في المعنى على تلك الطرائق ، [ص ١٧٧] وكلهم قصدهم الوقوف على الحق ، وإن اختلفت العبارات ، وتراسلوا بها يقصر عنه في الواقع أقدال الرماح في الجدالات :

عبارتنا شتى ومعناك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير^(٢) وقد اختار في رسالته « قوت القلوب » أن جهال المسلمين الذين يعتقدون النفع والضرر فيما سوى الله - سبحانه وتعالى - مشركون شركاً أكبر قبل التعريف لهم بجهل ما هم عليه وبعده ، (وقد وافقه) على ذلك^(٣) شيخنا البدر الشوكاني - رحمه الله تعالى - في رسالته « الدر النضيد في إخلاص التوحيد »^(٤) ورد في ذلك على السيد العلامة محمد ابن إسماعيل الأمير - رحمه الله تعالى - في رسالته المسماة « تطهير الاعتقاد »^(٥) ؛ لأنه اختار فيها أنهم قبل التعريف لهم بتحريم ما هم عليه

(١) اسم الكتاب : إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق ، طبع في القاهرة سنة ١٢١٨ هـ .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن ، ١١٩ .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) غير واضحة في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) طبع في القاهرة بتاريخ ١٢٥١ هـ . انظر : AL - Amri , The yemen , 196 .

(٥) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ، طبع في القاهرة عام ١٢٧٢ هـ .

انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ١٢٧ .

ليسوا بمشركين شركاً^(١) أكبر بل أصغر ، وأماً بعد التعريف لهم ، وإصرارهم على ذلك ، فهم مشركون شركاً أكبر ، ولكن الذي تطمئن إليه النفس ، وقاد إليه الدليل بحسب ما يظهر لي هو ما ارتضاه السيد محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله تعالى - ، وهو أسلم لمن استتبرأ لدينه وعرضه ، والله الموفق .

[٥٩/ب] وقد قيل في المترجم له قصائد جملة ، بعضها في المديح [ص ١٧٨] له ، وبعضها جوابات عليه ؛ لأنه كان مجيداً في النظم / والنثر ، وله اليد القوية في الأدب ، فمما قاله شيخنا السيد العلامة الأديب محمد بن المساوي الأهدل^(٢) - عافاه الله تعالى - مادحاً له :

غريمك في تعنيك الغرامُ	فلا حرج عليك ولا ملامُ
وشم برق « الغوير » ^(٣) له ابتسام	من « الدهنا » ^(٤) إذا جنّ الظلام
فإن مكر اللمعان يدري	إشارته الكئيب المستهام
وممّا بي من الأشجان ورقا	على غصن يطارحها الحمام
حمام الواديين بذات طلح	دهوراً لا ينيم ولا ينام
وما « بالأجرعين » ^(٥) من الروابي	مراقبه ومنبهره البشام

(١) الأصل : شرك .

(٢) محمد بن المساوي بن عبد القادر الأهدل ، من علماء اليمن خاصة في علم النحو والمعاني ، مجيد في النظم والنثر (ت/١٢٦٦هـ) .

انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، ١٦٤ ؛ زبارة ، نيل الوطر ٢/٢١٥ .

(٣) غير واضحة في الأصل هل هي الغوير أم الغرير ، ورجحت أنها الغوير لتداول هذا الاسم بين الشعراء ، وفي بلاد العرب أماكن كثيرة يطلق عليها : الغوير .

انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤/٢١٦ ، ٢٢٠ .

(٤) قرية من قرى وادي بيش غرب قرية العالية .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٨٤ .

(٥) لم أعثر على موقع في المخلاف السليماني أو اليمن بهذا الاسم ، وهناك موقع باليمامة ذكره ياقوت بهذا الاسم ، وأشار إليه ابن خميس بأنه شمال بلدة ثرمداء ، والأجرع والأجارع : اسم لكل منبسط رملي ينبت العشر والخروع والثمار والتوم وغيره ويتعين بالإضافة .

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ١/١٠٢ ؛ ابن خميس ، معجم اليمامة ١/٦١ .

يذكرني السوالف من ليال
والفأ قد أنيط به هيامي
فلا^(١) آوى غرابَ البين وكرَّ
تمشى في الربوع فبان صحبي
وبان البان حتى بان أني
وقد كانت رماح بني لؤي
فصافحت الأسنة غير وان
فوافاني الزمان بجيش همَّ
ولكني زجرت مطيَّ عزمي
/ فتى علامة الدنيا جميعا
/ فكم لك في الوقائع من قضايا
ومن نقط حروف مُهملات
من النفر الذين لهم عهد
أما قال الرسول ألا احفظوني
إليك خريدة جرّت ذيولا
تتيه بأنّ قائلها شريف
ومن تهدي لحضرته شريف

كطيف الحلم شخصه المنام
فلما أن نأى زاد الهيام
ولا شرق ولا غرب وشام
وجدوا في المسير وما أقاموا
طليح^(٢) قد أضر به السقام
على أرجاء ما تحوي الخيام
وسالم عنيّ البيض اقتحام
عراني من كتائبه انهزام
إلى الحسن بن خالد والسلام
وفارسها إذا انحسر اللثام [ص ١٧٩]
نتيجتها إذا اشتد الزحام [أ/٦٠]
بخطي فيشكلها الحسام
من المختار تحملها الذمام
فحينئذٍ لحاسده الرغام
ومنطقها على الجوزا حزام
له نسب وآباء كرام
وفدٌ جهيدٌ حبرٌ همام^(٣)

(١) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع ، انظر أيضاً : عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم

(٦٤) .

(٢) الطليح : المهزول ، والمجهود ، المعْي .

انظر : المعجم الوسيط ٥٦٧/٢ .

(٣) في عقود الدرر للمؤلف : إمام ، انظر : ترجمة الحسن بن خالد .

فسترا يابن بنت الطهر سترأ عليها إن منشأها الثمام^(١)

في قوله : « فكم لك في الوقائع من قضايا » من علم البديع
« التوجيه » لأن القضايا المنطقية معروفة ، والنتيجة تكون من مقدمتين من
تلك القضايا . وما أبدع ما قاله شمس الدين ابن العفيف التلمساني^(٢) :

للمنطقيين أشتكى أبداً عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فأبى أن نختلي ساعسة ونجتمعا
كيف غدت دائماً وما انفصلت مانعة الجمع والخلو معا^(٣)

وهذه الأبيات في غاية الحسن ، ولكن أورد بعضهم عليها إيراداً
فقال : « ظاهر^(٤) كلامه التعجب من هذه القضية ، والمراد في مثل هذا
أن يتعجب مما خرج عن القواعد ، وهذه القضية موجودة مستعملة ،
[ص ١٨٠] وذلك قولك : العدد / إما زوج وإما فرد ، فهذه القضية مانع الجمع ، فإن
الزوجية والفردية لا يجتمعان ، ومانعة الخلو ، فإن العدد لا يخلو من
أحدهما » ، قلت : وهذا الإيراد [٦٠/ب] غير جيد لأن الشاعر أراد أن
يتعجب من أمر وقع ، وهو أن عين رقيب لم تهجع ، ولم تغمض لأجل
الرقباء عليه أن يتصل بمحبوبه ؛ بل هي متصلة بهما ، أي بالممارسة لهما ،
فكان ذلك سبب منع الاجتماع بينهما ، ومع الخلو منهما بالآخر ، فقد
منعت هذه العين المتصلة بهما من أن يجتمعا ، وأن يخلوا ، ولا يمنع الجمع
والخلو عند المنطقيين إلا في المنفصلة فقط ، فتعجب من كون هذه العين
متصلة ، ومنعت الجمع والخلو ؛ فإنه ليس من عاداتها ، فأراد أن يتعجب

(١) القصيدة من الوافر .

(٢) سليمان بن علي بن عبد الله الكوفي التلمساني ، شاعر أديب ، متأثر بالصوفية على
مذهب ابن عربي (ت/ ٦٩٠هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٩٢/٣ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ١/ ٣٦١ .

(٣) الأبيات من الكامل .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

من ذلك المخالف للمعنى المصطلح عليه عند المنطقيين الذين شكى الشاعر عليهم ، وهذا معنى بديع ، فله ابن التلمساني ما أرق حاشيته ، وأعذب ناشئته . وأما قوله : « ومنطقها على الجوزا حزام » فهو يشير إلى قول الشاعر :

لو لم يكن نية الجوزاء خدمته لَمَّا رأيت عليها عقد منتطق^(١)

والجوزاء قيل : هو نجم يقابل « الشعري » الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾^(٢) ، وهذه^(٣) الآية نزلت في « خزاعة » ؛ لأنهم كانوا يعبدون الشعري ، قال في « فتح الباري » : قال أبو حنيفة الدينوري^(٤) في كتاب « الأنواء » : الغدرة ، والشعري العبور / والجوزاء [ص ١٨١] في نسق واحد ، وهن نجوم مشهورة . قال : « وللشعري ثلاثة أزمان : إذا رؤيت^(٥) غدوة^(٦) طالعة ؛ فذاك صميم الحر ، وإذا رؤيت عشاء طالعة ؛ فذاك صميم البرد ، ولها زمان ثالث ، وهو وقت نوئها ، وإحدى كوكبي الذراع المعترضة هي « الشعري » ، والغميصاء ؛ وهي تقابل الشعري العبور والمجرة بينهما ، ويقال لكوكبها الآخر^(٧) الشمالي المرزم (مرزم الذراع) ، وهما مرزمان : هذا والآخر في الجوزاء ، وكانت العرب تقول : انحدر « سهيل » فصار يمانياً ، فتبعته « الشعري » فعبرت إليه المجرة [أ/٦١] وأقامت الغميصاء ؛ فبكت عليه حتى غمصت عينها ، قال : « والشعريان : الغميصاء والعبور يطلعان معاً » انتهى^(٨) والله أعلم .

-
- (١) البيت من البسيط ، وقد ورد في الفيث المسجم للصفدي ٣٥٧/٢ دون ذكر القائل .
 (٢) سورة النجم ، الآية ٤٩ ، وقد سقطت كلمة هو في الآية وأضفناها .
 (٣) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع .
 (٤) أحمد بن داود بن وتند الدينوري ، عالم في الهندسة وعلم الأنواء والنبات (ت/٢٨٢هـ) .
 انظر : الزركلي ، الأعلام ١١٩/١ : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٧/٢ .
 (٥) الأصل : رايت .
 (٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
 (٧) سقطت في الأصل وص وأضفناها من فتح الباري ٦٠٥/٨ .
 (٨) انظر : فتح الباري ٦٠٤/٨ .

وممّا قاله المترجم له مادحاً للشريف حمود رحمه الله تعالى :

هل الروض ^(١) معمور بأسنى المطالب	وهل زرت «سلعا» ^(٢) في بدور صواحب
وهل آض روض الحي من بعد ما ذوى	فأصبح مجاجاً سليم المعاطب
وهل بت ترقى في المعارج مصعداً	إلى نحو بدر التّم محمي الجوانب
فغرّتها أبهى من الشمس إذ بدت	بنور مضيء لا كشمس المغارب
ولمّتها ليلٌ إذا ما نظرتها	لها لثمٌ ظهر الأرض أعظم واجب
وتبسم عن در ^(٣) تضيد تخاله	نجوم سماء أو عقود الكواعب
[ص ١٨٢] / وطرف مريض صادني بلحاظه	ليفرقتني في بحر تلك الكواكب
ولكن جاري من هواها غضنفر	إلى سوحه قد جد سير الركائب
حليم يفيد الوافدين نواله	ويكسي جسوم الوفد بيض الرغائب ^(٤)
مضاهي ليوث الغاب من غير رهبة	إذا خاف أسد الغاب من سيف ضارب
وأشبهه بالبحر العظيم لهوله	ولكنه لا يعتلى بالمراكب
دنا من جميل القول في كل موطن	بفعل المواضي وارتضاع المكاسب ^(٥)
أبوالمجد من عزم وعز ورفعة	تردى ثياب المجد فوق الكواكب

(١) في حدائق الزهر للمؤلف : الربيع ، ص ٧٠ .

(٢) سلع : أحد جبال المدينة المنورة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣٦ ، وقد أكثر الشعراء من تضمين هذا الموقع .

(٣) في حدائق الزهر للمؤلف : ثغر ، ص ٧٠ .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص مقارناً بحدائق الزهر ، ص ٧٠ .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص مقارناً بحدائق الزهر ، ص ٧٠ .

بعزم ابن عمرو^(١) في سماحة حاتم^(٢) بعلم ابن قيس^(٣) مع وفاء لحاجب^(٤) له في رؤوس^(٥) الغدر جمع المضارب ومرد^(٦) رجالا مستحقي المناهب وأعطاه فخراً بابتدال المواهب وأحكمها بدعماً بإحكام غالب [١٦/ب] فيبني تجوداً شامخات المناصب وتحقيقه فيها لعلم لطالب خذ الحرف من أولاه يا ذا المطالب^(٧) فمن كل بيت بعد بيت تخلص

يريد أن بعد بيت التخلص من غزل القصيدة يبرز من أول كل بيت حرفاً ، ومجموع ذلك اسم الممدوح / وهو حمود بن محمد ، وهذا سماه [١٨٣] بعض العلماء « تشجيراً » وعدّه من فنون علم البديع^(٨) ، ولا مشاحة في الاصطلاح ؛ فإن فن البديع فن مواضعة واصطلاح لا فن تحجير ، من أراد الزيادة فيه زاد ، وقد زاد فيه شيخنا البدر الشوكاني - رحمه الله

- (١) المقداد بن عمرو الكندي ، يعرف بابن الأسود ، صحابي من الأبطال ، أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام ، روى ٤٨ حديثاً .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٠٨/٨ ؛ ابن حجر . الإصابة في تعريف الصحابة ١٢٣/٦ .
(٢) حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، جاهلي يضرب به المثل في الجود (ت/٤٦ ق.هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٥١/٢ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١٩٣ .
(٣) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصن ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم (ت/٧٢ هـ) .
انظر : موسى ، تهذيب سير أعلام النبلاء ٣٢٧/١ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١٢٣/٣ .
(٤) حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، من سادات العرب في الجاهلية ، يضرب به المثل في الوفاء (ت/٣ هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١٥٣/٢ ؛ فروخ ، تاريخ الأدب العربي ١٧٤/١ .

- (٥) الأصل : روس .
(٦) في الأصل و ص : مؤدي ، مردي ، والتعديل من المحقق .
(٧) القصيدة من الطويل .
(٨) نوع من النظم يجعل في تفرعه على أمثال الشجرة ، والمشجر حديث العهد لم يعرفه القدماء ، وما ذكره المؤلف هنا يسمى تطريزاً .
انظر : بكري شيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ١٨١ ، ٢٢٤ .

تعالى - نيفاً وأربعين نوعاً ، زيادة على ما ذكره البديعيون ، كالصفي الحلي ؛ وعز الدين الموصل^(١) ؛ وابن حجة ؛ ومن هنا نحوهم ، والذي ذكروه نحو مائة وخمسين نوعاً ، وقد ذكر شيخنا الشوكاني - رحمه الله تعالى - في مؤلفه « أدب الطلب »^(٢) أن بعض علماء المغاربة أنهى ذلك إلى نحو سبعمائة^(٣) نوع ، وهكذا كل علم سبيله الاصطلاح ، الباب يكون مفتوحاً فيه لدخول زيادة^(٤) من المتأهل لذلك .

وهذه القصيدة جيدة ، وقوله : « بعزم ابن عمرو » وأراد به المقداد ابن عمرو ؛ وإنما نسب إلى الأسود لأنه تبناه ، وحاتم هو الطائي ، وابن قيس (المراد به)^(٥) الأحنف ، وأحوالهم معروفة ، وأما حاجب بن زرارة ، وقصته في الوفاء لما أن تدير^(٦) هو وأهله أرض العراق ، وطلب منه كسرى رهناً فرهن قوسه ، ووفى لهم بما وعد ، فصار / ذلك معدوداً في مناقب بني تميم^(٧) ، فلذلك قال أبو تمام الطائي^(٨) يمدح أبا دلف العجلي^(٩) من قصيدة :

- (١) علي بن الحسين الموصل ، شاعر وأديب من أهل الموصل (ت/٧٨٩هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٩١/٥ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ٤٢/٢ .
(٢) حققه عبد الله الحبشي ، طبع في صنعاء عام ١٩٧٩م .
انظر : - al - Amri , the yemen , 196 .
(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٤) بياض في الأصل وساقطة من ع وأثبتناها من ص .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٦) تدير المكان : اتخذ داراً .
(٧) بنو تميم : قبيلة نجدية مشهورة من مضر بن عدنان .
لمزيد من التفاصيل انظر : الحقييل ، كنز الأنساب ، ٩٧ - ١١٠ ؛ النمرى ، الإنباه على قبائل الرواة ، ٨٢ .
(٨) الأصل : الطاي ، وهو حبيب بن أوس الطائي ، أبو تمام ، شاعر عباسي وأديب من أمراء البيان (ت/٢٣١هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٣٤/١ ؛ الزركلي ، الأعلام ١٧٠/٢ .
(٩) القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل ، أمير الكرخ وسيد قومه ، من أبرز الأمراء الأجواد والشعراء الشجعان ، عمل لهارون الرشيد والمأمون والمعتصم (ت/٢٢٦هـ) .
انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٣٦/٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ١٢/٦ .

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على من وطدت من مناقب
فأنتم « بذي قار » (١) أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب (٢)

[٦٢/أ] وقوله « مع وفاء » - بإسكان مع - واللغة الفصحى في مع
أن تكون العين من مع متحركة ، قال بعض الأدباء : ما عمر بيت فيه مع
ولا نهضت قافية مقيدة ، وهذا كلام من ذاق البلاغة وارتضع أخلافها ،
وما أحسن ما استعمل معاً في القافية أبو الطيب حيث قال :

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرّت ليالي أربعاً
فاستقبلت قمر السماء بوجهها فأرّنتي القمرين في وقت معاً (٣)
وما أعجب قول بعضهم :

ألا حلّ بي عجب عجب تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجهه من رأيت الهلال على وجهه (٤)
وهذا في غاية الحسن ، يظنه الناظر بادي الرأي تكريراً إلى أن
يتأمل معناه ، فيرقص له طرباً ، ومن ذلك قول القائل :

قالت لترب معها منكراً لقتلتني هذا الذي نراد من
/ قالت فتى يشكو الهوى متيم قالت بمن قالت بمن قالت بمن (٥) [ص ١٨٥]

معناه : قالت بمن هو متيم ؟ تستفهم من تربها ، قالت لها : بالتي
قالت بمن ، وهو مأخوذ (٦) من قول أبي الطيب :

(١) موقع بين الكوفة وواسط في العراق ، انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٢٩٣/٤ : وفي هذا
الموقع كانت معركة « ذي قار » المشهورة التي انتصر فيها العرب على الفرس .
انظر : ابن الأثير ، الكامل ٢٨٥/١ - ٢٩٣ .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) البيتان من الكامل .

(٤) البيتان من المتقارب .

(٥) البيتان من الرجز ، والبيت الأول مكسور .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

قالت وقد رأت اصفراري من به وتنهدت فأجبتها : المتهدد^(١)
وفي البيتين عيب من العيوب الشعرية وهو « الإيطاء »^(٢) في
القافية : لأن من في القافيتين ، ولو (كانت إحداهما)^(٣) للاستفهام
والأخرى موصولة كالوسطى في قوله : « قالت بمن » لكان خالصا من
العيب ، وهذا الذي ظاهره التكرير هو نوع من البديع الجديد يسمى إيهام
« إيهام التوكيد » ، وأحسن ما ورد فيه قول ابن الرومي :

تعشقت أحوى لي إليه وسائل وإصلاح أحوالي لديه لديه
أمرّ به مستعطفاً متلطفاً فينقل تسليمي عليه عليه
[٦٢/ب] / فلا كان واش كدر الصفو بيننا ونغص تحببي إليه إليه^(٤)

وقول أبي الطيب : « فاستقبلت قمر السما » إلى آخره ، هو ينظر
إلى قول الشاعر :

رأت قمر السماء فأذكرتي ليالي وصلنا بالرقمتين^(٥)
كلانا ناظر قمرًا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني^(٦)

[ص ١٨٦] / وهذان البيتان قد اختلف في معناهما ، والذي يظهر أن هذا
الشاعر يشير إلى أن قمر السماء من عشاق محبوبته ، وأن محبوبته رآته
ذات ليلة ، فكسته برؤيتها له نور جمالها ، ومحاسن صفاتها ، وألقت عليه
شبهها ، وأعارته اسمه فأذكرت هذا العاشق بتلك الليلة التي وصلته

(١) البيت من الكامل .

(٢) الإيطاء في القافية : هو إعادة اللفظ نفسه بمعناه ذاته في القافية قبل سبعة أبيات ، أمّا
إذا اختلف معناه فلا بأس . انظر : ممدوح حقي ، العروض الواضح ، ١٤٤ .

(٣) الأصل : كان أحدهما .

(٤) الأبيات من الطويل .

(٥) اسم يطلق على عدد من المواضع ، ذكر منها ياقوت عشرة أماكن ، ولعل أقربها هنا موقع
قريب من البصرة في العراق .

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٥٨/٣ .

(٦) البيتان من الوافر .

« بالرقمتين » ، فإنها بوصلها^(١) له أفنته عن صفاته ، وغلبت عليه بصفاتها ، حتى صارت معه كالقمر الواحد كلاهما ينظره ، ولهذا قال : « كلانا ناظر قمرًا » واحدًا تعدد مظهره ، لكنها تنظره بعينه وهي عين المحبة ؛ لأن^(٢) المحب صار محبوبًا ، وهي تنظر بعينها لأنها أعارته عينًا رآها به فكان البصر لها نفسها ، وهذا من مبالغة الشعراء ، وتغفلهم في فنون التخيلات الفكرية التي يذوقها ذو الفهم السليم .

نعم ؛ وحازم المنسوب إليه المترجم له هو أحد جدونه ، وهو حازم ابن علي بن عيسى ، وتدرج نسبه كما نقلته من خطه : حسن بن خالد بن عز الدين بن محمد بن موسى بن مقدم بن حواس بن مقدم / بن علي بن [ص ١٨٧] الهمام بن محمد بن حسن بن حازم بن علي بن عيسى بن حازم بن حمزة ابن محمد بن علي بن أحمد بن قاسم بن داود بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط - رضي الله عنه - بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه .

نسب تحسب العـلا بحـلاة قلـدتها نـجومها الجـوزاء^(٣)
[٦٣/أ] وفيها توفي القاضي العلامة شرف الدين حسن بن أحمد ابن حسن البهكلي^(٤) ، وكان من القضاة المعتبرين ، ومن العلماء العاملين ، وهو أحد أدباء العصر ، وممن ضاهى السماكين^(٥) في الرفعة والقدر ،

(١) الأصل : بوصله ، وتم التعديل ليستقيم السياق .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٣) البيت من الخفيف .

(٤) من علماء المخلاف السليماني ، ومن أعوان الحسن بن خالد الخازمي ، تولى القضاء في مدينة « أبو عريش » ، كان مجيداً في النثر والشعر ، (ت/١٢٣٤هـ) .

انظر : عاكش ، حدائق الزهر ٢٠٨ : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٢٢٣ .

(٥) نجمان نيران ، أحدهما : السّمَاك الأعزل ، والآخر : السّمَاك الرامح ، ويقال : إنهما رجلا الأسد .

انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : سمك .

حيرت الأفكار بدائعه ، فنثره كالثرة^(١) ، وشعره كالشعري^(٢) ، فمن شعره جواباً على بعض أصحابه :

زلالاً سقيناً من معانيك أم ندا^(٣) شمنناه أم زهراً من الروض أم رندا
بلى ذاك نظم جاء من خير ناظم حبيناً به فاشكر لناظمه حمدا
همام هو « النظام » في سرد نظمه وأحمد منه في السباق إذا عدا
حميد المساعي من سماً فرع جوده وصار له في كل مكرمة إسداً
فلا زال سباقاً إلى كل غاية ومعروفه النامي لوفد العلا رفداً
يقيم إذا ما انهد ركنا من العلا ويبني أساساً للمعالي قد انهدا
حكيت معان أيها الحبر لم ينل سواك ذراها حيث كنت لها فردا
[ص ١٨٨] / وقلدتنا من نظمك الدر أسمطا زهونا به فخراً وحزناً بها مجدا
وقد حررت أقلامك الفرنحونا معاهد أنفاس نعمنا بها عهدا
أدرت كؤوساً من وداك طالما رشفنا به تأكيد ودٍّ على ودّا^(٤)
وهيجت أشجاناً وصابيت مغرماً وكاتبتي رقاً من هباتك مستفداً
يحنّ إذا ما حنّ شوقاً إليكم ويستوقف الركب المجد إذا شداً
لحي^(٥) الله دهرًا لم يجد لي بوقفةٍ وعصر زمان لم يدع^(٦) للنوى سداً
فغرس ودادي في رياضك بأسق ونشر ثنائي يبعث الشوق والوجداً

(١) النثرة : كوكب في السماء تسميه العرب نثرة الأسد ، وهي من منازل القمر .

انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : نثر .

(٢) الشعري : كوكب يُرى يقال له المرزم .

انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : شعر .

(٣) الأصل : ندى ، والتعديل من حدائق الزهر للمؤلف ، ٢٠٨ .

(٤) الصواب : على ودٍّ ، ولعل الشاعر استجاز ذلك للضرورة الشعرية .

(٥) الأصل : لحي .

(٦) في حدائق الزهر للمؤلف : لم يزل ، ص ٢٠٩ .

ودم رافلاً في ثوب عزٍ مكللاً بتيجان أعلام الكمالات بل أندى^(١)
[٦٣/ب] قوله : « همام هو النظام » يعني به إبراهيم بن سيار^(٢) .
من كبار أئمة « المعتزلة » ، وهو مشهور باللسن والبلاغة ، وخلافه مشهور
في « الجوهر الفرد »^(٣) في علم الكلام ، وقد تلاعب الشعراء في معنى
« الجوهر الفرد » ، وسبكوه في قالب الغزل ، فمما قاله ابن سناء
الملك^(٤) :

ولو أبصر النظام جوهر ثغرها لَمَّا شك فيه أنه الجوهر الفرد
ومن قال إن الخيزرانة قدّها فقولوا له إياك أن يسمع^(٥) القدّ^(٦)
ومحاسن هذه القصيدة كثيرة ، وكان مولد المترجم له تقريباً في
سنة أربع^(٧) وتسعين بعد المائة والألف ، ووفاته في هذا العام ، رحمه الله
تعالى وإيانا .

وفيها : توفي السيد العلامة حسين بن عقيلي الحازمي ، نشأ ببلده
/ هجرة « ضمد » وقرأ على علماء بلده ، ولازم سيدي الوالد - رحمه الله [ص ١٨٩

-
- (١) القصيدة من الطويل .
(٢) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري ، فيلسوف من أئمة المعتزلة . انفرد بأراء خاصة
تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت « النظامية » (ت/٢٢١هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ١/٢٦ : ابن حجر ، لسان الميزان ١/٦٧ .
(٣) الجوهر الفرد : لفظ محدث من ألفاظ المتكلمة يقول به بعض المعتزلة ومن وافقهم من
الأشعرية وغيرهم لنفي صفات الله تعالى ، ويعرفون الجوهر الفرد بأنه : الجزء الذي
لا يتجزأ ولا يقبل القسمة في ذاته ، وإثبات الجوهر الفرد ممّا أنكره السلف والفقهاء وأهل
الحديث ، والكلام فيه بالنفي أو الإثبات من البدع التي ليس لها أصل . انظر : تفصيل
الحديث حول الجوهر الفرد في : ابن تيمية ، الفتاوى ٨/١٢٤ : نفسه ، درء تعارض العقل
والنقل ١/١١٨ .
(٤) هبة الله بن جعفر بن المعتمد ، شاعر من النبلاء ، مصري المولد والوفاة (ت/٦٠٨هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٩/٥٧ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥/١١٢ .
(٥) بياض في الأصل وفي ص ، وأثبتها من ع .
(٦) البيتان من الطويل .
(٧) الأصل : أربعة .

الفصل الثاني

في ذكر الشريف علي بن حيدر وأيامه

هو علي بن حيدر بن محمد بن أحمد بن محمد [بن] خيرات .
نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً (١)
هو بطل تتضاءل عنده الأبطال ، ويقصر عن مقامه عنثرة
العبيسي (٢) إذا دعيت نزال ، لا يهاب في الوغى بارقة الرماح ، ولا يدخل
قلبه روع الصفاح ، يكسر بطعنه طوال الصعاد ، وتتلم بضرباته السيوف
الحداد ، إن حضر الوغى كان المقدم في منازل الشجعان ، وإن جال / في [ص ١٩١]
الهيحاء فهو السابق إلى الطعان ، مع كرم نفس يفضح الغمام ، وحلم أثبت
من شمام (٣) ، وحسن شهامة يقصر عنه كعب بن مامة (٤) ، قد حنكته
التجارب في جميع الأحوال ، وجرت عليه أمور عراض طوال ، فلذلك فاق
بدهائه كملاء الرجال ، يسوس الرعايا بحسن رعايته ، ويحكم فيهم بلطف
إيالته ، يُخشَنُ [٦٤/ب] في موضع التخشين ، ويلين في مكان التلين .
وقد تقدم سبب خروجه من الأوطان ، ومفارقتها لمواضع السكان ،
وكان وصوله مع خليل باشا [في] شهر ربيع أول عام أربعة وثلاثين بعد
المائتين والألف ، ولما وصلوا الأتراك إلى هذه الجهات ، ودخلت ممالك

-
- (١) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام ، انظر : الديوان ٨٨ .
(٢) عنثرة بن شداد العبيسي ، من شجعان العرب وشعرائهم المشهورين في الجاهلية
(ت/٦١٥م) .
انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ١٠٨/١ ؛ فروخ ، تاريخ الأدب العربي ٢٠٧/١ .
(٣) شمام : جبل بالعالية ويقال : له رأسان يسميان ابني شمام .
انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : شمم .
(٤) ورد في الأصل : سعد بن مامة ، والصواب ما ذكر ، وهو : كعب بن مامة الإيادي ، أحد
أجواد العرب ، قال الواحدي في أمثاله : كان كعب فيما قيل أجود من حاتم الطائي .
انظر : البغدادي ، خزانة الأدب ١١٠/٤ .

الشريف حمود تحت أيديهم من أطراف « حيس » إلى منتهى المخلاف
السليماني ، فطمع إمام « صنعاء » في هذا التاريخ وهو عبدالله بن أحمد
المتوكل الملقب المهدي^(١) ، في رجوع البلاد اليمنية التي كانت تحت آبائه
إليه ، من « وادي مور » إلى « حيس » ؛ لأنها كانت مضافة فيما سلف إلى
مملكة آبائه ، فوصل رأي سلطاني بإطلاق هذه الجهات المذكورة إليه ،
وبلغ أن الباشا خليل عرض هذه البلاد على الشريف علي ، وأنه مأمور أن
[ص ١٩٢] لا يطلقها على المهدي / إلا بعد أن يمنع منها الشريف ، فما كان من كمال
الشريف وحسن بصره بالعواقب إلا^(٢) الإعراض عنها .

يشاهد أعقاب الأمور بعقله كما شاهد المحسوس بالعين ناظر^(٣)
وقنع بما تحت آبائه الأقدمين من الممالك ، ولا شك أن (مع)
امتداد المملكة لا سيما في هذه الأزمنة الأخيرة ، لا بد يخترم النظام ،
وتكثر الآثام ، لاتساع دائرة التكليف بالأنام ، وتخفيف التكليف من اللطف
الخفي .

وبعد أن قرر خليل باشا يد الشريف على هذه الجهات ، وإطلاق
المهدي على البلاد اليمنية ؛ استدعى أجناده الذين كانوا حافظين قلاع
اليمن ، ومع وصولهم إليه توجه إلى الشام ؛ في ذي القعدة الحرام من هذا
العام^(٤) .

/ إذا الدولة استكفت به في ملمة كفاهها فكان السيف والكف والقلبا^(٥)

(١) إمام اليمن خلال الفترة من ١٢٣١ - ١٢٥١ هـ ؛

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٧٦/١ : زيارة ، نيل الوطر ٦٤/٢ ؛

- al - Amri , the yemen , 75.

(٢) سقطت في الأصل ، والزيادة من ص و ع .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) انظر لمزيد من التفاصيل : إسماعيل البشري ، « حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش) » ،
مطبوع .

(٥) البيت من الطويل وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٦١ / ١ .

وتوجه الشريف مشيعاً له إلى نحو قرية « الشقيق »^(١) ، وفارقه بعد ذلك راجعاً إلى « أبي عريش » ، ومع وصوله إليه صفوا له الجو من المشاركة في الأمر ، وجرى له بما يريد من سعادة الدهر ، ولله القائل :

إذا أنت أُعطيَت السعادة لم تبَلْ وإن فوَّق الأعداء تحوَّك أسهما
وإن نظرت شزراً إليك القبائل شتتها على أعقابهن المناصل^(٢)

والتفت إلى ترتيب البلاد ، وقرر الأمور وضبط الأطراف / [ص ١٩٣]
والحدود ، ونفذ فيها أوامره على حسب المجهود . وكان ينتقل في أطراف بلاده ، وعين السعادة تجري بإسعاده .

السنة الخامسة والثلاثون بعد المائتين والألف ، فيها ((وصل الخبر بوفاة^(٣) الشريف أحمد بن حمود بمصر أسيراً)) ، وفيها كانت وفاة القاضي العلامة عبدالقادر بن علي العواجي^(٤) (بمصر أسيراً ، وكانت^(٥) وفاته ووفاة الشريف أحمد بن حمود في وقتين متقاربين ، وهذا القاضي) من نجباء العصر وأدبائه^(٦) ، ومن أفاضله وعلمائه^(٦) ، له إمام تام بأغلب الفنون ، عارف بأساليب النظم والنثر ، ولي قضاء بندر (اللحية) مدة ، حتى^(٧) كان وصول الأتراك إلى اليمن فأسروه ، وتوجهوا به إلى مصر وبها مات ، وله مقالات^(٨) جيدة ، وقصائد بديعة ، فمما وجدته من شعره

-
- (١) بلدة على ساحل البحر الأحمر شمال جازان بحوالي ١٥٠ كم .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٣١ : كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ٦٢ .
(٢) البيتان من الطويل ، وهما لأبي العلاء : المعري ، انظر : سقط الزند ، ١٩٦ : وقد ورد الشطر الثاني في البيت هكذا : نكص على أعقابهن المعابل .
(٣) الأصل : بوفات .
(٤) عبدالقادر بن علي بن الحسن العواجي ، من علماء المخلاف السليماني ، أديب وشاعر ، تولى قضاء اللحية للشريف حمود حتى أسره الأتراك سنة ١٢٣٤هـ (ت/١٢٣٥هـ) .
انظر : عاكش ، حقائق الزهر ، ٢١٢ : زيارة ، نيل الوطر ٥٢/٢ .
(٥) الأصل : وكان .
(٦) الأصل : أدباء ، علماء .
(٧) ساقطة في الأصل ، والزيادة من ص وع .
(٨) بياض في الأصل والزيادة من ع ، وفي ص : مقاطيع .

أيام هو بمصر ولعله يتشوق « الأحد »^(١) وسكانه هذه القصيدة :

أذكرتني بزورة في الخيال عادة جيدها كجيد الغزال
عادة كالذكا^(٢) سناءً وكالبند رِجَمالاً عن ودها لست سالي
لحظها والعيون منها وقد الظبا والمها وسمر العوالي
أذكرتني وأضمرت^(٣) في فؤادي نار وجدٍ وهيجت بلبالي
[٦٥/ب] / طارحتني ما كنت أعتاد منها من عتاب زيادة في الدلال
[ص ١٩٤] / أذكرتني بوصلها في خيال ما مضى يقظة بتلك الليالي
طال ما قد نعمت بالوصل منها وعيون العيون في اشتغال^(٤)
وقطفت الدهان من روضة الخد بأيدي الوشاة غير مبالي
ولكم قد خمشت منها نهوداً حققت قد غدا لها البرد قالي
لَمْ يكن عن رضى فراقى ولكن سبحت بيننا يد العذال
لَمْ أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صالي^(٤)
أتراني أنسى التي عرف القل ب هواها وكان إذ ذاك خاليا
لست أنسى والله ذاك المحيا في نعيم أو في جحيم أصالي
كيف أنسى وظلمة الليل عندي إن دجت شعرها لدى^(٥) الإسبال
وضياء الصباح ما هو إلا من سنا وجهها مفيد الهلال
واضطرام^(٦) البروق ما هو إلا خشية أن تصيبه بالنبال
وانصباب^(٦) السحاب ما هو إلا من عيوني أرخصته لأبالي

(١) أحد المسارحة ، بلدة تبعد حوالي ٣٠ كم جنوب شرق « أبو عريش » .

(٢) الذكاء : الشمس .

(٣) الأصل : أضمرت ، والصواب من ص و ع .

(٤) هذا تضمين لبيت الحارث بن عباد المشهور .

(٥) الأصل : لد ، والصواب من ص و ع .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتهما من ص و ع .

يا زماناً فيه قضينا اشتياقاً أترى عائداً زمان الوصال
 كاد قلبي يذوب شوقاً وحرناً إن تذكرت ما مضى من ليال
 إن يكن ما بقي سوى الذكر منها ذهبت مهجتي وزاد وبالي
 يا فؤادي هون عليك قليلاً كل شيء مصيره للزوال
 لا سعاد تبقى ولا دمية القصر وما في الوجود حتى الرمال
 / كل شيء تفنيه هذي^(١) الليالي غير ربي وصالح الأعمال [ص ١٩٥]
 فالتفت مقبلاً إلى الله تحظى ببلوغ المراد والآمال
 / واسأل الإجتماع منه بمن تهواه من حبة^(٢) ومن أطفال^(٣) [١/٦٦]

أقول : انظر إلى هذه القصيدة ، فأثار الوجد عليها لائحة ، وهو
 شعر يشبه النوح ، يدل أن قائله شدة الغرام قد أذابه ، وأنه قد استحكم
 فيه داء^(٤) الشوق والصبابة ، قوله « ذكاء » هو من أسماء الشمس وإدخال
 آلة التعريف عليه على ضرب من التأويل ، كدخولها على أسماء الأعلام ،
 وقوله : « لحظها » البيت : فيه من البديع « اللف والنشر »^(٥) ، ومن
 أحسن ما سمعت فيه مع التورية قول القاضي العلامة البليغ علي بن
 محمد العنسي^(٦) رحمه الله تعالى :

- (١) الأصل : هذه ، والتعديل من حدائق الزهر للمؤلف ليستقيم الوزن ، ٢١٢ .
 (٢) في حدائق الزهر للمؤلف : أحبة ، ٢١٢ .
 (٣) القصيدة من الخفيف .
 (٤) الأصل : دأ ، والصواب من ع .
 (٥) اللف والنشر : هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ، أو التفصيل ، ثم ذكر أشياء على عدد
 ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ، ويقوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما
 يليق به .
 انظر : زغلول ، الألوان البديعية ، ٩٤ .
 (٦) عالم وشاعر يماني ، كان قاضياً لبلدة العدين (ت/١١٣٩هـ) .
 انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٤٧٥/١ ؛ زيارة ، نشر العرف ٢٥١/٢ .

يقولون صِفَ لي عن وصيِّ محمد أكان لغالي المدح أهلاً فنطنبا
وما ذكروا من خلقه فلقد غدا ثناء من الألحان أطرى وأطربا
ومن قد في أيام « خبير »^(١) سيفه فقلت لهم أهلاً وسهلاً ومرحباً^(٢)
وهذا الشعر هو السحر الحلال ، والسهل الممتع فيما يقال . وأما
(قوله : ولكم)^(٣) خَمَّشت منها نهوداً ، ففيه « الإيهام »^(٤) ، لكن إسناد
[ص ١٩٦] القلى إلى البرد الكائن على النهود ، لايحسن ، ولعله أراد / بالقلى التأثير
على ضرب من المجاز مثل قول الشاعر :

نسمات النسيم تجرح خدي ولمس الحرير يدمي بنانه^(٥)
ولكن بشاعة لفظ : القلى مررت عذوبة هذا البيت ، وإن صح تأويل
معناه . وأما قوله : « لم أكن من جناتها » إلى آخره ، فهذا من أبيات
الحارث بن عباد^(٦) المشهورة ، وإيراده هنا على طريق التضمين ، وهذا
البيت قد أكثر الأدباء من تضمينه ، ولكن أحسن من سبكه في قالب الغزل
ابن العفيف التلمساني في قوله :

وعيون أمرضن جسمي وأضرمن بن بقلبي لواعج البلبال

(١) خبير : بلدة تقع على بعد حوالي ٤٠ كم شمال المدينة المنورة ، لها شهرة تاريخية ، وكانت
تابعة لإمارة حائل ثم أصبحت تابعة لإمارة المدينة المنورة .

انظر : كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ٢٥٩ : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٥٥٠/٢ .

(٢) الأبيات من الطويل .

(٣) غير واضحة في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .

(٤) الإيهام : الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين لهما معنيان متناسبان باعتبار

أصليهما ، ولكن أحد المعنيين غير مراد .

انظر : زغلول ، الألوان البديعية ، ٢٥ .

(٥) البيت من الخفيف .

(٦) ورد الاسم في الأصل و ص و ع : عبادة ، والصواب ما ذكر وهو : الحارث بن عباد بن

قيس بن ثعلبة ، حكيم وشاعر جاهلي ، كان سيداً لقبيلة بكر أثناء حرب البسوس

(ت/٥٠ ق. هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٥٧/٢ : فروخ ، تاريخ الأدب العربي ١٢٧/١ .

وحدود مثل الرياض زوامٍ ما لأيام حسنٍها من زوال
/ لَمْ أَكُنْ مِنْ جَنَاتِهَا عِلْمُ اللَّهِ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي^(١) [٦٦/ب]
فقد جعل جناتها من الجنى لا من الجناية ؛ فبذلك كان رشيقي ،
وكانت هذه اللفظة فريدة عقد على جيد هذا البيت . وأما قوله : « أتراني
أنسى » إلى آخره ؛ فهو يشير إلى قول القائل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خائياً فتمكنا^(٢)
(وفيها خرج الشريف محمد بن منصور بن ناصر^(٣) مخالفاً على
الشريف علي بن حيدر ، واستقام بقرية « الحسيني » من وادي « صبيا »
أياماً ، وقصده الشريف / علي بن حيدر إلى القرية المذكورة ، فخرج قبل [ص ١٩٧]
وصول الشريف علي هارباً إلى أطراف جبال « الحُساب »^(٤) ، ثُمَّ كادت
الحرب تقع^(٥) بين أهل « الحسيني » ومن^(٥) انضاف إليهم وبين^(٥)
الشريف علي ، ثُمَّ سعى^(٥) في الصلح بين الفريقين من سعى على رهائن
(من أهل) « الحسيني » ، ورجع بعد ذلك عنهم الشريف علي .

وفي رمضان من السنة المذكورة ؛ قتل جماعة من السادة بني النعمي
النازلين « بالعذير »^(٦) قرية من أعمال « وادي مور » قتلهم أناس من قبائل
« وادي مور » غدرًا ، والحكم لله العلي الكبير .

وفي آخر الحجة الحرام من السنة المذكورة رجع من رجع من حاج

(١) الأبيات من الخفيف .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) هو ابن منصور بن ناصر ، أمير صبيا الذي سبقت ترجمته .

(٤) جبال معروفة تنسب إلى قبيلة تسكنها تسمى الحُساب ، تصاقب جبل هروب من الناحية
الشمالية ، وتبعد حوالي ٥٠ كم شمال شرق صبيا .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٤٧ .

(٥) سقطت في الأصل ، والزيادة من ص .

(٦) قرية بالقرب من اللحية على وادي مور . انظر : الأكوع ، هجر العلم ومعاقله في اليمن

اليمن من طريق تهامة ، فوصلوا إلى محل يسمى (« الهضب »)^(١) ، وبها بئر يردها المسافرون ؛ فوردها جماعة من حجاج المخلاف وغيرهم ، نحو الثمانين فيما بلغ ، وانهدمت البئر المذكورة فهلك من حولها^(٢) وانهارت البقعة التي تحف بها ، فهلك المذكورون جميعا ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء)) .

السنة السادسة والثلاثون بعد المائتين والألف : فيها جعل الشريف ابن عمه الشريف زيد بن ناصر بن محمد^(٣) عاملاً على « صبيا » ومخلافها^(٤) مع مشاركة إخوانه له في محصول البلاد ، محافظة على [ص ١٩٨] الوفاء لما سبق من أخيهام الشريف منصور بن ناصر من / المعاضدة في سالف الزمان ، وقد ورد في الحديث « إن حسن العهد من الإيمان »^(٥) ولكنه بعد مدة من توليه نجم منه الخلاف^(٦) ، وقطع أسباب الإتلاف ، ويمكن أنه أراد الاستقلال بمملكة « صبيا » والمخلاف ، فجمع عليه الشريف الجنود ، ووصل إلى سفح « صبيا » ونشر لحربه البنود ، ودخل أطراف المدينة وحرقها ، ودام الحصار جملة من الأيام والمدافع تثور ، وكان عاقبة الأمر أن طلب الشريف زيد الإصلاح فأسعده الشريف بذلك ، وبذل له الأمان مراعاة لصلة الأرحام ؛ ولأن حقيقة الواقع ما قاله بعض فضلاء الأنام :

لا تصغ إن شر دعا فالشر إن تنهض له ينهض وإن تسكن سكن^(٧)
وسديد رأي لا يحرك فتنة سكنت وإن حرّكته الفتن اطمأن^(٨)

(١) لم أعثر على معلومات عن هذا المكان .

(٢) ما بين القوسين ساقط في هامش الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) الأصل : ومخلافه ، والصواب من ص .

(٥) ذكره البخاري في الأدب ، انظر : فتح الباري ٢٥٨/١٠ ، وذكر ابن حجر أنه أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب .

(٦) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع .

(٧) الأصل : تسكن ، والصواب من ص و ع .

(٨) البيتان من الكامل .

وبعد هذا الواقع كله صرفه الشريف عن العمالة .

وفيها : في ربيع الأول كانت وفاة السيد العلامة محمد بن أحمد خديش^(١) ، على علوسن ، تولى القضاء بجهات « وادي تعشر »^(٢) و « خُلب »^(٣) مدة من الزمان ، ثمَّ صرف عن ذلك وكان من العارفين بالمذهب الهدوي^(٤) ، وهؤلاء الأشراف « الجواهر » من الأشراف « العماريين » من نعمة الكبرى ، كما أفاده بعض العلماء .

((وفيها خرج الشريف محمد بن أحمد بن حيدر^(٥) إلى « وادي بيش » باستدعاء جماعة من السادة النعميين (وغيرهم ، مخالفاً على عمه الشريف علي بن حيدر ، / فاستقر هناك أياماً إلى شهر ربيع أول ، [ص ١٩٩] وتقدم الشريف علي بن حيدر على المخلاف ، وكان مقام الشريف محمد بقرية « الملحا »^(٦) ، ومع وصول الشريف علي إلى أطراف « بيش » شرد أهل « الملحا » ومن انضاف إليهم ، وكذلك الشريف محمد ، وتفرقوا في الحواز ، وأحرق الشريف علي بن حيدر قرية « الملحا » ، وأقام هنالك أياماً ، ثمَّ طلب جمهور من خالف الأمان ، فأمنوا ، ثمَّ بعدها طلب الشريف محمد بن أحمد ومن معه من كبار السادة الأمان ، فأمنوا

-
- (١) الأصل : خديش ، والصواب من عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (١٩٩) .
 (٢) من أشهر أودية منطقة جازان ، مآتيه من خولان صعدة باليمن ، تلتقي فيه أودية الملح ، والغاوية والمغيلة ، ويمر عبر قرى قبائل بني حمد وبني شبيل ويصب في البحر الأحمر .
 انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٧٠ .
 (٣) واد مشهور في منطقة جازان مآتيه من سرة خولان ، ومن أشهر روافده وادي ذهبان وشراته وامجاره ودهوان ، ويصب في البحر الأحمر .
 انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٦٨ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٢٥ .
 (٤) نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، واضع أسس الهدوية الزيدية ، ومؤسس دولة الأئمة باليمن (ت/٢٩٨هـ) .
 انظر : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ١٢٢ .
 (٥) لم أعثر له على ترجمة .
 (٦) قرية صغيرة على وادي بيش ، وهي من قرى المخلاف القديمة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٣٩٨ .

جميعاً ، وعاد كل واحد إلى وطنه ، آخرهم عوداً في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، ولم يحصل في هذه الحادثة قتل ، ولا أخذ [١/٦٧] أموال^(١) .

وفي السنة السابعة والثلاثين بعد المائتين والألف : فيها كانت وفاة السيد العلامة الأديب عماد الإسلام يحيى بن محمد الأمير القطبي ، وهو من أدباء العصر ، ومن فاق الأقران في إجادة النظم والنثر ، مع ذهن حاضر ، وخاطر إلى إبراز اللطائف مبادر ، وله بالفروع وعلم الحديث إلمام ، وأماً معرفة أيام الناس ، وشعر المتقدمين والمتأخرين من الأدباء ، فله الاطلاع التام ، أخذ من علماء زمنه مثل سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، والقاضي العلامة عبدالرحمن بن حسن البهكلي وغيرهما ، وكان نادرة [ص ٢٠٠] زمانه ، وأصمعي أوانه ، له قصيدة / من بحر الرجز طويلة ، ردّها على بعض معاصريه في اعتراضه على الشيخ العلامة أحمد بن عبدالقادر الحفظي^(٢) صاحب « رجال »^(٣) في قصيدته التي سماها « جواهر اللآل في مدح الآل »^(٤) ، وتلك الأرجوزة قد اطلعت عليها ، وهي في غاية الحسن والإجادة ، مع ما حوته من كمال الإفادة ، لولا خشية الإطالة لذكرتها ، وهي مشهورة ، وقد تقدم مرثاته في سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، و (القليل إلى)^(٥) الكثير يشير .

-
- (١) ما بين القوسين مضموس في هامش الأصل ، وأثبتناه من ص .
(٢) أحمد بن عبدالقادر بن بكري العجيلي ، من علماء رجال المصنفين المشهورين ، هاجر في طلب العلم إلى اليمن واتصل بعلماء الحرمين ، أيد الدعوة السلفية عند ظهورها وناصرها ، وبيت مبادئها في منطقته (ت/١٢٢٦هـ) .
انظر : الحفظي ، نفعات من عسير ، ٢٣ : زيارة ، نيل الوطر ١/١٢٦ .
(٣) رجال ، بضم الراء وفتح الجيم ، من قرى بني ظالم في بلاد رجال المصنفين في عسير ، تقع على مسافة ٤٥ كم غرب مدينة أبها .
انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٢/٦٢٢ : Cornwallis , Asir , 60 -
(٤) توجد منها نسخة مخطوطة بتاريخ ١٣٠٤هـ ، بمكتبة الحبشي في اليمن .
(٥) ساقطة في الأصل والزيادة من ص .

السنة الثامنة والثلاثون بعد المائتين والألف : لم يشعر الشريف إلا وقد وصل إليه جيش من « يام » مقدمهم رجل يسمى محمد بن حديش ، فطرحوا قبلي « أبي عريش » ، ودام الحصار بينه وبينهم أياماً ، ووقعت في البين حرايات ، أفضت إلى جراحات ، في الأشراف وفي غيرهم ، وانتهى الحال إلى الصلاح ، وسداد الأمور ، ولعلّه دس الشريف إلى أكابر الجيش لتسكين الفتنة مალأ ، وله مراهم في القلوب لا توجد في كتاب مالا ، فقرّ الناس بذلك الإصلاح التواظر ، وأمنت الرعايا وطابت منهم الخواطر ، وقد كان وصل الشريف زيد بن ناصر إلى مطرح « يام » ، وانتهى بعد الصلح رحيل العسكر إلى اليمن [٦٧/ب] . ورجوع زيد بن ناصر إلى « صبيا » ، وحرك هناك الفتنة ، وشد الشريف بجنوده إليه ، وحاصره أياماً وآخر الأمر عامله / بالمسامحة والعفو ، وبعد ذلك عمل [ص ٢٠١] الشريف على « صبيا » ومخلافها ولده الشريف الحسين^(١) ، فاستقر على ذلك مدة .

((وفي سنة أربعين بعد المائتين والألف))^(٢) فيها حصل (بين الشريف الحسين) وبين أهل مدينة « صبيا » النزاع ، وأفضى ذلك إلى أن صار خرق الفتنة ذا اتساع ، وانحصر بقلعة « صبيا » هو (وأصحابه) والتحم بينه وبين أهل المدينة القتال ، وأرسل عليهم ما في بطون البنادق ، ورماهم بكل فاقرة من حائق ، وعدم أهل المدينة القرار في تلك الأوطان ، وانتفت عليهم حلقتا البطان ، وأنشد لسان حاله :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فتجهل فوق جهل الجاهلينا^(٣)
وكان الشريف في جهة « الشقيق » لموجب طلاب وصله من أحمد

(١) الحسين بن علي بن حيدر ، ترجمته وسيرته تستغرق الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٢) يلحظ أن المؤلف قد انتقل إلى سنة أربعين دون ذكر لسنة تسع وثلاثين .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لعمر بن كلثوم ، أنظر : الشنقيطي ، ٤٩ .

باشا^(١) ؛ لأنه (وصل لقتال)^(٢) أهل السراة ، فاستدعى الشريف للاستعانة به بلزوم الأطراف (المحادة لبلاده)^(٣) ، ولم تزل تبلغه تلك الأخبار ، وما يشيعه أهل « صبيا » في اعتراضه (عند رجوعه) إلى هذه الديار ، وشاهد حالهم :

[ص ٢٠٢] / (منى إن)^(٤) تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً^(٥) (فلما فرغ)^(٦) الشريف ممّا هو بصدد توجّه راجعاً ، وسلك في طريقه غربي مدينة « صبيا » فتلّقاء أهل « صبيا » وفي بالهم أنهم سيفتحون القتال ، فقابلهم الشريف لكمال سياسته بالإهمال ، وأرسل إليهم من يستفهم منهم ما هو المقصود ، وما الموجب لهذا الأمر الغير المحمود ، فأبدوا ضروباً من الشكايات ، واشتروا في الرجوع إلى الطاعة ما أرادوه من الأمور الموافقات ، ولله القائل : [٦٨ / أ]

وينتخب المقهور كل تَعْلَةٍ ولا بد للمغلوب أن يتعلّلا^(٥)
فبذل لهم الشريف تلك المطالب في الظاهر لقصد تسكين الشر في ذلك الحال ، ونقل عنهم ولده الشريف الحسين ، وهو مع ذلك مضمّر في نفسه لهم المعاقبة ، والأخذ بتلك الأمور التي هي غير مناسبة ، نظراً إلى قول القائل :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

(١) أحمد باشا يكن ، القائد العام لقوات محمد علي باشا في الجزيرة العربية ، أصبح محافظاً لمكة المكرمة وحاكماً عاماً على الحجاز بعد وفاة خليل باشا عام ١٢٣٥ هـ ، وتشمل اختصاصاته مناطق الحجاز ونجد وعسير واليمن .
انظر : عبد الرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ٧١/٢ - ٧٢ .

(٢) بياض في الأصل والزيادة من ص .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) بياض في الأصل والزيادة من ص .

(٥) البيت من الطويل .

فمن شاء تقويهم فإني مقوم ومن شاء تعويجي فإني معوج (١)

فأرسل إلى « نجران » بطلاب لقبائل « يام » ، وأفصح لهم بما هو
القصـد / والمراد ، وأمرهم أن يكون الطريق على وادي « بيش » . وأن [ص ٢٠٣]
يكدروا بسطوتهم على أهل « صبيا » ومخلافها صفو العيش ، جزاء (٢)
على ما صدر منهم مما يكلم الصدور ، لا سيما من القدح في
الأعراض المصونة ، والتعدي على فرع الشجرة النبوية بما لا يحسن ،
وقد قال بعض الحكماء (٣) « اللسان كالسبع إن أطلقته أكلك » (٤) والله
القائل :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنــــه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه قد كان هاب لقاءه (٥) الشجعان (٦)
وحفظ العرض أن يتطرق إليه شيء من الخلل هو أحد الضروريات
الخمسة ، التي هي مراعاة في كل ملة من الملل ، وقد جمع تلك الخمس
السيد العلامة محمد بن إسحاق بن المهدي (٧) - رحمه الله تعالى - في
قوله :

-
- (١) الأبيات من الطويل ، وهي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، انظر : تيمور ، ٢٨ .
(٢) الأصل : جزأ .
(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .
(٤) مثل : لم أعثر عليه في معجم الأمثال القديمة للدكتور عفيف عبدالرحمن ؛ أو في معجم
الأمثال العربية لرياض عبدالحميد مراد .
(٥) الأصل : لقاء .
(٦) البيتان من الكامل .
(٧) أصبح إماماً لليمن بعد وفاة القاسم بن الحسين ، دخل في صراع طويل ضد المنصور
بالله الحسين بن القاسم ، وبعد سيطرة المنصور على الإمامة تفرغ محمد بن إسحاق
للعلم (ت/ ١١٦٧هـ) .
انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٢٩/٢ ؛ الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ،
٦٢٧ .

جاءت بحفظ الضروريات خمستها كل الشرائع في كل الأحايين
حفظ النفوس وحفظ العرض مع نسب يا ذا الذكاء وحفظ العقل والدين^(١)

[٦٨/ب] وتفصيل ما يتفرع على هذه الخمس الضروريات من
الأحكام مدون في كتب الأصول ، ويكفيك قوله ﷺ لمعاذ بن جبل^(٢) رضي
الله عنه : « أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه ، فقال يا رسول الله :
[ص ٢٠٤] أنؤاخذ بما / نتكلم به ؟ قال : وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا
حصائد ألسنتهم »^(٣) . وهذه اللفظة الصادرة منه صلى الله عليه وآله
وسلم من أبلغ الكلام وأحسنه ؛ لأنه شبه ما يتلفظ به الإنسان بالزرع
المحصود ، وشبه اللسان بالمنجل ، فكما أنه يقطع ولا يميز بين الرطب
واليابس ، والجيد والردى ، فكذلك لسان بعض الناس ، فيكون استعارة
مصرحة ، والجامع خلط النفيس مع الردى من غير تمييز ، والاستثناء
مفرغ ؛ لأن في الاستفهام معنى النفي ، أي ما يكب الناس في النار إلا ما
تتلفظ^(٤) به (ألسنتهم أي)^(٥) من الكلام القبيح شرعاً ؛ فهو عام
مخصوص ، والتركيب من باب (قصر المفعول)^(٥) على الفاعل إفراداً ،
والقصر ادعائي للمبالغة ، إذ العمل القبيح (كذلك ، فالمراد)^(٥) أكثر
ما يكب في النار ، وإسناد الكب إلى الحصائد وهو لله - سبحانه -
مجاز (عقلي و)^(٥) استعارة مكنية والله أعلم .

(١) البيتان من البسيط .

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي ، صحابي جليل ، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد
كلها مع رسول الله ﷺ ، بعثه رسول الله ﷺ قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن ، له ١٥٧
حديثًا ، توفي بالأردن سنة ١٨ هـ .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٦٦/٨ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١٩٥/١ .

(٣) رواه الترمذي في الإيمان : باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٧٤٩) وقال : حسن صحيح ،
١٢٤/٤ ؛ وابن ماجه في الفتن : باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٢) .

(٤) الأصل : يتلفظ ، والصواب من ص .

(٥) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

وفي سنة ((إحدى وأربعين ^(١))) بعد المائتين والألف : انفصل ^(٢) « يام » من « نجران » ، وفي عزمهم حذف ضمير القصة من ذلك الشأن ، فلما بلغ أهل « صبيا » والمخلاف انفصالهم اهتموا بذلك ، وسعوا في / تحصيل ما يحصل به الدفاع عند المعارك ، فاجتمع رأيهم أن يكونوا على المدافعة يداً واحدة ، وأن يكون في قرية « أم الخشب » محط ترحالهم لا محط الفائدة ، لأن بالاجتماع يحصل الانتفاع ، كما قال الشاعر :

كن لاجتماع الرأي مجتهداً ودع التفريق إنه نحس
/ زهر النجوم لو أنها اجتمعت لم يبق لا قمر ولا شمس ^(٣) [i/٦٩]
فلم يشعروا إلا وقد صدمهم الجيش النجراني . فحينئذ استولى على تلك الجموع الرعب وضاعت الأمانى ، ولم يقابل إلا بعضهم لبعض « يام » ، فأسقوهم كأس ^(٤) الموت بواسطة البنادق والحسام ، فانهزم أولئك عن ذلك البراح ، ولم يصبروا على مصافحة الصفاح ، واختلاف خرصان الرماح ، وأسر منهم الكثير ، وقتل من رؤساء أهل « صبيا » ومن غيرهم جم غفير ، مع أنهم كانوا يظنون لكثرة جموعهم أن يستولوا على جيش أهل « نجران » ، وما علموا أن من دون ذلك اختلاف المران ، وانعكاس المشرفية ، واطراد الأعوجية ، وما وصل من وصل إلى « صبيا » إلا وقد أيس من الحياة ، والعاقل يعلم أن كل ما أصابه فهو عقوبة على ما كسبت يده وجناه .

((وكانت / الواقعة يوم ثاني وعشرين في شهر صفر)) وحينئذ طاب [ص ٢٠٦]
للشريف ما وقع من قبائل « يام » ، (مع أن في وصولهم) ^(٥) مشقة عليه
لكثرة مطالبهم العظام ، لكن لشدة ما قد عانى من المخالفين (له من) ^(٥)

(١) الأصل : وأربعون .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .

(٣) البيتان من الكامل .

(٤) الأصل : بكأس ، والتعديل ليستقيم السياق .

(٥) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

أولئك الأقوام لا يرى أنها لا تقمع رؤوسهم غير تلك السيوف ، ولا يقوم
اعوجاجهم إلا إذاقتهم كؤوس الحتوف ، فالحال كما قال الشاعر :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ فأقتل^(١) ما أهلك ما شفاكا^(٢)
وبعد ذلك استقر الحال ، وضاعف عليهم المال ، على طريقة
العقوبة والنكال .

وفيها : كان مبادئ ترفع الأسعار ، بسبب قلة الأمطار ، وآخر الأمر
عدم الحبوب ، ونسي الحبيب المحبوب ، وانكشفت^(٣) بذلك عورات ،
ومات بالقحط عالم من الناس ، وأكلت الميتات ، وذهب غالب الدواب ،
وناهيك أن تفصيل ما وقع [٦٩/ب] فيها من الشدائد يطول ، وامتدت إلى
أوائل اثنين وأربعين ، والحكم لله العزيز الحكيم ، فالعبد قاصر فكره عن
حكمة الله - تعالى - البالغة في أفعاله وأقواله ، ولا يسعه غير التسليم :

أيها المعتاض بالنوم السهر ذاهلاً يسبح في بحر الفكر
سلم الأمر إلى مالكه واصطبر فالصبر عقباه الظفر
[ص ٢٠٧] / لا تكونن آيساً من فَرَجٍ إنما الأيام تأتي بالعبر
كدر يحدث في وقت الصفا وصفاً يحدث في وقت الكدر
وإذا ما سر دهر مرة ساء^(٤) أهليه ومهما ساء^(٤) سر
فارض عن ربك في أقداره إنما أنت أسير للقدرد^(٥)
(ودامت الشدة إلى السنة الثانية والأربعين) ، وبعد ذلك أنعم الله

(١) الأصل : وأكثر ، والصواب من ديوان المتنبي ٢/ ٢٩٠ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٢/ ٢٩٠ .

(٣) الأصل : وانكشف ، والصواب من ص .

(٤) الأصل و ص : ساء ، والصواب من ع .

(٥) الأبيات من الرمل .

سبحانه على عباده بالأمطار ، وبارك في الثمار ، وصلحت (الأحوال ، وأدر)^(١) الله - سبحانه - شآبيب الكرم والنوال ، فله الحمد دائماً على كل حال .

السنة الثانية والأربعون بعد المائتين والألف فيها : (كانت وفاة)^(١)

الشريف الماجد العلامة الحسن بن شبير بن مبارك بن محمد بن خيرات (كان - رحمه)^(١) الله تعالى - صليب القناة في ذات الله تعالى . وهو من أبطال الرجال ، (وممن ارتقى)^(١) ذروة المجد والكمال ، وفي آخر مدته جعل إليه الشريف حمود بواسطة السيد العلامة حسن بن خالد الحازمي عهدة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس أمور دينها ، فقام بذلك ، وسلك من إرشاد الناس أحسن المسالك ، وله معرفة بالفقه وغيره تميزه على أقرانه ، وكانت قراءته على الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن / بن حسن البهكلي ، وعلى سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، [ص ٢٠٨] وبعد وصول الأتراك أودع دار الاعتقال ، وجرت عليه أمور كدرت منه البال ، ولله القائل :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ولكنها دار انتقال لمن عقل [١/٧٠] إذا أضحكت أبكت وإن هي أقبلت تولّت وإن أعطت فأياها دول^(٢)

وفيها : توفي القاضي العلامة ضياء الدين إسماعيل بن عبدالرحمن بن حسن البهكلي ، كان - رحمه الله تعالى - ذا دراية^(٣) تامة بعلمي الفقه والفرائض ، أخذ عن والده وغيره من علماء وقته ، وتولّى القضاء بمدينة « أبي عريش » ، وكان حسن الأخلاق ، بشاشاً في وجوه الرفاق ، وقد رثاه أخوه القاضي العلامة أديب العصر علي بن

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) الأصل و ص : درية ، والصواب من ع .

عبدالرحمن^(١) بقصيدة طالعها :

(الرضا بالقضا)^(٢) أخا الصبر عزمه وقضايا الإله تجري بحكمه^(٣)
وهي طويلة .

وفيها : كانت وفاة الوالد التقى الناسك حسن بن عبدالله بن عبدالعزيز^(٤) . مولده سنة إحدى وسبعين ومائة وألف ، وكان من أفاضل عباد الله تعالى ، لا همّ له غير تلاوة القرآن ، والاشتغال بما يقربه إلى [ص ٢٠٩] الله - تعالى - في كل أوان ، هذا مع سلامة صدره ، وصلاح / سريرته ، وكان لا يترك التهجد في جميع الليالي^(٥) ، ولم يزل محافظاً على صيام الأيام الفاضلات ، والقيام بوظائف الطاعات ، مع الزهد الحقيقي في هذه الدنيا ، وعدم الميل إليها بالكلية ، فحاله حال أهل الزهد والكمال ، ومقامه في التقوى يقصر عنه فضلاء الرجال ، وقد اتصف بمحاسن الخلال ، وعرف حقيقة هذه الدار التي هي سريعة الزوال ، وهكذا من عقل عن الله - سبحانه - أوامره ونواهيه : فهو يقصر نفسه على ما ينفعه في آخرته التي هي دار القرار ، والله يرحمه برحمته الواسعة .

((وفيها وقع الصلح))^(٦) وفيها : آخر هذه السنة نجم من أهل

(١) علي بن عبدالرحمن بن الحسن البهكلي ، أديب بليغ ، تولى الخطابة في جامع أبو عريش ، ثم أسند إليه فيها القضاء بعد وفاة أخيه إسماعيل عام ١٢٤٢هـ (ت/١٢٧٤هـ) .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (١٤٧) .

(٢) الأصل وص : القضا بالرضى ، والصواب من عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٥٢) .

(٣) البيت من الخفيف .

(٤) عمّ المؤلف ، وله ترجمة في نيل الوطر لزيارة ٢٣٩/١ : وفي عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٧٧) .

(٥) بياض في الأصل وأثبتها من ص ، وفي ع : لياليه .

(٦) وردت هذه العبارة في الهامش مع إشارة من المؤلف إلى الموضع الذي يرغب أن تكون فيه ، وقد أثبتتها ناسخ ص كما أراد المؤلف ، ونحن نوردها كذلك على الرغم من أنه لا يفهم منها شيء ، ولعل المؤلف يقصد الصلح بين أمير أبو عريش علي بن حيدر ، وأمير عسير علي بن مجتل .

السراة على الشريف الخلاف ، وكان رئيسهم الأمير علي بن مجثل ، وكانت يده قد امتدت على أهل بلاده ، وبلغ فيهم بالأوامر والنواهي أقصى مراده [٧٠/ب] « وكان قد اتفق بينه وبين الشريف صلح^(١) على أن «صبيا» ومخلافها يكون إلى الأمير ، وتبقى عسكر الشريف مترتبين في قلعة «صبيا» مدة معلومة ، فإن قامت قائمة من الأتراك وإلا فينزح الشريف عسكره ، فوصل إلى الشريف قبل انقضاء المدة نحو سبعمائة مقاتل من طريق أحمد باشا ، / فمشى الشريف علي بن حيدر [ص ٢١٠] إلى «ضمد» ولما بلغ الحوازمة خروجه ، سرّوا بالليل قبل وصوله ، وكان الرؤساء فيهم^(٢) ((السيد الأمجد أحمد بن حسين^(٣) ، والسيد الماجد محمد بن حسن بن خالد^(٤))) ((فالتجّؤوا بالأمير علي بن مجثل)) لما بينهم (وبينه من سابق المعرفة)^(٥) ، وقد قيل : « إن المعارف في أهل النهى ذمم^(٦) » ، وأرادوا أن يتخلصوا به عن ما لحقهم فيما يرون من الشدة .

إنّ الليالي لم تحسن إلى أحد إلا أساءت إليه بعد إحسان^(٧) فلم يزالوا يفتلون منه في الذروة والغارب ، فأسعدهم على النزول إلى تهامة ولعل له في ذلك مأرب .

إنّما تتجح المقالة في المرء إذا وافقت هوى في الفؤاد^(٨)

-
- (١) لعل في هذا ما يوضح الإشارة إلى الصلح التي وردت آنفاً .
 (٢) هذا الجزء غير واضح وساقط بعضه من هامش الأصل ، وأثبتناه من ص و ع .
 (٣) أحمد بن حسين الحازمي ، لم أعثر له على ترجمة .
 (٤) محمد بن الحسن بن خالد الحازمي ، ابن الحسن بن خالد وزير الشريف حمود وأحد رجال السيف والقلم في المخلاف السليمانى ، ولعل هذه العلاقة قد نشأت نتيجة لدور والده في إمارة عسير أثناء الصراع مع الأتراك .
 (٥) في الأصل : وبين من قدم من سابق المعرفة ، والتعديل من ص .
 (٦) شطر بيت للمتنبى في عتاب سيف الدولة ، وصدر البيت : وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ، انظر : الديوان ، ٢٧٠/٣ .
 (٧) البيت من البسيط .
 (٨) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبى ، انظر : الديوان ٢١/٢ .

((فنزل الأمير بجنوده على « صبيا » ، وكان في القلعة الشريف حيدر بن ناصر^(١) عاملاً من طريق ابن عمه الشريف علي بن حيدر ، ووقع بينهم الحرب ، وأرادوا استئصال القلعة فحماهم من بها عنها ، فرجعوا خائبين ، وولوا مدبرين ، بعد أن قتل من جند الأمير كثير ، وبعد ذلك جنح الأمير إلى المسالمة ، وبذل للعسكر المترتبين في القلعة مالاً ، فخرجوا من القلعة وأطلقوها عليه ، فجعل فيها جماعة من جنده كبيرهم [ص ٢١١] رجل / يسمى مغرمًا^(٢) ، وارتحل إلى السراة ، وكان هذا الواقع في شهر رمضان)) [٧١/أ] ، وبعد مدة قريبة طلعت السفن مرة أخرى بجند من الأتراك ، وبأيديهم من المنايا سفاح وسفاح ، وكان في قلعة « صبيا » أولئك الجماعة من عسير مترتبين ، ولذلك القطر محافظين ، فما راعهم إلا مبتدأ هذا الخبر ، فعلموا أن الوجه إليهم ، ولو قدر عليهم لاستأصل (منهم العين)^(٣) والأثر ، ولله القائل^(٤) :

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر^(٥)

فشد الشريف بمن معه من الأتراك إليهم ، وساروا بالمدافع بين يديهم ، فلما وقفوا بتلك الساحة . أهدموا لأولئك النضر بسبب المدافع الراحلة ، ولم تزل تقذف بتلك القل ، حتى تركت جوانب القلعة كالطلل ،

(١) حيدر بن ناصر بن محمد بن أحمد بن خيرات ، ابن أخي الشريف علي بن حيدر ، تولى إمارة صبيا بعض الوقت ، وتوفي بعد تأدية الحج سنة ١٢٥١هـ .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٨٦) : زيارة ، نيل الوطر ١/٤١٣ .

(٢) الأصل : مغرم ، وهو : مغرم بن مشاري .

انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٧٨ .

(٣) بياض في الأصل والزيادة من ص وفي ع : لاستأصلوهم للعين .

(٤) بياض في الأصل وأثبتها من ص و ع .

(٥) البيتان من البسيط .

فحينئذ علم أولئك الجماعة أن لا طاقة لهم في البقاء ، ورأوا^(١) أن طلب
الأمان والخروج لهم فيه النجا ، فقد قال الشاعر :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^(٢)

فبذل لهم الشريف الأمان ، وعفا عنهم فيما كان ، وهكذا الحليم
يضبط نفسه عند [٧١/ب] الغضب ، ويبذل العفو / عند المقدرة ، وفي [ص ٢١٢]
ذلك يقول القائل :

لا تنتقم إن كنت ذا قدرة فالعضو من ذي قدرة أصلح
واصفح إذا أذنب شخص عسى تلقى إذا أذنبت من يصفح^(٣)

واستولى الشريف على تلك الجهة ، وجعل في « صبيا » عاملاً ،
ورجع إلى مستقره سالماً غانماً .

((ولما بلغ الأمير علي بن مجتل هذا الواقع ، ثارت الحفيظة من هذا
الخبر الفاجع ، فجنّد جنوده ، وعقد بنوده ، وتوجه إلى قتال الشريف ،
وحين وصل إلى ساحة « أبي عريش » قابله الشريف بالمناوأة ، وحشد من
عنده من الأجناد والفرسان من أهل البلاد الكفاة ، فخرج وحوله^(٤) أبطال
الأشراف ، متقلدين المشرفية وبأيديهم القنا الرعاف ، وبين يديه
العساكر ، وهو يزأر زئير الأسد الكاسر ، قد لبس للحرب اللّامة ، وعليه
من البسالة والشهامة علامة ، فحين تراءى^(٥) الفريقان ، وكاد أن ينفث
الحرب العوان ، (وغنى طائر) الظفر ، عند هز الرماح وإشامة السيف
الأبتر :

(١) الأصل : ورؤا ، والصواب من ص .

(٢) البيت من الوافر وهو لعمر بن معد يكرب . انظر : النويري ، ٧٠ .

(٣) البيتان من السريع .

(٤) الأصل : وأحواله ، والصواب من ص وع .

(٥) الأصل : تراء .

فتقت لكم (ريح الجلال بعنبر)^(١) وأمدهم فلق الصباح المسفر^(٢)
توسط من يحب الإصلاح أنه يستقر حيث هما الصفان ، وتقع (منه
المفاوضة)^(٣) فيما به صلاح الشأن ، سداً لهذا الحادث العبوس ، الذي
لا ينجلي إلا بعد ذهاب (نفوس ، وكان)^(٣) الشريف علي ذا خبرة بمواقع
[ص ٢١٢] الأمور ، فرأى أن الصلح خير ، وأن في فتح الشر ضيراً / وأيّ ضير ،
فطال بين الفريقين بواسطة الرسل ترديد الكلام^(٤) ، وآل أمر الصلح إلى
سداد وتمام ، على إضافة « صيبا » وما والاها إلى الأمير علي بن مجتل ،
ورجع الأمير إلى بلاده ، والتأمت على ذلك الصلح أحوال ، وكفى الله
المؤمنين القتال)) .

فائدة ،

البيت المستشهد به الذي هو : « فتقت لكم ريح الجلال بعنبر » هو
مطلع قصيدة ابن هانئ الأندلسي^(٥) ، المعروف بـ « متنبى الغرب » هو
عندهم نظير أبي الطيب « متنبى الشرق » ، دارت في معناه بين علماء
« صنعاء » مذاكرات ، أفضت إلى مكابرات ، ثم جعل الحكم في المسألة
لبعض علمائها ، فوجه السؤال إليه ، فتكلم على معناه في كراسة ، وجاء
بما جاء على مثله في الشعر ، ومحصل ما قاله : « (أن معناه)^(٦) أنها
حُببت إليكم الحرب ، فإذا هبت لكم ريحها استروحتم إليها ، وسارعتم^(٧)
إلى مباشرتها كأنكم تشسرن : لا عنراً لستم لها بكارهين ، ولا عن التسرع ،

(١) بياض في هامش الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لابن هانئ الأندلسي . انظر : الديوان ، ٢٢٢ .

(٣) بياض في هامش الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .

(٣) بياض في هامش الأصل ، وأثبتناها من ص و ع .

(٤) يشير النعمي إلى أن الذي تولى المفاوضات بين الطرفين هو شيخ بني ظالم أبو طائف ،
وشيوخ بني جونة مشاري بن حسن ، وهما من مشايخ رجال المع .

انظر : تاريخ عسير ، ١٧٨ .

(٥) محمد بن هانئ الأزدي ، أشعر المغاربة على الإطلاق ، في شعره نزعة إسماعيلية
(ت/٣٦٢هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٥٤/٧ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٩/٤ .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٧) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : ورغبتم .

لها بمبطلين » ، وغير بدع فكثير من الأبيات يقع فيها بين الأدباء محاورة ، وكل واحد يسبق إلى فهمه معنى . انظر إلى قول ابن الرومي :

ومن العجائب أن معنى (١) واحداً هو منك (سهم وهو مني مقتل) (٢)

فقد وقع فيه بين أدبي عصرهما ابن نباته : (٣) والصفدي (٤) ما هو / معروف كما أورده الصفدي في « الغيث الذي انسجم » (٥) ، ومحصل [ص ٢١٤]

الإشكال : « كيف يُمكن أن يكون العضو الواحد هو سهم ومقتل معاً في حالة واحدة ، وحاصل الجواب : أن عضواً واحداً (٦) هو منك سهم ، وهو مني سبب مقتلي ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو كثير

كما هو معروف في مظاهره ، وذلك مستفيض في كلام [١/٧٢] الأدباء

[ألا] ترى أبا الطيب كيف يقول :

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل (٧)

فإنه ادعى للعين أنها السبب في اجتلاب المنية ، فالذنب عند

الأدباء كلهم للعين : لأنها تسبب بنظرها إلى هلاك الفؤاد ، والدواوين

ملآنة بهذا المعنى ، وهو أشهر من أن يورد عليه شاهد ، وأما من قال : إن

المقتل القلب ، وأن ذلك جارٍ على عادة الشعراء ، وأنشد قول الأرجاني (٨) :

(١) الأصل : عضواً ، والصواب من الديوان ١٨/١ .

(٢) الأصل : لي سهم ومني مقتل ، والصواب من الديوان ١٨/١ ، والبيت من الكامل .

(٣) جمال الدين محمد بن محمد الجذامي ، شاعر وأديب ، من الكتاب المترسلين العلماء بالأدب (ت/٧٦٨هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٦٨/٧ : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢٥/٢ .

(٤) خليل بن أبيك الصفدي ، صلاح الدين ، أديب ومؤرخ ، كثير التصانيف الممتعة ، تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب (ت/٧٧٦هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٣٦٥/٢ : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ١٦١/٣ .

(٥) اسم الكتاب : الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، مطبوع في مجلدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٢٩٥هـ .

(٦) الأصل : واحد ، والصواب من ص .

(٧) البيت من الكامل وهو للمتبني ، انظر الديوان ٢٥٠/٣ .

(٨) أحمد بن محمد بن الحسين ، ناصح الدين ، شاعر يغلب عليه الرقة والحكمة ، ولي القضاء بتستر (ت/٥٤٤هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٠٩/١ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١٣٤/١ .

أعيناي كمّا عن فؤادي فإنه من البغي سعي اثنين في قتل واحد (١)
وقال آخر :

عوقب قلبي وجنى ناظري ورُبّما عوقب من لا جنى (٢) ... (٣)
فهو لم يحم حول المعنى الأول الذي يستميل عن (٤) ذوي (٥) الذوق
[ص ٢١٥] السليم طرباً ، ولا ينقضي له من حسن معناه عجباً / .

السنة الثالثة والأربعون بعد (المائتين والألف) (٦) تحرك الأمير
علي بن مجتل ثانياً إلى جهسات تهامة ، ووصل بجنود كثيرة ، واستقر
(مطرحة قبلي) (٦) « أبي عريش » ، وأرادوا إعادة ذلك الخوض القديم ،
والبقاء على ما كان من السداد القويم ، فإن تعذر الصلح تراسلوا بما في
أجواف البنادق ، وتخالفوا بالرماح وأطراف الصفاح ، ولقد كان هذا
الأمير بمعزل عن الالتفات إلى هذه الجهات ؛ لأنه قد علم أنها مورد دونه
ذهاب المهجات ، وإنما حسن له من حسن فاستمالته المقالات (٧) ، ولله
القائل :

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جرّت رأسها وتكرت مكروهة للشم والتقبيل (٨)

(١) البيت من الطويل .

(٢) البيت من السريع .

(٣) انظر : الفيث المسجم للصفدي ٢٣/٢ - ٢٤ .

(٤) غير واضح في الأصل هل هي : عن أو عند ، وأظنها زائدة ؛ لأن بحذفها يستقيم السياق .

(٥) الأصل : ذو .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٧) يشير المؤرخ النعمي في تاريخ عسير ، ١٧٨ إلى أن سبب حملة الأمير علي بن مجتل على

« أبو عريش » مرة ثانية هو نقض الصلح من الشريف ، وإخراجه للحامية العسيرية من

صبيا ، ولعل المؤلف هنا لا يعلم ذلك ، أو لا يريد الإشارة إلى نقض الصلح من الشريف

علي ، خاصة أنه يكتب هذا الكتاب أثناء حكم ابنه الشريف الحسين بن علي بن حيدر .

(٨) الأبيات من الكامل ، وهي لعمر بن معديكرب ، انظر : الديوان ، ١٤٢ .

[٧٢/ب] ولما علم به الشريف برز لظاهر المدينة العريشية ، ومعه فرسان الصدام ، وآساد الالتحام ، وحين أحس الجند الشامي تحضيره الحرب للحوادث ، علموا أنه الخطب الكارث ، فرتب الأمير جنوده ، ونشر بنوده ، ووطّن أصحابه على الثبات ، وعرفهم ما هم قادمون عليه ، وعلى الذي هم قادمون إليه / وكان هذا الشريف علي بن حيدر أسداً من أسود [ص ٢١٦] الله . وسيفاً من سيوفه المنتصاة ، تتجلى على يديه المعارك السود ، وتنجد بروعه براثن الأسود ، فجعل « الحمران » (١) والمدافع في قلب الصف ، وكادت أن تستعر نار الحرب ، ويقام في تلك العرصة سوق الطعن والضرب ، فهياً الله - تعالى - بعد ذلك أسباب السداد ، وتم الصلح على إضافة « صبيا » إلى الأمير علي بن مجتل هي وما والاها من تلك (البلاد ، ورجع كل) (٢) منهما إلى مكانه ، وقد تقررّت الأمور . وصلاح بصلاح ذات (بينهما الجمهور) (٣) ، وجعل الأمير عاملاً على « صبيا » ومخلافها السيد الماجد محمد بن حسن بن خالد (والشريف أقام) (٤) في بلاده ، ولديه طائفة من جند الباشا محمد علي المسمّين (الحمران ، الذين نظمهم) (٥) بزي الإفرنج ، ورتب أمورهم في السلم والحرب (على أساليبهم) (٦) كما ذلك معروف ، ولديه أيضاً جماعة من الخيالة المغارية . ولأهل العلم كلام طويل في حكم التزيي (٧) بزي الكفار لا حاجة إلى إيراده ؛ لأن مثل هذه الأمور مبناه على الأمور الدولية لا الدليلية ، وما كان سبيله ذلك فالكلام فيه من إشغال الحيز ، مع أن المسألة أشهر

(١) الحمران : الجنود الأتراك ، انظر : وصف المؤلف لهم أدناه .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : الجهات ورجع كلاً .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : البين الجمهور .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : وأقام الشريف علي بن حيدر طائفة .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : الحمران إلا أن نظامهم .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وسقطت من ع .

(٧) الأصل : التزيي .

عند أهل العلم من الشمس ، ومن تكلم من أهل العلم في مثل هذه المسالك [ص ٢١٧] الدولية / التي قد جرى عليها الملوك لم يقابل بغير الاستهزاء والسخرية ، ولكن الشارع قد علم أن في آخر الزمان لا يتمكن المسلم [٧٣/أ] من الإنكار ، فجعل مراتب الإنكار ثلاثاً^(١) : اليد ، ثم اللسان ، ثم القلب كما ورد في الحديث^(٢) ، فمن بقي في قلبه حياة أنكر بقلبه (عند تعذر اليد واللسان) ، وإن سكت في الظاهر عما ينكر في الشرع ، فلم يكن سكوته تقريراً لاحتمال أنه أنكر بقلبه ، ومن أنكر ذلك من العلماء في الكتب المؤلفة ، فهو قد أدّى ما عليه ؛ لأن القلم أحد اللسانين ، فتبين أنه لا حجة لأحد في سكوت عالم على تقرير ما يخالف الشرع ، أمّا أنه أنكر بقلبه أو لظنه عدم التأثير ، ومثل ذلك يسقط عنه الوجوب المستلزم الإخلال به الإثم ، وهذه إشارة ، وفيها كفاية ، واللّه - سبحانه - ولي الهداية .

وهذا الشريف علي يعتزي^(٣) في الظاهر إلى محمد علي باشا ، ولم تنزل المكاتبه بينه وبينه دائرة بواسطة صاحب « مكة » أحمد باشا ، والأمر فيما بينه وبينهم جميلة ، والخطبة يعلن بها في المنابر للسلطان من آل عثمان ، واستغنى بهؤلاء الأجناد في حفظ البلاد عن غيرهم من همدان ، وقد حدثني من أثق [به] عن الشريف أنه ذكر له ما معناه أن [ص ٢١٨] المصاحبة الأتراك (والاعتزاء إليهم)^(٤) لم يكن / عن رغبة أو جهل بحقيقة ما هم عليه من الأمور الجارية على غير قوانين الشريعة^(٥) ، ولله القائل :

(١) الأصل و ص و ع : ثلاث .

(٢) رواه مسلم في باب الإيمان (٤٩) ؛ والترمذي في الفتن : باب ما جاء في تغيير المنكر ؛ وأبو داود في الصلاة : باب الخطبة يوم العيد ، وفي الملاحم : باب الأمر والنهي .

(٣) اعتزى إلى فلان انتسب إليه صدقاً أو كذباً ، والعزوة الانتساب . انظر : المعجم الوسيط ٦٠٥/٢ ؛ والمؤلف هنا يشير إلى ارتباط المخلاف السليمانى بحكم محمد علي باشا أثناء سيطرته على الجزيرة العربية قبل خروجه منها بموجب معاهدة لندن عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م .

(٤) بياض في الأصل ، والزيادة من ص ، وفي ع : والاعتداد بهم والاعتزاز .

(٥) بياض في الأصل ، والزيادة من ص و ع .

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه^(١)
 لكن مع انفتاح فتحة أهل السراة عليه ، وسعايتهم فيما يعود ضرره
 إليه ، وعدم مراعاتهم لحرمة لو قدروا ، فما يرى يسعه إلا المصاحبة لمن
 ذكر ، ليدفع به شر هؤلاء ، نظراً إلى قول الشاعر :
 إن الحكيم إذا أَلَمَّ بِجِسْمِهِ داءً^(٢) مختلفان داوى الأخطار^(٣)
 وكان في هذه المدة كل واحد حافظ أطرافه غير متعد على الآخر .

السنة السادسة والأربعون بعد المائتين والألف : فيها كانت [٧٣/ب]
 وفاة شيخنا السيد العلامة الحافظ المتأله^(٤) الرباني القاسم بن محمد بن
 إسماعيل الأمير^(٥) ، كان - رحمه الله تعالى - في العلوم إمام أهل
 التحقيق ، والمجلي في قصبات الإتيقان والتدقيق . روح جسم العبادة ،
 وحليف النقاء والزهادة ، نهاره صائم ، وليله قائم ، مولده تقريباً سنة
 ثمان^(٦) وستين ومائة وألف ، أخذ عن والده شيخ الإسلام وهو في أوائل
 البلوغ كما حدثني بذلك ، ولازم جماعة من محققي « صنعاء » كالعلامة
 علي بن هادي عرهب^(٧) ، وغيره ، حتى دقق / في جميع المعارف العلمية ، [ص ٢١٩]
 وفاق أهل عصره في العلوم النقلية والعقلية ، إذا تكلم في مسألة لم يترك

(١) البيت من الطويل وهو للمتبني ، انظر : الديوان ٣/٢٢٧ .

(٢) الأصل : دان .

(٣) البيت من الكامل .

(٤) لفظ « المتأله » لا بأس بإطلاقه فقد ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٣/٣ ، وذكره
 الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٩٢/٦ ، وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة ابن عطاء
 ٢٥٥/١٤ قال عنه : « الزاهد العابد المتأله » . وهي دارجة في بعض كتب التراث بمعنى
 كثرة التعبد والخضوع لله .

(٥) انظر ترجمته أيضاً في البدر الطالع للشوكاني ٥٢/٢ : نيل الوطر لزبارة ١٨٠/٢ .

(٦) الأصل : ثمانية .

(٧) من علماء اليمن المشهورين خاصة في النحو والصرف والمعاني والبيان ، تولى قضاء
 الروضة - إحدى ضواحي صنعاء - ثم نقل إلى كوكبان (ت/١٢٣٦هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٤٩٩/١ : زيارة ، نيل الوطر ١٦٤/٢ .

بعده مقالاً لقائل ، أو خاض في شبح المشكلات وإيضاحها فمن ذا له يناضل ، أنفق ريعان شبيبته في التنقيب عن خفايا (علوم الآلات)^(١) ، حتى صار المرجع فيها لحل المشكلات ، وفي آخر مدته أقبل (على درس الحديث)^(٢) ، ومعرفة رجاله ، فبلغ في ذلك مبلغ الحافظ من أمثاله ، (وكان مؤثراً للخمول)^(٣) والعزلة ، تاركاً لفضول العيش ، مطرحاً للعادات التي (عليها الناس)^(٤) في الملبوس وغيره ، ولا يحب الشهرة في شيء من أمره ؛ بل (مقبل على ما يعنيه)^(٥) ، لا يمضي عليه وقت في غير درس أو تدريس أو تلاوة أو ذكر ، (لا يتصل بأحد)^(٦) من أرباب الوظائف إلا لحاجة ، ومن رآه بديهة أحبه ، فهو من عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، كما جاء وصفهم في الحديث النبوي^(٧) ، قد علاه نور العبادة ، فوجهه ساطع بالأنوار ، وعليه من العبادة آثار ، وكان كثيراً ما ينشد قول الإمام الغزالي^(٨) :

[ص ٢٢٠] تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل وعدت إلى مصحوب أول منزل
[١/٧٤] / وناديتي الأشواق مهلاً فهذه منازل من يهوى رويدك فانزل^(٩)

وهذا يشعر بأنه لا ملحظ له إلا إلى ما فيه رضى مولاه ، وأنه لا يشتغل بما سواه ، وهكذا حال من علم أن المقام في الدنيا قليل ، وأنه يتعابه لنفسه في مخالفة هواه يكون عقباه الراحة في دار الحيوان ، ولعمر الله إنه لمن العباد الذين وصفهم الشاعر في قوله :

إن لله عبداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
زهدوا فيها فلما علموا أنها ليست لحَيِّ وطننا

- (١) بياض في الأصل وأثبتناه من ص و ع .
- (٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : على معرفة علم الحديث .
- (٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : وأخيراً جنح إلى من كانوا يعملوا الخمول .
- (٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
- (٥) رواه ابن ماجة في الزهد ، باب : من لا يؤبه له (٤١١٩) .
- (٦) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، فيلسوف متصوف ، حجة الإسلام ، له نحو مائتي مصنف (ت/ ٥٠٥ هـ) .
- انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٤٧/٧ ؛ بدوي ، مؤلفات الغزالي ؛ رضا ، أبو حامد الغزالي .
- (٧) البيتان من الطويل .

جعلوها نُجَّةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً (١)

فلقد صفا قلبه لله - تعالى - في جميع الأحوال ، وتحقق بصفة الصوفية الذين (٢) صفت قلوبهم عن سيئات الأعمال (٣) ، ولله القائل (٤) :

لا تحسبن لباس الصوف في ملأ يدعى به بين أهل الفضل بالصوفي (٥)
وإنما من صفا قلباً ومال إلى صقالة النفس من أوساخها صوفي (٥)

هذا مع التواضع الذي لم يكن فيمن هو أدنى منه بكثير ، وحاله فيما أعتقد يلحق بحال السلف الصالح من قدماء أهل بيت النبوة عليهم السلام ، الجامعين لإمامة العلم والعمل ، لما هو عليه من العبادة ، والتأله وحسن السمات والإنابة ، وقد أخذت عنه في علم الحديث / وأصوله ، [ص ٢٢١] وفي علم التفسير ، وفي علم العربية ، وفي علم المنطق وغيره ، جزاه الله عني خيراً ، وقد أوردت بعضاً من مناقبه في كتابي « حقائق الزهر » (٦) .
هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل (٧)
وفيها كانت وفاة الوالد القاضي العلامة حسين بن أحمد النعمان (٨) ، كان من العلماء الفضلاء ، ومن الحكام النبلاء ، له اليد

(١) الأبيات من الرمل .

(٢) الأصل : اللذين .

(٣) إن كان المراد بالتصوف الزهد بالدنيا وترك التعلق بها ، فهذا مما يندب إليه ، دون أن يلجئ نفسه للناس بحجة الزهد والعفة عن المتاع الزائل . وإن كان المراد بهذا المصطلح ما أصبح عليه كثير من أتباعه من ادعاءات لا أساس لها في الشرع ، وابتداع ما لم يأت به النص من القرآن أو السنة ، ولم يؤثر عن سلف الأمة من الصحابة الكرام والتابعين الأخيار كما هي حال الأكثرين من أصحاب الطرق المتفرعة عن هذا المصطلح فهذا كله مما ابتدع ولو كان خيراً لسبقنا إليه من كانوا في خير القرون رحمهم الله .

(٤) بياض في الأصل وأثبتاه من ص .

(٥) البيتان من البسيط ، وهما للحسين بن إسماعيل الشوكاني . انظر : البدر الطالع للشوكاني ٢٢٣/١ .

(٦) حقائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر ، حققه ودرسه وعلق عليه د . إسماعيل بن محمد البشري ، مطبوع عام ١٤١٣ هـ .

(٧) البيت من الكامل وهو لأبي تمام ، انظر : الديوان ، ٣٧٥ .

(٨) من علماء المخلاف السليماني ، عمل قاضياً في الشقيري قرب ضمد خلال حكم الشريف علي بن حيدر .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٣) : زيارة ، نيل الوطر ٢٧٧/١ .

الطولى في علم الفروع ، وله رحلة إلى « صعدة » [٧٤/ب] وأخذ عن مشايخها ، وأخذ عن سيدي الوالد رحمه الله تعالى ، وكان يباشر الحكم على طريق الاحتساب ، مع الورع الشحيح ، والعقل الرجيع ، قل أن يجلس بين يديه خصمان إلا ويرضيان ما يقول ، لما هو عليه من حسن الطوية ، رحمه الله تعالى وإيانا .

وفيها حشد الأمير علي بن مجتل لأجناده ، وانفصل من بلاده ، ومر بأطراف بلاد الشريف ، ولم يحصل منه شيء يوجب التعنيف ، حتى وصل « دوغان »^(١) من بلاد « صليل » ، وفيه قلعة شامخة بناها الشيخ إبراهيم ابن علي الكفود ، وقد كان (الشيخ إبراهيم)^(٢) قد تأثر بالخيال والأتباع والعبيد ، واستقل بنفسه ، وفعل من الأفعال المنكرة ما يريد ، من غير [ص ٢٢٢] تقيد بقانون شرعي ، وأطلق القبائل الذين / يده عليهم على الضعفاء والمساكين ؛ فأذاقوهم أنواع التعذيب ، ونهبوا أموالهم ، واستباحوا (النفوس بغياً)^(٣) ، ولم يراقبوا من هو على كل شيء رقيب .

وقد ذكر في « الأحكام (السلطانية » للماوردي)^(٤) ترتيب ما يلزم السلطان فيها في من تحت يده ، من التفقد (والأخذ عليهم أن)^(٥) لا يظلموا أحداً ، ولا ينقضوا عهداً ، ولا يهملوا ركناً من (أركان الشريعة ؛ فإنه)^(٦) إلى استئصال الدولة الذريعة ، من أراد فليراجعه .

(١) قرية يمنية صغيرة ، تبعد حوالي ٤٥ كم شمال شرق الزيدية . انظر : G & H map .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : النفس والمرض .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع ؛ وكتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية مطبوع في دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .

والماوردي هو : علي بن محمد بن حبيب ، من العلماء الباحثين وقاضي القضاة في عهد

القائم بأمر الله العباسي (ت/ ٤٥٠ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ١٤٦/٥ .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : والأخذ على أيديهم بأن .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : أركان الشريعة يؤول .

وقد عرف (بالاستقراء التام)^(١) ، وهو مشاهد لأولي الأحلام ، في سالف الأيام ، أن من تعرض لهتك (حرم الشريعة) وأركان الإسلام لن يفلح أبد الآباد ، ولا يهمله رب العباد ، ومِمَّا حفظ من حكمة الأوائل ، أن رب العالم يمهّل الملوك على الجور ما لم يأخذوا في هدم أركان الشريعة ، ومن هَدَمَ أركانها عدم التقيد بقيد الشرع : من أخذ الأموال ، واستباحة النفوس ، ونقض العهود ، وقد ورد في الحديث الصحيح : « اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »^(٢) ، وقد ورد [٧٥/أ] أنه يستجاب له في ذلك ، ولو كان كافراً فإنه إنَّما يطلب الله حقه أو كما قال / صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

[ص ٢٢٣]

وقد عوجل الكلفود بما فعل : لأن فعله أغلبه بغي . وقد حكي في « الكشف » عن محمد بن كعب القرظي^(٣) أنه قال : « ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي والنكث والمكر » . انتهى .

ومصدق ذلك من كتاب الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٤) ، ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾^(٥) ، ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٦) ، الآيات الثلاث ، قال في « الكشف » : وكان المأمون^(٧) يتمثل بهذين البيتين في أخيه :

-
- (١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
 (٢) رواه البخاري في باب المظالم ؛ ومسلم في باب الإيمان [١٩] : والترمذي في باب البر .
 (٣) محمد بن كعب بن سليم ، تابعي جليل من أئمة التفسير (ت/١٢٠هـ) .
 انظر : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩ ؛ الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢١٢/٣ .
 (٤) سورة يونس ، الآية ٢٣ .
 (٥) سورة الفتح ، الآية ١٠ . (الأصل : الآية فيها خطأ وهو (ومن نكث) والصواب ما أثبت) .
 (٦) سورة فاطر ، الآية ٤٣ .
 (٧) عبد الله بن هارون الرشيد ، الخليفة العباسي السابع ، تولى الخلافة من ١٩٨هـ إلى تاريخ وفاته في عام ٢١٨هـ .
 انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٢٢٦/٩ - ٢٩٣ : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٨٣/٩ .

يا صاحب البغي إن البغي مصرعه فاعدل فخير فعال المرء^(١) أعدله
فلو بغى جبل يوماً على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله^(٢)
وبعد أن مات الكلفود تخلف بعده ولده ، وسار تلك السيرة ، فلم
(يشعر وهو)^(٣) متفيئ لظلال الأمان ، غير ملاحظ لحوادث الزمان ، إلا
وقد بلغه هذا الخبر^(٤) الذي يبلى الأذهان :

يا راقداً الليلى انتبه إن الخطوب لها سُرى
ثقة الفتى بزمانه ثقة محاللة العرى^(٥)

وما ذاك إلا من انتقام الله تعالى وعده ، وإلا فما كان يظن بالأمير
علي بن مجتل أن يستقل لقصد تلك الجهات ، فخيم الجند على فناء قلعة
[ص ٢٢٤] « دوغان » ، وانحصر أولاد الكلفود / وأتباعهم في ذلك المكان ، ولم يزل
الكلام يدور بينه وبينهم حتى انخرط المتقدم منهم في سلك طاعة الأمير ،
وبعد ذلك كأنه ظهر للأمير علي بن مجتل من حاله ما ظهر ، والله أعلم
بحقيقة الواقع ، فاستصفى جميع ما يملك الكلافيد من الخيل وغيره
[٧٥/ب] ، وأخربت القلعة ، وأصبحت أثراً بعد عين ، وكانوا قضاءً لما سبق
عليهم للخلق من الدين ، ولله القائل :

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغامُ فيما تصيدا^(٦)
وبعد أن انضافت البلاد التي كانت تحت الكلفود إلى الأمير جعل
عليها عاملاً الشريف حسن بن بشير بن محمد بن أحمد بن محمد بن
خيرات^(٧) ، وألقى زمام أمرها ونهيتها إليه ، وانفصل إلى وطنه وقد

(١) الأصل : المرء ، والصواب من ص و ع .

(٢) البيتان من البسيط .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : فلما كان .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : الأمر .

(٥) البيتان من مجزوء الكامل .

(٦) البيت من الطويل وهو للمتنبى ، انظر : الديوان ٢٨٧/١ .

(٧) لم أعثر له على ترجمة .

استفاد من الأموال ما يحسن السكوت عليه ، وشاهد حاله :
ولست أبالي بعد إدراكي العلا أكان تراثاً ما تناولت أو نهياً^(١)
وفي هذا العام كانت^(٢) وفاة الشريف الأمجد ، الباسل الأوحد ، أبي
الأشبال محمد (بن علي بن حيدر^(٣) كان) ،^(٤) ، رحمه الله تعالى ، من
الشجعان المشاهير ، وفي الكرم عديم (النظير ، وهو أحد)^(٥) أركان
مملكة والده ، وكان يتولّى أكثر الأمور ، وعليه فيها (المعول ، وله في
الوقائع)^(٦) أفعال تدل على أنه من ذلك الطراز / الأول ، وكانت^(٧) وفاته [ص: ٢٢]
(بعد أن قضى فريضة)^(٨) الحج ، عقيب وصوله من تلك المواطن
العوام ، وذلك ممّا يكون (له إن شاء الله تعالى)^(٩) حسن الختام ، فقد
ورد في الحديث الصحيح : « أن الحج يهدم ما كان (قبله) »^(٩) ، وحمل
على^(١٠) نعشه من قريته « الخضراء »^(١١) إلى المدينة العريشية ، وقبر
في مقبرة آبائه :

طَوْدٌ تَحْمَلُهُ ظَهْرُ السَّرِيرِ وَهَلْ تَحْمَلَتْ جِبَالاً مِنْ قَبْلِهِ السَّرْرُ
طَوْتُهُ أَيْدِي الرَّدَى طَيِّ الرَّدَاءِ وَلَمْ يَزَلْ شَاهَ بَطِيبِ النُّشْرِ يُدَكِّرُ
هُدَّتْ مِبَانِي الْمَعَالِي يَوْمَ مَصْرَعِهِ وَمَرَّتْ أَلْمَجْدُ وَالْعِلْيَاءُ مَنْدَثَرُ^(١٢)

-
- (١) البيت من الطويل وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ، ٦٠/١ .
(٢) الأصل : كان .
(٣) له ترجمة أيضاً في نيل الوطر لزبارة ٢٩٢/٢ .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : وكان أحد .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : المدار ، وله في الوقائع .
(٧) الأصل : وكان .
(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٩) رواء مسلم في باب الإيمان (١٢١) .
(١٠) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(١١) ذكر العقيلي سبع قرى تحمل هذا الاسم ، وهي قرية تبعد حوالي ٧ كم على وادي جازان .
انظر : المعجم الجغرافي ، ١٦٧ .
(١٢) الأبيات من البسيط .

وهو أكبر أولاد الشريف ، وكان مولده سنة ست بعد المائتين والألف ، ومن مآثره^(١) بناء « قلعة الخضراء » وإحياء شريح^(٢) بجنبها على « وادي جازان » .

وفي هذا العام ، وآخر [٧٦/أ] عام ستة وأربعين ؛ ظهر في « مكة » وباء عام ، ومات منه عوالم من الأنام ، وأكثر الناس يزعم أنه طاعون ، وقد جزم ابن قتيبة^(٣) بأن « مكة المشرفة » مشاركة « للمدينة المنورة » في عدم دخول الطاعون لها ، ونقله جماعة من العلماء وأقروه ، آخرهم النووي^(٤) ، لكنه دخلها في الطاعون العام سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

[ص ٢٢٦] قال الجلال السيوطي : « ويدل للمشاركة ما أخرجه أحمد بسند / جيد عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ : « المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة ، على كل نقب منهما ملك ، لا يدخلهما الدجال ولا الطاعون »^(٥) .

قال الشيخ علان الصديقي^(٦) في كتابه « مثير شوق الأنام »^(٧) : « وقوله : فإن ثبت ؛ يدل على عدم ثبوته ، ففي « شفاء الغرام »^(٨) في

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٢) الشَّريح : مسيل الماء من الهضاب ونحوها إلى السهل ، وشَرَج الوادي : منفضحه .

انظر : المعجم الوسيط ٤٨٠/١ .

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أئمة الأدب ومن كبار المصنفين (ت/٢٧٦هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٨٠/٤ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٤٦/٢ .

(٤) يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن النووي ، علامة في الفقه والحديث (ت/٦٧٦هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٨٤/٩ : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢٧٨/٧ .

(٥) رواه البخاري في الطب : باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٢١) ؛ ومسلم في الحج (١٣٧٩) ؛ والترمذي في باب الفتن .

(٦) محمد بن علي بن محمد علان بن إبراهيم الصديقي ، مفسر وعالم بالحديث ، من أهل مكة (ت/١٠٥٧هـ) . انظر : الزركلي الأعلام ١٨٧/٧ : المحبي ، خلاصة الأثر ١٨٤/٤ - ٨٩ .

(٧) مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام ، مطبوع .

(٨) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، طبع بتحقيق عمر عبدالسلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ .

سنة تسع وأربعين و (سبعمائة ، كان الوباء)^(١) الكثير « بمكة » ، ويفهم من كلام الحافظ ابن حجر في خاتمة كتابه الموضوع في الطاعون (أن عدّه فيما) ذكر قول من وصفه ، وعظّم شأنه ، والظاهر أن هذا الوصف تجوّز .

وأطلق الطاعون^(٢) على الوباء [بسبب] وقوع الموت بكثرة لكل منهما ، وصاحب « شفاء الغرام » مؤرخ محقق أدري^(٣) بشأن الوقعات من غيره ، والوباء غير ممتنع ، إنّما الممتنع الطاعون ، لأنه (قال فيه)^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « وخز أعدائكم الجن »^(٥) وهو من الحسن بمكان ، هذا ما ذكره العلامة محمد بن علي بن علّان في شرح أذكار النووي^(٦) ، وإلى نحوه أشار الحافظ ابن حجر في « فتح الباري »^(٧) ، فعلى هذا يكون الحاصل في « مكة المشرفة » إنّما هو الوباء ، ومن سماه طاعوناً ، فقد تجوّز .

وفي هذا العام توفي صاحبنا الفقيه الأديب البليغ العلامة عبدالكريم بن حسين العتمي ثمّ الزبيدي ، هو أديب يعبث بدر البيان ، ويقوده بألّين زمام البنان / ، الفصاحة أصغر صفاته . والبلاغة عضو [ص ٢٢٧] خطواته ، يرضى [٧٦/ب] بعضو الطبع ، ويقنع بما يخف على السمع ، أخذ عن علماء زمانه ، ولازم شيخنا الحافظ عبدالرحمن بن سليمان مدة ، وأخذ عنه واستفاد منه ، ولازم القاضي العلامة محمد بن أحمد

(١) بياض في الأصل والزيادة من ص وفي ع : وسبعمائة وقع .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وسقطت من ع .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : له معرفة .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : في قوله .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٩٥/٤ .

(٦) اسم الكتاب : الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ، طبع في القاهرة عام ١٣٥٨ هـ

بعناية جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

(٧) انظر : فتح الباري لابن حجر ١٩٠/١ - ١٩١ .

مشحمة^(١) وغيره ، وله قصائد كثيرة مدونة بأيدي الناس ، لو جمعت لجاءت في مجلد ، وهو فيما أعتقد لا يساويه أحد من أهل زمانه في إجادة النظم ، وأما النثر فإجادته فيه دون إجادة النظم ، وذلك بالنسبة إلى نظمه ، وإلا فهو مجيد فيه ، وبينى وبينه مطارحات في مسائل أدبية ، وأخذت عنه بعض علوم الأدب ، فمن مختار شعره :

نوا بالنوى فاستمطروا عَبراتي	وأهل الغضا شبَّوه في المهجات
(جفًا لم يكن في حسبتي) ^(٢) مذ هويتهم	وما كنت قد أخطأت في حساباتي
(ومن يك بالسمر اللدان) منعماً ^(٣)	فإني جنيت المرَّ من سميرات
(أسكان «نعمان العقيق») ^(٤) أسلتم	بوادره سفحاً على وجناتي
(وما هو إلا أن رأيتم) ^(٥) بمفرقي	بباضاً فساءت عندكم حسناتي
(أما كنت ردفاً) ^(٦) في النصيف إذا دجا	دجا الصرف خدنا في ملا الخلوات
رويدكم ^(٦) حادي الركاب فائتما	حملتم على كوم المطي حياتي
جزيتكم شكر الصنيع ولم أقل	كما قالت الخنساء للشجرات
[ص ٢٢٨] / وإني وإن كنت العريق حضارة	لأشغف حباً في ظبا الفلوات
بدور خدور ما القصور منازل	ولا طلعت من هالة الحجرات

(١) محمد بن أحمد بن يحيى بن جابر الله ، من علماء اليمن الأدباء ، تولى القضاء في أكثر من مكان باليمن ، وله أكثر من خمسين مؤلفاً (ت / ١١٨١ هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١٠٢/٢ ؛ زيارة ، نشر العرف ٤١٢/٢ .

(٢) بباض في الأصل وأثبتناه من ص .

(٣) بباض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : فإن كان غيري صار .

(٤) بباض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : فإن كان من ماء العقيق .

ونعمان : اسم واد جنوب مكة المكرمة ، والعقيق من أودية المدينة المنورة . انظر : الجاسر ،

المعجم الجغرافي ، ١٢٣٢/٢ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣٦ .

(٥) بباض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : وإن لاح مني بباض .

(٦) بباض في الأصل وأثبتناه من ص و ع .

ولا خطرت والمرط يمحورسومها
على أنتي أنسى الهوى إن تخطرت
/يذكرني صبحي الألى^(١) ورفاقتي
تدار علينا أكؤس من فكاهاة
رعى الله أياماً نعمت بقربها
قوله : « وأهل الغضا شبوه » استخدام^(٢) ، وهو والتورية^(٣) من
أشرف أنواع البديع ، حتى أفردهما صلاح الدين الصفدي بمؤلف سماه
« فضُّ الختام عن التورية والاستخدام »^(٥) وهو مأخوذ من قول البحترى :
فسقى الغضا والساكنيه وإن هم
وقوله : « أسكان نعمان العقيق أسلتم بوارده » : استخدام أيضاً ،
وهو مأخوذ من قول ابن نباتة^(٧) :
إذا لم تفض عيني « العقيق » فلا رأت
وإن لم تواصل عادة السفح مقلتي
منازله بالقرب تبهى وتبهر
فلا عاها عيش (بمعناه أخضر)^(٨)

(١) الأصل : الأولى .

(٢) القصيدة من الطويل .

(٣) الاستخدام : هو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ، ثم يراد بضميره معناه الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين ، ثم يراد بالضمير الآخر معناه الآخر .

انظر : زغلول ، الألوان البديعة ، ٩١ .

(٤) التورية : وتسمى الإيهام ، وسميت التورية بهذا الاسم لأن المتكلم بها يستتر المعنى البعيد بالقرب .

انظر : زغلول ، الألوان البديعة ، ١٥ .

(٥) فضُّ الختام عن التورية والاستخدام ، تحقيق : د . المحمدي عبدالعزيز الحناوي ، طبع عام ١٣٩٩هـ في دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٦) البيت من الكامل .

(٧) البيتان من الطويل .

(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وفي ع : فلا عاد هاتيك المنازل منظر .

[ص ٢٢٩] وقد تيسر له الاستخدام في البيت الأول والثاني ، مع / الانسجام البديع ، وسيلانهما^(١) بالرقّة ، وهذان البيتان من قصيدة له نبوية^(٢) ، عارض بها قصيدة عمر بن (أبي ربيعة)^(٣) (٤) المسماة «قصب السكر» التي طالعها :
أمن آل نعيم أنت غارٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمبكر^(٥)
وشهرتها تغني عن إيراد شيء منها .

نعم ؛ ولما استقرت العمالة للشريف حسن بن بشير على تلك الجهات استوطن قرية « مور » ، وكان هو والشريف الحسين بن علي بن حيدر ؛ وهو إذ ذاك عامل من تحت نظر والده على « الزهراء » يحصل بينهما المشاجرة في مساقى الماء ، ورُبَّما طال في تلك المجرة تردد الكلام ، وأفضى [في] بعض الأوقات إلى الخصام :
فإن النار بالزندين تورى وإن الحرب أوله كلام^(٦)
[٧٧/ب] وفي أثناء ذلك يقع بينهما التوسط من أعيان الناس ، ولكن لم يندمل ذلك الجرح بل لم يزل في انبجاس ، فانفتحت بينهما أبواب الفتنة ، وكل منهما مجد فيما يدفع به عن نفسه المحنة .
ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه^(٧) يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم^(٨)
ولم يزل الأمر في زيادة ، وكل منهما يغزو الآخر إلى أطراف بلاده ،

-
- (١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وسقطت في ع .
(٢) ليس واضحاً من كلام المصنف المراد بالقصيدة النبوية ، ولعله مبالغة في غير محلها في وصف القصيدة .
(٣) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، شاعر أموي تميز شعره بالرقّة والفزل (ت/ ٩٣هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١١/٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١١١/٣ .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وع .
(٥) البيت من الطويل .
(٦) البيت من الواقر .
(٧) الأصل : بسنانه ، والصواب من ديوان زهير بن أبي سلمى ، انظر : الديوان ، ١٢٤ .
(٨) البيت من الطويل ، وهو لزهير بن أبي سلمى ، انظر : الديوان ، ١٢٤ .

حتى دخلت سنة ثمان^(١) / وأربعين بعد المائتين والألف ؛ بعث الأمير علي [ص ٢٣٠] ابن مجتل طائفة من الجند رئيسهم رجل يسمى مريحاً ، وفي ظاهر الأمر ليتلافى القضية ، ويصلح الشأن ، ويكشف عن حقيقة الواقع ، ليتبين من (هو المعتدي على الآخر)^(٢) ، وفي الباطن إمداد للشریف حسن بن بشير : لأنهم يرون (أن ذلك الصلح قد طرأ) عليه التغيير .

(ولو علم الإنسان)^(٢) ما هو كائن لعاش مدى الأيام وهو مصون (ولكن قضاء)^(٢) الله ستر محجب تحار عقول عنده وظنون^(٣) (فلما وصل مريح)^(٤) إلى أطراف بلاد الشریف اهتم بشأنه ، وبعث ليعرب له (عن حاله)^(٥) بعض أعوانه ، فألقى إلى ذلك الرسول أنه لا قصد له غير الإصلاح ، ولا يميل إلى غير سد هذا الرقع الذي لم يزل في انفساح ، وجعل بذلك مراقيم وثيقة ، ولم يستعمل فيها المجاز بل صرح بالحقيقة ، ولله القائل :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع^(٦)
فلما وصل إلى أطراف « الزهراء » وقد علم الشریف الحسين بما اتفق ، فما عامله بغير الجميل ، ولا قابله إلا بالتكريم والتبجيل ، ومع هذا فقد ظهر له منه [٧٨/أ] من الخلاف ما ظهر ، ولكنه / تغافل ، « والمؤمن [ص ٢٣١] ثلثاء تغافل »^(٧) كما جاء في الخبر .
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح^(٨)

(١) الأصل : ثمانية .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٣) البيتان من الطويل .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : ولما أن مريحاً يغزوا .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : عن تطرق .

(٦) البيت من الطويل .

(٧) لم أجد هذا الخبر في كتب الحديث المشهورة ، ولعله قول أحد السلف .

(٨) البيت من الطويل .

ولما استقر بقرية « مور » ، دخل بوصوله على الشريف حسن بن بشير السرور ، وحين علم الشريف الحسين ما هم عليه خاطبهم بلسان الرسائل ، طمعا في تسكين الدهماء كما هو شأن العاقل ، فما التفتوا إلى ذلك المقال ، بل قلبوا دست^(١) الكلام ، وأن الشريف الحسين هو المعتدي في الفعال ، فحاكمهم إلى الشريعة الغراء ، ورأى أن ذلك أولى وأحرى ، حتى إن بعض علماء السادة بعث في هذه المجرة إليهم بمكتوب ، وما عاملوه بغير المغالطة التي هي عصا يتوكأ عليها المبطل في كل مطلوب ، ولله القائل :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم (عرضا رميت وخت)^(٢) أني أسلم^(٣)
فحين علم الشريف الحسين أن قصدهم قتاله ، حاكمهم إلى (السيف البتار)^(٤) ورأى أن بسوى ذلك لا يندفع عنه به العار ، وأنشد لسان حاله (في هذا المقام)^(٥) قول بعض أدباء الأنام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب^(٦)
[ص ٢٣٢] / بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب^(٧)

وقد كان اجتمع لدى الشريف حسن بن بشير جماعة من أهل الخيل ، فعبا هو ومريح الجنود ، ونشروا للقتال البنود ، وخرجوا من «مور» تزهو بهم بالخيلاء البقاع ، وقد عمهم السرور بما قد منتهم به من بلوغ الآمال الأطماع ، ولله القائل :

(١) الدست : اللباس ، وصدر المجلس ، ودست الوزارة : منصبتها ، ودست اللعبة ، ويقال :

فلان حسن الدست : شطرنجي ماهر . انظر : المعجم الوسيط ٢٨٢/١ .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : عرضا وخت .

(٣) البيت من الكامل وهو للمنتبي ، انظر : الديوان ١٢١/٤ .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناه من ص و ع .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناه من ص ، وفي ع : ولله القائل .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٧) البيتان من البسيط والقائل : أبو تمام ، انظر : الديوان ٤٠/١ .

كم ضاحكٍ والمنايا فوق هامته لو كان يعلم غيباً مات من كمد
من كان لم يعط غيباً في بقاء غدٍ ماذا يفكره في رزق بعد غده (١)

[٧٨/ب] ولما بلغ مسامع الشريف الحسين الخبر . برز بمن عنده
من الجند والخيـل ، وهم جماعة قليلون لا يظن بهم قضاء الوطر ، فلما
وصلوا بأطراف « وادي مور » في قرية يقال لها « اللجام » (٢) . نادى
الداهية على أولئك صمي صمام ، لا خلف ولا قدام . ووقع ما وقع .
وارتفع مرتفع (٣) ، واتضع من اتضع ، وانجلت المعركة عن ذهاب روح مريح
في ذلك البراح . وأنشد لسان الحال بين يدي الشريف الحسين بإفصاح .
ليتحفه بالنوع الجديد من البديع المسمى دفع الجحود ، بلوازم الوجود :

وقائلة يا فارس الخيل هل ترى أبا ولدي عنه المنية ولت
فقلت لها لا علم لي غير أنني رأيت عليه المشرفية سلّت
(ودارت عليه الخيل) (٤) دورين بالقنا وحامت عليه الطير ثم تدلت (٥)

/ (فرجع الشريف الحسين إلى) (٦) « الزهراء » . وقد محا عنه [ص ٢٢٣]
العار بلسان السيف ، ورجع (أولئك الجند إلى « مور » وهم) (٧)
يستفهمون عن صورة الواقع بلم وكيف ، ولله القائل :
(من اقتضى بسوى) (٨) الهندي حاجته أجاب كل سؤالٍ عن هل بلم (٩)

-
- (١) البيتان من البسيط .
(٢) لم أعثر على معلومات عن هذه القرية في المعجمات اليمنية .
(٣) هكذا في الأصل ولعلها : وارتفع من ارتفع .
(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وع .
(٥) الأبيات من الطويل .
(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : ورجع الشريف إلى .
(٧) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : وهم .
(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : من لم يكفل سوى .
(٩) البيت من البسيط وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٤ / ١٦٠ .

(ورفع الشريف)^(١) الحسين إلى والده بما اتفق ثم ، فعلم أنها « شنشنة ورثها من حيدرة^(٢) لا من أخزم »^(٣) .

وحين بلغ الأمير علي بن مجثل صورة الواقع ، لاحت له في الاستيلاء على تهامة بروق المطامع ، ولبس جلد النمر من الغضب ، ورأى أن هذا لنزوله أقوى سبب ، فلم يزل يجمع الجنود من مملكته من كل مكان ، ويعمل الحيلة فيما يبلغ به إلى هذا الشأن ، فانفصل بجنود كثيرة العدد ، مستصحباً بما جمعه للقتال من العدد ، فلما وصل إلى مدينة « صبيا » نصب هنالك الخيام ، وأعلن بما يروم من مقصده للخاص والعام ، وكان شيخنا [١/٧٩] السيد العلامة أحمد بن إدريس المغربي^(٤) هناك ، فاتفق أن حضر لديه الأمير علي بن مجثل في رؤساء جنده ، فأفاض عليه مراده ، فبذل له النصيح في ترك القتال والميل إلى الصلح ، وأورد له الأحاديث الدالة على تعظيم أهل بيت النبوة ، وأورد له أفعال الملوك الماضية فيهم ، وما اتفق لهم بسبب ذلك من / المعاجلة بالعقوبة والزوال ، وأن من نوى فيهم بالشر رماه الله - تعالى - بالتمزيق والنكال ، وأطال له في هذه المجرة بصنوف ضرب الأمثلة المقال ، وكان معنى جوابه : أمّا هؤلاء الأشراف ، ففضلهم غير منكور ، وإنّما بمخالطتهم لجند الأتراك ، انسحب عليهم حكمهم لمادة الاشتراك ، فأجاب عليه : أن لا حجة في يدك لقتالهم ، لكنه لم يصنع سمعاً لمقاله ، ولم ير إلا المضي على ما هو السبب في ترحاله ، وأقول^(٥) :

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ع ، وفي ص : ورجع الشريف .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : الحسين .

(٣) أصل المثل هكذا : شنشنة أعرفها من أخزم ، ويضرب به المثل في الشبه .

انظر : الزمخشري ، المستقصى ١٣٤/٢ .

(٤) ستأتي ترجمته كاملة في وفيات عام ١٢٥٢ هـ . انظر أيضاً : عاكش ، حدائق الزهر ،

١١٩ - ١٣٤ : الأهدل ، النفس اليماني ، ١٦٠ : القنوجي ، أبجد العلوم ، ١٨٢ .

(٥) البيت من الرجز .

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا (تورد يا سعد الإبل) (١)
والمخالطة لمن هو مثل الأتراك لضرب من المصلحة قد (أجازه
جمهور العلماء) (١)، وفي هذه المسألة للعلماء مؤلفات ، ومن كان سليم
الصدر ، فهو (يفتح لأخيه) (١) المؤمن أبواب التأويلات ، ولا يستلزم كونهم
أعواناً لهم ، وأجناداً (لهم أنهم) يتخلقون بأخلاقهم ، أو يمشون في
طرائقهم ، وهذا غير مخلص من الله (تعالى ، ولا) (١) يسوغ أن تنصب
لهم العداوة المنجزة إلى القتال ، بذلك السبب الذي له في طرق التأويل
مجال ، ويدخل بذلك في محاربة الله تعالى ورسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ
وَسَلَّمَ ؛ فإنه صح عنه صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « أنا سلم لمن
سالمتم حرب لمن حاربتم » (٢) / يشير إلى أهل بيته عليهم السلام ، ومن [ص: ٢٣٥]
كان حرباً لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ، فهو محارب لله سبحانه
بلا شك (٣)، ولكن هيهات [٧٩ / ب] أن يقبل الأمير منهم والمأمور قول
نصيح ، أو يميلون إلى كلام عالم أعجمي أو فصيح ، وذلك أنه قد انتقش
في أذهانهم ، كلام من يدعي العلم من أصحابهم ، مع أن ذلك العلم
بالجهل مغشوش ، وقد جعلوا فتاويهم العاطلة عن الدليل باستباحة دماء
المسلمين وأموالهم بازيًا يصطادون به الدرهم المنقوش ، ولله القائل :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى وبالمشتري دنياه بالدين أعجب
وأخيب من هذا من ابتاع دينه بدين سواء فهو من دين أخيب (٤)
وقد صدق عليهم الحديث وهو قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ : «إنَّ
الله لا ينتزع العلم انتزاعاً بعد أن يهبه ، بل ينزعه بموت العلماء ، فإذا لم
يُبَقِّ عالماً اتخذ الناس (رؤساء جهالاً فاستفتوهم) (٥) ، فيفتون بغير علم

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وع .

(٢) رواه الترمذي في المناقب : باب ما جاء في فضل فاطمة (٣٩٦٥) ؛ وابن ماجه في

المقدمة : باب فضل الحسن والحسين (١٤٥) ؛ وأحمد في المسند ٤٤٢/٢ .

(٣) هذا الجزم غير صحيح ، فالحديث الذي ساقه إنما هو في حق معينين ، وتنزيله مع كل
من يتصل بنسب آل البيت لتكون حرب أحد منهم حرباً للرسول ﷺ ، تنزيل باطل . ثم إن
هذه الحرب شارك فيها أناس من الأشراف كذلك مع جند السراة ، فأبي الضريقين
سينزل عليه الحديث من وجهة نظر المؤلف .

(٤) البيتان من الطويل .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص وع .

فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ»^(١) أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(نعم)^(٢) فعزم الأمير على وصول « أبي عريش » ، ولما بلغ (الشريف الخبر أحرق المدينة)^(٣) العريشية ، وجمع الأجناد الذين لديه ، وملأ بهم [ص ٢٣٦] تلك البقاع ، / (واجتاز أهل المدينة إلى)^(٤) السور الذي على « الديرة » وعلى الله - سبحانه - الدفاع ، وقد كان (انضاف إلى الأمير أشراف)^(٥) قرية « البيض »^(٥) على سبيل المداراة فيما يظهر ، والله أعلم بما أعلنه (المرء وما أسر)^(٦) ، والله القائل :

ما دمتَ حياً فدار الناس كلهم فإنما أنت في دار المدارات
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى عما قريب حليفاً للندامات^(٧)
وميلاً منهم إلى المصانعة ؛ التي فيها مدافعة عن الشر أي
(مدافعة ، وقد)^(٨) قال زهير بن أبي سلمى^(٩) في معلقته :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم^(١٠)
وطرح الأمير غربي « أبي عريش » ، فأطلق عليهم أجناد الشريف

(١) رواء البخاري في العلم : باب كيف يقبض العلم (١٠٠) ، وفي الاعتصام : باب ما يذكر في ذم الرأي (٧٣٠٧) ؛ ومسلم في العلم (٢٦٧٢) .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : ومربهم إلى .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : الأشراف خرجوا إلى جهة .

(٥) البيض : قرية على ضفة وادي جازان الشمالية .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٨٤ : الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ١٨٦/١ .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : وأسر .

(٧) البيتان من البسيط .

(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

(٩) زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني ، حكيم الشعراء في الجاهلية (ت/١٣ ق.هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ، ٨٧/٣ : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٨٦/١ .

(١٠) البيت من الطويل ، انظر : الديوان ، ١٢٢ .

(١) المدافع وجرعوهم بذلك في البكر والعشايا السم الناقع ، وفي بعض أيام الحصار عبأ الأمير الجنود ، وقسّم عليهم البيارق ، وأمرهم بالإقدام على أولئك الأقوام ، وإرسال ما في أجواف البنادق ، فرجعوا إلى ساحة « أبي عريش » حيث مجرى العوالي ومجرى الجياد ، وصدق بين الفريقين هنالك الجلاذ ، وهلكت بذلك الحرب عوالم ، واصطدمت جماجم ، وكان ذلك يومَ عُبُوس ، ذكر بحرب « داحس والبسوس » (٢) ، وقد كاد الجند الشامي أن يستولي على تلك القلاع ، وبعضها دُخِلَتْ ، ولكن حال عن تمام المقصود كل سيف قطاع .

وحينئذٍ برز إلى ظاهر البلد / ملاعب الأسنة والصوارم ، [ص ٢٢٧]
والأسد الكاشر الضيarm ، علي بن حيدر ، في عصابة من عشيرته لهاميم الحرب ، وشطار الطعن والضرب ، وقد كان خرج من أصحاب الأمير كثير من أهل الخيل ، وفيهم من فرسان قحطان أسود النزال جماعة ، فقابلهم الشريف في سبعة نفر من أولاده وأتباعه ، وجال في تلك الساحة بهم ، فجرّع أولئك الخيالة (كؤوس الردى) (٣) ساعة بعد ساعة ، وحياهم بحد المشرفي وأطراف القنا ، (وأرسل عنان فرسه كل عناء) (٤) . وأبان الشريف علي بن حيدر عن شجاعة جده علي بن أبي طالب (يوم الأحزاب ، وانفرد) (٤) مثله بحسن الأحدثاة عند لقاء كثير من فرسان الخيل بالطعن والضرب .

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر (٥) عنا (٦)

(١) من بداية القوس هنا إلى نهايته في صفحة (٢٢٢) مفقود في الأصل وأكمل من ص و ع .
(٢) داحس والبسوس : حريان منفصلتان في الجاهلية ، فهناك حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وأحداثها مبسوبة في كتب التاريخ والأدب ، انظر : ابن الأثير ، الكامل ٢٤٢/١ - ٢٥٥ ، وهناك حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وهي أيضاً مبسوبة في كتب التاريخ والأدب ، انظر : ابن الأثير ، الكامل ٣١٢/١ - ٣٢٤ .

(٣) ع : السم الناقع .

(٤) سقطت في ع وكتب مكانها : بياض بالأصل .

(٥) ص : أمراً .

(٦) البيت من الرجز .

وطال ما بين الرعيلين التشاجر بأطراف الرماح ، والتصافح بأكف الصفايح ، وانتهى الأمر أن قهرت بآخر المعركة العصابة الحسنية ، وتولت طائفة الخيل النجدية^(١) :

وأبرق^(٢) الصبح يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب^(٣)

ناهيك أنه لم ينج من العطب ، إلا من سعد بخته بالهرب ، ولما وصلوا إلى مطرحهم وهم ما بين قتيل وجريح ، وداعي الردى بين خيامهم [ص ٢٣٨] يصيح ، وبات الأمير في « ليلة نابغة ، وأحزان / يعقوبية » : لأنه تحقق أنها قد انكسرت سورة الأجناد ، ومع الحاصل فيهم لا يبلغ بهم المراد ، وطلبوا المشورة بينهم في ترميم الصلح والإياب على ما بهم من قرح ، فبينما هم في هذا يخوضون ، وعلى مشورتهم يتلاومون ، إذ طرقهم خبر جماعة من الأتراك قائدهم رجل يسمى تركي بن الماس^(٤) ، قد خلع طاعة مخدمه محمد علي باشا ، وهو متوجه إلى اليمن متصاعد الأنفاس ، فوقع مع الأمير وأصحابه الإشكال في مطلوبه ، فأرسلوا من يكشف خبره وكلفوا لذلك بمركوبه ، ولما وصلوا إليه أخبرهم أنه للأمير معين ، وأن قصده بعد

(١) يقصد المؤلف قوات علي بن مجتل .

(٢) الأصل و ص : وإن برق ، والتعديل من المحقق .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) تركي بيلمز هو لقب قائد ثورة الجنود غير النظاميين في الحجاز ، واسمه الحقيقي محمد أغا ، وقد قام بثورته ضد محمد علي باشا في مطلع ١٢٤٨ هـ ، بسبب تأخر مرتبات الجنود لمدة تزيد على عشرة أشهر بسبب انشغال محمد علي في حروب الشام ، وقد مرت الثورة بعدة مراحل في جدة ومكة والمدينة المنورة ، وزاد في حدتها تشجيع السلطان محمود الثاني للثوار ضد محمد علي باشا ، وعندما أرسل محمد علي باشا قوة ضخمة بقيادة أحمد باشا يكن نقل قادة الثورة حركتهم باتجاه اليمن نظراً لخبرتهم بالمنطقة أثناء حروب محمد علي باشا ضد عسير ، وقد تصادق تركي بيلمز مع علي بن مجتل مؤقتاً وسيطر على الساحل اليمني إلى المخا ، ولما ظهرت منه أفعال تدل على فساده وعدم انضباطه قام علي بن مجتل بقيادة قوة من عسير تمكنت من مهاجمة تركي بيلمز وقواته في المخا ، وقضى عليهم ، وفر تركي بيلمز وبعض أعوانه على ظهر باخرة إنجليزية إلى بومباي ثم إلى البصرة ، حيث واصل نشاطه المضاد من هنا .

انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٧١/٢ - ١٩١ : أباطة ، الحكم العثماني في اليمن ، ٣٩ ؛ - Play fair , Arabia Felix , 141 - 144 .

إعانتة التوجه إلى اليمن بيقين ، ويطلب الموافقة على هذا المرام ، وأنهما يكونان أعواناً^(١) على ما هم بصدد مدى الأيام ، وكان معه جماعة من العسكر التركية أهل البسالة ، وصحبته عدة من المدافع وجماعة من الخيالة ، فلما سمع الأجناد الذي عند الشريف بقدومه والوصول ، حل بهم الوجل الذي تعذر معه القرار والحلول ، ورأوا أن لا طاقة لهم على مقابلة هذا الرجل^(٢) :

ولا لوم فيما لا يطاق وإنما يلام الفتى في المستطاع من الأمر^(٣)

فثبتهم الشريف وهون عليهم المراد : فما نفع فيهم المقال ، ولا انتقش لهم ذلك الخطاب في خيال ، ولله - سبحانه - حكمة فيما يجري

[ص ٢٣٩]

من الأفعال / والأقوال :

ولله في طي المقادير حكمة تدق فغن إدراكها العقل يحجب^{(٤)(٥)}

فما كان من الشريف إلا إلزامهم^(٦) بالاستكانة والصبر ، حتى تقع المفاوضة بينه وبين الأمير في الصلح على أحسن أمر ، فبعد اللتيا والتي أسعدوا بالمراد ، فانتظم الحال على الصلح وهو على مضض ، والأقدار تجري بخلاف قصد المراد ، ولله القائل :

وإذا شَهِدَت الكائنات بقول كن شأهت كل الحادثات ملاحا^(٧)

وبعد ذلك خرج الشريف إلى مخيم الأمير ، وقرروا القواعد فيما بينهم وأكدوها بالعهد خشية من التغيير^(٨) ، وركب الجند (الذي من

(١) ص : أعوان .

(٢) كتب في ع بعد هذه الكلمة : ولله القائل من الأوائل .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) الأصل و ص : محجوب ، والتعديل من المحقق ليستقيم الوزن .

(٥) البيت من الطويل .

(٦) ص : التزامهم .

(٧) البيت من الكامل .

(٨) الشروط والقواعد التي تم الاتفاق عليها هي :

١ - تسليم المدينة صلحا إلى الأمير علي بن مجتل .

طريق محمد علي باشا عند الشريف البحر (١) ، وكان ذلك في هذه الحادثة نهاية الأمر ، وأقام الأمير عائضاً (٢) في قلعة « دار النصر » « بأبي عريش » ، وفي قواعدهم أن ذلك مدة يسيرة ريثما تسكن الأمور عن التريش ، وبعد ذلك طوى الأمير علي بن مجتل خيامه وارتحل ، وقد قضى ممّا قصده غاية الأمل ، ولله در القائل (٣) :

تأمل القدر المحتوم وأرض به فإنما وزن الدنيا بميزان
يظل يزداد فيها كل منتقص (علا ويهبط فيها كل رجحان) (٤)

وتوجه تركي بن الماس هو وأصحابه إلى اليمن ، وأطاروا من أعين [ص ٢٤٠] أهله بجورهم / الوسن ، وقد كان عاملاً في اليمن كله السيد الماجد دريب ابن عبدالله (٥) من جهة إمام « صنعاء » عبدالله بن أحمد الملقب « المهدي » ، فاستسلم عليه المذكور خلعة الإمارة (٦) بشفا الصفاح ، وأطراف الرماح ،

= ٢ - خروج الحامية التركية الموجودة في أبو عريش إلى الحجاز واستبدالها بحامية عسيرة .

٢ - بقاء الأمير علي بن حيدر في الإمارة كنائب للأمير عسير .

انظر : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٨٢ : العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ٥٠٨/١ .

(١) ع : الذي عند الشريف من طريق محمد علي باشا البحر .

(٢) عائض بن مرعي ، ولد يتيماً إذ كان أبوه قد قتل عام ١٢١٢هـ في بيشة أثناء محاولة رد القوات السعودية عن عسير ، احتضنه أمير عسير آنذاك ابن عمه محمد بن أحمد اليزيدي ثم انتقل إلى رعاية الأمير سعيد بن مسلط أمير عسير (١٢٣٩ - ١٢٤٢هـ) فنشأ في بيوت الإمارة ، وفي جو مليء بالأحداث والحروب ، فاستفاد من ذلك الخبرة والتجربة السياسية والقتالية ، شارك سعيد بن مسلط وعلي بن مجتل في أثناء حكم كل منهما ، وكان من أبرز القادة العسيريين ، تولى الإمارة بعد وفاة علي بن مجتل سنة ١٢٤٩هـ .

انظر : الحفظي ، تاريخ عسير ، ٨٨ : عاكش ، الدر الثمين ، ٢٨ : حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ٣٥٤ .

(٣) البيتان من البسيط ، وهما للتهامي ، انظر : الغيث المسجم للصفدي ٢٨٦/٢ .

(٤) سقطت من ع وكتب مكانها : بياض بالأصل .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

(٦) هكذا في ص ولعله يريد أن يقول : فاستلم منه المذكور خلعة الإمارة .

وتسلطن بالجبروت ومعاملة الرعايا بالأمور القباح ، واستباح جميع تلك الممالك ، وسلك من السيرة بأهلها أخبث المسالك ، ولم يزل على تلك الحالة وهو مقيم ، والرعايا يمدون أكف الدعاء في كل صباح وعتيم . فقد قيل :

أتهزأ بالدعاء وتزدرية وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء^(١)

وقد علم الله سبحانه وتعالى المصلحة في ذلك فإنه العدل الحكيم ، فما لنا والاشتغال بما طوي عنا علمه ، فسبيلنا الإذعان والتسليم ، والله درّ من يقول :

يا من تفكر في الدنيا وشغلتها شغلت أنت بأفكار وأشغال
دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبينن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يقلب الدهر من حال إلى حال
لا يعجز الله عن أمر يدبره رفع الوضيع وهدم الشامخ العالي^(٢)

ولم تزل الكتب تتواتر من الأمير علي بن مجتل لطلب شيء من المال ، فحصل له / المذكور حصة وافرة يطيب بها الحال ، وهكذا شأن [ص ٢٤١] غالب الناس ، وقد عبر عن هذا الواقع من قال :

قلو عقل الدينار صلّوا لأجله وصاموا وقالوا أنت ربّ العوالم^(٣)

(وهو مع ذلك لا ياتمر بما جاء من الأمير ، بل يعامل مقاصده بالمخالفة من غير خوف نكير ، حتى كان خاتمة الأمر أرسل إليه أن يوصل إلى حضرته السيد دريب : لأنه قد كان في أسرهم بعد تلك القلاقل عليه

(١) البيتان من الوافر .

(٢) الأبيات من البسيط .

(٣) البيت من الطويل . واستدلال المصنف بهذا البيت لا يليق بمؤرخ ينتسب للعلم أن يتهم الناس في نياتهم مثل هذه التهم العظيمة ، وينزل الأمثال والأقوال عليهم بأعيانهم ويتدخل في سرائرهم ، ومبعث ذلك التعصب المكاني والفكري ، خاصة إذا علم أن علي ابن مجتل حينما لم يرتض سيرة تركي بيلمز هاجمه هو وجنوده وقضى عليهم واضطره للفرار من المكان إلى خارج المنطقة بعيداً . انظر التعليق (٤) من الصفحة (٢٩٨) وانظر كلام المؤلف نفسه ص (٢٠٧) .

فأوصلوه إلى « الحديد » ، وقتلوه - رحمه الله تعالى - وفاز بالشهادة ،
وقد كان سيداً ماجداً ذا كرم ومروءة تامة رحمه الله تعالى ، ولله در
القائل :

نحاذرُ أحداثَ الليالي وقلَّ ما خلا من توقيهن قلب لبيب (١)
ونرتاب بالأيام عند سكونها وما ارتاب بالأيام غير مريب
وما الدهر في حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوب (٢)
وفي شهر جمادى الآخرة من هذه السنة : رمي بالنجوم وماجت
وتطايرت ، ودام ذلك إلى قريب الفجر ، وشاهد الناس في تلك الليلة
عجائب ، فسبحان القادر على كل شيء ، وقد ذكر العلامة العامري في
« غربال الزمان » في عام تسعة وتسعين وخمسائة وقوع مثل ذلك ثم
قال : « ولم يعهد هذا إلا زمان ظهور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ »
انتهى .

[ص ٢٤٢] وقد ذكر بعض العلماء المفسرين عند الكلام على قوله تعالى / :
﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (٣) ما
لفظه : الآية فيها أنه إذا حصل في العالم تغير غير معتاد دلَّ على أنه
مقدمة لحادث ، وقد جرى مثل هذا في مثل النجوم ذوات الأذنان ،
ولا ينافي هذا قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في الشمس والقمر :
« لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته » (٤) أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) ما بين القوسين من الصفحة السابقة إلى هنا ساقط في ع وكتب مكانها : بياض بالأصل
وقضت عليها دابة الأرض على جمل منها ومنها هذه الأبيات .

(٢) الأبيات من الطويل ، وهي لصالح بن صالح التشتيريني . انظر : الفيت المسجم للصفدي
٣٢٩/٢ .

(٣) سورة الجن ، الآية ١٠ .

(٤) رواه البخاري في الكسوف : باب الصلاة في كسوف الشمس (١٠٤٣) ، وباب الدعاء في
الخوف (١٠٦٠) ؛ ومسلم في الكسوف (٩١٥) .

وَسَلَّمَ ؛ لأنه إنما نفى أمراً خاصاً ؛ ألا ترى قوله (١) : « إنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده » ؛ فالتخويف إنما يكون عند لزوم حادث عادي ، انتهى .

(٢) وفيها : في شهر شعبان كانت وفاة الوالد القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن حسن البهكلي ، هو شيخنا الحافظ القدوة ، قد انعقد الإجماع على غزارة علمه ، وانفراده بالفضل على كل مبرز بألمعيته وفهمه ، لم ينكر فضله الجم إلا مكابر ، ولا غض في شأنه قرين ولا معاصر ، مولده - رحمه الله تعالى - بمدينة « صبيا » عام اثنين وثمانين بعد المائة والألف ، وربا في حجر والده أحمد ، ولم يزل يهديه إلى الطريق الأحمد ، وأخذ عنه في بعض المختصرات ، ولازم سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - مدة طويلة ، يرتشف من معين علومه ، ويعتصر من صائبات فهمه ، حتى برع في الفقه والنحو والأصول .

وارتحل [إلى] مدينة « صنعاء » / وقرأ على مجدد زمانه السيد [ص ٢٤٢] الإمام عبدالقادر بن أحمد الكوكباني ، وغيره من علماء « صنعاء » ولازم شيخنا البدر الشوكاني ، والسيد المحقق علي بن عبدالله الجلال (٣) ، وأخذ عن السيد الحافظ عبدالله بن محمد الأمير ، وتبحر في جميع العلوم وفاق الأقران ، وصار المشار إليه في تحقيق المعارف بالبنان ، واشتهر صيته بالتحقيق ، وسار بذكره الركبان ، وآخر مدته اشتغل بالسنة النبوية ودرسها ، حتى صار له القدم

(١) ص : قال .

(٢) من هنا إلى نهاية القوس في ص (٣٠٧) ساقط في ع .

(٣) علي بن عبدالله بن أحمد الجلال ، من علماء صنعاء المشهورين وتولى بها القضاء

(ت/١٢٢٥هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٤٦٩ : زيارة ، نيل الوطر ٢/١٤٥ .

الراسخ^(١) فيها ، واعتنى بالتفسير وبرع فيه ، ابتداءً في شرح على « المجتبى » للحافظ النسائي سماه « تيسير اليسرى شرح المجتبى من السنن الكبرى »^(٢)، وقد طالعت بعضه فوجدته في غاية التحرير والإتقان، بلغ فيه إلى قريب الحج وعاقه عن إتمامه الحمام ، يسر الله على يد المتأهلين كماله ، وله « مرقاة الثقات بمعرفة طبقات رجال الأمهات »^(٣) أطلعني - رحمه الله تعالى - على قطعة منه وهو مفيد في بابه ، وله « الأفاويق الهامية بتراجم البخاري والتعاليق »^(٤) ، وله رسائل جمة وفوائد مهمة .

ولما ترقيت إلى سن الطلب ، وتأهلت لترقي العلم ارتحلت إليه ، ولأزمته مدة وأخذت عنه في كثير من العلوم ، وبعنايته ارتشفت كؤوس [ص ٢٤٤] المنطوق والمفهوم ؛ لأنه كان نادرة أهل / عصره في الذكاء وإيراد اللطائف ، مع النقادة التامة لما يرد من الأبحاث ، وكان من صفته أن من ورد إليه ممن ينتسب إلى العلم لا يتركه من المذاكرة لاختبار^(٥) حاصله من العلم ، ويعطي كل مجالس حقه من الإرشاد ، ويورد الإشكالات على من حضر لديه ، فمن فتح الله عليه أجاب ، وإن لم يهتد لذلك قام بحل الإشكال على طريق الصواب ، وكان له الإنعام التام على الوافدين إليه من الطلبة والأرحام ، والمحبين من الأنام ؛ لأنه تولى القضاء في « بيت الفقيه ابن العجيل » من طريق إمام « صنعاء » في زمانه علي بن العباس ، الملقب

(١) هكذا وردت ، وفيها خطأ لغوي لأن القدم مؤنثة كما نص عليها الفيروزآبادي حيث قال : وهي الرجل ، مؤنثة ، وقول الجوهرى : واحد الأقدام : سهو ، صوابه : واحدة جمع أقدام ، والصواب أن يكون النعت : الراسخ .

انظر : القاموس المحيط ، ولسان العرب ، مادة : قدم .

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة في ثلاثة مجلدات بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير ، رقم ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ حديث . انظر : الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٧٠ .

(٣) لم أعثر على معلومات بشأنه .

(٤) ص : والاختبار ، ولا يستقيم بذلك السياق .

المنصور بالله ، عام اثني عشر بعد المائتين والألف ، واستمر على ذلك إلى أن مات ؛ فقام بوظائف العدل ، ولعمري إنه جمل منصب القضاء ، ولم يتجمل به ، وكان منهلاً لكل وارد من أهل هذه الجهات ، ويبدل المستطاع في غالب الأوقات .

ليس العطاء من الفضول سماحةً حتى تجود وما لديك قليل^(١)
وفي آخر مدته استدعاه من يظنه صديقاً ، وجعل له في مشروب سمّاً ، وحصل له من ذلك غاية الضرر ، ولطفه الله تعالى ، وإنما سرى فيه الضعف الموجب لعدم الحركة / من يومئذٍ إلى أن توفاه الله سبحانه ، [ص ٢٤٥]
وكانت له اليد الطولى في البلاغة ، فمما قاله مورياً في هذه المتفقة :

سألت الناس هل سمّي طبيبي لعلتي التي أضنته مما
وما النوع الذي أضنى عظامي وقد وهنت فقال الناس سمّاً^(٢)
وطلب مني إجازة ذلك فقلت :

وشخص كاشح للخبث آتٍ وعن طُرق الصواب تراه أعمى
رمى حبر العلوم بداءٍ سُقمٍ فضر الناس لما حلّ جسماً
خصيصاً بالطبيب سألت يوماً أهل سمى لداءٍ قال سمّاً^(٢)
ومماً له ، وفيه الجنس المركب :

حنيني إليكم لا على الجرع واللوى وشوقي إليكم لا بدار الأجارع
ذكرت ليالي واصلكم وادكاره تأجج ناراً في الحشى والأضالع
فليت زماناً كان للوصل جامعاً يؤوب بهاتيك الليالي الجوامع

(١) البيت من الكامل .

(٢) الأبيات من الوافر .

ليالي منها للتلاقي مسرة ولا واحد منا يقول الجوى معي^(١)
وأشعاره كثيرة ما بين غزليات ومدائح وغيرها ، لو جمعت لجاءت
في مجلد ، وهو مجيد في النظم والنثر ، وإجادته في النثر أقوى من
إجادته في النظم ، وإن كان في كل منهما مجيداً . مما كتبه إليّ مهنئاً :

[ص ٢٤٦] / لقد أكثر الناس التهاني ووسعوا طرائقها في كل ضرب وقافيه
وطوراً يَجوبون العروض لينجدوا إلى كلمات للبلاغات قافيه
ولكنها إن لم تكن في الذي لها به الفخر ما كانت لدى القوم واقفيه
وأماً إذا كانت لبدر العلا الذي تجمع فيه الفضل من كل ناحيه
بعلم وآداب حواها وما نرى فريقاً له في المكرمات كما هيه
فتلك التي يعنى بها كل ناطق وتصيح ذات الطوق فيها علانيه
نهنيك يا كفو التهاني عن يد صعودك برج الشمس بيضاء ناقيه
دنوت إليها تقهر النور بالسنا وما قيل إن الشمس صفراء دانيه^(٢)
وأتبعها بنثر بديع تركت إirاده اختصاراً ، وهذا جوابي :

أنت تتمشى في الطّراس^(٣) علانيه خريدة فكر بالبدايع جاليه
تدلت لها زهر النجوم فنفضت عليها سناها فهي من ذاك باهيه
وقد سلبت معنى الرياض لأنها حوت لفنون الزهر من كل ناحيه
وقالوا أشعت نسمة الصبح إنها أرادت تحاكي لطفها وهي ساريه
بمنظرها الغيد الغواني تسابقت فتلك لأمراض اللواحق شافيه
وقد قال لي البدر المنير شقيقها فما بال هذي الشمس حمراء طاقيه^(٤)

(١) الأبيات من الطويل .

(٢) القصيدة من الطويل .

(٣) الطّراس : الصحيفة ، وتجمع : طروس وأطراس .

انظر : المعجم الوسيط ٥٦١/٢ .

(٤) طفا الشيء - طفاً : طفا وارتفع ، والشمس : دنت للغروب .

انظر : المعجم الوسيط ٥٦٥/٢ .

فقلت له لما غدت ضرة لها تغير منها لونها فهي ذاويه
أبن لي إمام العصر ماذا بعثت لي فإن قلت سحرًا قال لي الناس قافيه
/ وقد لعبت بالناس صهباء حسنها فأفكارهم في الحال سكرى [و] صاحيه [ص ٢٤٧]
وما ارتكبوا عن جهلهم بمقامها وقد عرفوا تلك الرؤوس الثمانية
ولكنها قد أعجزت كل ناظم فأياتها للنظم والنثر ماحيه
اخاتمة الحفاظ نفسي لك الفدا ولا زلت في فضل وخير وعافيه
بعثت إلينا بالتهاني وإنني لأحقر عن تلك التهاني مقاميه (١)

والمراد بالرؤوس الثمانية المعروفة في علم المنطق التي هي مبادئ العلوم كما لا يخفى على متطلع ، وقد كتبت إليه قصيدة عينية طويلة ، ووقع منه جواب طويل بديع أثبت ذلك في « حدائق الزهر » (٢) ، ورثاه جماعة ، وقلت فيه مرثاة (٣) ، ولولا أن الترجمة قد طالت لأوردت شيئاً ممّا قيل ، والله يغفر لنا وله ، ويرحمنا وإياه ، ويلحقنا به صالحين آمين (٤) .

السنة التاسعة والأربعون بعد المائتين والألف: فيها عزم الأمير علي ابن مجتل على انتزاع اليمن من أيدي تركي بن الماس وأصحابه ، وأراد أن يكون مضافاً إلى ما تحت يده من البلاد ، وذلك أنه كثرت إليه الشكايات من رعايا اليمن ، ممّا حصل عليهم من الظلامات ، ورفع إليه علماء اليمن بأنك أنت السبب في إدخالهم اليمن ، فلا براءة لك من الله - تعالى - إلا بإخراجهم / ومناجزتهم ، فلما رأى أن الأمر متضيق عليه توجه إلى تلك [ص ٢٤٨]

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) انظر: حدائق الزهر ، ص ٨٦ - ٩٠ ، وفيه القصيدتان التي أشار إليهما المؤلف .

(٣) توجد القصيدة التي رثاه بها في حدائق الزهر ، ص ٩١ ، ومطلعها :
دها الخطب الذي أجرى الدموعا وصير دمع أجفاني نجيعا

(٤) سقط ما بين القوسين من ص (٣٠٢) إلى هنا من ع .

الديار بجيش جرار ، ولم يلق في طريقه كيداً حتى « زبيد » ، فتحصن الأتراك بتلك (القلعة ، وبذلوا الجهد في الدفاع لأنهم أهل قوة ومنعة)^(١) ، ولكن كان منتهى الأمر أن استولى عليهم الأمير ، وأخذ عليهم ما تحت أيديهم من نقيير وقطمير ، ما طار طير وارتفع ، إلا كما طار وقع ، ولله القائل :

كما يدينُ الفتى يدانُ حَقاً بِمِيزَانِهِ يُزَانُ^(٢)

وبعد ذلك توجه الأمير إلى « المخا »^(٣) ، وقد هب له ريح النصر رخاء ، وكان تركي بذلك الحرب يوم الجمعة ثاني شعبان به مقيماً ، فلم يترك حيلة فيما يقع به الدفاع ، ولكن سبق القضاء بما سبق ، وكل تدبير عند حلول المقادير في ضياع ، فكانت الدائرة عليه وعلى أصحابه ، وحصل في الفريقين قتل ذريع ، وأغلبهم من جند الأمير ، ولكن لذة الغلبة هَوَّت عليه ذلك الخطب الخطير ، فبعض أولئك القوم بعد ذلك الحادث الذي حَيَّر الأفكار طلب من الأمير الأمان ، فوقع في الذلة والصغار ، وأماً تركي فتحصن بمركب كان في البحر الزخار / وذفَّ بجناحيه ذلك الغراب ، حتى غيبه البحر العباب ، وكان ذلك لنجاته أحد الأسباب ، وانتهت مملكته لهذه الديار ، وانقطعت عن منتهى سيره الأخبار^(٤) ، ولله در القائل لمن كان ذا اعتبار :

(١) ع : الأبراج وما قصرُوا في الدفاع .

(٢) البيت من مجزوء الرجز .

(٣) مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر غرب تعز بمسافة ٩٤ كم ، كانت تسمى قديماً « موزاً » وقد مثلت دوراً تاريخياً كبيراً منذ عهد الحميريين إلى العصر الحديث ، حيث تعد بوابة بحرية رئيسة لليمن ، تصدت للعديد من الحملات العسكرية من قبل الطامعين في اليمن ومن أهمها حملات البرتغاليين والإنجليز والأتراك ، وباسمها يسمى نوع من البن الذي يستعمله الأوروبيون : Moka .

انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٣٦٧ .

(٤) لمزيد من التفصيل حول ثورة تركي بيلمز ودوره في اليمن وحملة علي بن مجتل على المخا لإخراجه من اليمن . انظر :

عبد الرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٧١/٢ : أباطة ، الحكم العثماني في اليمن ، ٢٩٠ : النعمي ، تاريخ عسير ، ١٨٢ : جاد طه ، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية ، ٥٩ : عسيري ، عسير ، ١٥١ :

- Playf air , Arabia Felix , 141 .

إذا كنت في نعمة فارعمها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم
(وإياك والظلم مهما استطعت فظلم العبياد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى لتتظر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم شهود عليهم ولا تنهم
وما كان شيء عليهم أضر من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن قصور وأخرى عليهم أطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم وكان الذي نالهم كالحلم^(١)

واستباح جند الأمير البندر ، واستفادوا أموالاً لا تحصى واختلط
المعروف بالمنكر ، وجرت أمور من الأجناد لا يرضاها رب العباد ، وما عدل
من جارت جنوده ، ولا راقب الله تعالى من تعدى حدوده . ولله در القائل :

/ ستخلي الدنيا وما لك منها غير ما نلت أو تزودت منها [ص ٢٥٠]
ويكون الحديث بعدك فانظر أي أحدوثة تحب فكنها^(٢)

وما فارق البندر إلا وقد أنشبت المنية فيه الأظفار ، ومس جلد من
الألم ما لم يقر معه قرار ، فلم يزل يتكلف الركوب على دابته ، وحمل فوق
السريز على الرقاب ، حتى وصل [إلى] وطنه السراة . وتجرع من كأس
الموت الصاب ، ولم ترد المنايا عنه الخيل والخول ، وقدم على الله تعالى
فقيراً إلى ما قدمه من العمل^(٣) :

(١) القصيدة من المتقارب ، وقد سقط ما بين القوسين في ع وكتب الناسخ مكانها : إلى
آخرها ، وهي نحو ثمانية أبيات ، قضت عليها دابة الأرض من الأصل .

(٢) البيتان من الخفيف .

(٣) يلحظ القارئ التحامل غير المقبول من مؤرخ يفترض أن يرصد الأحداث ويستخرج
الدروس والعبر بتجرد ، لكن المؤلف يبالغ في المدح في حق من أعجب به لأي سبب ،
ويبالغ في الشماتة في حق من لم يرق له ، كما هو الشأن في تشفيه بحق علي بن
مجنل حتى في وفاته مع ما له من فضل في تخليص تلك البلاد من سطوة تركي بيلمز .

هي الدنيا تقولُ بملء فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
 فلا يفـرركمُ مني ابتسام فقولي مضحك والفضل مبكي^(١)
 (وهذا الأمير كان فيه شجاعة وإقدام ، ولاحظته السعادة في
 النقض والإبرام ، وما توجه إلى بلد إلا ويحصل له الفتوح ، وملك من
 قريب « الطائف » إلى أن تملك « المخا » وتلك الجهات ، وكانت مدة
 مملكته تسع سنين)^(٢) .

وبعد وفاته قام بالأمر عائض بن مرعي بوصاية منه (له بذلك ،
 وهو من عشيرته بني مغيد)^(٣) ، ولما كان الأمير علي بن مجثل لم يف
 للشريف علي بن حيدر (بما وقع عليه الصلح الذي كان)^(٤) ، وعامله بما
 لا يليق بمقامه العظيم الشأن ، واستولى على القطع والحقوق ، ولم يبق
 [ص ٢٥١] لنفاق الشروط عنده سوق ، رأى أن يموته قد (برئ / من العهد ،)^(٥) ولا
 يرضى أن يدخل بعده تحت طاعة أحد ، فبعث عائض إليه (رسله فلم
 يتلقاهم بالقبول)^(٥) ، وصرح لهم بعدم الإذعان ، وترجع له أن أفعالهم
 الصادرة منهم إنما بالطعن والضرب ، وإن مصاحبتهم والاعتزاء إليهم بعد
 ذلك الحاصل لا يكون ؛ لأن التودد إلى الأعداء من فنون الجنون ، ولله در
 القائل :

لا يغرنك التودد من قـو م فإن الوداد منهم نفاق
 والقلوب الغلاظ لا ينزع الأحـ قـاد منها إلا السيوف الرقاق^(٦)

(١) البيتان من الوافر ، وقد وردت في جواهر الأدب للهاشمي ٤٨٢/٢ دون ذكر القائل .

(٢) سقطت من ع .

(٣) سقطت العبارة من ع .

(٤) ع : انحل عقد الاتفاق المصدق .

(٥) ع : المراسيل لأجل الموافاة بالقبول .

(٦) البيتان من الخفيف .

« فرجع الرسل على أعقابهم بخفي حنين »^(١) ، ولقنوا عائضاً ما فاه به أبو الحسين ، فجمع من عنده من الأجناد ، وأراد أن يبلغ ممن ناواه المراد ، فانفصل من بلاده ، والعجلة تسوقه والمنية تجره بقياده ، ولما بلغ مدينة « صبيا » توقف يومين ، وارتحل ، وكان مسيره بين العيدين ، وقد اختلف أهل العلم في إنشاء القتال في الأشهر الحرم : (وهي واحد فرد وثلاثة سرد : رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم) فالجمهور من العلماء قالوا : إن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾^(٢) الآية ، ولكن نازع في ذلك بعض المحققين من المتأخرين / فقال : إن حرمة القتال في الأشهر الحرم والبلد الحرام [ص ٢٥٢] إلى يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾^(٤) ، وذلك دليل واضح على منع القتال في الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ومن السنة الحديث الصحيح أو المتواتر معنى : « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »^(٥) ، فهذا الحديث وما في معناه دال على دوام الحرمة في البلد الحرام ، وامتناع النسخ .

وليس لمدعي النسخ متشبث إلى قوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾^(٦) ، وغايته العموم لأجل الألف واللام ، وهو ظني ، ثم

(١) أصل المثل : رجع بخفي حنين ، وقيل : أخف من خفي حنين ، ويضرب به المثل في الخيبة والخلف . انظر : الزمخشري ، المستقصى ١/ ١٠٥ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٩١ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

(٥) رواه البخاري في العلم : باب قول النبي ﷺ : « رب مبلغ أوعى من سامع » (٦٧) ، ومسلم في القسامة (١٦٧٩) .

(٦) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

هو مخصوص إجماعاً ، فبعضهم يشترط الاحتجاج به ، وبعضهم يضعفه^(١) ، مطلق بالنسبة إلى الأزمان ، ثمَّ حديث أبي شريح في عام الفتح ، لكنه مصرح بتأييد التحريم ، فلا يرد عليه نسخ ، وكذلك ما هو في معناه مما هو معروف في محله ، وحديث : « كحرمة بلدكم هذا » في حجة الوداع وهي متأخرة عن آية براءة المذكورة ؛ لأنها في حجة أبي بكر قبيل حجة الوداع بسنة ، فقد عرفت ضعف دلالة الآية ، وأنها مُخرج منها البلد الحرام ، ولم تشمل الشهر الحرام ، مع تأخر آية المائدة الصريحة [ص ٢٥٢] في الشهر الحرام ، مع / شيوع تأخر المائدة ، إذا حققت هذا علمت أن تحريم البلد الحرام ، والشهر الحرام ، محكم لعدم الدليل على النسخ ، والأدلة التي عورض بها دليل الجواز أوضح من الشمس ، مع أن المانع في مقام المنع وليس عليه دليل . هذا حاصل ما قاله ذلك المحقق ، وهذا في حكم قتال أهل الشرك ، ونحوهم ، فما بالك بقتال المسلمين بعضهم لبعض ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

نعم ، فلم يراع عائض الحرم الثلاث^(٢) ؛ بل إنه تقدم على أولئك القوم وعائث ، ولما نزل ساحة المدينة العريشية ، ولم يكن مع الشريف غير ما حواه سور « الديرة » ، والقلاع مرتبة ببعض العساكر ، وإلا فأهل المدينة أكثرهم من جانب عائض ، وكان مطرحه قبلي البلد ، وفأوض الشريف بكلام (مثله لا يعتمد)^(٣) فأضرب الشريف عن كلامه صفحاً ، وطوى عن مقاله كشحاً (لأ[نه] رأى أنه لشهامته لا يعطي الدنية)^(٤) من نفسه ما أمكن الدفاع ، وأن المحاكمة إلى (المثقفة السمر والصوارم)^(٥) بها قطع النزاع .

(١) ص : يستضعفه .

(٢) ذكر ناسخ بعد هذه الكلمة ما يلي : الشهر والإسلام وكونهم من أهل البيت النبوي .

(٣) ع : لا يحسن مثله .

(٤) ع : فلم تغلق من المدينة .

(٥) ع : إلى الحرب .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم (وتأتي على قدر الكرام المكارم
ويعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم)^(١)
فلم يزل عائض يدبر أمر قومه ، ويطلب الشور منهم في إقدامه

وإحجامه :

شاوَر أخاك / إذا تأتيك نائبة يوماً وإن كنت من أهل المشورات [ص ٢٥٤]
فالعين تنظر منها ما نأى ودنا ولا ترى نفسها إلا بِمِراة^(٢)
فأجمع الرأي أن يكون التبكير على أولئك الأقوام . والحال على
خلاف ما قاله بعض أدباء الأنام :

باكرٌ صبوحتك أهنى العيش باكره فقد ترثم فوق الأيك طائره^(٣)

فتقدم الجيش العسيري وييدهم الأعلام . وصدق منهم في مبادئ
الأمر الإقدام ، وأراد من أراد منهم الاستيلاء على تلك الثغور ، وقد سبق
في علم الله - تعالى - أن بُدِنَ الله تعقر من دون تلك القصور . وأما بعضهم
فدخل بعض تلك القلاع ، فصار هدفاً للرصاص ، ولم يكن له (بعد
ذلك)^(٤) من قومهم الخلاص ، فمضوا كأمس الدابر . ولحقوا بأهل
المقابر ، وذهب منهم في ذلك اليوم عوالم ، صارت لحومهم طعمة
للقشاعم .

وكان الشريف [في] ذلك اليوم قد أصابه ألمٌ لم يستطع معه
الحركة ، فتقدم في خيل الأشراف الشريف جم المناقب ، يحيى بن أبي
طالب^(٥) فخرج بمن معه غربي البلد ، ووقع الاتفاق بجماعة من الخيالة

(١) سقطت في ع وكتب مكانها : البيتان ، وهما من الطويل ، والقائل المتبي ، انظر :
الديوان ٢/٢٧٨ .

(٢) البيتان من البسيط .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) سقطت في ع .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

رئيسهم السيد المقدام الماجد ، محمد بن حسن بن خالد ، وتجاولوا ساعة في تلك الساحة الواسعة ، (ووقع منهم بأطراف الرماح المنازعة ، [ص ٢٥٥] وأبدى العماد من حميد أفعاله ، ما شهد له بالشجاعة / والبسالة ، وأما بعض خيالة عائض فكانوا)^(١) في إثر العسكر المتقدمين ، على الإقلاع ملازمين ، ولأعقابهم مقتفين ، مع أن خروجهم بقلوب فاسدة ، وعزيمة مائدة :

وخيل ما يخرّر لها طعين كأن قنا فوارسها ثمام^(٢)
(ورجع من بقي منهم)^(٣) إلى مطرحهم بالبدار ، وقد تقلدوا طوق الذلة والصغار ، وعلموا أن البغي مصرعه بالعيان ، وصاح لسان حالهم مِمَّا وقع بهم : الأمان ، فلما شاهد عائض تلك الأمور التي تابع فيها نفسه الأمانة ، وهو في براعة استهلال الإمارة ، رأى أن لا نجاة له غير الفرار ؛ لأنه لا يأمن صولة ذلك الأسد الكرار ، فأشعر الجند بما أراد ، وركب الجواد ، وأنشد لسان حاله :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي عليّ سواد^(٤)
فوصل إلى « صبيا » بقلب مذعور ، وجناح مكسور ، وطلبه السيد محمد بن حسن بن خالد في بقاء جماعة من الجند لديه لحفظ القلعة معه ؛ لأنه قد بنى السيد المذكور في « صبيا » قلعة شامخة ، فما كان منه إلا الاعتذار ، وعدم مساعدته في هذا الأمر ؛ [ص ٢٥٦] لأنه يراه من ارتكاب الأخطار ، فأعمل الرواحل / في السير حتى

(١) ع : فوقع منهم ما وقع ، وكان الأمير عائض .

(٢) البيت من الوافر وهو للمتنبي . انظر : الديوان ٧١/٤ .

(٣) ع : وتراجعوا .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لإبراهيم الوزير . انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٣٢/١ .

وصل السراة ، وهناك أفرخ روعه^(١) .

وقد كان بلغ مسامع الشريف انفصال جند من « مكة المشرفة » من طريق أحمد باشا لأجل الإعانة له ، فساعدته المقدور بوصولهم في أسرع وقت ، ولاحظه بما يريد البخت ، فتلقاهم وهو باسم من الأفراح ، ولسان حال الليالي يناديه بالظفر والفلاح ، ولما وصلوا إليه تجهز لأخذ « صبيا » ومخلافها ، والسعادة تنجده بإسعافها ، والسيد محمد بن حسن بن خالد لما بلغه الحاصل ، همَّ بالمدافعة عن نفسه ، وقد جرى بخلاف ذلك القضاء النازل ، فخذلوه أهل (المدينة الصببانية)^(٢) وكان يظن بهم الظنون ، ويعتقد أنهم إذا همه حادث (عنه يدفعون)^(٣) .

يعد الفتى إخوانه لزمانه (وأعدى له من طرفه ما أعدّه)^(٤)(٥)

ولما أعيت عليه الحيل ، وضاق ذرعاً من حلول هذا الحادث الجلل ، أسرَّ إلى بعض الناس أن يتشفع له لدى الشريف في بذل الأمان ، على ما هو عليه (من الإجلال)^(٦) من غير هوان ، فأسعف بمطلوبه من غير تفنيد ، وحلم عليه بعد القدرة على ما يريد .

(١) كما هي عادة المؤلف في محاولة إبراز الأشراف ومكانتهم وشجاعتهم ، ولكن لا يمكن قبول هذا الوصف عن الأمير عائض بن مرعي ، وهو المشهود له بالشجاعة والإقدام ، والمؤلف يشي في كتابه : الدر الثمين على عائض فيقول : وكان هذا الأمير فيه شجاعة وإقدام ... وما توجه إلى بلد إلا وحصلت له الفتوح .. فالتفت إلى ضبط المملكة بجأش ثابت وقدم أرسخ من الثوابت ... وأذاق أولئك في حروبهم السم الزعاق ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهرق .
انظر : عاكش ، الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين ، ٢٨ .

(٢) ع : صبيا بالمدينة .

(٣) يقومون بواجبه وهم له لا ينقلبون .

(٤) البيت من الطويل .

(٥) ع : سقط عجز البيت وكتب مكانه : البيت .

(٦) سقطت في ع .

كلّ حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام^(١)

فخرج من القلعة وزفراته تتصاعد ، والقلب ناره من ألم الحسرة

[ص ٢٥٧] يتواقد ، وأنشد لسان حاله ، مع عدم بلوغ / آماله :

صفنا للألى قبلي بؤادر دهرهم ولم يصف لي مذ جئت من بعدهم عصر

فجاؤوا إلى الدنيا وعصرهم ضحى وجئت وعصري من تأخره عصر^(٢)

وتوجه إلى السراة حيث لم تساعده الأيام ، وبعد مدة توفاه الله

تعالى إلى رحمته ، و ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾^(٣) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ ﴿ ٢٧ ﴾^(٣) .

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام^(٤)

وكان من قرية « الزيدية » إلى « المخا » عمال الأمير علي بن مجتل

فيها ، وهم من تحت نظر عائن بعد وفاته ، وأما جهاتنا هذه فقد

استولى عليها الشريف .

السنة الخمسون بعد المائتين والألف : فيها وصل جند كثيف

(كبيرهم محمد أمين)^(٥) من طريق أحمد باشا ، وصحبتهم كتب إلى

الشريف متضمنة إرسال ولده الشريف الحسين مع هؤلاء الأجناد ،

لاستخلاص البلاد اليمنية من أيدي أولئك العمال ، فتوجهوا ، وكان في

البحر مركب يسير (بسير الجند من طريق البر ، وفيه من)^(٦) آلات

الحرب ما لا يوجد في هذه الجهات ، من (المدافع الكبار والقناير)^(٧) ،

(١) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبي ، انظر : الديوان ٩٢/٤ .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) البيت من الكامل .

(٥) سقطت في ع ، ولم أعثر على معلومات عن محمد أمين .

(٦) ع : معهم بسيرهم حاملاً .

(٧) ع : الذخائر والمطعومات .

فسار الشريف الحسين حتى طرح بهم على قلعة الماء الحالي ببندر
الحديدة ، وكان فيها جماعة من عسير أهل ثبات ونجدة ، فلم تزل المدافع
(بالقلل إليهم تدفع)^(١) / حتى تركت تلك القلعة كالبلقع ، فلاذوا بطلب [ص ٢٥٨]
الأمان ، (حين علموا أن)^(٢) لا مغيث لهم من أميرهم « حتى يؤوب
القارضان »^(٣) ، وبعد ذلك ذلّ العامل بالبندر هو والأجناد الذين معه ،
ورأى السلامة في تغليق باب الشر ، وترجح له ترك البلد . والخروج سالماً
من سطوة ذلك الأسد ، فخرج بأمان الله ثمّ أمان الشريف الحسين على
أحسن حال ، ولمّ يكدر له بالتخويف بال ، وأنشد لسان حاله قول من
قال :

فلا تغرنك الدنيا بما رفعت فلا حقيقة فيما يرفع الآل^(٤)
وبعد ذلك انفض ختم اليمن ، وألقى أهله إلى الشريف الحسين
الرسن ، ودخلت تحت أيدي الأتراك تلك البلاد ، وكان خاتمة عسير
فسبحان المتصرف في العباد^(٥) .
لكل شيء أمد وينقضي ما غالب الأيام إلا من رضي^(٦)
وفي هذه السنة في شهر جمادى الآخرة : كانت وفاة شيخنا^(٧)
محمد بن علي الشوكاني ،^(٨) هو قاضي الجماعة ، شيخنا شيخ

-
- (١) ع : عليها .
(٢) سقطت في ع .
(٣) يضرب به المثل في التأبيد واليأس ، وقصة المثل في المستقصى للزمخشري ١/ ١٢٧ .
(٤) البيت من البسيط .
(٥) لمزيد من المعلومات عن حملة محمد علي باشا على اليمن انظر : عبدالرحيم ، محمد
علي باشا وشبه الجزيرة العربية ١٩٧/٢ : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن
الحديث ، ٢٥٨ .
(٦) البيت من الرجز .
(٧) ع : الإمام القاضي .
(٨) من هنا وحتى نهاية القوس في ص (٢٢٦) أسقطه ناسخ ع عمداً وكتب يقول : إلى آخر
ما ساقه المسير إلى الترجمة المطولة حذفناها اختصاراً .

الإسلام، المحقق العلامة الإمام، سلطان العلماء، إمام الدنيا، خاتمة الحفاظ بلا مرأى، الحجة النقاد، عالي الإسناد، السابق في ميدان الاجتهاد، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها^(١)، وعلى الجملة فما [ص ٢٥٩] رأى مثل نفسه / ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً بالحق بقوة جنان، وسلطنة لسان، قد أفرد ترجمته تلميذه الأديب محمد ابن حسن الشجني الذماري^(٢) بمؤلف سماه «درة التقصار في جيد عالم الأقاليم والأمصار»^(٣) قصره على ذكر مشايخه، وتلامذته، وسيرته، وما انطوت عليه شمائله، وما قاله من شعر، وما قيل فيه، جاء في مجلد ضخمة.

مولده يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام، سنة اثنتين وسبعين بعد المائة والألف، كما أخبرني بذلك في بلده «هجرة شوكان»^(٤)، ونشأ على العفاف والطهارة، وما زال مذبذباً ودرج يجمع الشتات، ويحوز المكرامات.

له قراءة على والده، ولأزم القاضي إمام الفروع في زمنه أحمد بن محمد الحرازي^(٥)، وانتفع به في الفقه وأخذ النحو والصرف عن السيد العلامة إسماعيل بن حسن^(٦)، والعلامة عبدالله بن إسماعيل

(١) هذا الكلام فيه من المبالغات ما لا يحمد لمن يكتب في سير الناس، والإمام الشوكاني عالم له قدره، ترك بعد موته رحمه الله مؤلفات نافعة تنبئ عن عقل راجح، وعلم غزير، لكن المبالغات بهذه الصورة وغيرها مما لا يحسن في حق الكاتب ولا المكتوب عنه.

(٢) من تلاميذ الشوكاني ومن علماء اليمن (ت/١٢٨٦هـ).

انظر: زيارة، نيل الوطر ٢/٢٥٧؛ سيد، مصادر تاريخ اليمن، ٣٠١.

(٣) مخطوط بالمكتبة الغربية لصنعاء، وتوجد نسخة في مكتبة أميري في إستانبول برقم (٢٥٢٥) وأخرى بمكتبة محمد بن علي الأكوع بتعز.

انظر: الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي، ٤٥٧.

(٤) قرية صغيرة في منطقة خولان، جنوب شرق صنعاء.

انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢/٤٥٨؛

- al - Amri , The yemen , 103 .

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر، وصفه الشوكاني بأنه شيخ شيوخ الفروع (ت/١٢٢٧هـ).

انظر: الشوكاني، البدر الطالع ١/٩٦؛ زيارة، نيل الوطر ١/١٩٧.

(٦) إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن، من علماء اللغة العربية في اليمن (ت/١٢٠٦هـ).

النهمي^(١) ، والعلامة القاسم بن محمد الخولاني^(٢) ، وأخذ علم البيان والمنطق والأصليين عن العلامة حسن بن محمد المغربي^(٣) . والعلامة علي ابن هادي عرهب ، ولازم في كثير من العلوم مجدد زمانه عبدالقادر بن أحمد الحسن الكوكباني ، وأخذ في علم الحديث عن الحافظ / علي بن [ص ٢٦٠] إبراهيم بن عامر^(٤) ، وغير ذلك من المشايخ في جميع العلوم العقلية والنقلية ، حتى أحرز جميع المعارف ، واتفق على تحقيقه المخالف والمؤالف ، وصار المشار إليه في علوم الاجتهاد بالبنان ، والمجلي في معرفة غوامض الشريعة عند الرهان .

له المؤلفات في أغلب العلوم ، منها « نيل الأوطار شرح منتقى الآثار » لابن تيمية^(٥) في أربعة مجلدات ، لم تكتحل عين الزمان بمثله في التحقيق ، وأعطى المسائل حقها في كل بحث على طريق الإنصاف ، وعدم التقيد بمذهب الأسلاف ، وتناقله عنه مشايخه فمن دونهم ، وطار في الآفاق في حياته ، وقرئ عليه مراراً وانتفع به العلماء ، وكان يقول : إنه لم يرض عن شيء من مؤلفاته سواء ، لما هو عليه من التحرير ، وكان تأليفه

-
- = انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/١٤٥ : زيارة ، نيل الوطر ١/٢٦٧ .
- (١) عبدالله بن إسماعيل بن حسن بن هادي . من علماء صنعاء وكان والده والياً عليها (ت/١٢٢٨هـ) .
- انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٢٧٦ : زيارة ، نيل الوطر ٢/٦٩ .
- (٢) الاسم الصحيح : القاسم بن يحيى الخولاني ، من علماء اللغة والفقه (ت/١٢٠٩هـ) .
- انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٥٣ : زيارة ، نيل الوطر ٢/١٨٤ .
- (٣) الاسم الصحيح : حسن بن إسماعيل بن الحسين المغربي ، نسبة إلى « مغارب » صنعاء (ت/١٢٠٨هـ) .
- انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/١٩٥ : زيارة ، نيل الوطر ١/٢١٩ .
- (٤) علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد الشهيد ، من علماء صنعاء (ت/١٢٠٧هـ) .
- انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ١/٤١٦ : زيارة ، نيل الوطر ٢/١٠٦ .
- (٥) صحة اسم الكتاب : نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار ، طبع في القاهرة سنة ١٢٤٧هـ .

في أيام مشايخه ، فنبهوه على مواضع منه حتى تحرر ، وله التفسير الكبير المسمى « فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من التفسير »^(١) ، وقد سبقه إلى التأليف في الجمع بين الدراية والرواية العلامة محمد بن يحيى بهران^(٢) ، فله تفسير في ذلك عظيم ، لكن [ص ٢٦١] تفسير شيخنا أبسط وأجمع وأحسن ترتيباً / وترصيناً ، وقد ذكر الحافظ السيوطي في « الإتيان »^(٣) أنه جعله مقدمة لتفسيره ، وجامع للدراية والرواية سماه « مطلع البدرين ومجمع البحرين »^(٤) ، وله مختصر في الفقه على مقتضى الدليل سماه « الدرر البهية »^(٥) وشرحه شرحاً نافعاً سماه « الدراري المضيئة »^(٦) أورد فيه الأدلة التي بنى عليها ذلك المؤلف ، وله « وبل الغمام حاشية على شفاء الأوام »^(٧) للأمير الحسين بن محمد ، وله « در السحابة على مناقب القرابة والصحابة »^(٨) ، وله « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة »^(٩) ، وله « إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول »^(١٠) ويعز جمعه في نظمه وترصيفه ، وحسن ترتيبه وتصنيفه .

-
- (١) طبع وتوزيع دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة في خمسة مجلدات .
 - (٢) من علماء اليمن المشهورين في القرن التاسع (ت/٩٥٧هـ) .
 - انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/٢٧٩ : العمري ، مصادر التراث اليمني ، ٢٤١ .
 - (٣) الإتيان في علوم القرآن ، مطبوع أكثر من طبعة ، منها عام ١٩٢٥م في مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
 - (٤) لم أعثر على معلومات عنه .
 - (٥) الدرر البهية في المسائل الفقهية ، طبع في القاهرة بإشراف الأستاذ قاسم غالب .
 - (٦) الدراري المضيئة في شرح الدرر البهية ، طبع في القاهرة عام ١٩٢٨م .
 - (٧) توجد منه نسخة مخطوطة بخط المؤلف بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٣٠٣ (حديث) .
 - (٨) حققه د . حسين بن عبدالله العمري ، ضمن رسالة الدكتوراه بجامعة (Durham) ، بريطانيا .
 - (٩) طبع في الهند عام ١٣٠٢هـ .
 - (١٠) في أصول الفقه ، طبع في القاهرة سنة ١٣٤٧هـ ، وتكررت طباعته .

وله « السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار »^(١) ، وكان تأليفه في آخر مدته ، ولم يؤلف بعده شيئاً فيما أعلم ، وقد تكلم فيه على عيون من المسائل ، وصحح من المشروح ما هو مقيد بالدلائل ، وزيف^(٢) ما لم يكن عليه ، وخشّن العبارة في الرد والتعليل ، والسبب في ذلك أنه نشأ في زمانه جماعة من المقلدة الجامدين على التعصب في الأصول والفروع ، ولم تزل المصاولة والمقاولة بينه وبينهم دائرة ، ولم يزالوا / [ص ٢٦٢] ينددون عليه في المباحثة من غير حجة ، فجعل كلامه في ذلك الشرح في الحقيقة موجهاً إليهم في التفسير عن التقليد المذموم ، وإيقاظهم إلى النظر في الدليل ؛ لأنه يرى تحريم التقليد ، وقد ألف في ذلك رسالة سماها « القول المفيد في حكم التقليد »^(٣) ، وقد تحاماه لما حواه جماعة من علماء الوقت ، وأرسل عليه أهل جهته بسببه سهام اللوم والمقت ، وثار من أجل ذلك فتنة في « صنعاء » بين من هو مقلد ، وبين من هو متقيد بالدليل^(٤) ، توهماً من المقلدين أنه ما أراد إلا هدم مذهب أهل البيت ؛ لأن « الأزهار » هو عمدتهم في هذه الأعصار ، وعليه في عبادتهم والمعاملة المدار ، وحاشاه من التعصب على من أوجب الله تعالى محبتهم ، وجعل أجر نبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في تبليغ الرسالة مودتهم ؛ لأن له الولاء التام لهم ، وقد نشر محاسنهم في مؤلفه « در السحابة » بما لم يخالج بعده ريبة لمرتاب ، وله العناية بحفظ مذهبهم ؛ فإنه أفتى شبابه

-
- (١) طبعت منه أجزاء بتحقيق الأستاذ قاسم غالب .
 (٢) زيف النقود وغيرها : عملها مغشوشة ، وزيف قوله أو رأيه : فنده وأظهر باطله ، وصغره وحقره . انظر : المعجم الوسيط ٤١١/١ .
 (٣) صحة اسم الكتاب : القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ، حققه : محمد منير الدمشقي وطبع سنة ١٣٤٠ هـ .
 (٤) انظر حول هذه الفتنة ضد الإمام الشوكاني : من أعلام اليمن ، قاسم غالب أحمد ومحمود إبراهيم زائد ٥٤ - ١٠٢ .

في الدرس والتدريس في ذلك ، وعندي أن من جملة العناية هذا الشرح ، فإن من تأمله حق التأمل بعين الإنصاف ، عرف أنه بيان لما اقتضاه متن « الأزهار » من الأدلة الصحيحة ؛ لأنه جاء فيه بأدلة لم توجد في غيره ، [ص ٢٦٢] وأوضح مأخذها / من الكتاب والسنة على أبداع أسلوب ، وقد اطلعت على غالب شروح « الأزهار » ، فلم أر في شرحها ما يدانيه في إيراد الأدلة ، وإنما أنه لم يرتض ما بني في ذلك الكتاب من التفاريع على القياس الذي علته المناسبة أو تخريج ، وسبيل الإمام في ذلك سبيل المفرعين من سائر المذاهب الإسلامية ، فإن كتبهم الفروعية ممزوجة بذلك .

على أن كلامه مع الجميع من أهل المذاهب ؛ لأن المأخذ واحد ، والرد واحد ، وإن كان في الحقيقة أن الخطب يسير ، والخلاف في المسائل العمليات الظنية سهل ؛ لأنها مطارح أنظار ، والاجتهاد يدخلها ، والمصيب من المجتهدين في ذلك له أجران ، والمخطئ له أجر ، وإنما تنبيه العالم بالخطأ على ذلك الخطأ للمقلد لا بأس به ؛ لئلا يقلد في الخطأ فإنه مؤاخذ به مع أنه من قلده معفو عنه في ذلك ، وهذه الطريقة ربما يحمد عليها من قصده ذلك ، ولا يخرج المجتهد ما اجتهد فيه ، ونبه على الخطأ بحسب ما ظهر له عن توليه لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم ؛ لأن التولي في جانب ، وبيان الخطأ في جانب ، وربما يحمده ذلك المجتهد الذي قد أصّل ما هو خطأ في كتبه ؛ لئلا يتبعه في ذلك الخطأ من يتبع ، [ص ٢٦٤] وهذا شأن / أهل العلم في كل زمان ومكان ما بين راد ومردود عليه ، وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا صاحب العصمة عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد ذكر السيوطي في كتابه « الخصائص » : أن من خصائص هذه الأمة أن لا يقر بعضهم بعضاً على الخطأ ، ولو كان أحب حبيب إليه ، ومن طالع الكتب الإسلامية في الفروع والأصول على اختلاف أنواعها

عرف ذلك ، وهان عليه سلوك هذه المسالك ، ومن وزن الأمر بالإنصاف لا تخفى عليه الحقيقة ، ومن جمد على التقليد وضاق عطنه ^(١) [١/٨٠] عن مدارك الاستدلال فما له والاعتراض على المجتهدين ، فقد علم أن كل مجتهد مصيب ، ولا ينبغي له أن يضايق المجتهد في اجتهاده لأجل يوقفه في موقفه الذي هو التقليد ، وقد تفضل الله . تعالى . عليه بالاجتهاد .

ولكل عرفت منهم مقاماً شرحه في الكتاب مما يطول ^(٢)

والتقليد لا يجوز إلا لغير المجتهد ، والاجتهاد عند أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - غير متعذر كما يقوله غيرهم ، ومن اعترض على المجتهد فيما أدى إليه اجتهاده ، فقد تحجر الواسع ^(٣) ، وجرى على نهج لا سلف له فيه من أهل العلم .

نعم ؛ أنا قد حررت « مقاصد السيل الجرار » في مؤلف سميته « نزهة / الأبصار من السيل الجرار » ^(٤) وهو واف بالمقصود من [ص ٢٦٥] إيراد تلك الأدلة ، من غير تعرض لما يقع به بسط الألسنة من الناس ، وللمترجم له تاريخ حافل سماه « البدر (الطالع بمحاسن من بعد القرن) ^(٥) السابع » ، جرى فيه من ذلك الوقت إلى زمانه ، وابتدأ فيه (بذكر عابد اليمن إبراهيم) ^(٦) الكينعي الولي المشهور ، وله جملة رسائل من مطولات (ومختصرات ، وقد) ^(٦) جمعت فتاويه ورسائله فجاءت في مجلدات وسمها ابنه (العلامة علي بن محمد) ^(٦)

(١) ما بين القوسين من صفحة (٢٩٧) إلى هنا مفقود في الأصل وتم إكماله من ص و ع .

(٢) البيت من الخفيف .

(٣) في هامش نسخة ص كتب الناسخ ما يلي : نعم ، واعتراض صاحب الترجمة على الإمام عليه الصلاة والسلام من تحجر الواسع .

(٤) لم أعثر على معلومات حول توفر نسخة من هذا المخطوط للمؤلف .

(٥) بياض في الأصل وأثبتنا الزيادة من ص .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

« بالفتح الرباني »^(١) ، وله في الأدب اليد الطولى ، وله أشعار كثيرة مدونة قد رتبها ابنه المذكور على حروف المعجم فجاءت في ديوان ، كتب إليه أديب عصره السيد محمد بن هاشم بن يحيى الشامي^(٢) وإلى رفيقه العلامة حسين بن أحمد السياغي^(٣) يسألهما على سبيل المطارحة عن الشوق ؛ هل هو من قسم المشكك^(٤) ، أو من قسم المتواطي^(٥) المعروفين^(٦) في علم المنطق ، بهذه الأبيات البديعة :

يا نيري فلك العلياء دام لنا من نور علمكما ما يكشف الظلما
[٨٠/ب] / ماذا تقولان فيما قد تقرر بال إجماع حقق هـذا من به حكما
قالوا بأن شهادات القلوب إذا قامت بصدق وداد صار ملتزماً
ومن أحب امرأً صح القياس له قطعاً بأنهما في السلك قد نظما
[ص ٢٦٦] / وإنما الشوق من قسم المشكك هل فيه اعتراض قياس في استوائهما
وقد ترددت في تقريره فأفيد دا مغرماً صار مشتاقاً لوصلكما^(٧)
فأجاب المترجم له وأجاد ما شاء :

(١) اسم الكتاب : الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني ، مخطوط في مجلدين بمكتبة الجامع الكبير الفريية في صنعاء برقم ١٨٣ (فقه) . انظر : الحبشي . مصادر الفكر العربي الإسلامي ، ٢٤٣ .

(٢) محمد بن هاشم بن يحيى الشامي ، أديب وزاهد يماني (ت/١٢٠٧هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢٧٢/٢ : زيارة ، نيل الأوطار ٢/٢٢٢ .

(٣) حسين بن أحمد بن حسين بن أحمد بن علي ، من علماء صنعاء (ت/١٢٢١هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢١٥/١ : زيارة ، نيل الوطر ١/٣٦٦ .

(٤) المشكك هو اللفظ الذي يدل على شيء بمعنى واحد في نفسه ، ولكن يختلف ذلك

المعنى بين أفراد من جهة أخرى ؛ كالتقدم والتأخر .. إلخ ، انظر لمزيد من المعلومات :

د . فريد جبر وآخرون ، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب ، ٨٨٥ - ٨٨٦ .

(٥) المتواطي هو اللفظ يدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينهما ، كدلالة اسم

الإنسان على زيد وعمرو .. إلخ . انظر : لمزيد من المعلومات المرجع السابق ، ص ٨٣٧ .

(٦) الأصل : المعروفان .

(٧) انظر : القصيدة كاملة في ترجمة محمد بن هاشم بن يحيى الشامي ، البدر الطالع

٢٧٢/٢ ، وهي من البسيط .

يا ابن البهاليل والأطواد من مضر والمنعمين بسيب يخجل الديما
(قد دل نظمك للدر الثمين بلا)^(١) شك بأنك بحر بالعلوم طما
(ورمت إبداء عتب في ملاطفة)^(١) وقد أسأت ببعدي فاحتمل كرما
(فالشوق بالشوق منقاس)^(١) ومعتبر قضى بذلك خير الرسل والحكما
(وإن تشكك بالتشكيك)^(١) فهو على تواطؤ باتحاد الجنس قد نظما
(وموجبات ودادي)^(١) فيك ما سلبت ولا غدا عقد ودي عنك منفصما
(محصلات ودادي)^(١) ما رضيت لها عنك العدول ولا أولتها عدما
(وقد تآلف شمالنا) على نمط لنا نتائج ود تمنع العقما^(٢)
وهذه القطعة من شعره [تدل] على أنه مفرد بليغ ، ولا مفرد سواء
يوصف بالبلاغة ، وقد تم له التوجيه بالقضايا المنطقية الموجبة والسالبة
والمحصلة والمعدولة ، ولله القائل :
والحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر^(٣)
وقد أخذت عنه في كثير من الفنون العلمية ، وأخذت عنه غالب
مؤلفاته [أ/٨١] وبموته طفئ على اليمن مصباحهم المنير ، ولا أظن يرون
مثله في تحقيقه للعلوم والتحرير ، وقد جرت بيني وبينه مكاتبة (أدبية) ،
ومراسلة بمسائل علمية ، هي عندي مثبتة / بخطه .

[ص ٢٦٧]

وكان قد توفي قبله بمدة يسيره ابنه العلامة علي بن محمد ، وهو
أحد محققي العلماء ، وممن لازم والده في جميع المعارف ، حتى بلغ ذروة
العلوم تحقيقاً وتدقيقاً ، وقد شاركته في الأخذ على والده في كثير من
مقرراته رحمه الله تعالى . وقد كنت قلت في والده مرثاة ، وأشركته فيها

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) القصيدة من البسيط .

(٣) البيت من البسيط .

لولا الإطالة لذكرتها (١) .

وفي هذه السنة : توفي السيد العلامة عبدالرحمن بن سليمان الأهدل (٢) هو شيخنا السيد الحافظ محدث اليمن ، والمأشي على أحسن سنن ، فريد العصر (وحجته) ، ومربع الأوان وإمام قبلته ، هو من بيت بالفضل مشهور ، ولهم في الحديث تجارة لن تبور ، وإليهم منتهى طرف الرواية بالديار اليمنية في زمننا .

(مولده في شهر ذي القعدة الحرام) (٣) سنة تسع وسبعين ومائة وألف ، نشأ (رحمه الله تعالى في حجر والده ، وغذاه بالعلوم) (٤) والعرفان ، وبرع في سائر الفنون النقلية (والعقلية ، وزاحم مشايخه في التحقيق) (٥) ، ولم يزل ملازماً لوالده مدة حياته ، وأخذ عن (المحقق عبدالله بن عمر) الخليل (٦) ، وعن عمه السيد العلامة أبو بكر بن يحيى (٧) ، وعن السيد (أحمد بن سليمان الهجام) (٨) والشيخ أحمد بن حسن الموقري (٩) ، وله مشايخ كثيرون أخذوا (وإجازة ، قد أتى على) (١٠)

(١) ما بين القوسين من صفحة (٣١٧) إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمداً وكتب يقول : إلى آخر ما ساقه المسير إلى الترجمة المطولة حذفناها اختصاراً .

(٢) ما بين القوسين من هنا إلى ص (٢٢٨) أسقطه ناسخ ع عمداً وكتب : وقد طال المسير بما يجدي .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) عبدالله بن عمر الخليل الزبيدي ، من علماء زبيد المشهورين في العلوم العقلية (ت/١١٩٣ هـ) .

انظر : زيارة ، نشر العرف ١٢٩/٢ : الأهدل ، النفس اليماني ، ٤٠ .

(٦) أبو بكر بن يحيى بن عمر الأهدل ، من علماء زبيد .

انظر : القنوجي ، أبجد العلوم ، ١٧٧ : الأهدل ، النفس اليماني ، ٨٦ .

(٧) بياض في الأصل وأثبتنا الاسم من ص ، ولم أعثر على ترجمة لصاحب الاسم .

(٨) أحمد بن حسن الموقري ، من علماء زبيد في القرن الثاني عشر الهجري (ت/١٢٠١ هـ) .

انظر : الأهدل ، النفس اليماني ، ٤٧ : القنوجي ، أبجد العلوم ، ١٧٥ .

أكثرهم في ثبت له ، وله الحفظ البارع ، والاطلاع التام على (متون الأحاديث) ^(١) / ، ولَمْ أَر مثله في العناية بالعلم ، والاشتغال به ، بحيث إنه [ص ٢٦٨] يقيد بالكتابة كل ما استحسنه ، فمجامعه موارد الفوائد ، (وأسفاره قلائد الفرائد) ^(١) ، وله الشفقة التامة بطلبة العلم ، والتواضع لكل مستفيد ، والإصغاء للمستترشد ، دمث الأخلاق سهل الجانب للصغير والكبير ، طارحاً أبهة العادة ، لا جرم فهو إمام أهل الزهادة ، وله اليد الطولى في علوم القوم ، ويحل مشكلات كلامهم [٨١/ب] حين يسأله المتأهل ، وأوقاته مستفرقة بالطاعات ، ومجلسه معمور بالعلوم النافعات ، وله مقام عريق في التقوى والانقطاع إلى الله - تعالى - بكلية : فهو من أئمة العلم والعمل . له من المؤلفات « فتح القوي حاشية على المنهل الروي » ^(٢) نوالده سليمان ، وهو شرح منظومة مجد الدين ^(٣) صاحب « القاموس » ^(٤) في مصطلح الحديث ، وتلك الحاشية بديعة حرر فيها جملة فوائد . ومدّ من خزانة فكره للطالبين موائد ، وله شرح على « بلوغ المرام » ^(٥) بلغ فيه فيما أظن إلى كتاب البيوع ، وله مجاميع في العلوم للفوائد جامعة ، ومؤلفات مختصرة في التصريف والبيان ، وغير ذلك من الرسائل ، والأجوبة على المسائل ، ممّا لعلها تجيء مجلداً ضخماً : لأن إليه منصب الفتيا بالقطر اليماني .

لازمته مدة ، وأخذت عنه في غالب الفنون ، وهو الذي أمرني أن

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) توجد نسخة منه مخطوطة في مجلدين بمكتبة الآصفية ٤٢٨ (حديث) .

(٣) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، من أئمة اللغة والأدب ، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير (ت/ ٨١٧هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ١٩/٨ : الشوكاني ،

البدر الطالع ٢/ ٢٨٠ .

(٤) القاموس المحيط ، مطبوع في ٤ مجلدات ، طبع أكثر من طبعة .

(٥) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

[ص ٢٦٩] أشرح منظومة « المدخل في المعاني والبيان »^(١) للسيد العلامة / إبراهيم ابن محمد شرعان^(٢) ، وهي منظومة بديعة ، وقد (كتبت عليها شرحاً بسيطاً)^(٣) ، وقد تم بحمد الله تعالى ، ووسمت ذلك الشرح « روض الأذهان شرح منظومة »^(٤) مدخل المعاني والبيان^(٥) ، وقد قرظله جماعة من أعيان (الوقت ، قد أتيت)^(٥) على ذكرهم في « حدائق الزهر » ، ومِمَّا أفادني به ما كتبه إلي وقد (أصابه عارض رحماني)^(٥) ما لفظه : « وأظن أنني قد ذكرت لكم في كتاب قبل هذا (نكتة ذكرها)^(٥) الحكيم الحموي صاحب كتاب « البيان في علم الطب » في كتابه الجليل الذي أفرد في الطب النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، أنه بلغ من حذاقة المغنين في إقليم الأندلس أنهم ينظرون في نبض العليل ثم يغنونه بصوت يناسب حاله ، فيحصل الشفاء عاجلاً بابتهاج الروح وانشرacha بذلك النغم المذهب ، بقدرة الله تعالى لما بذلك العليل من الداء والسقم ، فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم » انتهى بلفظه .

وقد قيلت فيه مرات^(٦) مستجدات [٨٢/أ] ، ولأدباء عصره فيه مدائح مدونة بأيدي المشتغلين بالأدب من أهل اليمن ، ومع شهرة ذلك لا حاجة بنا إلى إيراد شيء منه ، لأنه ينافي الاختصار^(٧) :

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات نور الشمس يذهب باطلا^(٨)

(١) مؤلف هذا الكتاب هو عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار ، عضد الدين الأيجي ، عالم بالأصول والمعاني والعربية (ت/٧٥٦ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٦٦/٤ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ١/٣٢٦ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) لا توجد معلومات حول هذا المخطوط .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٦) الأصل : مرثي .

(٧) البيت من الكامل .

(٨) ما بين القوسين من صفحة (٣٢٦) إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمداً ، وكتب يقول : وقد طال المسير بما يجدي .

السنة الحادية والخمسون بعد المائتين والألف / فيها توفي (الوالد [ص ٢٧٠])

العلامة التقى أحمد بن إبراهيم النعمان ، كان من الفضلاء ، ومن الزهاد الكملاء ، ارتحل إلى « صعدة » ، وقرأ في علم الفروع والأصول الدينية ، ورجع إلى وطنه قرية « الشقيري » ، ولم يزل مقبلاً على الله تعالى في جميع أوقاته ، قانعاً بالرزق الحلال ، عازفاً نفسه عن الدنيا في جميع الأحوال ، مع ورع صادق ، والتفات إلى ما يقربه إلى الله في جميع الطرائق ، وله كرامات مشهورة ، وأحوال مذكورة ، رحمه الله تعالى (وإيانا .

وفيهما في شهر رجب) (١) كانت وفاة الشريف العلامة الفاضل بشير ابن شبير بن (مبارك بن محمد بن خيرات) (١) ، كان من أهل العلم والفضل ، والاشتغال التام (بالعلم ، لازم سيدي الوالد) (١) - رحمه الله تعالى - مدة حياته ، ولازم السيد العلامة حسن بن خالد ، (وكتب بيده) (١) مؤلف والدي المسمى بـ « مشارق الأنوار » (٢) ، ونسخ « سبل السلام » (٣) (وكان له المعرفة) (٤) التامة بما تضمنه الكتابان من المباحث العلمية ، بحيث إنه يستحضر أكثر مسائلهما لشدة عنايته بهما ، وتردد إلى « مكة المشرفة » للحج ، ولم يزل في اشتغال / بما يعنيه من العلم [ص ٢٧١] والطاعات ، إلى أن اختار الله له النقلة إليه ، وقبره بمدينة « أبي عريش » رحمه الله تعالى) (٥) .

(١) بياض في الأصل وأثبتنا الزيادة من ص .

(٢) لم أعثر على معلومات عن هذا الكتاب سوى ما ذكره المؤلف في كتابه حدائق الزهر من أنه في أربعة مجلدات من القطع الكبير .

انظر : حدائق الزهر ، ١٥ .

(٣) مؤلفه محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف بالأمير (ت/١١٨٢هـ) ، وهو مطبوع عدة طبعات .

(٤) بياض في الأصل وأثبتنا الزيادة من ص .

(٥) من بداية القوس في أعلى الصفحة إلى هنا ساقط في ع ومكتوب ما يلي: التقى أحمد ابن إبراهيم النعمان والشريف العلامة بشير بن بشير .

وفي هذه السنة : كان قد بلغ محمد أمين المقصود من ملك اليمن ،
وانخرط أهلُه في سلك الطاعة ، وقد كان رفع إلى الباشا [٨٢/ب]
محمد علي صاحب مصر بما ناله من الأمان ، وابتسمت له به ثغور
الدهر ممّا يوجب التهاني ، فجهز من طرفه إبراهيم باشا^(١) - ويقال : إن
محمد علي خاله - مقلداً مملكة القطر اليماني ، فخرج في جيش جرار ،
فلما وصل إلى بندر « القنفذة »^(٢) توجه إلى بلاد السراة ، لقطع من
هناك لأنهم أصل المناوأة ، فسلك طريقاً وعرة لا تسلكها الجيوش في
العادة ، حتى وصل إلى قرية « الشعبين »^(٣) وطرح بأجناده ، فتداعى عليه
الرجال من تحت أحجار تلك الجبال ، وسارحوه بالقتال وراوحوه ، ولكأس
البلايا علانية أذاقوه ، فقتل من أصحابه الكثير : وأسروا منهم من أسر ؛
فضاقت عليه الأمور ، وعدم الراحة لما عانده المقدور ، وقد كان في جند
يملاً القضاء ، وحال يرتضى ، ففر هو ومن معه (من خفيف العساكر)^(٤) .
[ص ٢٧٢] وأصبح / وقد خلف تلك البلاد وراء ظهره ، و (أنشد لسان حاله قول
الشاعر)^(٥) :

شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كَوْرَهَا وَيَوْمَ حِيَانٍ (أَخِي جَابِر)^(٥)

(١) شقيق أحمد باشا يكن والي الحجاز من قبل محمد علي باشا ، عين قائداً للقوات التي

أرسلها محمد علي للسيطرة على اليمن سنة ١٢٥١ هـ .

انظر : عبدالرحيم ، محمد علي ، ٢٠٦/٢ .

(٢) ميناء على البحر الأحمر ، لعب دوراً مهماً في تاريخ عسير والمخلاف السليماني في

القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري ، يبعد حوالي ٢٥٠ كم جنوب ميناء جدة .

(٣) من قرى رجال المَع بل هي حاضرتها الآن ، تبعد حوالي ٥٨ كم جنوب مدينة محايل .

انظر : أطلس عسير ، خارطة رقم ٢٢ .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) البيت من السريع وهو للأعشى ،

انظر : الديوان ، ١٤٧ .

وكان التعرض في (١) مبادئ وصوله لقتالهم لا يغني ، ومن أمثال (العرب : « على نفسها براقش » (١) تجني « (٢) ، وحين عاين الموت جهرة ، وأيس (من الظفر بأهل تلك الجبال) (٣) ، توجه إلى بندر « القنفذة » . ورأى أن الماضي لما (هو بصدده أولى من) (٣) معاناة تلك الأهوال :

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك (والرتب العالية) (٣)
وكن بمقام إذا ما وثبت تقوم و (رجلاك في عافية) (٣)

(وكان دخول إبراهيم باشا بندر « الحديد » آخر يوم الخميس رابع جماد أول) ، فقدم في مركب من المراكب البحرية إلى بندر « الحديد » ، (فتلقاء الشريف الحسين) ومحمد أمين بالإجلال والإكرام ، وأنشد لسان الحال قول (٤) أبي تمام :

لزموا مراكز الندى وذراه وعدتنا عن مثل ذاك العوادي
غير أن الربى إلى سبل الأنواء أدنى والحظ حظ الوهاد (٥)
فأشعر بباشويته أهل قطر اليمن ، وجعل « الحديد » مستقر

مملكته والوطن ، وقسم عساكره في البلاد لأجل الحفظ لها ، وأنشد لسان الحال حين رقا / دست الإمارة وحلها ، قول جمال الدين بن نباتة ، [ص ٢٧٣]
وردد بذلك في أغلب أوقاته :

هي الحظوظ فخذ منها بما وهبت ولا تقل عالياً قدري ولا دونا
يُعد ذا دون هذا في مشابته وقس على ما تراه السين والشينا (٦)

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٢) أصل المثل : على نفسها جنت براقش ، وهي كلبة نبحت على جيش فدلتهم على أهلها

فأوقعوا بهم ، ويضرب لمن أناه الشر من نفسه .
انظر : الزمخشري ، المستقصى ١٦٥/٢ : ابن منظور ، لسان العرب (برقش) .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، والبيتان من المتقارب .

(٤) انظر : نهاية القوس في صفحة (٣٢٢) .

(٥) البيتان من المديد ، انظر : ديوان أبي تمام ، ٧٦ .

(٦) البيتان من البسيط .

فأماً محمد أمين بعد ذلك فرجع من حيث أتى بعد أن بلغ من الدنيا
بعض المأمول ، ولا أقول أقنعه الدهر من الغنيمة بالقضول ، وأماً الشريف
الحسين فكان في ظن الناس أن تضاف إليه (ممالك اليمن ، لكمال
عنايته)^(١) في استخلاصها ، ولكن قد عرف أن الدهر يعكس (المقاصد ،
ويراقب ... ويراصد)^(٢) ، خلقاً ألفه الناس من سجاياه ، وطبعاً (رمى به
الخلق من سهام جنایاه)^(٣) :

فقد تدنو المقاصد والأمانى فتعترض (الحوادث والمنون)^(٤)^(٥)
وهذا شيء معروف ، وفي النثر والنظم موصوف ، (قال
أبو الطيب)^(٦) :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن^(٧)
ولكن القدر يناديه بصوت قد أطرب عن قريب ، ستال هذا
[ص ٢٧٤] المطلب ، وستكون المملكة / إليك بالاستقلال عائدة ، وإنما هذه مقدمات
لتحصيل الزرع وبيدك جنى الفائدة ، ومع هذا فهو عندهم في الظاهر
أنفس من الزمرد الأخضر ، وأعز على خواطرهم من الكبريت الأحمر ،
يودعون دراري كلامه فيما يصلح للمملكة أصداف قلوبهم ، ويحملون أثقال
جنابه على عيونهم ، فضلاً على جنوبهم ، فبمجرد أن يشير عليهم لشوره
يأتَمرون ، وعلى تقلب أنفاسه يميلون ، ولكن غسل يده من أضرار التعلق

(١) ع : معاليكه .

(٢) ع : الأيام .

(٣) ع : يرميهم من كنانته ببلاياه .

(٤) ع : دونها المثبطات بالثواني .

(٥) البيت من الوافر .

(٦) ع : قال الشاعر

(٧) البيتان من البسيط ، انظر : ديوان المتنبّي ٢٣٤/٤ .

بما هم به من الإمارة متعلقون ، واتخذ مدينة « الزهراء » وطنًا ، وتركهم في طفيانهم يعمهون ، وجاءه من محمد علي باشا مقرر في بندر « اللحية » يقوم ببعض المقصود ، وأقبل على شأنه ، والاشتغال بالذاكرة مع أهل العلم والآداب ، وتعوض عن تلك الحالة بما هو أزكى منها عند أولي الألباب ، وقد تعوض عنها فضل راحته عن الهموم ، (وعن أخذ على التبع)^(١) ، وكان إذا ناب إبراهيم باشا مهمًّا من الأمور ، كان هو الصدر في تلك الصدور ، والقائم بأعباء ذلك الأمر ، والمتصدي لكل صعب وعمر : لأنه قد أعطاهم العهد على الطاعة . فما يسعه غير الوفاء وإن قابلوا / بعدم المكافأة (على حسن صنيعه بالجفاء)^(٢) . [ص ٢٧٥]

ومن جملة المهمات : أن « يام » لم يزالوا يمدون (أيديهم لأخذ تهامة)^(٣) لما فطموا عن مألوفهم في محصول البلاد (تارة من يد ملوكها ، وتارة)^(٤) بأيدي الظلمة ، ففي آخر هذا العام نزلوا من « وادي بيش » ، (فعظم على الباشا ذلك الأمر وتكرر)^(٥) عليه صافي العيش ، فعول على الشريف في ذلك الخطب ، وأنه سيرسل إليه بأقوام ، وأنه يكون هو المتولي لدفع « يام » ، فأذعن في القيام بذلك المطلوب ، وصار في ذلك الجيش هو المقدم واليعسوب ، فوصل إلى « أبي عريش » بذلك الجيش الحاوي لأبطال الرجال ، واستمد الإذن من والده وربما لم يحمد ذلك الفعال ، لكون هذه الفئة جندهم عند اصطدام البلايا ، وكم قد تجلت بهم لهم ولسلفهم من رزايا)^(٦) [٨٢/أ] ، والناس في غاية الخوف ،

(١) هكذا وردت في ص .

(٢) سقطت في ع .

(٣) ع : حياثل مطامعهم إلى تهامة .

(٤) سقطت في ع .

(٥) ع : تجهيزًا على الباشا ليكثروا .

(٦) ما بين القوسين من صفحة (٢٣١) إلى هنا مفقود في الأصل ، وتم إكمال النقص من

ص و ع .

وأكفهم مادة بالدعاء إلى الله . تعالى . في النصر عليهم ، لما قد عرفوه من أذيتهم ، وما قد أسدوه من المكاره إليهم .

فانفصل الشريف الحسين من « أبي عريش » لكفاية الناس هذا المهم ، ورفع هذا الخطب الملم ، ولما وصل مدينة « صبيا » لم يزل [ص ٢٧٦] يدبر الرأي فيما به بلوغ الغاية / ؛ لأنهم قد نزلوا بمطرحهم قرية « العداية »^(١) ، عملاً بقول الشاعر وهو في الإرشاد بالغ النهاية :

وللمعادي^(٢) رتب في الحجا الرأي ثم الكيد ثم الكفاح
قد يغلب المرء بتدييره ألفاً ولا يغلبهم بالسلاح

فأنتج فكره الولود ، أن يهجم عليهم غفلة بالجنود ، وبعد بلوغ الوطر يرجع بمشيئة الله إلى « صبيا » ، فما شعر « يام » إلا وقد ظهر للجيش قتام ، فالحازم منهم من اتصل بإمساك السلاح ، وتعبؤوا للقتال ، ولكن قد لاح أن ليس فيهم فلاح ، فأرسل عليهم الأتراك بما قد أحكموه بالهندسة ، وانقضت عليهم من بطون المدافع (قلل تصغر)^(٣) عندها السهام المقرطسة ، ودارت بهم تلك العساكر التي (شرر الجحيم لها أسلحة ، وطارت الخيل)^(٤) للطعن فيهم بلا أجنحة ، فانكسر عند ذلك جند (هم المتكاثر ، ودارت عليهم بالهزيمة)^(٥) الدوائر ، وهلك منهم جمع مستكثر ، واستولى على مطرحهم ، (فأصبحوا حديث سمر)^(٦) ، وتفرقوا في الفلوات شذر مذر ، ورجع الشريف الحسين (بالأجناد إلى « صبيا » في بقية ذلك)^(٧) اليوم ، وقد أشفى القلوب بما صنع بأولئك [ص ٢٧٧] القوم ، ووصل (إلى « أبي عريش » تخفق)^(٨) على / رأسه [الرايات]

(١) قرية من قرى صبيا تبعد عنها غرباً حوالي ٦ كم ، وهي بلدة قديمة ذكرها الهمداني .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٩١ : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٢١ .

(٢) لعلها : وللمعالي ، ولم أعثر على القائل ، والبيتان من السريع .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .

بالظفر ، وقد ساعده بما يريده القدر ، ومِمَّا قَلَّته (مهنتاً له في هذه القضية)^(١) بعد بلوغه للأمنية^(١) :

ما هز للسيف بين الخيل والخول
حاز الشجاعة إرثاً من أبيه ومن
وانظر وقائعه في كل معركة
لا يرهب الجيش إن قلوا وإن كثروا
/ ليث إذا صال في يوم الوغى وله
يلقى الحروب بوجه باسمٍ طلق
أروى القواضب من نحر العدا ولقد
نال المكارم حتى صار مرتفعاً
فالنصر قائده في كل واقعة
هذا هو المجد لا من بات مفترشاً
يا ابن الرسول ويا خير الكرام ومن
إنا نهنيك بالنصر الذي افتخرت
وهو المبشر بالفتح المبين لكم
لاقيت قوماً أخافوا الخلق كلهم

مثل الحسين الشريف (الباسل البطل)^(١)
مولى البرايا أمير المؤمنين علي
تحياي المآثر من صفين^(٢) والجمال^(٣)
ما مثله أبداً في الناس من رجل
كف كريم كمثله العارض الهطل
ولا يداخله شيء من الوجمل
غداً بذلك للخطيئة الدبل
برغم ذي حسد حقاً على زحل
والسعد ساعد في حل ومرتحل
ذات الخمار على التعطير والقبل
أضحت فضائله في الناس كالمثل^(٤)
به الليالي على ذي الأعصر الأول
ونيلك الملك في مستقبل الأجل
فلم يلاقوا بغير الذل والفضل

[٨٣/ب]

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص و ع .
(٢) صفين : موقع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وبها سميت المعركة بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما . سنة ٢٧ هـ .
انظر : الطبري تاريخ الأمم والملوك ٥/٥ : ابن الأثير ، الكامل ١٤١/٢ .
(٣) الجمال : موقعة الجمال بين أصحاب الإمام علي بن أبي طالب وأصحاب عائشة رضي الله عنهما سنة ٣٦ هـ .

انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٥٠٨/٤ : ابن الأثير ، الكامل ١٠٥/٢ .
ومن المناسب هنا أن نستدرك على المصنف رحمه الله أن المتقرر عند أهل السنة والجماعة الإمساك عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم وعدم الخوض فيه ، وعدم إثارتها ، والمؤلف - عفا الله عنا وعنه - يثير مثل هذه الأمور التي هي فتنة ، وكان الأولى به ترك أمرها ، لأن الجميع قدم إلى ما قدم ، وليست مما يفاخر فيه ، وإنما مما يتألم له .
(٤) هذه مبالغات لأن الممدوح ليس ابناً للرسول ﷺ ، وليس كل من انتسب لآل البيت عد ابناً للرسول عليه الصلاة والسلام . ثم إن هذا المدح يصح ويقبل لو كان القتال الذي يذكره قتالاً مشروعاً ، وهو في حقيقته فتن بين المسلمين كان الأولى التألم لوقوعها لا التباهي بوقوعها بين المسلمين .

حملت بالخيل فيهم غير منعطف ولوك أدبارهم خوفاً من الأسل
 (فروا) (سراعاً ولم يلوا على أحد) (١)
 [ص ٢٧٨] / (وأصبحوا عبدة بين الوري وهم) (١)
 (وعادة الله (٢) فيمن قد طفى) (١) وبغى
 (والحمد لله حمداً دائماً) (١) أبداً
 (ودم معافى على خير) (١) وفي نعم
 (فأنت ليث الوغى) (١) في كل نائبة
 وإن أيامك الغرا لنا غرر
 وهاك نظماً يسيراً قد تضمنه
 ولم أقل فيه إلا صدق مدحكم
 فاقبله فضلاً وقابل بالقبول له
 ثم الصلاة على المختار من مضر
 لا بد يوقعه في أسوأ العمل
 شكراً لنعماء بالتفصيل والجمل
 في الملك في خصب عيش غير منفصل
 نعمة لدفاع الحوادث الجلل
 إذ صر رتبة أهل العصر والدول
 مدح لعلياك في وقت من العجل
 وما ذكرت به شيئاً من الغزل
 لا زال قدرك فوق الشمس والحمل
 محمد وجميع الآل عن كمل (٣)

[٨٤/أ] وفي قولي : « ونيلك الملك » ((إلخ)) أخذت ذلك عن
 بعض علماء اليمن من طريق الكشف ، وكان ذلك كما كان ، كما سيأتيك
 وقت زمانه في أثناء هذا التسيير ، وأهل هذه الطريقة يسلم لهم
 حالهم (٤) .

وفي خلال مدة إقامة الشريف الحسين في « الزهراء » بنى القلعة

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) التعبير بالعادة في حق الله تعالى ليست مما أثر أو وردت في نص أو خبر ، وإنما الوارد
 « سنة الله تعالى » .

(٣) القصيدة من البسيط .

(٤) ما بين القوسين من أعلى الصفحة إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمداً وكتب : وهي طويلة
 واستيعابها ممّا ينافي الاختصار .

التي على بلاده « الكاملية »^(١) ، وهي قلعة شامخة البنيان . وهي شرق « وادي مور » في أحسن مكان .

وفيهما : كانت وفاة شيخنا السيد العلامة عبدالرحمن بن محمد الشرفي^(٢) هو سيد سامى الثريا فخراً ، وتفنن / في جميع العلوم فصار [ص ٢٧٩] بحراً ، من بيت في العلم والسيادة طويل الدعائم ، وقد عجنوا بالتقوى والفضل وحسن المكارم ، يرجع نسبهم إلى الإمام محمد بن القاسم عم إمام اليمن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم ، فهم قاسمية ، ومسكنهم بلاد « الشرف » ، وأنما انتقل بعض آباء المترجم له إلى « زبيد » ، واتخذها وطناً ، وبها ولد صاحب الترجمة ، ونشأ بها على العفاف والطهارة ، وطلب العلم حتى بلغ النهاية في جميع فنونه : من فقه ونحو وتصريف وأصول ، وأماً علم القراءات^(٣) فهو المجلي في ميدانه ، والسابق في تحقيقه على أقرانه ، حتى صار المرجع في هذا الفن في القطر اليمني ، وله مشاركة جيدة في علم الحديث ، وكان كثير الاطلاع بحيث ينقل في المسألة الواحدة ما لا يخطر بالبال من الأقوال .

(أخذ عن مشايخ)^(٤) وقته كالشيخ العلامة عبدالله بن الأمين الخليل ، ولازمه مدة ، وبه انتفع ، (وأخذ عن الشيخ الزين بن عبدالخالق)^(٥) ، وعن والده المحقق عبدالخالق^(٥) ، وأخبرني أنه أخذ عن

(١) قرية صغيرة في اليمن تبعد عن الزهرة حوالي ١٧ كم شرقاً .

انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائله ٦٦١/٢ .

(٢) انظر : نهاية القوس في ص (٢٣٩) .

(٣) الأصل : القرات .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) الزين بن عبدالخالق بن علي المزجاجي الزبيدي ، من علماء زبيد (ت/١٢٠٩هـ) .

انظر : زيارة ، نيل الوطر ٤٢٠/١ .

والده : عبد الخالق بن علي - وقيل بن علاء الدين - بن محمد باقي المزجاجي ، عالم فاضل ومحقق في كثير من العلوم (ت/١٢٠هـ) . انظر : الأكوع ، حجر العلم ومعاقله

في اليمن (المزجاجة) ٢٠٢٥/٤ .

سيدي (الوالد رحمه الله تعالى . وله مشايخ)^(١) كثيرون من أهل « صنعاء » ، بعضهم بالسمع كالسيد الحافظ عبد الله (بن محمد) [ص ٢٨٠] (الأمير ، وبعضهم بالإجازة)^(٢) (٣) ، وله بالعلم / اشتغال عظيم ، وحرص على الفوائد على اختلاف (أنواعها ، وكان لا يفتر عن)^(٣) الدرس والتدريس ، انتفع به كثير من فضلاء جهاتنا ، وغيرهم (وأخذت عليه في الفقه)^(٤) والنحو ، وفي علم القراءات قرأت عليه الشاطبية ، « وشرحها »^(٤) لشُعْلة^(٥) ، (ولازمته مدة ، ولم أر مثله)^(٦) في تواضعه وحسن أخلاقه ولطافته ، وقد أثمر تواضعه الرفعة له عند الناس كما هو مصداق الحديث النبوي « من تواضع لله رفعه »^(٧) فصار عند الناس

(١) بياض في الأصل وأثبتها من ص .

(٢) السماع والإجازة طريقتان من طرق تحمل الحديث عند المحدثين وتعريفهما بإيجاز :

أ - السماع : هو أن يسمع المتحمل (الطالب) من لفظ شيخه سواء أحدثه الشيخ من كتاب يقرؤه أم من محفوظاته ، وسواء سمع الطالب وكتب أو سمع فقط ولم يكتب ، والسماع أعلى أقسام طرق التحمل عند المحدثين ، وللسماع ألفاظ يستعملها راوي الحديث تدل عليه ، وهي : حدثنا ، أخبرنا ، أنبأنا ، سمعت ، ذكر لي ، قال لي .

ب - الإجازة : هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ، ولم يقرأها عليه ، وذلك بقوله : أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني ، أو ما صح عندك من مسموعاتي .

انظر لمزيد من التفصيل : الصباغ ، الحديث النبوي ، ص ٢٠٢ : الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، ص ١٥٦ .

(٣) بياض في الأصل وأثبتها من ص .

(٤) الشاطبية : قصيدة في القراءات ، واسمها الحقيقي : حرز الأمان ، وهي مطبوعة ، وصاحبها : القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي ، إمام القراء (ت/ ٥٩٠هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٤/٦ ، وشرحها يسمى : كنز المعاني في شرح الأمان ، مطبوع .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن محمد الموصلي ، المعروف بشعلة ، من علماء القراءات (ت/ ٦٥٦هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١٧/٦ .

(٦) بياض في الأصل وأثبتها من ص .

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤٦/٨ وأصله في صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع ٢٠٠١/٤ ، رقم ٢٥٨٨ .

بسبب ذلك بالمقام الأعلى ، وذكره بكل ثناءٍ حسن يتضوع بينهم كالمسك بل هو أغلى ، وكان يؤثر الخمول في حاله وقاله ، ويعزف نفسه عن الدنيا ، ولا يتأنق في لباسه بل على حسب ما اتفق ، فحالته حال الزاهدين ، رحمه الله تعالى وإيانا .

وكان متقلداً لمنصب الفتيا « بزبيد » [٨٤/ب] . وفتاويه كلها مسددة ، وقد اطلعت له على رسائل جمّة ، بعضها جوابات دلت على علم غزير ، وعلى جودة ذكاء وبراعة تحقيق ، وله مع علماء زمانه مراجعات ومذاكرات ، في غالبها يفوز بالحق ويفلجهم بالحجة ، وكان كثير الذكر والتلاوة والعبادة ، وفي آخر عمره كُفَّ بصره / ومن حرصه على العلم لا [ص ٢٨١] يترك الاشتغال به ؛ بل يأمر من يقرأ عليه في أي كتاب يريده . وقد حضرت عنده في مواقف عديدة بعد أن كُفَّ بصره ، ويأمرني بالإملاء عليه ، فأمليت كثيراً من كتب الفقه ، وبعضاً من الحديث ، وكثيراً من «مغني اللبيب» (١) في النحو (٢) رحمه الله تعالى .

وفيها : كانت وفاة الشريف الماجد العالم حيدر بن ناصر بن محمد ابن أحمد بن (محمد) بن خيرات ، هو من كملاء الأشراف ، وممن اتصف بالشمائل اللطاف ، له معرفة تميزه على أبناء جنسه ، أخبرني أنه أخذ في علم الفروع على الوالد العلامة حسين بن عبد العزيز النعمان (٣) ، وله عناية بالمطالعة للكتب العلمية ، (واستفاد بذلك كثيراً) (٤) ،

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ومؤلفه : جمال الدين بن هشام (ت/ ٧٦١ هـ) ، حققه وعلق عليه د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مطبوع عدة طبعات أولها عام ١٩٦٤ م .

(٢) ما بين القوسين من صفحة (٢٣٧) إلى هنا أسقطه ناسخ (ع) عمداً حيث يقول : وقد أطل القاضي في ترجمته بما يجدي .

(٣) من علماء المخلاف السليماني ، كان قاضياً في صبيا (ت/ ١٢٢٥ هـ) .

انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٧٦) .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

وكان يحب المذاكرة للعلماء ، ولا يفتر عن المراجعة (وله تعلق بأصول الدين ، ولم يزل يورد)^(١) الإشكالات في ذلك العلم ، ويطلب حلها من علماء (ذلك الشأن ، وبينني وبينه مراسلات)^(١) أنبأت عن تأهله للبحث ، وقد تولى عمالة « صبيا » (وحمدت سيرته ، وكانت وفاته بعد)^(١) تأدية فرض الحج مع رجوعه إلى وطنه ، ودفن في (بعض جزائر البحر ، رحمه الله تعالى)^(١) .

السنة الثانية والخمسون بعد المائتين والألف : (فيها تزايدت [ص ٢٨٢] الشدة على الناس) وكان ابتداء ترافع الأسعار / من سنة إحدى وخمسين ، (ولم يزل الأمر في تضايق)^(١) ، واستمرت الأزمة على الناس ، وحل بهم من القحط البأس ، (ولطف الله بعد) ذلك بسبوغ الأمطار ، وتراخست الأسعار ، فله الحمد والمنة (على نعمه التي)^(١) لا انتهاء لها ولا انحصار .

وفيهما : كانت وفاة السيد العلامة الفاضل علي بن محمد بن عقيلي الحازمي ، (هو من العلماء العاملين ، أخذ عن مشايخ وقته كسيدي الوالد رحمه الله تعالى ، والعلامة حسن بن خالد ، وارتحل إلى « زييد » وأخذ عن علمائها ، وله رحلة إلى « صنعاء » وكان متولياً للحكومة بقرية « ضمد » على سبيل الحسبة ، وأحكامه منوطة بالسداد ، وله مهاجرة في « مكة المشرفة » ، ولم يزل على الحال المرضي حتى نقله الله تعالى من هذه [٨٥/أ] الدار إلى دار القرار بقريته « ضمد »)^(٢) رحمه الله تعالى وإيانا ، آمين .

السنة الثالثة والخمسون بعد المائتين والألف: كانت وفاة السيد الإمام أحمد بن إدريس الحسني المغربي نسباً)^(٣) هو من ذرية الإمام

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) ساقط في ع .

(٣) انظر نهاية القوس في صفحة (٢٤٢) .

إدريس بن عبد الله المحض^(١) ، وهو من السادة الإدريسية الساكنين بالغرب ، وهم أشهر من أن تتشر أخبارهم ، وهو شيخنا إمام العارفين ، وقدوة الزاهدين ، ورأس المتقين ، قد صفا قلبه وقالبه لله ، فصارت الطاعة له سجية وجبلة ، وظهرت عليه أنوار العبادة ، وصار له التأله والذكر / عادة ، أوقاته مشغولة بالطاعات ، لا تكاد تسمعه يتكلم بشيء [ص ٢٨٣] من المباحثات^(٢) ، بل إماماً ذاكر أو تال^(٣) أو مجيب سائل ، وله في بدايته رياضات من صيام وصلاة وتلاوة ، لقي مشايخ وقته ، فأخذ عنهم علم الطريقة^(٤) ، وأكبر شيخ له كما أخبرني الشيخ العارف عبد الوهاب التازي ، حتى صار في أوان شبابه إمام القوم ، وقدم على قدم التجرد من بلده المغرب إلى « مكة المشرفة » سنة (أربع عشرة بعد المائتين)^(٥) والألف .

ولم يزل يدأب في الطاعة ، وجعل مبلغ همه (الاشتغال بالتنقيير عن خفايا الكتاب)^(٥) العزيز ، حتى إنه حدثني أنه قصر فكره نحو ثلاثين سنة على (استخراج اللطائف من كتاب الله تعالى)^(٥) موكلاً فهمه لاستنباط العلوم (منه) على اختلاف أنواعها ، (فصار بذلك ترجمان القرآن ، وسارت)^(٥) بذكره في تحقيق علم التفسير الركبان ، وصار إذا تكلم في تفسير آية (قرآنية فيأتي بما يبهر)^(٥) السامع من أنواع العلوم ، ممماً يدل على أن ما أعطي إنما هو موهبة من (الله تعالى . والكلام في)^(٥)

(١) إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب سنة ١٧٢هـ وإلى نسبها (ت/١٧٧هـ) .

انظر : ابن خلدون ، تاريخ المبتدأ والخبر ، ٢٣/٤ : الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ،

٤٨٧ : الزركلي ، الأعلام ١/٢٦٧ .

(٢) هكذا في الأصل ولعلها : المباحثات .

(٣) الأصل : تالي .

(٤) الطريقة الصوفية : الأحمدية .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

علم الموهبة معروف ، وقد استوفى الكلام فيه في « لطائف المنن »^(١) لأبي العباس المرسى^(٢) ، ويدل على صحته قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾^(٤) .

[ص ٢٨٤] ومال إلى الاشتغال بعلم الحديث / حتى صار من حفاظه ، وجعل الكتاب والسنة إماميه ، وتقيد بهما حالاً وقالاً ، ومشى على سنن السيرة المحمدية طريقة وفعلاً ، ولم يكن له في زمانه من يدانيه في الحفظ والاستحضار ، وحسن التعبير في إيراد المسائل والإصدار ، لو أن كلاماً أذيب له صخر ، أو أُطْفِئَ به جمر [٨٥/ب] أو عوفي به مريض ، أو جبر به مهيض ، لكان كلامه الذي يقود سامعه إلى السجود^(٥) ، ويجري في القلوب كجري الماء في العود :

فترى المعالي طوع بالغ أمره فكأنه ملك البيان بأسره^(٦)

وكان مدة إقامته « بمكة المشرفة » تجري بينه وبين علمائها (المراجعة) فيفلجهم بالحجة ، ولا يستطيع منهم أحد أن يقاومه في المراجعة ، لما هو عليه من سرعة البادرة والاتساع في المعارف العلمية ، وله قوة فكر في أخذ الدليل من الكتاب والسنة ، استنباطاً وانتزاعاً ، وهو لا مذهب له غير ما دلَّ عليه الدليل من كتاب وسنة ، وكان يكافح أولئك

(١) اسم الكتاب : لطائف المنن في مناقب المرسى وأبي الحسن ، مطبوع ، ومؤلفه ليس كما ذكر المؤلف هنا بل هو : أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري (ت/٧٠٩ هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢١٣/١ : الشوكاني ، البدر الطالع ١٠٧/١ :

- G . Makdisi El 2 . article { Ibn Ata Allah } .

(٢) أحمد بن عمر الأنصاري ، فقيه متصوف ، أصله من المغرب ، وقيل من مرسية في الأندلس ، ونزل الاسكندرية وبها توفي عام ٦٨٦ هـ .

انظر : النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ٥٢٠/١ - ٥٢٢ : الزركلي ، الأعلام ١٧٩/١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٢٩ .

(٥) هذا الكلام مجانب للصواب ، والوصف المذكور إنما يتحقق في كلام الله تعالى الذي لو أنزل على جبل لخضع وتصدع ، أما كلام البشر فيبقى كلام بشر لا يصح أن يوصف بأكثر من ذلك وأي كلام سيأتي يقود إلى السجود ، فإن كان تلاوة لكلام الله فليس له فيه مزية ، وإن كان من كلامه وهو بشر ، فما جعل شيء من كلام عامة البشر بهذه المزية .

(٦) البيت من الكامل .

بتزييف هذه المذاهب ، والعكوف على ما مضى عليه الناس من التقليد ،
ويعلن لهم بأن قَصَرَ الحق على هذه المذاهب المعروفة من البدع . وأن
الجزم بتعذر الحكم من دليله لا مستند له ، وأنه من تحجّر الواسع : لأن
فضل الله . سبحانه . غير (مقصور على شخص دون)^(١) / شخص ، [ص: ٢٨٥]
والفهم الذي هو شرط التكليف قد منحه الله . تعالى . على كل (أحد ،
ولو كان مختصاً به أحد دون)^(١) (أحد) ، أو زمان دون زمان ، لما قامت
الحجة على العباد بالكتاب (والسنة ، وهذا لا يرتضيه أحد ، وهذا)
الصنيع من كفران النعمة ، وقد تكلم في هذه المسألة (جماعة من أهل
العلم ، وأفردها الشيخ)^(١) صالح الضلّاني^(٢) بمؤلف^(٣) ، وأحسن من
أجاد في الكلام على (هذه المسألة الإمام محمد بن إبراهيم)^(٤) الوزير
أودعه في « عواصمه »^(٥) .

نعم : فانحرف عنه علماء (« مكة » لهذا السبب ، ولله در القائل :
ألا قل لمن بات لي حاسداً)^(٦) أتدري على من أسأت الأدب
(أسأت على) الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب^(٧)
(ومع هذا أنهم)^(٨) إذا أشكلت عليهم مسألة دسوا إليه من يسأله ،
فيجلبّوها لهم ، وقد نشر الله . تعالى . له من الصيت ، وحسن الذكر ما ملأ

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٢) صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله العمري ، المعروف بالفلّاني ، نسبة إلى فلّان
بالسودان ، عالم بالحديث ، مجتهد من فقهاء المالكية بالمدينة المنورة (ت/ ١٢١٨ هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/ ٢٨١ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ، ٤٢٣ .
(٣) لعل هذا الكتاب : إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ،
مطبوع .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٥) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، سبق التعريف به .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٧) البيتان من المتقارب .

(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

الآفاق ، وما ضره حسدهم ، ولا تمألؤهم على غمط فضائله ، والاتفاق على أنه ظاهر السريرة ، صافي القلب من داء الحسد والحقد ، فما يعاملهم بغير الجميل ، والدعاء لهم بالهداية إلى سلوك سواء السبيل ، وكان عند ملوك « مكة » هو العين الناضرة ، منزولاً عندهم في أرفع [ص ٢٨٦] المنازل ، ملحوظاً بعين الإجلال [٨٦/أ] / في جميع المحافل ، مع أنه غير راغب في الميل إلى الدنيا ولا أربابها ، ولكن قد جرت العادة أن من أثر خدمة الله - تعالى - أقبل بقلوب الخلق إليه .

وفي آخر مدته خرج من « مكة » إلى اليمن ، وكان وصوله إلى « زبيد » سنة ثلاث^(١) وأربعين بعد المائتين والألف ، وتلقاه شيخنا الحافظ السيد عبدالرحمن بن سليمان ، وجعل نفسه له مقام التلميذ ، وأجله غاية الإجلال ، ولا يعرف الفضل لذي الفضل إلا ذوو الفضل من كملاء الرجال ، وأقام مدة ينشر على المستفدين درر الفوائد ، ويعد عليهم من لطائفهم موائد ، حتى ترجع له المسير نحو الشام^(٢) ، فشق على ذلك القوم مسيره ، وأنشد لسان حالهم قول بعض الأنام :

أيها السائر عنا عـجـلاً أينما سرت فما عنك خلف
إنمـا أنت سـحـابٌ هـاطـل حيثما صرّفه الله انصرف
ليت شعري أي قوم أجذبوا فأغيثوا بك من بعد التلف^(٣)

وأنشد المنشد وقد اجتمع هنالك المودعون ، وحضر لديه (المشييعون، بعد أن شدت الرحال)^(٤) ، لقصد الترحال ، وممّا مدحه به صاحبنا العلامة الأديب (عبدالكريم بن حسين العتمي رحمه الله تعالى)^(٤) :

(١) الأصل : ثلاثة .

(٢) هذا من استخدام المؤلف لمفهوم الشمال في كلمة « الشام » عند أهل المنطقة ، والمراد الاتجاه من زبيد إلى صبيا .

(٣) الأبيات من الرمل .

(٤) بياض في الأصل وأثبتها من ص .

/ أَمَا أَن أَن يَسْتَوْقِفُ الرِّكْبَ مَنْشِدَ
عَلَى رِسْلِكُمْ لَا تَعْمَلُوهَا فَإِنَّمَا
خَذُوا مِنْ ثَرَى آثَارِهَا قَبْضَةً لَنَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ « الْعَقِيقَ » تَشَعَّبَتْ
دَخَرَتْ دُمُوعَ الْعَيْنِ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ
أَلَا فَادْكُرُونَا طَوَّلَ اللَّهُ عَمْرَكُمْ
عَلَى أَنَّنَا لَا نَعْرِفُ الْخَبْرَ إِنَّمَا
قُصُورُ تَدَانِي شَامَخَاتٍ « يَلْمَلَمُ » (٢)
وَنَحْنُ وَإِنْ كُنَّا شَيْوُخًا فَإِنَّمَا
وَقَدْ رَضِعْتَ مِنْ حَافِلِ الْفَيْضِ عَنْكُمْ
وَقَدْ تَعْلَمُوا أَنَّ الرِّضَاعَ لِمُدَّةٍ
/ أَبِي اللَّهِ أَن يَنْأَى بِنَا طَلَبَ الْعِلَا
نَزَلْتُمْ بِنَا لَا يَلْ نَزَلْنَا لِأَنَّنَا
كَأَنَّكَ حَوْضُ الْمَزْنِ طَاطَأَ نَفْسَهُ
كَأَنَّكَ رُكْنُ الْبَيْتِ أُعْطِيَ قُدْرَةَ
وَإِنَّكَ ظَلَّ اللَّهُ مَدَّ رَوَاقَهُ
وَإِنِّي (لِلثَّانِي فِغَارَةٌ) (٣) مَشْفُوقٌ
وَصَلِّ صَلَاةَ اللَّهِ طَيِّبَ سَلَامِهِ
/ مُحَمَّدَ الْمُحَمَّدُودِ ذَاتًا وَعَنْصَرًا

وينجد (ملهوف الشكاية منجد) (١) [ص ٢٨٦]
مواطنها أحشاء (قوم وأكبد) (١)
فطبيب ثراها (للتواظر إتمد) (١)
مجاربه في خد (الحزين تنجد) (١)
لما بعده فالיום (للأمس مسعد) (١)
فقد قال (مخدوم الصبا غاب هدهد) (١)
بنا ما بنا مِمَّا يقيم ويتعد
وعجز عليه شاهد الحال يشهد
لأحلامنا مهد الأصاغر تمهد
لبان هدى يروي الغليل ويرشد
وما كملت فاستكملوها وأسعدوا
على كيف ما كنا وأحمد أحمد [٨٦/ب]
وردنا حياضًا لَمْ تكن قبل تورد
فيا حبذا منكم شهود ومشهد
فسار إلى من عنه مسراه يبعد
تقياء منّا قريب ومبعد
عليه لئلا يشبهن يومه الغد
على من عُلَاهُ دائمًا يتجدد
مع الآل والأصحاب ما الله يعبد (٤) [ص ٢٨٨]

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) يلملم : واد في بلاد الجحادلة ، يقع على بعد حوالي ١٢٠ كم جنوب مكة المكرمة ، وهو
ميقات أهل اليمن المعروف .

انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ١٢١ و ٢٢٢ ؛ الجاسر ، المعجم الجغرافي
١٥٠٠/٣ .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٤) القصيدة من الطويل .

فحصل هناك الضجيج والبكاء للفراق ، وتجادبوا في ذلك الموقف أحاديث الأشواق ، وانتهى مسيره (إلى جهاتنا هذه)^(١) ، وكانت إقامته « بصبيا » ، ووصله إليها سنة خمس وأربعين (بعد المائتين والألف ، وأقام من)^(١) هذا إلى عام وفاته بها .

وقد وقفت بين يديه نحو ثلاث (سنين ، ارتضع منه أخلاف المعارف)^(١) ، وأقتطف من أزهار علومه اللطائف ، واستمدت (منه علوم الطريقة)^(٢) (٣) وجبذني إلى مجاز تلك الحقيقة ، وقد كتبت عنه كثيراً من العلوم . ولم تر عيني (مثله في نسكه وإقباله)^(٣) على الله تعالى ، وفي حسن تصرفه في المعارف العلمية ، ولو شرحت ما له من (الأحوال الإلهية لطالت)^(٢) ، ولو أوردت^(٤) جملاً من علومه لعجز القلم عن إحصائها إذا (توالى ، وإن كان)^(٥) في الحقيقة يقصر عن وصفه قلبي ولساني ، ويضيق صدر هذه الأوراق عن التعبير بما أجنه جناني ، وعلى الجملة ؛ فإنه ملك العلم بأزمته ، والعرفان بجزئيته وكييته ، على أنا علمنا الفضائل وما نرى [ص ٢٨٩] أجراً منه في ميدانها ، ولا أحسن تصرفاً منه لعنانها ، وأيم الله / الذي خلقه في أحسن تقويم ، وحباه هذا الفضل العظيم ، أني^(٦) ما شاهدته خصوصاً إذا خاطبته إلا رأيت العلم والعرفان يلوحان من شمائله ، ورأيت أعيان علماء الدهر عيالاً على فضائله ، وقرأت نسخة التقوى من وجهه ولحاظه . واقتضت شوارد الإفادة من ألفاظه ، وتذكرت قول ابن الرومي :

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) الطريقة الأحمدية التي روج لها أحمد بن إدريس في المخلاف السليماني ، والمؤلف هنا وقبل هذا في الصفحة (٣٤١) ذكر الطريقة ، يقصد بها طريقة من طرق الصوفية ، وهذه الطرق كلها مبتدعة ليس عليها دليل ولا برهان ، ولو كانت خيراً لأرشد إليها خير البرية عليه الصلاة والسلام ، ولسبق إليها أئمة الهدى الأخيار من الخلفاء الراشدين وصحابة سيد المرسلين ومن تبعهم بإحسان ، وهذه الطرق بدع شاعت ثم أصبحت ذات اتجاهات شبه حزبية عليها بقصد القرب والبعد والصداقة والفرقة ، وكلها مما لم ينزل الله تعالى به سلطاناً .

(٣) بياض في الأصل وأثبتناها من ص . وهذه كلها مزاعم باطلة ، ومبعثها العجب دون تفكير أو إعمال للعقل بما جاء به الشرع .

(٤) الأصل و ص : أردت ، ولا يستقيم بها السياق .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٦) الأصل : أنه .

/ لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب^(١) [١/٨٧]
وثبت بقول كشاجم^(٢) : « ما كان أحوج ذا الكمال إلى نقص يوقيه
من العين » ، وقد أثبت في غير هذا الموضع من درر فوائده العلمية ، ولآلئ
قلائده الحكمية ، ما يتمناه جيد كل عطبول ، ويسكر برؤياه الشمول :
وقد أطل ثنائي طول لابسه إن الشاء على التبال تتبال^(٣)
فالله . سبحانه . يرحمه ، ويجمعنا به في جنات عدن مع الذين أنعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء آمين آمين ، وقد قيلت فيه
مدائح كثيرة ، ورثي بمرات عديدة بعد موته ، سرد ذلك يناغي الاختصار .
وقد أثبت البعض منها في « حقائق الزهر »^(٤) (٥) .

(ودخلت سنة أربع وخمسين بعد) (المائتين والألف)^(٦) لم يزل
الشريف في هذه المدة مقيماً في أوطانه ، متمتعاً / بأحبائه (وسكانه ، [ص ٢٩٠]
وعيون)^(٦) الدهر نائمة عن الحوادث ، فما كدر صفاء أوقاته بكارث ،
ولكنه (علق به الألم ولازمه ، وهو مع ذلك)^(٧) صابر بما حتم به القضاء ،
ومقابل أمر ربه (بالتسليم والرضا ، حتى دعاه داعي مولاه)^(٨) فأجاب ،

(١) البيت من البسيط .
(٢) محمود بن الحسين (أو محمد بن الحسين) بن شاهك ، المعروف بكشاجم ، شاعر
وأديب من كتاب الإنشاء ، ولفظ كشاجم لقب له منحوت من علوم كان يتقنها : الكاف :
للكتابة ، والشين : للشعر ، الألف : للإنشاء : الجيم : للجدل . الميم : للمنطق . وقيل :
لأنه كان كاتباً شاعراً أديباً جميلاً مغنياً (ت / ٢٦٠ هـ) .
انظر : زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٥٦١ / ١ : الزركلي ، الأعلام ٤٣ / ٨ : أميني ،
الغدير ٢ / ٤ - ٢٠ :

- C.H. Pellat , El 2 , article { Kushadjim } .

(٣) البيت من البسيط وهو للمتبني ، انظر : الديوان ، ٢٨٦ / ٣ .
(٤) انظر : حقائق الزهر ، ١٣١ - ١٣٤ .
(٥) ما بين القوسين من صفحة (٢٣٥) إلى هنا أسقطه ناسخ ع عمداً وقال : وقد أطل في
ترجمته رحمه الله .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .
(٧) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : علق به المرض وكان .
(٨) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، وفي ع : بالتسليم والرضا إلى أن .

وارتحل من هذا العالم الدنيوي والدموع (عليه في انسكاب ، وحمل بعد موته)^(١) بعد أن زهت به صهوات الخيل على ظهر السرير ، وألبس بعد (حسن الثياب في السلم)^(١) والدروع في الحرب الكفن الحقيق^(٢)، وصار عبرة تسال عندها (العبرة بعد أن كان قرة)^(١) عين الأحباب، وضاجع بعد الفراش على متون (الأسرة التراب، وتعوض بعد) ذلك الملك الفسيح، نزوله في الضريح ، وأهيل عليه الصعيد (بعد أن حمل يوم الوغى الصعاد، ونفضت الأيدي بعد دفنه وكم قد نفّض (على ظهور الأضداد)^(١)، ورُشَّ على قبره الماء بعد أن جاد بسيب الإنعام ، وصار خبراً بعد أن حدثت بوقائعه وفتكاته الأيام ، وبكت عليه المكرمات والمناقب على كرور الشهور ، وأيست الليالي أن تعزز بنظيره في مستقبل الدهور، فسبحان من تفرد بالبقاء، وقهر غيره بالفناء، وقد استحق أن يناح على علاه بهذه المراثاة^(٣) :

[ص ٢٩١]	حتى متى لعظيم الذنب تحترق
[٨٧/ب]	وما سعت لطاعات الإله لكي
تسعى للهو شديد ليس تنزجر /	عسى تظن بأن الدار دار بقا
تجزى الجنان وتكفى دائماً سقر	(٤) وكيف تحلو لنا الدنيا وقد عبرت
لقد ظننت الذي ما ظنه بشر	نرى السرور بها في غبة جزع
لذاتها فهي لا سمع ولا بصر	كم من أناس على ظهر البسيطة قد
والخير يتبعه من حينه الضرر	أين الملوك التي كادت تحفهم
كانوا فزالوا فلا عين ولا أثر	فأصبحوا ليس يخشى اليوم سطوتهم
لعظم ما قد أتوه الشمس والقمر	والدود يغشى وجوهاً طالما انتعمت
بيوتهم بعد ملك طائل حفر	
بالمترفات عليها الوشي والحبر	

(١) بياض في الأصل وأثبتها من ص .

(٢) هذا الوصف خطأ ، فالكفن ستر المؤمن المشروع ، ولو كان حقيراً لما كان سترًا للمؤمنين ، ولما ارتضاه لأمته سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، وداعي السجع هذا بهذه الصورة غير مستساغ من أي وجه .

(٣) القصيدة من البسيط ، وقد أوردها المؤلف في ديوان الشعر ، مخطوط ، ٣٠ .

(٤) انظر نهاية القوس في صفحة (٢٥٠) .

من بعد أن دوّخوا الدنيا بسطوتهم
 شادوا المباني (فأضحت وهي ناكسة) (١)
 (وهكذا كل أهل الأرض قاطبة) (١)
 (إن المنايا كفانا الله محنتها) (١)
 (وقد دها خطب من) (١) عمت مصيبته
 (علي بن حيدر من فاقت) (١) مناقبه
 (هو الشريف فلا شخص) (١) يشاكله
 (يفل في الحرب أبطال) (١) الرجال ولا
 فإنه الأسد المقدام يوم وغى
 وسل وقائعه في كل ناحية
 في كل حرب له بالفتك قد شهدت
 / ففتكه بالعدا في كل معركة
 شجاعة من أمير المؤمنين له
 فلا يغض على ضيم لناظره
 / ذاك الملك الذي في الأرض قد طلعت
 قد عاش حقاً حميداً لم يشب زمناً
 وكانت الناس في أمن وفي دعة
 كم قاد (٢) جيشاً لمن ناواه في عجل
 أروى القواضب منهم فهي ناهلة
 وكان غيتاً عطايا مضاعفة

وما يناضلهم في ملكهم نفر
 تكفي اللبيب الذي بالوعظ يعتبر
 وما لكل امرئ من حكمها وزر
 تردي الذي صار في اللذات يزدهر
 وكان حقاً هو الصمصامة الذكر
 على مصيبته الأكباد تفتطر
 بيعض عليها أهل العصر قد فخرُوا
 لوم عليهم إذا من فتكه ذعروا
 فسل عداه إذا في الحرب قد حضروا
 فعندها بفصيح المنطق الخبر
 بيض الصفائح والخطية السمر
 أنسى بأخبار من يأتي ومن عبروا [ص ٢٩٢]
 إرث ومن طيب أصل المجتبي الثمر
 ولا تراه لدى البأساء ينهصر
 له على ملكه من سعده غرر [١/٨٨]
 في المكرمات له في حالة كدر
 في ظلّه ما اعتراهم بالعدا ضرر
 فعاد جيش الأعادي وهو منكسر
 من الدماء فلا تبقى ولا تذر
 كم نيل بالجود منها (٢) التبر والدرر

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٢) في الأصل وص : مدّ ، والتعديل من ديوان المؤلف ، مخطوط ، ٣١ ، وكلمة منها في

الديوان : منه .

إن أخلف الغيث عن عافٍ له وأتى إليه فالسيب من كفيه ينهمرُ
 يجود بالوفر لكن من مكارمه وحسن أخلاقه يعطي ويعتذرُ
 وكان ظلاً ظليلاً للأنام فلا يسأم بالخسف من يأتيه ينتصرُ
 لو كان يُفدى فقيد بعد مصرعه إذن (فدته قلوب حشوها شررُ) (١)
 فالناس في حُزنٍ من خطبه وهم في كل (هم وغم ليس ينحصرُ) (١)
 ما خُصَّ ذوه مصاباً في كريمهم بل عمّ كل (الورى إذ غُيب القمرُ) (١)
 لتبكه الناس في شامٍ وفي يَمَنٍ فإنه بفعال (المجد مشتهرُ) (١)
 وتبكه الخيل في أيام معركةٍ فذاك فارسها (والحرب تستعرُ) (١)
 ويبكه الرمح إذ قد صار في يده يردي الأعادي في (ورد وإن صدرُوا) (١)
 كذا السيوف عليه فهي باكية دم الأعادي له من (فعلها هدرُ) (١)
 [ص ٢٩٣] / والسابغات فكم أودى بها حزن بلبسه هي في الأزمان تفتخرُ
 فالله يرحمه فضلاً ويسكنه أعلى الجنان وللزلات يغتفرُ
 ولا يزال يوافي قبره كرمًا من الإله صنوف الخير والمطرُ
 وبالنبي التأسى في مصيبتة لذي الأسى وفي هذا لنا الظفرُ
 صلى الإله عليه كل آونة ما مال بالورق في روضاته الشجرُ
 وآله الغرّ والأصحاب إنهم لكل من رام رشداً أنجم زهرُ) (٢)

(١) بياض في الأصل والزيادة من ص .

(٢) أسقط ناسخ بقية القصيدة من صفحة (٢٤٨) إلى هنا عمداً وكتب يقول : أعرضت عن استيعابها من الأصل اختصاراً !! .

[٨٨/ب] وكانت^(١) (وفاته يوم الثلاثاء^(٢) خامس عشر شهر جمادى الآخرة ((من هذه السنة المذكورة)) و^(٣) ميلاده سنة اثنتين^(٤) وثمانين ومائة وألف (كما حدث بذلك بعض المطلعين^(٥)) ، وقد كان - رحمه الله تعالى - أيامه سرور وأعياد ، متفياً ظلال الإمارة خالغاً للأنكاد ، عاش في دهره حميداً ، وفارق الدنيا سعيداً^(٦) وخلف - رحمه الله - بنين وحفدة أمجاداً ، تتفاخر بهم العصور والآباد :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري^(٧)

(خلّد الله دولة سيادتهم ، وأطال عمر سعادتهم :

أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا^(٨)

(١) الأصل : وكان .

(٢) الأصل : الثلوث .

(٣) سقطت العبارة في ع .

(٤) الأصل : اثنين والصواب من ص .

(٥) لقد أشارت إحدى الوثائق المؤرخة في ١٧ شوال ١٢٥٣هـ إلى وفاة الشريف علي بن حيدر

والسيد أحمد بن إدريس ، وهذا يدل على أن تاريخ الوفاة الذي أشار إليه المؤلف محل

نظر ، ولم أعر على ما يثبت تاريخ الوفاة الفعلي .

انظر : خط همايون وثيقة رقم : E/٢٠٥١٧ وتاريخ ١٧ شوال ١٢٥٣ هـ ، أرشيف رئاسة

الوزراء ، إستانبول .

(٦) سقطت العبارة في ع .

(٧) البيت من البسيط .

(٨) سقطت العبارة والبيت في ع .

الفصل الثالث

في أيام الشريف الحسين بن علي بن حيدر

(١) (هو الشريف الحسين بن علي بن حيدر) (٢) بن محمد بن

أحمد بن محمد بن خيرات .

(نسب علا فوق السماء) (٢) مناره غطت على شمس الضحى أنواره
/ (وتضاحكت) أزهاره وزهوره وعلا على أعلى الفخار فخاره (٣) [ص ٢٩٤]

(هو شريف شرفت) (٤) به عشيرته ، وإنما ظهرت عليهم بحسن
مناقبه مزيته ، (همام ناطح بهمته) (٤) الثريا ، وبلغ بها أعلى المفاخر التي
لسواء لا تنهياً ، ماجد (حاز شرف الأرومة) (٤) ، في طريق الأبوة والأمومة ،
تناول المكارم من الطرفين (عن آباءه) (٤) أصالة ، ولم يرثها كفيhre عن
كلالة ، شجاع تتقي الأسود الضواري بطشاته ، وتتجنب الشجعان في يوم
النزال ملاقاته ، بطل كم جندل في يوم الوغى من أبطال ، وكم غذى بدم
الأعادي المشرفية والرماح الطوال ، تراه لشدة بأسه عند اصطدام
الحوادث ، وإظلال سوادها الكارث ، ووجهه وضاح وثغره باسم (٥) ، غير
متهيب لذلك الخطب الفادح لغيره من العوالم ، مقدم قدمته على

(١) تم استبعاد نسخة (ع) من المقارنة إلا للضرورة القصوى نظراً لأن ناسخها يسقط بعض المعلومات ، ويقوم بإضافة بعض العبارات من ذاته ، كما رأينا في الصفحات السابقة .

(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٣) البيت من الكامل .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) إشارة إلى قول المتنبي :

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

انظر : الديوان ٢٨٧/٣ .

السادات أفعاله تقديم « بسم الله » على المصاحف ، شهم كم إلى المعاندين له من جيشٍ حاملٍ للمنية زاحف ، كريم يقصر عن كرمه [١/٨٩] متراكم الغمام إذ ينهمر ، يبتدئ بهبات الكثير فيستقل عطاياه ويعتذر ، ملك قصرت عن مساعيه الملوك^(١) الأكابر ، بما تحقق أنه^(٢) كم ترك الأول للآخر .

مولده : سنة خمس عشرة^(٣) بعد المائتين والألف ، [و] تقلد الإمارة عام وفاة والده ، وكان إبراهيم باشا كما قدمنا هو المتولي لباشوية اليمن ، [ص ٢٩٥] فطلب / إليه المذكور بندر^(٤) « الحديد » ، وعول عليه أن يستقيم بالأمر على حسب ما عليه والده ، ففي مبادئ الأمر امتنع لعلمه بصعوبة هذا المقام ، لا سيما من عرف خطر الإمارة وما يستلزم الوقوع فيها من الآثام ، ولكن لما كان غيره لا يقوم مقامه في هذا الأمر الجلل ، ساعد في الدخول في الإمارة لصالح الخلق وقال : « مكره أخاك لا بطل »^(٥) .

وبعد أن استقل بتلك الإمارة رجع إلى « أبي عريش » ، وتفقد الأمور وقرر أحوال الناس ، ورتب المملكة على أحسن إحكام وقياس ، وبدا له بعد ذلك التصليح لرعايا « الحرث » لأنه يظهر منهم التعدي على بعض الرعايا ، (فألزم الناس بالجهاد)^(٦) ، واستصحب جماعة من عسكر الباشا الذين « بأبي عريش » ، وبلغ (المقصود من صلاح الأحوال ، وساس)^(٦) أمورهم من غير أن يفتح عليهم قتال .

(١) في الأصل : الملك ، والصواب من ص .

(٢) في ص : إذ .

(٣) في الأصل : خمسة عشرة وفي ص : خمس عشر .

(٤) في الأصل : بندر .

(٥) مثل يضرب في حمل الرجل على ما ليس من شأنه بالإكراه . انظر : الزمخشري ، المستقصى ٢/٢٤٧ .

(٦) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

وكانت غيبته نحو (نصف شهر ، وكان رجوعه)^(١) إلى مدينة « الزهراء » ، واستقر بها أياماً ، ووصل إلى الباشا لقصد (المفاوضة فيما يعود على)^(١) المملكة بالصلاح ، وكأنه ظهر له من الباشا في غضون مجازاة (الأحاديث تلويحاً)^(١) ما يؤول إلى المباينة من غير إفصاح ، والله القائل :

/ ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم^(٢) [ص ٢٩٦]

وكان هذا الباشا لم يكن له ممارسة بمعرفة أحوال الأنام ، ولم تحنكه التجارب على كرور الأيام ، مع تربيته في حجر الباشا محمد علي ، ونشأته تحت ظل نعمة الأمان ، والحدائث والسلطان ، وقد قيل :

سكرات خمس إذا مُني المرءُ بها صارت نهبة للزمان
سكرة المال والحدائث والعشق وسكر المدام والسلطان^(٣)

وكان أذنًا واعية لمقال النمام ، مائلاً إلى كلام أهل الأغراض من الأنام ، مع اتصافه بداء الحسد ، الذي ما خلا عنه جسد .

دأء دعا قاييل من قبله إلى الذي أحدث في صنوه^(٤)

[٨٩/ب] وكان يترقب لإنزال الضرر بالشريف الدوائر ، ويود أن يلحقه لو قدر بالأمس الدابر ، مع أنه لم يصدر إليه من الشريف إلا كل فعل جميل ، ومحاسن يضيق عن حصرها صدر التحصيل .

إذا محاسني اللاتي أمت بها صارت ذنوباً فقل لي كيف أعذر^(٥)

(١) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٢) البيت من الطويل ، والقائل : زهير بن أبي سلمى ، انظر : الديوان ، ٨٨ .

(٣) البيت من الخفيف .

(٤) البيت من السريع .

(٥) البيت من البسيط ، والقائل : البحتري ، انظر : الديوان ٩٥٤/٢ ، وورد فيه البيت

هكذا :

إذا محاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعذر

ومع هذا الواقع لم يخلع يداً من طاعة ، ولم يفارق أولئك الجماعة ،
جنوحاً إلى الوفاء الذي هو صفة كملاء الرجال ، وتفادياً ممّا لا يحسن في
الحال والمآل ، ولسان حاله ينشد قول من قال :

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر ما يفني عن الحيل^(١)

وفي أثناء هذه المدة وصل جند من « يام » من طريق فجّ « حرض »
[ص ٢٩٧] / فوق على الباشا إبراهيم حاصل عظيم خشية من أولئك الأجناد ، لما
علم من سطوتهم ووقائعهم في هذه البلاد ، فعول على (الشريف في سد
هذه المعضلة)^(٢) ، وتلافي هذه الحادثة المنزلة ، فباشرا الأمر بنفسه ،
وطلب (منهم المراهين لديه) حتى يقطعوا بسيرهم حدود مملكة
الباشا : لأن مرادهم (إلى قطعهم « حراز »)^(٣) ، والباشا قرأ أجناده^(٤)
مستقرهم بقرية « الزيدية » ، ووافاه الشريف (في « الزيدية » قبل أن
يمروا بتلك)^(٤) الأطراف ، ومضوا على حالهم ولم يصدر منهم خلاف ،
(ووقعت المفاوضة بين)^(٤) الباشا والشريف في أمور من جهة بعض
الرعايا ، ومنع الباشا (من دخول ذلك البعض)^(٤) تحت طاعة
الشريف ، مع أنهم رعية آبائه من قبل من غير (تبديل ولا تحريف ،
وليس)^(٤) للباشا مصلحة في أولئك الرعايا ، ولكن أراد أن ينتج (الغدر
على الشريف من)^(٤) هذه القضايا ، عطفاً على تلك الأوهام التي
ألقاها إليه الحساد ، مع أن ذلك خيال كاذب ، والشريف بريء ممّا يقول
الأضداد :

(١) البيت من البسيط ، والقائل : الطفرائي في لاميته المشهورة .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) بلدة تقع غرب مدينة صنعاء ، وتبعد عنها حوالي ٨١ كم ، كانت وما زالت مركز الباطنية
في اليمن .

انظر : المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ١١٤ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها
٢٥٢/١ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

شيئان ما أعيا الأنام سواهما لَوَمَ البريء وتهمة المتودد^(١)
هذا كله في عام خمسة وخمسين بعد المائتين والألف ، فرجع
الشريف إلى قرية « الزهراء » وقد تجاذب هو والباشا / أذيال الشقاق ، [ص ٢٩٨]
وعزم أن لا يكون بينه وبينه بعد هذا اتفاق .

ومن هنا لاح بالسعادة بارق الخلاف ، ونادى منادي القدر بعدم
الائتلاف ، ورأى الشريف أنه بما صدر منه قد برأ من عهده الذي كان
[٩٠/أ] ، وأن أيديهم الممتدة إلى أذيته لا يقطعها غير حدّ المشرفي ورأس
السنان .

لا تُرَجِّي من الأعاجم خيراً فبعيد من السراب الشراب
رونق كالْحَبَاب يعلو على الماء ولكن تحت الْحَبَاب حُبَاب^(٢)
عظمت في النفاق ألسنة القوم وفي الألسن العذاب الْعَذَاب^(٣)
وترجع له بعد هذا المسير إلى « أبي عريش » ، وألزم الناس
بالجهاد ، وزحف بجيش كثيف إلى بني « الحرث » لقمع ما هم عليه من
الفساد ، وتم له على ما يريد من الصلاح المراد ، وانفصل إلى جهة « الفج »^(٤)
واستقر مطرحة هناك مدة ، وقد سبق في علم الله . تعالى . أنها قد
انقضت لموالاته للأتراك العدة ، فبدا وميض بارق الاتصال بعسير ، وظهر
مباينة الشريف للأتراك وإنّ أسرّه في الضمير ، وأرسل من هناك بعض
الأعيان ، ليصلح بينه وبين الأمير عاثر الشأن ، ويطلب منه الإعانة على

(١) البيت من السريع .

(٢) الْحَبَاب بالفتح : نفاخات الماء وفقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير ، والحَبَاب بالضم :
الحية ، وقيل : هي حية ليست من العوارم . انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة :

(حَبَب) .

(٣) الأبيات من الخفيف ، والقائل : القاسم بن عمر بن منصور الواسطي ، انظر : الفيت
المسجم للصفدي ٢/٢٤٩ ، وقد ورد الشطر الأول من البيت هكذا :

لا ترد من خيار دهرك خيراً ، أما أن هذا الوصف لازم لهم لأنهم أعاجم فهذا بجانب
للحق والصواب ، وليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح ، والنفاق
وجد من بعض العرب في عهد النبوة ، والتحامل غير المسبب لا يليق من العامة ، فكيف
بمن له بالعلم تعلق ، والمؤلف مرة يمتدح الخروج على الأتراك كما هنا ، ومرة يعمل
الدخول في طاعة ولاتهم ، وليس ثمة قاعدة يركن إليها في هذه أو تلك .

(٤) الفجّ : غير معروف ماذا يقصد المؤلف بذلك ولعله فجّ حرص .

إخراج الأتراك من اليمن ، ويحثه على اجتماع كلمة العرب^(١) لدفع تلك المحن ، وتوجه بعد ذلك إلى جهة (« الخميسين » ، ووقع من قبائلهم [ص ٢٩٩] بعض)^(٢) خلاف ، / وناوشوا ، وقتل من الجانبين جماعة ، وطلبوا (الإغاثة من القوم المُحَادِّين)^(٢) لبلادهم ، وحصل جمع كثير ، وما زال الحرب قائماً في العشي (والهجير ، وبعد [ذلك] رمم الشريف)^(٢) صلحاً بينه وبينهم وقع به التخلص من تلك الجبال ، وانفصل (راجعاً إلى تهامة)^(٢) ولم يبلغ منهم كل الآمال ، وما وصل إلى « حرص » إلا وخبر الاتصال (بعسير فاش بين)^(٢) الناس ، وشاع في ألسنة الناس أن مصطفى^(٣) محافظ « أبي عريش » (من طريق إبراهيم باشا)^(٤) يريد منع الشريف عن الدخول إلى المدينة العريشية ، على أنه قد علم أن دون منعه عن الدخول خرط القتاد ، وتثلم المشرفي في رؤوس وتكسر الصعاد ، وإنما من عادة الطبع البشري التعلل بالأمانى كما قيل :

في المنى راحسة وإن عللتنا من هواه ببعض ما لا يكون^(٥)
ووصل الشريف المدينة بالجنود ، وعلى رأسه تخفق البنود ، بنية كافية ، وهمة عالية ، ولم يحل بنده المعقود ، حتى استقر بداره المعمور على رغم الحسود [٩٠/ب] وظهرت الوحشة من المحافظ المذكور ، وكان على جناح طائر من الحذر خشية من الوقوع في المحذور ، ورفع إلى إبراهيم باشا بصورة الواقع ، ويطلب منه التدبير في هذا الأمر المهم قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، فلما وصل الخبر إلى مسامع الباشا [ص ٣٠٠] إبراهيم ، حصل له من هذا الحادث المقعد / المقيم ، ولعله علم أن هذا حصاد زرعه المذموم ، وأنه بإصغائه لحديث الوشاة هو الملوم ، وبعث كتبه

(١) هل سبق عاكش هنا غيره من الدعاة إلى مقاومة الدولة العثمانية باسم العروبة ؟ .

(٢) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٣) لعله مصطفى بك نسيب محمد علي باشا وأحد قادته في اليمن ، وقد عينه إبراهيم باشا حاكماً لتعز بعد سيطرته عليها في ربيع الأول ١٢٥٣ هـ .

انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٧٥/٢ ، ٢١١ .

(٤) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .

(٥) البيت من الخفيف ، وقد ورد في الغيث المسجّم للصفدي ١٦٣/٢ دون إشارة إلى القائل .

إلى « المخا » و « تعز » لجمع الكتائب ، وقصده التجهيز على الشريف وأمر الله هو الغالب ، والناس في إرجاف بوصول أولئك الأقوام ، وظهر ما هو مخفي من الحسد من بعض الأنام ، والشريف لا يصغي إلى هذه الأراجيف الأسماع ، بل هو في تدبير ما هو بصده في تمام الصلح بينه وبين عائض والاجتماع ، والأمير عائض يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في إرسال الأجناد ، رُبَّمَا أنه قد ألقى في روعه بعض من ألقى بأنه لا يتم هذا المراد ، وآخر الأمر تعلق (بأنه لا يطلق الأجناد من يديه . إلا بوصول)^(١) بعض أولاد الشريف إليه ، ويكون بقاؤهم (بعد انفصال أجناده لديه)^(١) . فأرسل الشريف ولده الشريف محمد بن الحسين^(٢) ، وابن أخيه الشريف (علي بن محمد)^(٣) وبعد إرسالهم ظهر خبر المباينة^(٤) وشاع ، وتحصن مصطفى ومن معه في القلاع ، (وتأبط شر الشريف ، وما) أبقى جهداً في أنواع الترويع والتخويف ، وأنشد لسان (حال الشريف قول من)^(٤) قال :

(ياذا الذي بقراع الشر) هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
(قام الحمام إلى البازي) يهدده واستيقظت لأسود البر أضبعه
(أضحى يسد فم الأفعى) بأصبعه يكفيه ما قد تلاقي منه أضبعه^(٥)

/ ومع تباطئ وصول الأجناد العسيرية ، حصل مع الشريف بعض [ص ٣٠١] الضيق ، خشية من مبادرة وصول الجند التركي ويحصل للجند العسيري

(١) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .
(٢) محمد بن الحسين بن علي بن حيدر ، الابن الأكبر للشريف الحسين ، ولد عام ١٢٢٦ هـ ، ولم أعثر على تاريخ وفاته .
انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة رقم (٢٢٢) .
(٣) لم أعثر له على ترجمة .
(٤) بياض في الأصل ، والزيادة من ص .
(٥) الأبيات من البسيط .

التعويق ، لكن العناية الريانية تخدمه من حيث لا يشعر ، ونادى منادي الأفراح بما ليس على باله يخطر ، وذلك بوصول مرقوم من محمد علي باشا متضمن إطلاق البلاد اليمنية على الشريف^(١) ، ويرتفع [٩١/أ] هو والعساكر منها لانفتاح حادث حدث عليه^(٢) ، ولله القائل :

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات وإن تنامت فموصول بها فرج قريب^(٣)
ولا شك أن الله . تعالى . إذا أراد أمراً يسره له الأسباب ، وجاء من الإعانة ما لا يدخل لابن آدم في حساب ، فسر الشريف وكل صديق له بذلك الخبر ، وأقبل الناس لطاعته أفواجاً وزمر .

وبعد ذلك وصل جند من عند عائض للقيام بهذا الأمر المعضل ، ولكن جاء المثل السائر : « إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل »^(٤) ، ولكن بعد

(١) صدرت إرادة من محمد علي باشا في ١٢ ذي الحجة ١٢٥٥هـ ، ١٧ فبراير ١٨٤٠م تتضمن الأمر بسحب القوات الموجودة في الحجاز ونجد واليمن إلى مصر ، وأبلفت الإرادة إلى إبراهيم باشا يكن حاكم عام اليمن ، الذي قام بوضع الترتيبات اللازمة لانسحاب القوات من اليمن والمخلاف السلیماني إلى جدة .

انظر : عبدالرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة ٢/٢١٩ : عسيري ، عسير ، ٢١٢ .

(٢) كان انسحاب محمد علي باشا من الجزيرة العربية للاستفادة من قواته في مواجهة الدولة العثمانية والحلفاء قبل إبرام معاهدة لندن التي أجبر فيها على الخروج من الشام والجزيرة العربية .

انظر : الرافعي ، عصر محمد علي ، ٣٠٩ .

(٣) الأبيات من الوافر ، وقد أنشدها أبو دريد عن أبي حاتم ، انظر : الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ٢٨٨ .

(٤) ورد المثل في كتاب « خاص الخاص » (ص ٢٩) هكذا : إذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى ، وهو مثل للعمامة ، وفي « لسان العرب » مادة (عقل) : معقل بن يسار من الصحابة . رضي الله عنهم . ينسب إليه نهر بالبصرة .

وصولهم إليه ، انفصل من « أبي عريش » / حادي عشر [من] شهر [ص ٢٠٢]
 صفر سنة ست^(١) وخمسين (ومائتين بعد الألف)^(٢) متوجهاً إلى
 استخلاص اليمن من يد الأتراك ، وإضافته إلى (مملكته على الانفراد
 بذلك من)^(٢) غير اشتراك ، ولما وصل إلى قريب « الحديدة » وقع
 إبراهيم باشا في (دائرة الميم ، وانسلخ)^(٢) عنه كل صديق حميم ، وفتح
 الشريف البندر بالحظ الأغلب ، وخرج (الباشا منه خائفاً)^(٢) يترقب ،
 واتصل بالولوج في بعض المراكب البحرية وسار فيها ، (وزال ملكه في
 أسرع)^(٢) وقت ، وأنشده لسان الحال إيقاظاً وتنبيهاً :

ودع غمار العلا للمقدمين على ركوبها واقتنع منهم بالبال^(٣)
 وفي عشية يوم خروجه دخل الشريف البندر^(٤) ، يخفق على رأسه
 اللواء الأزهر ، وبين يديه الجنود ، وحوله عشيرته الأسود .

كأنهم وسيل المجد بينهم شهب تحف ببدر في ذرى غيم
 من معشر إن هم هزوا الوشيح بدوا تحت الذوايل كالآساد في الأجم

(١) الأصل : ستة .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) البيت من البسيط من لامية الطغرائي المشهورة .

(٤) غادر إبراهيم باشا وقواته اليمن في ٨ ربيع أول ١٢٥٦ هـ ، الموافق ٩ مايو ١٢٤٠ م ، بعد أن سلم تهامة إلى الشريف الحسين على أن يدفع ضريبة للباب العالي ، ومقدارها (٩٠.٠٠٠ ريال) ، وكانت بريطانيا تتابع عملية التسليم عن طريق إحدى البواخر الحربية التي رست في الحديدة لحماية المصالح البريطانية ، والمؤلف هنا يبالغ في كيفية انتقال السلطة إلى الشريف ويظهر الأمر على أنه انتصار للشريف وهروب من إبراهيم باشا يكن « الذي خرج خائفاً يترقب » ، والحقيقة إن إبراهيم باشا رأى في الشريف الحسين حاكماً أكثر قدرة من إمام صنعاء ، حيث أن الإمام كان في وضع سيئ سياسياً واقتصادياً ، ولذا قرر تسليم تهامة اليمن إلى الشريف الذي التزم بشروط إبراهيم باشا .

انظر : إسماعيل البشري ، السياسة العثمانية تجاه إمارة (أبو عريش) والسواحل

اليمنية ، مطبوع « : حسين العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، ٢٧٦ :

- play fair , Arabia felix , 147 .

غمر الوجوه إذا التف الندى بهم بيض المقارم والأفعال والشيم
[٩١/ب] / إذ المصاف دعاهم يوم نازلة جاؤوه بالسُّمَرِ والهندية الحزم
يحمون بالبيض عزاً لا يباح له حمىً ويبنون مجدداً غير منهدم^(١)

ولما استقر باليمن طالعه الأغر ، تنقل في أبراجه تنقل البدر ، ومد
يده إلى الحل والعقد والنهي والأمر ، وابتهجت بمقدمه السعيد الأنام ،
[ص ٣٠٢] وخلت في اليمن عساكر / الأروام ، وانصرفوا عنه بقلوب لها غليان ،
وصفقة يتأسى بها أبو غبشان^(٢) ، وأقام في « الحديد » عاملاً أخاه
الشريف أبو طالب^(٣) ، وتوَجَّ بذلك مفرق المناقب ، ونفذ إلى « زيد » ،
ووجه إلى « المخا » عاملاً أخاه الشريف حمود^(٤) ، وبعد ذلك توجه إلى
« المخا » واستقر فيه مدة ، ومِمَّا قاله مهنئاً له بهذا الفتح أديب العصر
القاضي العلامة علي بن عبدالرحمن البهكلي - متع الله به - هذه
القصيدة ، وقد اشتمل أوائل حروفها على اسم الممدوح ، والدعاء له ،
وهذا يسمى في الاصطلاح مشجراً :

الحمد (لله رب العالمين على)^(٤) نصرٍ وفتح من الرحمن قد حصلا
(لسيدي وإمام الناس قاطبة)^(٤) قطب الخلافة مولى سؤدد وعلا
(حاوي المكارم ضراب الجماجم ضر) غام^(٤) الملاحم حقاً أوحده الفضلا
(سما إلى رتبة في المجد عالية)^(٤) سواء لَمْ يرق شأواها ولا وصلا
(يوم النوال لمستعفيه)^(٤) أنهره وليس ينهر مستجديه إن سألأ

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) أبو غبشان بفتح الغين وقد تضم ، رجل من خزاعة اختلف في اسمه ، فقيل : سليمان بن عمرو بن لؤي ، وقيل : المحترش بن حليل بن حبيشية ، ويضرب به المثل في الخسارة وسوء التدبير وغبن البيع .

انظر : الحكيم ، قطوف الريحان ، ١٧٨ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(نامت عيون رعاياه)^(١) بدولته
 (أقام دين إله الخلق)^(١) وانحسمت
 (بسعيه الأمن أضحى وهو)^(١) متسع
 نار المفاسد والطغيان أخمدها
 عبادة الله أمسى وهو مشتغل
 / له من الله نصر قد تعود
 يعطي الجزيل ويولي للجميل ومن
 أحيا شريعة طه بعدما درست
 / لأنه سيد سامٍ له نظر
 حوى حميد خلالٍ وارتقى رتباً
 سميدع يهب الدنيا لسائله
 نرجو من الله يبقى طول مدته
 يارب مدله في العمر وأجزله
 نقول آمين لا نرضى بواحدة
 صار الوفود من الأقطار همهم
 رمى عداه بسهم من نبالته
 هباته في أيادي قاصديه غدت
 أعنده من جميع النائبات بمن
 لربه خاضع مستشعر نسكاً

إذ عدله لجميع الناس قد شمالا
 أمور ظلم وغشم ظاهر وظلا
 فلا يخاف نزيل حيث ما نزلا
 ونور دين النبي المصطفى اشتعلا
 بها ولم يعبد الله العظيم على^(٢)
 وقد حباه برأي يبهز العقلا [ص ٣٠٤]
 سماته إن دهى الخطب المهم سلا
 رسومها وروى إسناد حي على
 [١/٩٢] مطالع لرسوم الكتب قد قتلا
 سمت به وتحلى حلية النبلا
 بجوده عدّ أرباب العطا بخلا
 على الدوام وأن يوليه ما أملا
 عوناً وأصلح له الأحوال والعملا
 حتى نضيف إليها مثلها جملا
 سعيها إليه ولم يسع الوفود إلى
 فهاب كل عدو منه واختذلا
 بها جميع (البرايا تضرب)^(٣) المثلا
 لقصد (توحيده قد أرسل الرسلا)^(٣)
 وفي قتال (الأعادي ينطح الجبال)^(٣)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) هكذا في الأصل ، وقد كتب المؤلف في هامش القصيدة بعد هذا البيت كلمة : « حرف » ،
 كأنه يقصد قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [الحج : ١٧] .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

لم أستطع حصر بعض من مناقبه لأنه سبق (التالين والأولا)^(١)
هو الهمام الذي حلّى بدولته جيد الزمان (عقوداً بعدما عدّلاً)^{(١)(٢)}
نعم ؛ ووصل أيام إقامته « بالمخا » جماعة من الإفرنج ، (في
مركب ، وهؤلاء الإفرنج)^(٢) (٤) لم يزالوا ينازلون « المخا » وأهله تخوفاً
[ص ٢٠٥] على الأرواح والأموال ، كما يعرف ذلك / من طالع تواريخ اليمن .

والإفرنج طوائف مختلفة ، ومذاهب غير مؤتلفة ، أنقريز ، ولونده ،
وفرنصيص ، وفرتقال^(٥) ، والفرتقال فيما سبق هم أهل القضاء
والقضايا ، والباقيون لهم كالرعايا ، وأما في هذا الزمان فاليد الحاكمة
للأنقريز .

وقد ذكر المسعودي^(٦) في « مروج الذهب » أن إفرنج الهند أصليون
فيه من قبل الإسلام ، وذكر القطب المكي^(٧) في « تاريخ بني عثمان »^(٨)
أن طائفة الفرنج في الهند قديمة ، خرجوا في القرن التاسع ، وظهروا في
سواحل اليمن ، وكان خروجهم من وراء « القمر »^(٩) - بضم القاف - من
خلف بحر الحبشة ، استطرقوا من أصل بحر المغرب ، ولهم قلعة في

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) القصيدة من البسيط .

(٣) ص : الفرنج .

(٤) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٥) هكذا في الأصل وهو يريد : إنجليز ، وهولنديين ، وفرنسيين ، وبرتغال .

(٦) علي بن الحسين بن علي المسعودي ، من ذرية عبدالله بن مسعود ، مؤرخ مشهور ، من
أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفي بها عام ٢٤٦ هـ .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٨٧/٥ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، مقدمة المحقق .

(٧) محمد بن أحمد بن محمد بن قاضي خان النهروالي ، مؤرخ من أهل مكة (ت/٩٨٨ هـ) .
انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٢٤/٦ .

(٨) اسم الكتاب : البرق اليماني في الفتح العثماني ، مطبوع في الرياض ، ١٩٦٧ م .

(٩) جزر القمر : بضم القاف وتتكون من مجموعة من الجزر الصغيرة ، تقع شمال غرب
جزيرة مدغشقر ، وأكبر جزرها أربع هي : جزيرة القمر الكبرى ، جاويته ، أنجوان ،
موهيلي ، وسكانها مسلمون من أهل السنة ويتكلم بعضهم العربية .

انظر : محمد غلاب وزملاؤه ، البلدان الإسلامية ، ٥٥٨ .

الهند تسمى «كوة»^(١) - بضم الكاف - وهي محل سلطانهم ، هكذا قاله بعض المؤرخين .

[٩٢/ب] وفي هذه المدة القريبة تعدوا على أخذ بندر « عدن » ، واستولوا عليه واتخذوه دار وطن^(٢) ، وبنوا فيه المباني المنيعة العظيمة ، وحصنوه بالآلات الجسيمة ، وصار من أمنع بنادر سواحل اليمن ، ولهم هناك الشوكة ، ومن كان مستضعفاً من المسلمين فهو في حكم الذمي منهم في بلاد أهل الإسلام ، وقد صاروا غصة لا تتساقط في حلق أهل الإيمان ، وما هيا الله . سبحانه . لأحد من ملوك الإسلام إخراجهم من ذلك المكان : / لأنه قد جاء في الحديث « لا يجتمع في جزيرة العرب دينان »^(٣) . [ص ٢٠٦]

وإذا كان إبقاء أهل الذمة في جزيرة العرب غير جائز عند بعض العلماء استناداً إلى ذلك الحديث الذي كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه : « أخرجوا اليهود من جزيرة العرب »^(٤) ، وأما من قال إن المراد بجزيرة العرب الحجاز^(٥) نظراً (إلى ما أخرجه البيهقي : « أخرجوا اليهود من »^(٦) الحجاز^(٧)) فهو غير صحيح ؛ لأنه

(١) هي ميناء جوا في مملكة الدكن على الساحل الغربي للهند . وكان سكانه خليطاً من الهنود والعرب والفرس والصينيين ، وتصله السفن من جدة وزيلع وعدن وهرمز وغيرها . استولى عليه البرتغاليون بقيادة البوكيرك عام ١٥٠٩ م . انظر : عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ١٨٨ .

(٢) احتلت بريطانيا عدن في الخامس من ذي القعدة عام ١٢٥٤ هـ . الموافق للتاسع عشر من يناير ١٨٣٩ م . انظر : أباطة ، عدن والسياسة البريطانية . ١٩٥ : العبدلي ، هدية الزمن ، ١٤٤ .

(٣) ورد بلفظ : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقي دينان بأرض العرب » . انظر : الألباني ، صحيح الجامع ١٠٦/١ رقم ٨٤٧ (٤٦١٧) : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٣٩/١ : مسند أحمد بن حنبل ٢٧٤/٦ .

(٤) ورد بلفظ : « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب » . انظر : الألباني ، صحيح الجامع الصغير ١٠٦/١ رقم (٢٣٢) ، وعزاه إلى مسلم .

(٥) قال ابن حجر : « لكن الذي يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ... هذا مذهب الجمهور » . فتح الباري ١٧١/٦ .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٧) ورد بلفظ : « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب » . انظر : الألباني ، صحيح الجامع الصغير ١٠٦/١ رقم ٢٣٢ وعزاه لأحمد في مسنده ولأبي نعيم في حلية الأولياء .

يكون تخصيصاً (بموافق العام ، وهو مذهب مُطَّرح)^(١) كما عُلِمَ في الأصول الفقهية ، فما بالك بإبقاء الكفار (الحرييين ، ولكن نرجو الله تعالى أن يؤيد)^(١) أهل الإسلام عليهم عن قريب .

وحدود جزيرة (العرب كما قاله في القاموس : « ما أحاط »)^(١) به بحر الهند وبحر الشام ثم « دجلة » و « الفرات » ، (أو ما بين « عدن أبين » إلى أطراف الشام)^(١) طولاً ، ومن « جدة » إلى ريف العراق عرضاً »^(٢) .

نعم ؛ فجرى بين الشريف (وبين أولئك الإفرنج المفاوضة)^(٣) في أمور ، وتم بينهم الصلح على دخولهم بنادر اليمن وهم تحت (حكم الذمة لا غير ذلك من الشروط)^(٣) .

وفي أثناء ذلك وقع من بعض المتعلقين بهم أن نَشَرَ بريقاً لهم إظهاراً للشعار في تلك الديار ، وكان ذلك من غير إذن الشريف ، فأمر فوراً [ص ٢٠٧] بإزالته لأنه يراه من شعار الكفار ، / وبعد ذلك حصل منهم ومن بعض ضعفاء الإيمان الاضطراب ، خشية أن يجعلوا ذلك لفتح الحرب من الأسباب ، ولكن الشريف لقوة جنانه لم يلتفت إلى تلك الأوهام ، وأيد الله سبحانه أهل الإسلام ، فأسقط في أيدي أولئك الأقوام ، مصداق قوله تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾^(٤) ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الإسلام يعلو ولا يعلى عليه »^(٥) ، والإسلام هو الكهف الحريز ، فرجعوا في مركبهم حيث جاؤوا ، وانفردوا بغضب الله عليهم وبأؤوا^(٦) .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤٠٤/١ (باب الرء ، فصل الجيم) .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) سورة الحج : الآية ٤٠ .

(٥) ذكره الألباني في صحيح الجامع ٥٢٨/١ رقم (٢٧٧٨) وقال : حديث حسن وعزاه للدارقطني في سننه وللبهقي في سننه .

(٦) لمزيد من تفاصيل حادثة البريق (المخا) انظر : البشري ، السياسة العثمانية تجاه إمارة (أبو عريش) والسواحل اليمنية ، مطبوع .

ورجع الشريف بعد ذلك إلى « زبيد » . [٩٣/أ] وكان وصوله مستهل شهر رمضان من هذه السنة ، وفي عزمه بعد انقضاء الصيام يرجع إلى الأوطان ، فما شعر في آخر شهر رمضان إلا و (قد جاء الخبر أن) بعض جند الفقيه سعيد^(١) قد أخاف أهل « حيس » وروعهم بما معه من التمويهات ، وقد اشتهر أمر الفقيه سعيد في الجهات التعزّية ، وقد كان مستقر بلده « الدنوة »^(٢) ، فاستولى على أهل تلك البلاد ، ودخلوا في طاعته أزواجاً وأفراداً ، وصفد عقال^(٣) « ذو محمد » وغيرهم من كبار العساكر في الأغلال ، وأقبلت الناس تهرع لداعيه من تهامة والجبال ، وحقيقة حاله : أنه رجل لا إمام له بالعلم وإنما كان تعلق بعلم الأوفاق ، التي ليس لها / في علم الشريعة مجال ، واستمكن بتلك البضاعة [ص ٣٠٨] الخاسرة من جذب قلوب الرجال ، وله مكان مستقل يخلو فيه بنفسه ، وتلك شبكة لما يريد يصيد بها أبناء جنسه ، وقد ادعى أنه شريف ، وتارة أنه المهدي ، وليس هذا زمان المهدي كما يظهر لمن راجع الآثار النبوية ، والملاحم المروية ، مع أن ظهور المهدي من « مكة » كما جاء في الأخبار^(٤) .

(١) الفقيه سعيد بن صالح بن ياسين العنسي ، متصوف ظهر في اليمن الأسفل عام ١٢٥٦ هـ في بلدته « الدنوة » ، يدعي أنه المهدي المنتظر . جرت بينه وبين الإمام الهادي محمد بن المتوكل حروب متوالية انتهت بسيطرة الهادي على « الدنوة » وضرب عنق الفقيه سعيد بمدينة « إب » في أول سنة ١٢٥٧ هـ .

انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٩١ : الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) قرية من عزلة الروس وأعمال إبّ باليمن . انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ١٦١ : الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٣٣٣/٢ .

(٣) عاقل : وتجمع على عقال وعقلاء ، وعاقلة الرجل : عصبته ، وهم القرابة من جهة الأب الذين يشتركون في دفع ديته . انظر : المعجم الوسيط ٦٢٣/٢ .

(٤) لمزيد من المعلومات حول المهدي المنتظر انظر : العباد ، الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ، وعقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر .

وآل أمره أن بنى في قرية « الدنوة » عماير ، وجعل حواليه أماكن الخيل ولا خيل له ، إنما ذلك من جملة التمويه على أصحاب له قد أفسد أحوالهم ، وزين لهم الشيطان (أعمالهم ، ووصل بعضهم إلى)^(١) « زبيد » فأودعهم الشريف الحبس ، وقد استغوى أهل تلك الجهات ، (ورجف بعض أهل تهامة من تلك)^(١) المتفقات ، وقد أفضى تدليسه إلى أن وقعت بين أهل تلك (الجهات ملاحم ، طحنت جماجم)^(١) ، ولله در أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حيث يقول : « الناس (ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم)^(١) على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، ومن كان راسخ (القدم في الإيمان ، وراجح)^(١) العقل لا يمضي عليه من الأفعال والأقوال إلا ما تأيد بصحيح (البرهان ، ولكن حقيقة) الحال في قول من قال :

الناس كالناس إلا أن تجربهم وللبصيرة حكم ليس للبصر
[ص ٣٠٩] / والأليك مشتبهات في منابتها وإنما يقع التفضيل في الثمر^(٢)

نعم ؛ فوصل الشريف إلى « حيس » بأجناد ، ولم يقابله أصحاب الفقيه سعيد بغير الضرار ، ودخل مدينة « حيس » وقد أجلى منها أهلها لما تلبسوا به من ذلك العار .

وفي [٩٣/ب] اليوم الثاني تبع الشريف أثر أولئك القوم ، فوجدهم قد تحصنوا في قلعة شرقي « حيس » ووقع بعض الشر من الجانبين ، ورجع الشريف إلى قرية « حيس » ، واستدعى بمدفع من « زبيد » ، ليهدم ركن ذلك الضلال المشيد ، وظن أنهم يبقون في ذلك الموضع ، ومع وصول المدفع شدّ عليهم فلم يجد منهم أحداً بتلك القلعة فهدمها ، ورجع إلى « حيس » ، ونشر ثياب الأمان على الناس ، وزال عن الناس ما يحاذرون

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيتان من البسيط .

من البأس ، وانتهى أمر الفقيه سعيد أن تجهز عليه صاحب « صنعاء » الملقب الهادي^(١) ؛ لأنه قد استولى على بعض بلاده ، وعند وصوله خذله من كان معه وأخذ ووصل بين يدي الهادي ، وبلغني أنه خاض معه بعض علماء « صنعاء » في تلك الحاضرة عن مستند فعله ، فأجاب بجواب يقضي بأنه من أعتام الناس ، ثم بعد ذلك حبس ، وأطلق إلى السيف ، فأنحسم ضرره ، وبتر عمره^(٢) .

/ وفي خلال هذه المدة وقع التظاهر من الشيخ علي حميدة^(٣) [ص ٣١٠] بالخلاف ، وقد كان أيام إقامة الشريف « بالحديدة » أول قدومه إليها وصل إليه وبذل البيعة ، ولكنه للشريف غير صافي الوداد ، وفي قلبه من نار الحقد (اتقاد ، ولأسباب منه اتفقت في)^(٤) جانب الشريف أيام الأتراك ، نصب منه بالمكايدة كما يقال (الأشرار) ، ولكنه أخفق مسعاه فيما^(٥) أراد من الفعل المهين ، والله لا يصلح عمل المفسدين .

(السنة السابعة) والخمسون بعد المائتين والألف : (أرخها بعض أدباء الوقت)^(٦) بقوله الظريف مخاطباً للشريف :

(دام سلطانك)^(٧) المعظم قدراً بك في المجد للبرية فخر
(في أمان وصحة)^(٨) وتهان لك مر الزمان فيما يسر

(١) الإمام الهادي محمد بن المتوكل على الله أحمد بن المنصور علي ، إمام اليمن خلال الفترة من ١٢٥٥ - ١٢٥٩ هـ .

انظر : الجرافي ، المقتطف ، ٢٦٥ ؛ زيارة ، نيل الوطر ٢/ ٢٢٦ .

(٢) لمزيد من المعلومات عن ثورة العنسي وتفصيلها : انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٩١ - ٢٩٨ .

(٣) علي حميدة ، شيخ قبيلة القحري ، ومركزه في باجل . انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٣٢١ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(لَمْ تَزَلْ ظَافِرًا) (١) بكل عدو ولك السعد خدام مستمر
ولك الخير والهناء بعام لك نهي به جديد وأمر
قلت (إذ) (١) جاءنا لكم فيه فال ضمن بيت مُقَرَّض فيه شعر
ولحرب العدا من الله أرخ للشريف الحسين قد جاء نصر (٢)
فيها كاتب الأمير عائض الشريف لأجل يتوسط بينه وبين الشيخ
علي (٢) بالصلح ، فأذعن [أ/٩٤] الشريف حيث لا مقصد له غير الرجوع
منه إلى الطاعة ، والانخراط في سلك الجماعة ، فبعث الأمير بمراسيل
[ص ٣١١] إليه ، وتردد الخطاب في هذه المادة / ، ولم ينضبط لهم حال الشيخ علي
في الاستقامة على الجادة ، وشاهد حالهم :

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ دَهْرِنَا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا (٤)
وبعد رجوعهم إلى الشريف أفهموه ذلك الحاصل ، وتبين لهم أنه لا
حجة يدلي بها غير ركوب متن الباطل ، فما رأى الشريف أن يدفع هذا
الواقع بغير الصارم الهندي واللهزم ، فقد قال الحكيم : « إن دفع الشر
بالشر أحزم » (٥) ، فنهض الشريف سادس شهر ربيع أول بجيوش القاهرة ،
وأُبْهَتْ وافرة ، وعندما دنا من قرية « باجل » بلغه أن من هناك يريد في
خارج البلد أن يقابل ، فبرز الشريف مثل الليث الهصور ، ولبس لأمة
الحرب وعلى رأسه لوائح الظفر تدور ، وزحف إلى ذلك المكان وقد نشر
البنود ، وبين يديه أبطال الجنود ، فاستقر بشامي البلد إلى آخر النهار ،
وتقدم في الكتائب وأحرق تلك (القرية بالنار ، وذهب) (٦) من ذهب تحت
السيف البتار ، ونهبت العساكر ما وجدوا في (تلك الديار وقد صار
حالهم كما قيل) (٦) :

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأبيات من الخفيف .

(٣) الشيخ علي حميدة .

(٤) البيت من الطويل .

(٥) لم أعثر على هذا المثل فيما تحت يدي من كتب الأمثال المشهورة .

(٦) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب (ما جمعوا والنار ما زرعوا) (١)
وعاد بعد ذلك إلى مطرحة وعلى رأسه تخفق الأعلام ، وحوله من
(الفرسان آساد الصدام) (٢) ، والكتائب تموج بين يديه وهو ليث تلك
الكتائب ، وقد اعتقل (الخطي / وتقلد السيف) القاضب .
[ص ٣١٢]

كأن الهام في الهيجا عيون وقد طبعت (سيوفك من رقاد) (٣)
وقد صفت الأسنة من هموم فما يخطر (إلا في فؤاد) (٢)
ونصب قبلي البلد الخيام ، وأطلق الأجناد على مناجرتهم بالقتال
في البكر والأصال ، والمدافع تقذف بقل على تلك القلاع ، وأهلها في
غاية الضيق ونهاية الإفزع .

وفي بعض الأيام بدا للشريف أن يجول في ساحة تلك القلعة بمن
معه من الفرسان ، ويتخطف بالرماح الشواهر من بأطراف ذلك المكان .
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم (٣)
[٩٤/ب] فاندفعت قلة فأصاب جواده في ذلك المقام .

ومن أمثال العرب : « رب رمية من غير رام » (٤) ، فلم يكثر لذلك
الواقع ، ولا رهب لما قذفته من تلك القلعة المدافع .
وفارس الخيل من خفت فوقرها في الدرب والدم في أعطافها دفع (٥)
فتزل له ابن أخيه الشريف البطل علي بن محمد عن جواده . وركب
على أناة وثبات ، ولا غرو فالثبات له عادة ، وانعطف إلى المطرح يمشي
الهوينى والثغر منه باسم ، وقد عرفت ربح الليوث تلك البهائم ، وما زال

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، والبيت من البسيط وهو للمنتبي ، انظر : الديوان
٢٢٤/٢ ، يلحظ القارئ تناقض المؤلف في المواقف من الأحداث ، فهو هنا مسرور بما
حدث ، ويسوق وقائع نهب العساكر وإحراق الأماكن ، ويسوق بيت المنتبي الذي يتضمن
سبي النساء ، وقتل الذرية ، ونهب ما جمعه الآخرون ، وفي الوقت نفسه يذم من يصدر
منه فعل دون هذا إذا كان ممن لا يتشيع له ولا يقوده إليه هوى .
(٢) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، والبيتان من الوافر وهما للمنتبي ، انظر : الديوان
٢٦٠/١ .

(٣) البيت من الطويل وهو للمنتبي ، انظر : الديوان ٢٧٩/٣ .
(٤) يضرب في قلعة إحسان من المسيء ، والقصة في المستقصى للزمخشري ١٠٥/٢ .
(٥) البيت من البسيط وهو للمنتبي ، انظر : الديوان ٢٢٣/٢ .

الأمر على من في القلعة في شدة لا أول لها ولا آخر ، حتى بلغت القلوب منهم الحناجر ، فتسلل الشيخ علي حميدة خشية من الهلاك للتوصل [ص ٢١٣] بطلب الأمان ، ورفع / حديثه إلى الشريف الماجد أبي طالب بن علي ، والقاضي حسن بن محمد المكرمي^(١) ، والشيخ مانع بن جابر^(٢) ، لأجل أن يكونوا أعواناً ، فَنُمي إلى حضرة الشريف ذلك الخبر ، وأذن بالمطلوب بشرط نزوله تحت النظر ، فرأى ذلك لشدة ما عانى (الغنيمة الباردة ، وبادر بالخروج)^(٣) إلى مخيم الشريف وحالته بما هو عليه شاهده :

لا يخدعك من عدو دمعة وارحم شبابك من عدو ترجم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم^(٤)
(ولما وصل أدخل نفسه تحت)^(٥) سرير الشريف ، اعترافاً بالذنب ومخافة من اللوم (والتعنيف ، فلم يقابله الشريف)^(٥) بغير الصفح الجميل ، وهكذا الكريم يقابل بالحلم (بعد القدرة على ما يريد من الفتك) والتتكيل ، وانشالت الرعايا الذين تحت يده إلى الطاعة (وقد ندموا على ما فعلوا في جانب)^(٥) الشريف من الإضاعة .

(تقود إليه طاعة الناس)^(٥) فضله ولو لم يقدها نائل وعقاب^(٦)
وبعد صلاح الأحوال ، رجع إلى « الحديدة » في أنعم بال ، وتوجه بعد قضاء مراده منها إلى « الزهراء » ، ونجم السعادة يزهر ، والدهر قد ساعده فيما يروم ممّا أسرّ وأظهر ، وأقام بها أياماً وتوجه إلى مدينة [ص ٢١٤] « أبي عريش » ، فسرت به المدينة العريشية وكادت أن / تطير من فرحها

(١) من مشايخ قبائل يام .

(٢) شيخ بطن آل فاطمة من يام ، وتسمى أسرته حالياً بآل أبو ساق .

انظر : فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ١٧٦ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) البيتان من الكامل وهما للمتبّي ، انظر : الديوان ١٢٥/٤ .

(٥) بياض في الأصل وأثبتناها من ص .

(٦) البيت من الطويل .

بلا ريش ، وهو مع ذلك ملتفت إلى نظام المملكة بحسن التدبير ، والناس [١/٩٥] في ظل عدله وأمانه متفيمون لا يمسهم من حر الجور والخوف سكير ، أحكامه نافذة في أقطار مملكته بالسداد ، قد ساس الرعايا بحكم الشريعة المحمدية في الإصدار والإيراد ، وغير بدع فهور من أهل العلم والعرفان ، ولا يختلف فيما هو عليه من المعرفة بعلم الأدب اثنان ، فازدهت به الأيام وصارت الأوقات كلها أعياداً ، وأمنت الطرقات في جميع حدود بلاده ، وانقمع خوفاً منه كل باغ وفاسد عن بغيه وفساده ، فلم يزل ملازماً للسيرة الحسنة ، وسالكاً الطريق المستحسنة ، ملاحظاً لتوظيف الناس على قدر مراتبهم ، قريب الجناب ، شريف الخطاب ، لا ينقض له معلوم ، ولا ينسخ له مرقوم ، لما هو عليه من الحزم الذي يعز على غيره من الأنام ، غير ملتفت لغرض نفسه بل هو سليم الصدر للخاص والعام :

تَمَلِكُ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لَمْ تَخِرْ فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالٌ عَلَيْهِ مِنْهُ سِرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاضِي^(١) سِرْبَالٌ^(٢)

((وفي شهر ربيع أول من هذه السنة كانت وفاة الأخ العلامة الفاضل أحمد بن محمد بن عبد الله ، كان من أهل التقوى الكاملة والزهادة ، وممن له الإخلاص في العبادات عادة ، نشأ في حجر عمه سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - فغذاه بمعارفه وتخلّق بأخلاقه / ، قرأ [ص ٢١٥] في الفقه على علماء بلده ، وهاجر إلى « زبيد » ، وأخذ في الحديث على شيخنا الحافظ عبدالرحمن بن سليمان ، وفي الأصول على السيد العلامة عبدالرحمن بن محمد الشرفي ، وفي النحو على الشيخ محمد بن الزين المزجاجي^(٣) ، وكان تيسر له قول الشعر وغالبه في الهزليات ؛ لأنه كان

(١) الماضي : العسل الأبيض الرقيق ، وخالص الحديد وجيده . انظر : المعجم الوسيط ٨٦٦/٢ .

(٢) البيتان من البسيط وهما للمتبي ، انظر : الديوان ٢٨٥/٣ .

(٣) محمد بن الزين بن عبدالخالق المزجاجي ، من علماء زبيد المشهورين في النحو والبيان (ت/١٢٥٢هـ) .

انظر : عاكش ، حدائق الزهر ، ١٧٤ : زبارة ، نيل الوطر ٢٦٥/٢ .

فيه متاحفة للإخوان ، وحسن مباسطة وإيناس للقاصي والدان ، وله حافظة مطاوعة ، ولم يزل ملازماً للطاعات ، قانعاً باليسير من الدنيا ، لا يلوي على شيء من أحوال أهلها ، حتى نقله الله . تعالى . إلى دار كرامته ، رحمه الله تعالى وإيانا))^(١) .

وفي ثامن عشر [من] شهر رمضان من هذه السنة ابتدأ الشريف في بناء قلعة (قبلي)^(٢) « أبي عريش » المسمى « نجران » الذي لم يُبن مثله في هذه المدينة على مرور الأزمان ، (وهذا المعقل حصن حصين)^(٢) ، وعلم شامخ العرنيين ، نسيم أعاليه سجسج ، ومصباح (علاليه من قناديل المسرة تُسرج)^(٢) ، له لون يدعو الأفراح إلى الأرواح ، ويكسبها نشوة (الراح ، ومع كماله وتمامه)^(٢) ، قلت في تاريخ عامه :

طالع السعد بنصر قد ظهر	(وأضاء الحق فينا وانتشر) ^(٢)
ببقا المولى الشريف المنتقى	خيرة (الخيرة من نسل مضر) ^(٢)
الحسين المنتقى من حسن	مَنْ (علأ مجدأ على هام القمر) ^(٢)
بطل أذهب أنـواع العدا	فدماهم بالظبا صارت هدر
مدحه يجمع أشتات العلا	وطويل القول فيه مختصر
وجواد مثل غيث هائل	إنما يهـمي بـدُرّ وبـدَر
[ص ٢١٦] / فملوك الأرض طرأ دونه	مفخرٌ في كل فضل إن فخر
قد أقام الدين بالسيف فما	مثله في عدله قط بشر
[٩٥/ب] / عمّر الملك بإعداد التقى	وأعدّ الله عوناً فقهر
وبنى بيتاً لإرغام العدا	في ربي أرض لها الحسن اشتهر
فتناحت شـرفاً لما بنى	بيته فيها وكانت مستقر

(١) كتب المؤلف في الهامش بعد الانتهاء من هذه الإضافة : صبح أصل .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وعلى التوحيد والتقوى لقد أسس البيت يقيناً واعتمر
 وإذا سُمي « بنجران » فقد صار حقاً في المباني مبتكر
 وانتهى في طالع الخير البنا وعلى سمك المعالي قد ظهر
 ففدا بالسعد حقاً ظافراً وعلى الأعداء مولاه نصر
 فلذا « نجران » بالعز سما وله التاريخ : عز بظفر^(١)(٢)
 ومع استقراره « بأبي عريش » وقعت المفاوضة بينه وبين الأمير
 عائض بألسنة الأقلام ، في مكان يكون به الاجتماع لتأكيد ما سلف من
 الصلح في تلك الأيام ، فتم الكلام على أن يكون (في وادي « بيض »
 اللقاء ، فنهض)^(٣) الشريف من « أبي عريش » ثامن شهر شوال في جيش
 (كثير ، وزيّ كبير ، وجأش مربوط)^(٢) ، وعزم بأكناف المجرة منوط ،
 وانفصل عائض (من بلاده ، هو ومن معه من أجناده)^(٣) ، وقد كان
 أرجف الحساد أن لا بد أن ينفتح بينهما (القتال ، ولعل في خواطر جند
 أهل)^(٣) السراة من ذلك خيلاً ، واستقر / مطرح كل منهما (بحيث يراه [ص ٣١٧]
 الثاني ، ودار بينهما)^(٢) أحاديث الوفاق على رغم الحواسد والشواني ،
 (وهياً الله أسباب الصلاح)^(٣) ، ونادى منادي الظفر بينهما بحي على
 الفلاح .

(حسم الصلح)^(٣) ما اشتتهه الأعادي وأذاعته السن الحساد^(٤)
 (وضربوا بينهم في ذلك الاجتماع)^(٥) القواعد الأكيدة ، وأيدوها
 بالمواثيق والعهود الشديدة ، (وتراسلوا بهدايا فيها كل شيء)^(٥) مرغوب ،
 ولا غرو فهي التي تسل سخيمة القلوب ، ورجع الشريف إلى مستقره
 مدينة « أبي عريش » في أبهة فاخرة ، ودولة قاهرة :

(١) كتب المؤلف تاريخ البناء تحت عبارة : عز بظفر : ١٢٥٧ ، وهو من حساب الجمل .

(٢) القصيدة من الرمل .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو للمتبي ، انظر : الديوان ٢١/٢ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكراً^(١) لم تبق إلا جماجمه
أجلتها من كل طاغٍ ثيابه وموطنها من كل باغٍ ملاغمه
[٩٦/أ] / فقد ملّ ضوء الصبح ممّا تغيره وملّ سواد الليل ممّا يزاحمه^(٢)

وبعد ذلك خضع لعلاه كلّ حاسد^(٣)، واستقرت هيبتة في قلوب كلّ
معاند ، وغنى له على فستق السعادة طير الدهر بالأفراح ، وابتسمت له
الأيام بكل ما يهواه في المساء والصباح ، وأقام مدة يسيرة في هذه البلاد ،
ووصله من طريق عائض جماعة من الأجناد ، فجمع من عنده من
الجنود ، وخرج بهم^(٤) إلى بلاد « الخميسين » ليأخذ منهم الثأر ، لما سلف
منهم من الأمور التي توجب أن يحل بهم الدمار ، ومرّ على بلاد « بني
الحرث » وصلّح / أمورهم على حسب المراد ، وانفصل من بلادهم متوجّهاً
إلى بلاد « الخميسين » بأولئك الأجناد ، بعد أن فارق « عسير » ، ولم
يحصل منهم فائدة في ذلك الجمع الكثير ، وكان لديه جملة وافرة من
عساكر « يام » ، مساعير الحرب وآساد الالتحام ، فاكتفى بهم في هذا
المهمّ عن سواهم ، ورأى أنه سيقوم بهم المقصود .

السنة الثامنة والخمسون بعد المائتين والألف : تقرب الشريف من
تلك البقاع ، ورتب لحربهم من بهم الكفاية من العساكر في الدفاع ، وقد
كانوا ترتبوا في مكان من تلك الجبال المنيعّة ، وبنوا محارباً ليردوا بها
سطوة (العساكر السريعة ، وسار)^(٥) الشريف وبين يديه رجال الحرب ،
ومقيموا سوق الطعن والضرب ، (فمجرد ما رأوا أولئك القبائل) ، أقدم
عسكر الشريف عليهم ما بين ضارب وقاتل ، وأوردوهم (موارد الهلكة في
ذلك المقام ، وما)^(٥) قابلوهم بغير الفرار والانهازم ، وذهبت هناك منهم

(١) في الأصل : عسكر .

(٢) الأبيات من الطويل وهي للمتنبّي ، انظر : الديوان ٢٣٦/٢ .

(٣) هو يتكلم عن بشر، والعلا لله سبحانه وتعالى ، والمبالغة في مدح وإطراء من يقوده إليه هوى
ظاهرة في هذا الموطن أو غيره، وإلا فالخضوع للعلا وصف لا ينطبق إلا على من تقرد بالعلو
سبحانه ، ثم إن المؤلف هنا يقرر ما جرى من تأكيد الصلح ، ومع ذلك لم يدع نزعة العدا
للمقابل ، وإنما يصف الأمر وكأن من يتشيع له هو المنتصر وذلك الآخر موصوف بأوصاف
سيئة وهو المنهزم ، والعصبية ملازمة له حتى في حال الصفو بين الأطراف المختلفة .

(٤) في الأصل و ص : لهم .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

نفوس ، (وقطعت رؤوس ، وكان ذلك)^(١) عليهم يوماً عبوساً أي عبوس ، ولجأ منهم جماعة في جبل يسمى « كوكب » (مثل واحد الكواكب)^(١) السيارة ، ولافحوا الجند بالقتال ولم تزل تمدهم من المحاذين (لهم غارة بعد غارة ، وعند)^(١) ذلك عبأ الشريف الجنود ، ونشر البنود ، وجعل العساكر بين يديه (وأقدم بهم على ذلك الجبل) / لاستئصال أهله [ص ٢١٩]

وإنزالهم من هاتيك القل ، فحين شاهدوا ذلك الجمع المستطيل ، علموا أن لا استطاعة لهم على المقاومة لا بكثير من القوة ولا بقليل ، فأجلوا من ذلك الجبل العالي ، وتركوا ما فيه من رخيص وغالي ، فاستولى جند الشريف على تلك البيوت الخالية ، ولم يبقوا فيها بالنهب من باقية^(٢).

وفي اليوم الثاني شدّ الشريف ونصب خيامه في ناحية شرقي [٩٦/ب] تلك البلاد ، واستدعى السيد الماجد قاسم بن أحمد المنصور^(٣) من سادات « شُهارة »^(٤) يتصل نسبه بالإمام القاسم المجدد في أرض اليمن في زمانه ، وقد كان سبق منه وصول إلى الشريف أيام إقامته بالمدينة العريشية ، ووقعت بينهما الموائمة على ملك تلك الجهات ، والمعاونة على هذا المقصد بضروب من السياسات ، فتمّ قبل وصوله للشريف ذلك المطلوب ، وقضيت تلك الحاجة التي في نفس يعقوب ، ولكن وجه الشريف إليه المطالب الدولية التي على أهل تلك البلاد ، وكان طريق مطالب الشريف منهم عليه ، فلم يزل إقباله بذلك في ازدياد ، وعظم شأنه عند أهل الجبال ، وبلغ من الرئاسة التي يريدها الآمال ، وكان / قد [ص ٢٢٠]

نصب خيمته في قبلي مطرح الشريف ، فلم يشعر الناس في بعض تلك

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) كل هذه المآسي حدثت على سكان هذه القرى والأماكن والمؤلف لم يسقها بوصفها حوادث تاريخية فحسب ، لكنه يسوقها مادحاً محبوبه ، ومتشفيماً من أولئك الذين قتلوا وشردوا ونهبت أموالهم وبيوتهم ، ولو حدث هذا أو شيء منه من غير مهدوحة لتغيرت لهجة الخطاب ، وبين المؤلف أن ذلك الفعل مجانب للصواب والحق ، وهذا منهج غير علمي .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) جبل عامر بالسكان في بلاد الأهنوم شمالي حجة ، وهما : شهارة الفيش وشهارة الأمير ، والأخيرة هي المعمورة وبها مركز القضاء .

انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٣٩ .

الأيام إلا بالصائح من ذلك الجانب ، فكشف الخبر فإذا هو بعض القبائل طعنه طعنةً كان بها إزهاق روحه ، ولله القائل :

كيف السرور بإقبال وآخره إذا تأملتـه مقلوب إقبال^(١)
وقُتِل قاتله^(٢) في ذلك الوقت ، وباء بأمر الله بالفضب والمقت ،
وكاد أن يقع من الرعايا الذين ضمهم (إليه بعض خلاف ، لكن لما)^(٣)
كان الشريف مقيماً في المطرح آل الأمر إلى (السكن والائتلاف ، وبعد
ذلك جعل)^(٤) الشريف أخاه^(٥) قائماً في ذلك المقام ، لجبر خاطره (وإلا
فهو لا خبرة له بأحوال الأنام)^(٥) ، وعندما تمّ للشريف مراده من تلك
الجهات ، نزل (إلى مدينة « الزهراء » وقد صفت له) من المخالفين
الأوقات ، وخدمته السعادة بما يريده في (جميع الحالات) .

وإذا السعادة^(٥) لاحظت عيونها نَمَ فالمخاوف كلهن أمان
(واصطد)^(٥) بها العنقاء فهي حباله واقتد بها الجوزاء فهي عنان^(٦)
(وتوجه بعد ذلك إلى مدينة)^(٧) « زبيد » وصام به شهر رمضان ،
وقد نامت عنه بعناية الله سبحانه (وتعالى عيون الحدثان ، وسار) إلى
[ص ٢٢١] بندر / « المخا » بعد تمام الصيام ، لافتقاد أحوال أهلها لما شكوه من
انحلال النظام ، وعدم معاملة الشريف حمود لهم بما يلائم في كل مقام ،
فقابل الشريف تلك الشكاية بالقبول ، ورأى من الإنصاف أن يكون من

(١) البيت من البسيط ، وقد ورد في الغيث المسجم للصفدي ٤٥٢/٢ دون إشارة إلى القائل .

(٢) في هامش ص كتب الناسخ : قاتله رجل خبيث من بلاد ضامن حجور الشام يقال له :
دوا ، قبحه الله .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) في هامش ص كتب الناسخ : هو السيد عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بن المنصور
الحسين بن القاسم بن المؤيد .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٦) البيتان من الكامل وهما للقاضي الفاضل ، انظر : الغيث المسجم للصفدي ١٢١/٢ .

(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الشريف حمود عنهم النقول ، فنزع من تحت يده البندر ، وتغير خاطره من العزل وتكدر ، ولله القائل [أ/٩٧] :

لكل ولايــــــــــــة لا بُدُّ عزل وصرف الدهر عقد ثم حل
وخير ولايــــــــــــة تبقى لوالٍ على الأيام إحسان وعدل^(١)
فرجع مفاضباً إلى « أبي عريش » وفي نفسه ما فيها ، واستدعى الشريف أخاه حيدر ، وجعله عاملاً في ذلك البندر .

وفي هذا العام وصلت من الشيخ الأديب أبي بكر بن عبدالوهاب الزرعة^(٢) النازل « بمكة المشرفة » هذه القصيدة مادحاً بها الشريف لما انتشر عنه من الفضائل ، وشاع من الكرم الذي هو كالسحاب الهاطل :

إلى مدحك الأسنى توجه بي ركبي	فخيمت من علياه بالمنزل الرحب
ورحت بنادي الأنس منتشياً به	إذا ما انتشى غيري بآنية الشرب
على مثله يصبو الخلي مفاكهاً	ويهتز عطفاً منكب المغرم الصب
فمن درر منظومها عقد جوذرٍ	ومنشورها يزهو على الأنجم الشهب
/ ومن أرج يكسو الصبا من شميمه	(ملابس أقطار ومن) ^(٣) لؤلؤ رطب [ص ٣٢٢]
على أنني ما نلت ممّا أرومه	(سوى لمحة ضاقت به دارة) ^(٣) الكتب
علوم وآداب ومجد ومرتقى	(له خطرات تستقر بذا اللب) ^(٣)
وسيف وإقدام وخيل ضجيجها	لمعترك (الهيجا كشنشنة السحب) ^(٣)
عليمٌ بأسرار المعالي إذا انتهى	إلى (مطلب والاه بالمطلب الصعب) ^(٣)
نعمًا الحسين السيد الوفر بذله	إذا كف (كفّ المزن عن غدق سيب) ^(٣)

(١) البيتان من الوافر .

(٢) أبو بكر بن عبدالوهاب زرعة المكي الحنفي ، من علماء مكة الأدباء ، أصل أسرته من الهنود ، وهم أهل علم وثروة وعلو شأن (ت/١٢٦٢هـ) . انظر : أبو الخير ، المختصر من نشر النور والزهر ٢٠/١ .

عليّ المعالي (خدن جرثومة العرب)^(١)
 بها آمنوا كل الآنام على الغيب^(٢)
 بجاتم المعروف بالجود أو كعب
 تراهم سكوناً ناكصين على عقب
 يؤمهم المعروف منه على رحب
 ومن كرم أوفى على الخصب والجذب
 تقدمهم في الذكر بالحسب الوهب
 وشام به برقاً يلوح على الغرب
 يقبلها الإيناس جنباً إلى جنب
 إذا ابتدرت يوم الطعان إلى الضرب
 سوى راغب للحد بالصارم العضب
 وشوقاً إلى المسرى القصي على قرب
 فأنت على كلّ سماحك لي حسبي
 وألصق مكتوب الترائب بالترب
 بإيحائها إلا وأفضته للسلب
 مسارح قلبي من ندى دائم الصب
 بقية شكوى من مفاوضة العتب
 وأطيب من وصل الحبيب على القلب
 ولا لوم يا طب الفؤاد على الحب
 بوارق من ذكراك يلمحها قلبي
 ولم أر أحلى منه في البعد والقرب
 وما جاد صوب المزن بالمطر العذب

بقية مجد قد جناها ابن حيدر
 له جمل الإحسان مفردة الثنا
 إذا هينم الراوون في دوحة الجدا
 وفاء لسان المدح يتلو حديثه
 رجال رجال الطالبين نواله
 فأنعم به من ذي سماح ونجدة
 [٩٧/ب] / إذا ذكر الأشراف في محفل الوفا
 على اليمن الميمون أشرف بدره
 يياشراً بكار المكارم دائماً
 فيا للهناء من دولة عدّ سهمها
 ويا للمنى من حوزة ما ترى بها
 [ص ٢٢٢] / حديثاً إلى ذاك المحيا مردداً
 تباعدت فخراً وادّنت مكارماً
 أود بعيني أن أزورك مرة
 ولكنها الأيام لا تسعد الفتى
 سأستمنح النعمى^(٣) لديك لترتوي
 ودونك نظماً (رِقّ لفظاً كأنه)
 أَلذ (من العذب الزلال على الظما)^(١)
 (يقدمه مضنى الفؤاد محبكم)^(١)
 (واني لخفاق الجناحين ما شرى)^(١)
 (أحن إلى لقياك لو كان في الكرى)^(١)
 (عليك سلام الله ما هبّت الصبا)^(١)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتتها من ص .

(٢) هذه من المبالغات غير المقبولة عقلاً ولا شرعاً ، لأن ما ذكر إن كان قد صدق به فهم عدد محدود ، أما أن يؤمن كل الأنام بمحاسن الممدوح من باب الغيب فهذا غاية في مجافاة الحقيقة .

(٣) النعمى إنما تستمنح من الله تعالى أما البشر فشأنهم دون ذلك .

(ثُمَّ قَالَ بَعْدَ النَّظْمِ نَثْرًا : يَا (١) مِنْ صُرِفَتْ الْقُلُوبُ بَعْدَ اللَّهِ إِلَيْهِ ،
وَأُوقِفَتْ الْأَمَالُ عَلَيْهِ (٢) ، (صَدَرَتْ إِلَيْكَ هَذِهِ الْغُرُوسُ) (١) طَيِّبَةُ الْمُجْتَنَى ،
وَزُقَّتْ إِلَيْكَ هَذِهِ الْغُرُوسُ بِهَيْئَةِ النَّهْيِ ، أَنَالَهَا اللَّهُ مِنْكَ الْقَبُولُ ، وَجَعَلَ
خَطَهَا بُلُوغَ نَهَايَةِ الْمَسْئُولِ ، وَقَدْ حَبَّرَ بَرْدَهَا الْمَحَبَّ الْفَقِيرَ إِلَى اللَّهِ
(تَعَالَى) (١) أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الزَّرْعَةُ - لَطْفُ اللَّهِ بِهِ - وَالسَّلَامُ
يَغْشَاكَ ، فِي صَبَاحِكَ وَمَسَاكَ ، وَمَنْ يَلُودُ بِجَنَابِكَ ، وَيَتَمَسَّكَ بِذِيْلِ
رَحَابِكَ (٢) ، / وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَامٍ . [ص ٣٢٤]

وَلَمَّا وَصَلْتَ إِلَى الشَّرِيفِ تَلَقَّاكَ بِالْقَبُولِ ، وَطُوقَ قَائِلَهَا مِنَ الْإِنْعَامِ
مِمَّا يَطْيِبُ وَيَطُولُ .

[١/٩٨] وَلَمَّا أَعْجَبَنِي حَسَنُهَا الْبَدِيعُ لَمَّا حَوَتْ مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَاشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ مِنْ إِيْرَادِ بَعْضِ مُنَاقِبِ مَلِيكَ الزَّمَانِ ، قَلْتُ شَافِعًا لَهُ فِي هَذَا
الْمَجْرَى ، وَمَقَرَّرًا لِذَلِكَ الْإِطْرَاءَ (٤) :

رَكَابُ الْمَعَالِي قَدْ أَنَاخَتْ عَلَى خَصْبٍ يَحْفَُّ بِهَا عَذْبُ الْمَوَارِدِ وَالْعَشْبِ
وَقَدْ أُنْزِلَتْ بَيْنَ السُّوَيْدَا كِرَامَةٍ وَلَا عَجَبُ فَالْشَّمْسُ تَنْزِلُ فِي الْقَلْبِ
جَعَلْنَا ثَرَاهَا إِثْمَدًا فِي مُحَاجِرٍ لَمَّا قَدْ حَوَتْ مِنْ لَوْلُؤِ الْمُنْطَقِ الْعَذْبِ
وَإِنْ أَحْرَمْتَ مِنْ « مَكَّة » عَنْ جَلَالَةٍ هُنَاكَ فَقَدْ حَلَّتْ لَدَى كَعْبَةِ الرَّحْبِ
أَهْلَتْ بِنِظْمٍ فِي مَدِيحِ الَّذِي حَوَى مَفَاخِرُ قَدْ فَاقَتْ عَلَى الْعَجْمِ وَالْعَرَبِ
حَلِيفُ النَّدَى نَجْمُ الْهَدْيِ قَاصِمُ الْعَدَا إِمَامُ الْهَدْيِ زَيْنُ الْمُحَافِلِ وَالْكَتَبِ
شَرِيفُ مَشَى النَّهْجِ السُّوَيْ وَلَمْ يَمَلْ عَنْ الْأَثَرِ الْمَحْمُودِ فِي الْفَرْضِ وَالنَّدَبِ
فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ مِثْلُهُ (يَمِثْلُهُ فِي السَّلَامِ) (١) خُلُقًا وَفِي الْحَرْبِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي لِحَاقِ فَخَارِهِ (تَرْفُقْ فَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْمَرْتَقَى الصَّعْبِ) (١)

(١) بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ ، وَأَثْبَتَاهَا مِنْ ص .
(٢) مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ فِي دَرَجَةٍ تَعْلُو دَرَجَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمِنْ بَعْدِهِ خِيَارُ الْأُمَّةِ ، وَهَذَا
بِأَمَلٍ ، وَالْمَحَبَّةُ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَى دَرَجَةٍ تَعْلِيْقُ أُمُورٍ إِنَّمَا تَعْلُقُ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ
تَمَلُّقًا ، أَوْ صَرَفًا لِمَا هُوَ حَقٌّ لِلَّهِ تَعَالَى لِلْمَخْلُوقِ ، كَلَا الْأَمْرَيْنِ قَبِيحٌ .
(٣) الْمَمْدُوحُ بَشَرٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَادِحُ فَدَعَا أَنَّهُ يَلَاذُ بِجَنَابِهِ ، وَيَتَمَسَّكَ بِذِيْلِ
رَحَابِهِ كَلَامٌ لَا يَلِيْقُ مِنْ مَخْلُوقٍ بِحَقٍّ مِنْ هُوَ مِثْلُهُ ، وَكَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَصْرِفَ هَذَا لِلَّهِ الْقَادِرِ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .
(٤) الْقَصِيدَةُ مِنَ الطَّوِيلِ .

متى يبلغ المطري مناقب من له
وطافت على ذاك الجلال فنالها
ولما سعت بين «الصفاء» من رياضه
وعند «منى» العافين والسعد طالع
[ص ٣٢٥] / وفي «عرفات» الجود كان وقوفها
ومرّت بمن يحلو لديه حديثها
فأشجته إذ رقت فصبّ دموعه
عجبت لها وهي الفصيحة منطقاً
فما حُور الأجفان إلا لفضلة
نسيم الصبا ما اعتلّ إلا لغيرة
أبا بكر هل تلك العقود نظمتها
[٩٨/ب] / أعدت زياداً عند نطقك أعجماً
ولما بدت تختال في وشي طرسها
فما «تَه دلالاً» ما «عيون المها» وما
لقد كسرت شعر ابن جابر في الورى
فقلّ لي هل أرسلتها خندريسة^(١)
فإن لم تكن هذي السلاف بعينها
وقد صار ورق الفكر يشدو صباية
نصبت بها أعلام حسن بلاغة
لك الفضل إذ (أبدت كل غريبة)^(٢)

(فضائل قد نافت على السبعة الشهب)^(١)
شذى (طيباً أذى من المندل الرطب)^(١)
ومروءة مجد (أتحت غاية القرب)^(١)
رمت «جمرات» (الهم عن منكب الركب)^(١)
فجاد عليها (ذلك البحر بالسحب)^(١)
أسير غرام (لا يضيق)^(٢) عن الحب
وغير بديع أن يلقب بالصب
لسامعها تضني وإن صحفوا تصبي
من الحسن أهدته إلى ذلك السرب
لما قد حوت من منطق للنهى يسبي
لتغلب بالسحر الحلال ذوي اللب
وبينت نقص الفاضل المفلق الندب
تعطّرت الآفاق في الشرق والغرب
«قفا نبك» أو «يا ظبية» أو «ألا هبي»
وما المتنبي بعد عن معجز ينبي
تظل الحجي قسراً وتذهب بالكرب
فما بال إيجاب النهى خصّ بالسلب
على غصنها الميال من طرب الشرب
فطأطأ أهل الشعر خفضاً لدى النصب
وأملت فيها ما يزيد على العجب

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، ولعلها : يفيق .

(٣) الخندريس : الخمر القديمة . انظر : المعجم الوسيط ٢٥٧/١ .

/ ودونك (مني ذا الجواب مقرضاً) (١) مديحك كي ألقى الدلاء مع الغرب [ص ٣٢٦]
 (أهز بها جذع العهد لأجتي) (١) بدائع آداب تروّج للقلب
 (وأحيي بها قلباً تعاوره الجوى) (١) فعاد من الأشواق في معدن (الترب) (١)
 (وصل على خير الأنام مسلماً) (١) كذا آله في كل حين مع الصحب

(وكتبت بعدها إلى الشيخ العلامة) (١) صاحبنا عبد الله بن عبد الرحمن سراج (٢) ما لفظه : (يقول الفقير إلى الله تعالى : إني) (١)
 لما عثرت على قصيدة الشيخ العلامة الأديب أبي بكر بن عبد الوهاب
 (الزرعة - متع الله بآدابه - الواصلة) (١) إلى تلك الحضرة السامية ،
 والمتضمنة لمدح هاتيك (السجاياء العالية ، ورأيت ما فاق) (١) ، وأخجل
 الشمس في الإشراق ، من جواهر ألفاظ ، أسحر من فترات الألحاظ ،
 (وزواهر) (١) آداب ، أشهى من ملاقات الأحاب ، وعقود نظام ، أزهى من
 زهور الأكمام ، يزري بدور الأسلاك ، ودراري الأفلاك ، فتطفلت على تلك
 الموائد البديعة بهذا التقرير ، الذي أستحق عنده أن يقال لي : « إن
 وسادك لعريض » ، لكن ذلك مني على سبيل التقرير ، لصدق المدح
 والإطراء ، والمساهمة في مدح من أنا بمدحه من الغير أولى وأحرى ، مع
 قصد المعاطاة للقائل بكاسات الأدب ، وإن لم يسبق بيننا معرفة [أ/٩٩]
 فالعلم والأدب كما قيل بين أهله نسب .

فليتفضل الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن سراج بعرضها
 على الشيخ المذكور / ، لتحظى بالمشول بين يديه وتفتنم حسن الذكر [ص ٣٢٧]
 المأثور ، والسلام على الجميع مسك الختام .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) من علماء الحرم المكي ، عينه الشريف محمد بن عون رئيساً على علماء مكة ، تولى
 قضاء جدة سنة ١٢٣٢ هـ . انظر : أبو الخير ، المختصر من نشر النور والزهر

وقد عارض ذلك جماعة من علماء الوقت ، وتجسارينا نحن وهم في حلبة الأدب ، وأنتج ذلك جملة قصائد بديعة عذاب ، واتفق مع ذلك مقامات في الخروج للتنزه في نخيل « زبيد » ، في موكب خليضة العصر ، لا زال ظافراً بالنصر والتأييد ، ودونت الجميع في كتاب ، وسمي ذلك المجلد « عقد الجمان بذكر أدب علماء الزمان »^(١) وهو متداول معروف .

ولذا طوينا ذكر تلك الأدبيات إحالة عليه ، وعند وصول هذه الأبيات إلى الشيخ أبي بكر جاءت منه هذه القصيدة مادحاً للشريف ، وقد أدمج وصف بيته « نجران » وتأريخ وقت تمامه ، ولله دره فلقد أذاب بها قلوب البلغاء حسداً ، وألقى على كرسي ابن النبيه جسداً .

صدور المعالي في مراتب إحسان	بها طرز الإملا محاسن حسان
أم الزهر في روض الأصيل تفتقت	كمائمه (ما بين روح) ^(٢) وريحان
تمازج ريح الطيب منها لناشق	بريح (صبا العذب من روض بستان) ^(٢)
ولبات درّ في نحور جاذر	بدت (من عقود من سبائك مرجان) ^(٢)
أم اللؤلؤ المنظوم في سلك عسجد	تفرد حسناً (أم قلائد عقيان) ^(٢)
وشمس ضحى أم صحو غيم تواصلت	حواشيه (بالقصر المشيد نجران) ^(٢)
[ص ٣٢٨] / به هام سعد السعد من عذباته	لفرط (اشتياق من تواجد أشجان) ^(٢)
وأوى خطيب اليمن سوح فسوحه	بمنبره يسمو (فصاحة سحبان) ^(٢)
قلله من قصر يطول اتصافه	بحمد على طول الزمان وشكران
يطرز ركنيه حريز ارتفاعه	على صفة حسنى بأحسن إتقان
لجئاته وجنات زهر توردت	بمصطبح ناءٍ ومفتبق دان
على أنها تجري على الدهر تحتها	مياه التهاني فوق موردها الهاني

(١) انظر : البخاري : تفسير سورة آل عمران ، ٢٨ ؛ مسلم : باب الصيام ، ٣٣ .

(٢) لا توجد معلومات بشأن هذا المخطوط للمؤلف .

وطاف به أحوى السعود منادياً / إذا جاشت الريح البليل ترابها
يدير بها كأس المنى بين ندمان / بناها الحسين السيد الواحد العلا
أنت بعبيـر أو بعنبر ريجان [٩٩/ب] / خليفة ذي العليا علي بن حيدر
فليس له في مجد سؤدده ثان^(١) / محل الوفا أصل الصفا خير معشر
كريم الأصول الواصلين ذوي الشأن / يقول على وجه التباهي مفاخرأ
إلى المصطفى يعزى انتساباً وعدنان / أولئك آبائي فجئني بمثلهم
أخو أدب منهم ومقول تبيان / أئمة عدل يُقتدى بفعالهم
إذا ما اجتمعنا نابذين لأحزان / لقد أمنت نفسي بهم في حياتها
بهم عمر المولى دعائم أكوان / على أنها من هاشم في صحيحها
وقرت عيوناً في معاهد أوطان / أبا حسن والجود دُرّ عقوده
وحسبك بيتاً لا يطاوله باني / حلت (من الملك العزيز براحة) (٢)
ومعروفه قد در مطعم ألبان / (علوم وآداب وفعل مكارم) (٢)
حبا لثمها هامي السحائب أرواني / (وسيف ورمح عند معترك العدا) (٢)
وترتيب أوراد وترتيل قرآن [ص ٣٢٩] / (كريم فكم يمهأ باليمن أقبلت) (٢)
فمن باتر ماضي الحسام وطعان / (له راحة يحيا بها الفضل خالداً) (٢)
ويسراه فاضت باليسار على عاني / (وخير امرئ أحيا لأفضل شرعة) (٢)
بطول يمين مع تطاول إمكان / (به اليمن الميمون أصبح آمنا) (٢)
وأمثل منهاج معالم أديان / (له جيرة بالقلب من فرط حبه) (٢)
ظليلاً لغصن العدل من جور عدوان / (وقد جلّ قدراً عن جميل مدائح) (٢)
يجر بها أردان فضل وإحسان / فلولاه لم تنقب لآلي قريحتي
وإن قصوري عن حصولي أقصاني / فلا زال في برٍ على بحر جوده
فأستجلب المعنى على قدر إمعاني /
وخير وفخر من فيوضات رحمان

(١) هذا الكلام فيه تجاوز ظاهر ، حيث وصفه بالواحد والعلا ، وهما صفتان لم تؤتيا لبشر .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وَلَمْ تَبْرَحِ الْأَيَّامُ تَخْدُمُ سَعْدَهُ بَنِيْلُ الْأَمَانِي مِنْ مَوَاهِبِ مَنَانِ
[١٠٠/أ] / هَنِيئًا مَرِيئًا دَارُهُ دَارُ قَطْبِهَا بِإِسْعَادِ إِسْعَافِ لِإِقْبَالِهَا الدَانِي
وَحَامَ بِهَا طَيْرُ الْأَمَانِي مُرَدِّدًا لِتَرْجِيْعِ أَفْرَاحِ بِتَسْجِيْعِ أَلْحَانِي
تَلَاخِظُهَا عَيْنُ الْعَنَاسَةِ مَا صَبَا نَسِيمِ صَبَاهَا مِنْ تَمَائِلِ أَغْصَانِ
وَمَا أُنْشِدُ الْإِقْبَالَ سَطْرًا مُؤَنَّقًا مِنْ الشَّعْرِ كُلِّ الْحَسَنِ فِيهِ بِإِتْقَانِ
بَغَايَةَ مَطْلُوبِ تَسَامَى مُؤَرِّخًا تَبْدَى لِمُرَايِ السَّعْدِ طَالِعِ نَجْرَانِ^(١)

(وفيها ؛ كانت وفاة الفقيه الأديب خيرى بن محمد عمر^(٢) بمدينة [ص ٢٣٠] « زبيد » ، نشأ في مدينة « أبي عريش » مسكن آبائه وأجداده / وتطلع إلى المعارف العلمية ، وعانى الأدب فبلغ منه النهاية ، وتولى كتابة الإنشاء في صغره (للشريف أحمد بن حمود ، وتولى أعمالاً)^(٣) لولاة الأمر بهذه الجهة ، وكان من كملة الرجال ، ومن البلغاء المعدودين ، شعره في الذروة ، وبينى وبينه مكاتبات أدبية ، قد أثبتتها في غير هذا الموضع) .

وفيها ؛ وصل رأي من السلطان صاحب الروم عبدالمجيد^(٤) يقتضي للشريف على جهة اليمن بالتأييد^(٥) ، وإنَّما يطلب منه الإعلان له بالخطبة على رؤوس المنابر وذلك بواسطة محافظ « جدة » وشريف

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) له ترجمة في عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة رقم (٩٢) .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) السلطان عبدالمجيد بن محمود الثاني ، تولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ١٢٥٥ هـ ، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً (ت/١٢٧٧ هـ) .

انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ٤٥٥ - ٥٣٠ .

(٥) صدر هذا فرمان في الثالث والعشرين من شهر محرم ١٢٥٩ هـ .

انظر : خط همايون ، سجل رقم ١١ ، صفحة ٢٠٥ ، إرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول

وقد تضمن فرمان ما يلي :

أ - الدعاء للسلطان على المنابر أيام الجمع والعيد .

ب - دفع ضريبة سنوية للباب العالي عن طريق الحجاز قدرها سبعون ألف ريال .

ج - الارتباط بأمير مكة ووالي جدة واستشارتهما .

« مكة »^(١) ، فقابل الشريف ذلك الرأي بالامتنال ، ورآها يداً للسلطان في الظاهر ، وقد ناب عنه في صناعة هذا الصنع قول الشاعر :

وخذ النوم من عيوني فإني (قد خلعت الكرى على)^(٢) العشاق^(٣)

ودار في أثناء ذلك مباحثة في إرجاع بيرق الإفرنج (في « المخا » لأجل المصلحة العائدة على أهل)^(٤) الإسلام من دفع شرهم والصلح على ذلك ، (وحرر بعض الأعيان سؤاله في هذه) المادة ، ووقع مني الجواب عليه مع بسط الأدلة كتاباً وسنة ، (وحاصل ذلك أن دليل جواز) الصلح قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾^(٥) أي إذا مالوا إلى (المصالحة فمل إليها ، وقيل : هذه)^(٦) الآية منسوخة ، قيل بآيات السيف ، وقيل بآية الجزية ، والصواب (عدم النسخ لفقدان) التعارض ، وإمكان الجمع بين الآيات ، فهذه الآية / فيما إذا طلب (المشركون منا [ص ٢٣١] الصلح ورأى)^(٦) الإمام فيه مصلحة ، وآية أهل الكتاب لا تنافي هذه بل توافقها ، ولذا قال مجاهد^(٧) : « المراد بها قبول جزية أهل الزمة .

= د - حماية رعايا الدول الأجنبية من التجار وغيرهم .

هـ - استحصال الرسوم الجمركية وفق التعرفة المقررة .

و - السماح للقناصل برفع أعلام دولهم على منازلهم أو مكاتبهم بشرط وجود ما يثبت تعيينهم ممثلين لبلادهم .

ز - تجديد الفرمان كل ثلاث سنوات إذا التزم الشريف بذلك .

(١) محافظ جدة : عثمان باشا ؛ أمير مكة : محمد بن عون .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) البيت من الخفيف .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٧) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى السائب المخزومي ، تابعي جليل ، شيخ القراء والمفسرين (ت/ ١٠٤هـ) . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩ ؛ الزركلي ، الأعلام

وأما آية محمد^(١) وهي قوله : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾^(٢) « فإنه نهى للمسلمين عن طلبهم مصالحه المشركين وهم الأعلون بالقوة والغلبة ، فأية ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ فيما إذا كان في المسلمين ضعف ، ورأى الإمام في مصالحتهم مصلحة ، فإنه يجب إجابتهم حتى^(٣) جاء في صحيح البخاري « أنه لما جاء أبو جندل^(٤) وهم في خلال خوض الصلح وقد قال سهيل^(٥) : إنه لا يتم الصلح إلا برد من جاء رسول الله ﷺ من أهل « مكة » [١٠٠/ب] مسلماً ، قال سهيل : هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد ، قال : فوالله إذن لا أصالحك على شيء أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : فأجزه لي ، قال : ما أنا بمجيزك قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ، قال مكرز^(٦) : قد أجزناه لك « ، والقصة معروفة في البخاري^(٧) ، وقد تكلم الحافظ بن حجر في « فتح الباري » بما يشفي ويكفي في المادة^(٨) .

(١) يقصد المؤلف الآية التي وردت في سورة محمد .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٢٥ .

(٣) هكذا في الأصل ولعل المؤلف يريد : حيث .

(٤) أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري القرشي ، من خيار الصحابة ، أسلم وحبسه أبوه وقيده ، ثم هرب وله قصة مشهورة (ت/١٨هـ) . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٩٢/١ .

(٥) سهيل بن عمرو العامري القرشي ، خطيب قریش وفصيحهم ، أسلم يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٩٤/١ .

(٦) مكرز بن حفص بن الأخيف ، وقيل الأحنف ، القرشي العامري ، وقد قال عنه الرسول ﷺ حينما جاءه في الحديبية : هذا مكرز وهو رجل فاجر ، وقد جاء إلى المدينة بعد بدر في فداء سهيل بن عمرو فحبس مكانه لينذهب ساعياً في فداء نفسه . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩٥/٢ .

(٧) وردت القصة في البخاري ٩٧٤/٢ باب الشروط في الجهاد : وفي مسند أحمد ٢٢٨/٤ ، ولدى ابن حجر في : الإصابة في تمييز الصحابة ٦٩/٧ .

(٨) انظر : فتح الباري ، باب الشروط ٢٢٩/٥ .

وما نحن فيه من هذا القبيل ؛ لأن الإفرنج هم الطالبون للصالح على ردِّ بيرقهم ، مع عدم الاستطاعة في الحال لأهل الإسلام في مقاومتهم من جميع الوجوه ، ورُبَّما تعدى ذلك إلى ما هو أنكر من البيرق ، ودفع المفسدتين بأخفهما معتبر في هذه / الشريعة المحمدية ، ومن عرف موارد [ص ٣٣٢] الكتاب والسنة ، ونزّل الأمور على الفرق بين حال الاضطراب وحال الاختيار لا يعزب عنه ما يكون به براءة الذمة (في مثل هذه الأمور المهمة)^(١) ، والله ولي التوفيق ، وبه الهداية إلى أقوم طريق ، (وفي أيام إقامة الشريف « بزبيد » هذه المرة)^(١) وصلت إليه هذه القصيدة من شيخنا (السيد العلامة البليغ محسن)^(٢) بن عبد الكريم بن أحمد^(٣) بن محمد بن إسحاق بن المهدي الصنعاني أبقاه الله :

عزير علينا أن يطول بك العهد	(أيا دار من أهواه دام لك السعد) ^(٢)
وفيهم حنيني والتوّلّه والوجد	(وما شغفي بالدار لكن لأهلها) ^(٢)
وإن وقفوا في غيرها وقف الود	إذا ارتحلوا عن سوحها ارتحل الهوى) ^(٢)
حننت إلى الدار التي سكنت هند	(أحن إليها ما أقاموا فإن) ^(٢) نأوا
وما «حاجر» عنه السؤال ولا «نجد»	(وأسأل عن «نجد» و«سلع») ^(٢) و«حاجر»
إلى الدار إعزازاً لهم وهم القصد	(وأصرف عنهم لوعتي وصبابتي) ^(٢)
ضروب من الأسباب أيسرها البعد	(لقد حال ما بين المحب) ^(٢) وبينها
وكيف وحادي الشوق بي نحوها يحدو	وما البعد عن دار الحبيب بمانع
له الحل في نيل المآرب والعقد	أهمُّ ولكن للمقادير صولة

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) بياض في الأصل ، وفي ص : محمد ، والاسم الصحيح محسن بن عبد الكريم ، من أعيان

صنعاء وأدبائها المشهورين (ت/١٢٦٦هـ) .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٧٨/٢ : زيارة ، نيل الوطر ٢٠١/٢ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

فلو ساعد الجد استقلت ركائبي / هو المقصد الأسنى هو السؤل والمنى
هو الغاية القصوى هو الجوهر الفرد^(١) [١٨٠١/
هو البدر إشراقاً هو الأسد الورد [ص ٢٢٢] / همام إذا حدثت عن كنه وصفه
فما هو إلا الروض باكره العهد له كلف بالمجد حتى كأنما
يشب بنيران الحروب له ند وعند اشتجار السمر تحسب أنه
لفي روضة تهتز أغصانه الملد وليس دخان المنديل الرطب عنده
سوى ما أثارته المظهمة الجرد وقور إذا طاش الحليم محدث
إذا اختلف الرأيان والتبس الرشده كريم يحب المال للبذل والندى
ففي حبه حمد وفي بذله حمد سَموح يعدّ العفو أرجى وسيلة
إلى الله إذ يعطى صحيفته العبد فلا زال في أفق العلا مترقياً
إلى درجات منتهى شأوها الخلد^(٢)

تأمل رقة هذا النظام ، وما اشتمل عليه (من الانسجام ، ولولا خشية)^(٣) الإطالة لفتشت زهوره ، وسلسلت نهوره (لا غرو ؛ فشيخنا إمام البلاغة ، وله من هذا)^(٤) النمط ما يعلق بالأرواح ، ويسكن العصم سهول (البطاح ، وإدخال اللام في خبر إن)^(٥) المفتوحة في قوله : « تحسب أنه لفي روضة » هو على (مذهب من يجيز ذلك من النحاة ومنه)^(٦) قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾^(٧) (بفتح أن في إنهم والله أعلم)^(٨) .

السنة التاسعة والخمسون بعد المائتين والألف : فيها كان ابتداء [ص ٢٢٤] إحياء الشريح الذي شرقي وادي « ضمد » ، وكان (متولي الأحياء)^(٩) / الشريف محمد بن الحسين بن علي بن حيدر ، عن إذن حكام الجهة

(١) هنا يتساءل العاقل ماذا يكون هذا الممدوح ؟ إذا كان هذا المخلوق هو المقصد الأسنى ، وهو المسؤل ، وهو المنى ، وهو الغاية القصوى ، ثم هو الجوهر الفرد ، الحق أن الاندفاع في الإطراء مزلة قدم ، كان الأولى بالعاقل توقيها والحذر من الانزلاق في أحوالها .

(٢) القصيدة من الطويل .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) سورة الفرقان ، الآية : ٢٠ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الأعيان ، وأذن (والده ملك الزمان ، وغرم في ذلك غرامات)^(١) كبيرة ، ولكنه تيسر من ذلك الإحياء مَعْمَال (واسع ، لفنون الزراعة جامع ، وبنى هناك)^(١) قلعة عظيمة الشأن ، شامخة البنيان ، وسكن ذلك المحل جماعة (من الناس حتى)^(١) صار قرية عامرة ، وسميت « بالحمى » وهي في هذا الزمان من أحسن محارث وادي « ضمد » .

وفيهما كان من الشريف حمود بن علي التدير^(٢) في قلعته ، والتظهر بمخالفة أخيه لما سبق من ذلك الأمر ، فأُنهى إلى الشريف صورة الواقع ، وهو حينئذٍ « بزبيد » فأرسل [١٠١/ب] إلى ولده الشريف محمد بن الحسين ، وابن أخيه الشريف علي بن محمد بن علي ، أنه إن حدث منه ما يوجب من الخلاف ، أنهما يقابلان ذلك بمثله من غير استكاف ، وبدا للشريف الرجوع إلى الأوطان ، فاستقر « بالحديدة » أياماً ، ونفذ إلى « الزهراء » ، ومع وصوله إلى « الزهراء » في شهر رجب من هذا العام بلغه أن الشريف حمود فتح الحرب من قلعته ، وأرسل مدفعاً قد كان أخذه من « المخا » على أهل بلدته ، فقابله الشريفان بما هما له أصل من الدفاع ، وآل أمره إلى الاستسلام وترك النزاع ، وطلب الإذن بالوصول / إلى أخيه [صره ٢٢]

بمدينة « الزهراء » ، فلما وصله عطفته عليه الرحامة ، وقابله بالعفو الذي هو به أحرى ، وقيض معه خيام الترحال ، بالوصول إلى « المدينة العريشية » ، فدخلها الشريف بشارة حسنة ، وأبهة ملوكية مستحسنة .

على سابح (موج المنايا)^(٢) بنجره غداة كأن النبل في صدره وبُلْ
(وكم عين قرن حدقت لنزاله)^(٣) فلم تغض إلا والسنان لها كحل^(٤)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) تدير المكان : اتخذ داراً .

انظر : المعجم الوسيط ٢٠٢/١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) البيتان من الطويل ، والقائل : المتنبى ، انظر : الديوان ١٨٦/٢ .

(وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً ، ترادفت)^(١) فيه المسرات
(والبشائر)^(١) ، وكان غرة في (جبين الدهر الزاهر ، فاستقر) في
بيته « نجران » ، المشيد الأركان ، وهو أول وصوله إليه (بعد التمام ،
وأنشده لسان)^(١) الحال :

(لقد حسنت) بك الأيام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام^(٢)
فائدة : قول أبي الطيب على سابح ... البيت هو نظير قول
التهامي^(٣) في الحسن :

وعصابة مال الكرى برؤوسهم ميل الصبا بذوائب الأغصان^(٤)
فتأمل حلاوة قوله : عصابة : مع قوله : رؤوسهم وذوائب ، يكاد
يرقص بهذا اللفظ والمعنى السطور ، وتحلّى بدرره الترائب من الفواني
والنحور ، ويشاكله في بديع صفته قول أبي الطيب ، فإنه ناسب فيه بين
[ص ٢٣٦] سابح والموج والوبل ، ثم أنظر : سابحاً هنا مثل قول التهامي / : وعصابة ،
كل من اللفظين يخدم معنيين ، فأماً عصابة فأحد معنيها في البيت :
الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت ، وإذا ملح الرؤوس [١٠٢/أ]
والذوائب كان معناها الثاني : ما يشد به الرأس ، وكذا سابح أحد
معنيها : الفرس ، والثاني : اسم فاعل من سبح ، ولله هذان البيتان ما
أبدعهما ، وهما اللذان آمنا أن يعززا بثالث ، لا ما ادعاه الحريري في
مقاماته ، ورواه عن الحارث ، والبيتان اللذان للحريري هما :

سمسة^(٥) تحمد آثارها فاشكر لمن أعطى ولو سمسة
والمكر مهما استطعت لا تأته لتجتي السؤدد والمكرمة^(٦)

-
- (١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الوافر ، والقائل : المتنبى ، الديوان ٨٠/٤ .
(٣) أبو الحسن علي بن محمد التهامي ، من شعراء المخلاف السليماني في القرن الخامس
(ت/٤١٦هـ) .
انظر : العقيلي ، التاريخ الأدبي ٢٩/١ .
(٤) البيت من الكامل ، انظر : ديوان التهامي ٤٠٠/١ .
(٥) الأصل و ص : سم سمة .
(٦) البيتان من السريع .

وقد اطلعت على عدة مقاطيع نظمها الشعراء في هذا النمط ، ردأ

لدعوى الحريري منها قول الشاعر :

ما الأمة الكوعاء يوم الوغى أحسن من حر أتى ملأه
فمه إذ استجديت عن قول لا فالحر لا يملأ منها فمه^(١)

والعلامة الصاغانى^(٢) مجلد في معارضة البيتين والله أعلم .

ودخلت سنة ستين ومائتين بعد الألف ، في شهر صفر منها وصل
إلى الشريف قبائل (يام ، واستقروا بحضرته جملة من الأيام ، لأجل)^(٣)
ترميم أحوالهم ، وترتيب أمورهم ، فتمت (على أحسن نظام ، وكان قد
وصل إليه قديماً)^(٤) السيد محمد بن يحيى / بن المنصور^(٥) الإمام ، [ص ٣٣٧]
وشكا عليه (صروف الحدثان ، وما عامله به من خلاف)^(٥) المراد الزمان ،
فقابله الشريف بغاية الإكرام ، (ونهاية الإعزاز والإعظام ، فاطمأن
خاطرهم)^(٥) ، وقرّ ناظره ، وأفاض عليه من إنعامه فوق (الكفايات ،
وغمره بترادف)^(٥) الصلوات والكسوات ، وأعطاه أنواعاً من الخيل
الجيدات ، (وكان لا يفارقه في أغلب)^(٥) الأوقات ، ونزله في جميع
الأمور منزلة الأخ الشقيق ، (وأحله في الصداقة محل)^(٥) الروح من

(١) البيتان من السريع .

(٢) الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر ، أعلم أهل عصره في اللغة (ت/٦٥٠هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢/٢٣٢ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي بن المهدي ، تمكن بمساعدة الشريف الحسين بن
علي بن حيدر من السيطرة على صنعاء وبويع بالإمامة سنة ١٢٦٠هـ ، وتنازل له علي بن
المهدي عبدالله ، دخل في صراع مع الشريف الحسين وتمكن من أسره ثم أطلق ، وفي
سنة ١٢٦٥هـ وصلت القوات العثمانية بقيادة توفيق باشا ومحمد بن عون وسلم لها
المذكور صنعاء ممّا كان سبباً في ثورة العامة عليه وإعادة علي بن المهدي الذي أمر بقتله
في محرم سنة ١٢٦٦هـ .

انظر : زيارة ، نيل الوطر ٢/٢٤٣ : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٠٨ - ٢٤١ ،

وانظر : كذلك السياق في هذا الكتاب .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الجسد بهرأى من القريب والسحيق ، وكان (سبب خروجه من « صنعاء » أنه حدث) ^(١) منه حدث أوجب من إمام زمانه عبدالله بن أحمد - الملقب (بالمهدي - أن أقصاه من أوطانه) ^(١) ، وأزعجه عن محل أنسه وسكانه ، فطوّف في أكثر الآفاق ، (ولحقته أنواع الشدة والمشاق) ^(١) ، حتى انتهى به سفره إلى مصر ، وما وقف من سفره على غير الإياب ، وحين وصل إلى الشريف نال منه من أنواع الإكرام ما لا يكاد يخطر ببال ، ولا يدخل في حساب ، وكان قد أفاض [١٠٢/ب] إلى الشريف أنه يطلب منه النصرة للرجوع إلى « صنعاء » ، فأصغى الشريف إلى ذلك الحديث سمعاً ، ووصل إلى الشريف أيام استقراره « بالمدينة العريشية » ، وأكد طلب النصرة من الشريف ، وحثه على ذلك بكرة وعشية ، فطلب الشريف العساكر ، وسار إلى « زبيد » .

[ص ٢٣٨] ومع وصوله / هناك اجتمع لديه منهم جمع وافر ، فعقد من هناك للسيد محمد بن يحيى البنود ، وحشد له الجنود ، وتوجه تلقاء « مدين » ^(٢) ذلك المطلوب ^(٣) ، وانفصل من « زبيد » في أبهى زيّ وأبهج أسلوب ، وحين ضربت في « ريمة » ^(٤) خيامه ، ونصبت في ذلك المكان أعلامه ، دخل أهل تلك الجهات في طاعته ، وانخرطوا في سلك إجابته ، وكان ذلك مبادئ ظهور الاستيلاء على تلك الجهات ، والمقدمة لبلوغ القصد ومنتهى الغايات .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) مدين : منطقة أثرية معروفة شمال المملكة العربية السعودية ، تبعد عن تبوك حوالي

١٦٠ كم شمال غرب ، ومن أهم بلدانها البدع وحقل .

انظر : شرف الدين ، المدن والأماكن الأثرية ، ٢٦ .

(٣) ليس المقصد هنا التوجه نحو أرض مدين ولكنه تضمين من المؤلف للآية الكريمة :

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ سورة القصص ، الآية : ٢٢ .

(٤) ريمة : اسم مشترك بين عدد من بلدان اليمن ، ولعل المقصود ريمة جبلان ، وهي تقع

جنوب شرق الحديدة بمسافة ٧٠ كم .

انظر : المحففي ، معجم المدن والقبائل ، ١٨٧ : الحجري ، المجموع ٢/ ٢٧٧ - ٢٧٩ .

وفيها في شهر رجب حصلت زلزلة عظيمة وقت صلاة العصر ،
سمعنا لها دويّاً عظيماً ، وبعدها بمدة تقارب شهراً قريب ثلث الليل
حصلت زلزلة « بأبي عريش » .

وفي يوم سابع وعشرين (يوم الخميس من شهر)^(١) شوال وقعت
أيضاً في « أبي عريش » ونواحيه زلزلة عظيمة (اهتزت منها الأرض ،
وظهر الخراب)^(١) في بعض قلاع المدينة المذكورة ، وفزع الناس (من ذلك
فزعاً عظيماً ، وحدث بعض)^(١) من شاهدها أن جبلاً شرقي « أبي
عريش » يسمى (« الطرف »)^(٢) انصدع ، وأن^(٣) جبال « عكوتين »^(٤)
تصدعت ، فسبحان الصانع الحكيم ، وقد كثرت (في جهة « السراة »
و « رجال »)^(٥) ألمع « و « الدرب » وتلك الجهات ، وحدث من شاهدها
بعجائب ، (وذكر بعض الثقات أنها في)^(٥) بعض الأيام تكررت ثلاث
مرات / فأكثر ، وأن بعض جبال (« رجال ألمع » تصدعت ، والبعض)^(٥) [ص ٢٣٩]
منها سقط ، وتهدمت بيوت حجر في قرية « الدرب » .

وهذه الزلازل قد وردت الأحاديث أنها بسبب ما يحدث في الأرض
من الذنوب ، وأنها مما يستعيب الله بها عباده ، فنرجو الله أن يتوب علينا
وأن يعاملنا بفضله لا بعدله .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في
كتابه « الداء والدواء »^(٦) جملاً وافية من ذلك ، وللحافظ السيوطي

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الطَّرَف : جبل معروف يسمى أيضاً جبل القلّتين .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٧٣ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) جبال شرقي مدينة صيبا ، أحدهما يعرف بـ (عكوة اليمانية) وآخر بـ (عكوة الشامية) .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٩٨ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٦) اسم الكتاب : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، سبق التعريف به .

- رحمه الله تعالى - مؤلف سماه « الصلصلة عن وصف الزلزلة »^(١) ،
أورد فيه^(٢) جملة عن الأحاديث والآثار ، وذكر ما ورد في حقيقتها .

وذكر [١٠٣/أ] أسبابها وأنها تخويف من الله - تعالى - لعباده عند
فعل المنكرات ، وذكر ما يستحب عند الزلازل من الصلاة والتقرب بوجوه
البر ، وسرد في تلك الرسالة نبذاً من الزلازل الواقعة في الإسلام ، وذلك
المؤلف مفيد في بابه من أراد فليطالع .

وفي شهر ذي القعدة الحرام كانت وفاة الشريف الأمجد أبي طالب
ابن علي بن حيدر بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات .

وقد قدّمنا أنه العامل في « الحديد » فأصدر فيها وأورد ، وبسق
غصن ملكه بها وتأود ، وأعطى فأخجل الغيث الهامع ، واستوى في سيبه
الداني والشاسع .

[ص ٢٤٠] وارتفع له بذلك قدر وتفخيم ، وانتصب له كرسي إمارة / عظيم ، لا
غرو فهو من الأشراف الأمجاد ، وقد لباه لسان السعادة بالإسعاد ، والسر
في كمال هذه المعاني ، واقتعاد الكرسي السليماني ، هو الكرم الذي
لا يوضع من الأناسي إلا في العيون ، ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣) .

وقد بكيّت مكارمه على مرور الأيام ، بما خطر في سلك هذا
النظام :

(١) اسم الرسالة : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، طبعت في الهند مرتين ضمن رسائل
السيوطي ، غير أن كليهما كانتا ناقصتين ، فالأولى نقصت خمس صفحات من الآخر ،
والثانية نقصت ثماني عشرة صفحة من الآخر ، وطبعت في المغرب بتحقيق عبداللطيف
السعدني وصدرت في الرباط عام ١٩٧١م ، وحققها في المدينة المنورة عبدالرحمن بن
عبدالجبار وصدرت في ١٤٠٤هـ .

انظر : لمزيد من المعلومات : مؤنس ، مصادر تاريخ الزلازل ، ٤٠ .

(٢) الأصل : فيها .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

لي الله من خطب يضيق به الصدر
تعاظم حتى عمّ كلّ موحّد
وساوى بعيد الناس فيه أقارب
ولا بدع قد مات الذي طال مجده
محاسنه تتلى على كل سامع
شريف كريم الكفّ في كل حالة
شجاع إذا ما الخيل في الحرب أحجمت
ضجوك إذا أعطى عبوس إذا سطا
له خلق كالروض زاهٍ وزاهر
إذا بان في أخلاقه سرُّ جدّه
/ وقد كان للإسلام ركنًا مشيدًا
على مثله تجري الدموع كآبة
ليبكيه من قد كان في ظل عدله
وببكيه من قد عاش في خصب جوده
/ وببكيه أرباب الوفود بسوحيه
وتبكي عتاق الخيل فهو الذي له
وتبكي الدروع السابغات لفقده
وتبكي الردينيات فقدًا لكفه
وتبكي سيوف طال في الحرب ما اشتكت
وهيهات ما يجدي التلهف والبكا
ولو كان يُضدى هالك بعد موته
وما هذه الدنيا سوى (لهو حالم) (١)

(ويوقد في الأحشاء من حرّ جمر) (١)
(فليس لعين لم يفض ماؤها عذر) (١)
(كذا فليجلّ الخطب وليعظم الأمر) (١)
(وطاب له بين الورى بالثنا نشر) (١)
(فتحلّو ولكن لا يطاق لها حصر) (١)
(ربيع الورى حقًا إذا أخلف القطر) (١)
(فكم (نهلت من كفه بالدم السمر) (١)
(فكم أخبر الأبطال من كفه ذعر) (١)
(يفوح على الجلاس من نفحه عطر) (١)
فلا غرو من أهليه لا ينزع السرّ
به لذوي الإسلام قد وقع الفخر [١٠٣/ب]
ويُعدم من عظم المصاب به الصبر
مقيمًا ولا جور يخاف ولا قهر
يروح ويفدو لا يصاحبه فقر
فكم مطرت من كفه لهم تبر [ص ٢٤١]
على أهلها يوم الوغى النهي والأمر
وما جهلت لَمّا له عُرِف القدر
وإن عالها من طعنة في العدا كسر
فراقًا لأغماد إذا دهم الشر
على فائت من بعد ما قضي الأمر
إذن زِيدَ في عمرٍ له بالفدا عمر
يُغر بها في فعلها الرجل الغرّ

(١) بياض في الأصل ، وأثبتهما من ص .

أقاموا بدنياهم ونحو الفنا مروا
 وغاية مد العمر فيها هو القصر
 عليها إلى دار البقاء فهم سفر
 وحقكم فيما ينوب هو الصبر
 فإن على قدر الأسى يعظم الأجر
 إلى الصبر فامشوا نهجه حبذا الأجر
 به قد قضى ربي له الحمد والشكر
 وإن خر منكم من منازل البدر
 فواري محياها بباطنها قبر
 أخو الفضل والعليا والفتكة البكر
 مناقب عنها يعجز النظم والنثر
 فأوقاتنا طيب وأيامنا غر
 معاضى سليماً لا يلزم به ضر
 ويلقاه في دار البقا الروح والبشر
 جميعاً ولا قرّ الجحيم ولا حر
 عليه صلاة الله ما تلي^(٢) الذكر
 كذا الآل والأصحاب ما همل القطر^(٣)

أبن لي (فأين الناس من عهد آدم)^(١)
 وكل (مقيم بعدهم فهو راحل)^(١)
 (مطاياهم الأيام تجري وكل من)^(١)
 (بني حيدر أنتم ملوك وقادة)^(١)
 (وإن كان هذا الرزء لا شيء مثله)^(١)
 (وجدكم المختار أرشد مثلكم)^(١)
 وهذا سبيل الناس (كل إلى)^(١) الفنا
 وأنتم بدور مشرقات على الورى
 فقد صار بطن الأرض حاسد ظهرها
 وما دام رب الملك والسيف والقنا
 [ص ٢٤٢] / ملك الورى أعني الحسين ومن له
 [١٠٤/] فنحن وأنتم في أجل سعادة
 فنرجو إله العرش يبقيه دائماً
 ويخلف في الماضي بحسن خلافة
 ويجمعنا في مستقر نبيه
 نكون جميعاً في جوار محمد
 يدوم مع التسليم في كل حالة

وفي مستهل ذي الحجة الحرام قسم الشريف الأجناد ، وجعل لكل
 طائفة مقدماً من الأشراف الأمجاد ، وتقدم هو في طائفة من يام ،
 وانفصل من « زبيد » وتوجه إلى « حيس » بذلك الجيش الركاب ، وقد
 صدق عليه قول بعض الأنام :

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
 (٢) الأصل : تلا ، والتعديل لتستقيم القافية .
 (٣) القصيدة من الطويل .

أقبلت تبسم والجياد عوابس (يحبين بالحلل المضاعف والقفا)^(١)
عقدت سنابكها عليها عثيراً (لو تبتغي عَنَقاً عليها أمكناً)^{(١)(٢)}

وعيد عيد الأضحى ، وتوجه بعد ذلك (إلى الجبال ، فدخل أهلها
تحت طاعته وأقبلوا)^(٢) غاية الإقبال ، حتى أناخ جيوشه « بتعز »^(٤) ،
وكان فيها (رتبة من طريق صاحب « صنعاء » ، فناوشوا)^(٥) بالقتال ،
وأساؤوا بالمنع صنعاً ، فنصب الشريف (عليهم المدفع ، ولزم عليهم
الأطراف)^(٥) من كل موضع ، فبعد ثلاثة أيام نزلوا على نظر
الشريف ، (وعفا عنهم فيما سلف / من غير)^(٥) تعنيف ، وانخرط بعد [ص ٢٤٣]
ذلك الإذعان سلك أهل تلك الجهات ، (ووصلوا إلى حضرة الشريف
وسلموا له)^(٥) الطاعات .

السنة الحادية والستون بعد المائتين والألف : فيها كان إقبال رعايا
تلك الجهات إليه ، وانشيأهم رغبة ورهبة بين يديه ، ولما كان أهل تلك
الجهة قد استولى عليهم العساكر من « ذو محمد » ، جعلوا الرعايا من
جملة التركات ، فكل واحد أخذ طائفة من الرعايا ، وجبى منهم
الخراجات ، رأى الشريف أنه لا يجدي فيهم غير أعمال السياسة ، فأقام
« بتعز » طارحاً ظاهر البلد نحو ثلاثة أشهر ، [١٠٤/ب] يسعى في دواء
هذا الداء الذي قد استحکم ، ورأى أن انفصال أيدي العسكر عن الرعايا

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيتان من الكامل وهما للمتبي ، انظر : الديوان ٢٠٣/٤ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) تعز : مدينة مشهورة في سفح جبل « صبر » الشمالي ، بينها وبين صنعاء جنوباً ٢٥٦ كم ،

كانت تعرف قديماً باسم « العدينة » ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الهجري .

انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٦٩ : الحجري ، المجموع ١٤٥/١ - ١٥٥ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

هو الأهم المقدم ، فما زال يسوس العسكر تارة بالتخشين ، وتارة بالتلين ، وطوراً يبذل لهم الأموال ، حتى انتظمت الأمور وصلحت الأحوال ، ودخل تحت طاعته « تعز » ومخلافه ، و « الجند »^(١) وجميع تلك الجهات إلى حدود « إب »^(٢) و « جبلة »^(٣) ، وكانت طائفة من « ذو محمد » في موضع يُسمى « عماكر »^(٤) ، لم يدخلوا في الطاعة بعد أن بذل لهم ما بذل لغيرهم من العساكر ، فتديروا قلعة هناك وأشعروا بالخلاف ، فرأى الشريف أن تركهم على ذلك الحال لا يليق ، وأن إخراجهم من حصنهم بالقهر أولى من اللطف بهم والترقيق ، فقد قيل :

[ص ٢٤٤] / ووضع الندى في موضع السيف بالعللا

مضر كوضع السيف في موضع الندى^(٥)

فارتحل إليهم بجنود متكاثرة ، وفرسان حرب قد تقلدوا السيوف الباترة ، وطرح عليهم ، وأرسل على الحصن الذي هم فيه المدافع ، فهدمت أرجاء تلك القلعة وليس لهم من أمر الله (دافع ، هذا مع اختلاف العسكر)^(٦) إلى حريهم بكرة وعشيا ، وأذاقتهم من كأس المنية (كأساً ولا أقول مرياً ، فحين رأوا)^(٦) شواهد الغلبة والقهر ، طلبوا من الشريف

(١) الجند : بلدة مشهورة بالشرق الشمالي من مدينة تعز بمسافة ٢٢ كم ، وهي مدينة قديمة وبها بني أول مسجد في اليمن ، بناء معاذ بن جبل . رضي الله عنه . في العام الثامن للهجرة .

انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٩٥ .

(٢) إب : مدينة في الجنوب من صنعاء بمسافة ١٤٠ كم في السفح الغربي لجبل « ريمان » .

انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٥ .

(٣) جبلة : مدينة مشهورة في الجنوب الغربي من إب بمسافة ٧ كم ، وتسمى قديماً مدينة النهرين ، كانت عاصمة للدولة الصليحية .

انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٨٠ : الحجري ، المجموع ٢٤/١ .

(٤) عماكر : قرية تقع شمال قرية الذنبتين من الجند .

انظر : المقضي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٩٦ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للمتبني ، انظر : الديوان ٢٨٨/١ .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الإذن (بالخروج من ذلك القصر ، بعد أن أسروا)^(١) على ما فعلوا
الندامة ، فبذل لهم الشريف كرمًا منه (الأمان ، وقنعوا عما كانوا
يطلبونه)^(١) بالسلامة ، وكان خروجهم كفافًا لا لهم ولا عليهم ، فزمو
(مطايا ترحالهم ، والإدبار يسعى)^(١) من خلفهم وبين أيديهم .

وبعد أن صفت تلك المخاليف (من الكدورات ، وثبتت)^(١) أمورها
بعمالها ومشايخها على حسب المرادات ، التفت الشريف إلى العناية بأمر
(محمد بن يحيى بن)^(١) الإمام ، لأجل أن يحله في وطنه مدينة
« سام »^(٢) ، ويستجلي بدر مملكتها الزاهر ، ويزحلق من كان بها عن دسسته
الداثر ، وقد كان المتولي « لصنعاء » علي بن عبدالله المهدي^(٣) وكان رجلاً
سلس القياد ، غير مستعمل للحزم في الإصدار والإيراد . مغلوباً على رأيه
باستيلاء خاصته عليه والأجناد ، فكثرت من أجل ذلك خراب تلك الديار ،
وعدم انضباط أحوالها في العشايا والإبكار / ، وكان الناس مع ما هم فيه [ص ٢٤٥]
من ذلك الحال يتمنون قيام من يضبط الممالك ، وكانت قلوبهم مقبلة إلى
هذا القائم ، لا سيما والشريف [١٠٥/أ] هو المتولي للعناية به في هذه
المسالك ، لما قد شاع من حسن سيرته وعدله في الرعية ، فظنوا أن
هذا يجذو حذوه في تلك السيرة المرضية ، مع ما انضاف إلى ذلك من

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) سام : اسم قديم لمدينة صنعاء ؛ يقال إن سام بن نوح هو أول من اختطها ، وتسمى
أيضاً : أزال باسم أزال بن قحطان .

انظر : المقحف ، معجم المدن والقبائل ، ٢٥٢ ؛

- Serjeant , R . San 'a' , an arabian Islamic city .

(٣) المنصور علي بن المهدي عبدالله بن المتوكل أحمد ، تولى الإمامة وخلع أربع مرات . تولى
عام ١٢٥١هـ وبقي مدة سنة وثلاثة أشهر ثم خلع ١٢٥٩هـ ، وبقي مدة ستة أشهر ثم خلع
١٢٦٥هـ ، وبقي نحو تسعة أشهر ثم خلع ١٢٦٧هـ ، وبقي نحو ستة أشهر ثم خلع
(ت/١٢٨٨هـ) .

انظر : زبارة ، نيل الوطر ١٤٢/٢ : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٤٥ .

سبق القدر بتمام المقصود ، وخفوق بند السعادة الذي هو ببلوغ المأمول معقود .

فلم يزل يعمل السياسة فيما به تمام هذا الشأن ، حتى وصل محمد ابن يحيى « ضوران »^(١) ، وهناك نشر الدعوة على تلك الآفاق ، وتلقّب بالمتوكل على الله ، وغنى له السعد بما رقّ وراق ، واستمال الشريف بحسن الإيالة أركان المملكة من أهل « صنعاء » ، حتى صار ثمر أزهار طاعتهم في الباطن للسيد محمد بن يحيى يتعاً .

ولما أن شارف نيل المقصود على التمام ، وتيقن أن ليس بينه حاجز وبين مدينة « سام » ، أضاف ما قد ملكه من البلاد إليه ، وجعل تكاليفها في الأمر والنهي عليه ، ولم يرتض بعض قرابات الشريف ما فعله من إعانة محمد بن يحيى على تلك الإمارة ؛ لما قد عرفوه بالاستقراء من أحواله ، التي ربّما كانت عواقبها المضرة على الشريف بتلك العلامة من أحواله والإمارة .

وأشاروه بالترك لما هو بصدده من هذا المراد ، وعدم المساعدة له [ص ٣٤٦] فيما يرومه والإسعاد ، وأحسن من اعتنى بذلك / ابن أخيه الشريف (البطل)^(٢) الكمي الحسن بن محمد بن علي ، لكن لم ير الشريف ذلك الرأي سديداً ، لما قد (التزم به للرجل المذكور ، ولما)^(٢) قد اتفق منهم من القواعد الأكيدة ، والعهود السديدة ، التي (لا ينقضها إلا كل ظلوم كفور)^(٢) ، وبعد ذلك قيض الشريف خيام الرحيل إلى تهامة ، ولا أقول قد بلغ من (جميع ما يريده مرامه)^(٢) .

(١) ضوران : جبل آنس الذي في منتصفه من الشمال تقع مدينة ضوران ، وقد تهدمت المدينة بالكامل في زلزال ١٩٨٢م ، كانت عاصمة معظم الأئمة القاسميين ، وتعرف قديماً باسم « الدامع » لكثرة عيونها .

انظر : المقحفي ، معجم المدن والقبائل ، ٢٦٠ ؛ الحجري ، المجموع ٥٥٤/٣ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وقد كان الشريف في باطن الأمر ما أراد بتلك الجموع ، وتلك العدة (التي نجمها القاهر)^(١) ما زال في طلوع ، إلا استخلاص « عدن » من أيدي الإفرنج ، وما جعل (مملكة تلك الجهات)^(١) إلا مقدمة لذلك . حتى تكون له ظهراً يستند إليه عند المضي في تلك (المسالك ، وخاض مع)^(١) أكابر الجند في هذا المراد ، وبذل لهم الأطماع فما رأى منهم إلى ذلك (المطلوب)^(١) إسهاداً .

وقد كُتب له - إن شاء الله تعالى - بما نوى تمام الأجر ، وإنما على الله وحده تمام الأمر :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد^(٢)

والأشياء مرهونة بما لها من الأوقات ، ولكل مملكة حصّة يستوفيها أهلها ولها [١٠٥/ب] نهايات ، ولَمَّا استقر / الشريف « بزبيد » جاءته [ص ٣٤٧] البشائر بدخول محمد بن يحيى إلى « صنعاء » ، وبلوغه ما يهواه فيها أصلاً وفرعاً ، والدنيا بالحظوظ في نيل الطلبات ، ومن له في الكون شيء ساعدته الإرادات ، ولله القائل :

يعدو الرياض الحيا والأرض مجدبة رزقاً وفي البحر ذيل السحب مسحوب
فلا لعجزٍ تعدّى ذاك وابله ولا لحرص سقت تلك الشآبيب^(٣)
وما أحسن قول أبي الفوارس سعد بن محمد الصيفي^(٤) :

علمي بسابقة المقدور ألزمني صمتي وصبري فلم أحرص ولم أسل

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) البيتان من البسيط .

(٤) سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي (الحيص بئص) ، شاعر مشهور ، نشأ

فقيهاً وغلّب عليه الأدب والشعر (ت/٥٧٤هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٣٨/٣ : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٠٢/١ .

لو نيل بالقول مطلوب لما حُرم الرُّؤيا الكليم وكان الحظ للجبل
وحكمة العقل إن عزت وإن شرفت جهالة عند حكم الرزق والأجل^(١)
وبعد استقراره « بصنعاء » واستقلاله بمملكته بعث إلى الشريف
نفائس الهدايا ، مكافأة على بعض ما قد أسدى من اللطائف والمزايا .

ومن أنفس ذلك خزانة كتب من كتب الإسلام ، (ولآبائه من أئمة
أهل البيت)^(٢) العناية بالعلم ، وعندهم من نفائس الكتب ما لا (توجد مع
[ص ٢٤٨] أحد ، ولهم خزانة / وهي إلى) الآن موجودة ، وإنما هذه بعض منها ،
وهذا الشريف له (العناية بالعلم ، وجمع كتب العلم)^(٣) على اختلاف
أنواعها ، ولديه منها خزانة كبيرة ، وقد (قلّ في هذه الأزمنة الأخيرة)^(٤)
عناية الملوك بالكتب : لتقاعد الزمان ، وقلة العلماء .

وأما الملوك (القدماء فلهم فريد اهتمام)^(٥) بالكتب حتى حصلوا
منها الجَمّ الغفير ، وجمعوا منها (الخزائن الجليلة ، فأما)^(٦) ملوك
اليمن فقدماء أهل البيت خزائن كتبهم تفوق العدّ .

وقد ذكر (الدّميري)^(٧) في « حياة الحيوان »^(٨) في (٩) حرف
الهاء في ذكر الهزبر : « أن الملك المؤيد داوود بن الملك (المظفر
الفساني)^(١٠) أحد (١١) ملوك اليمن كانت كتبه نحو مائة ألف

(١) الأبيات من البسيط ، وقد وردت في الفيث المسجم للصفدي ١٢١/٢ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) محمد بن موسى بن عيسى الدميري ، باحث وأديب مصري من فقهاء الشافعية
(ت/٨٠٨ هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ٢٤٠/٧ .

(٤) مطبوع أكثر من طبعة ومتداول .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٦) المؤيد داوود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، رابع حكام بني رسول ، تولى الحكم
من ٦٩٦ هـ إلى تاريخ وفاته ٧٢١ هـ .

انظر : الخزرجي ، العقود اللؤلؤة : شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ٢٢٠ .

(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

مجلد «(١) ، وأما غير ملوك اليمن (فخرائهم ثلث خزانة العباسيين) «(٢) ببغداد » ، وكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة . ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتار « بغداد » فذهبت تلك الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمها ، وجهل آثارها .

قال الحافظ السيوطي في « حسن المحاضرة » «(٣) : « إن التتار رموا كتب الإسلام في شط [١٠٦/أ] « الفرات » بعد أخذ « بغداد » فصارت / جسراً يمرّون عليه ، وتغير لون ماء « الفرات » أياماً إلى لون [ص ٢٤٩] السواد من حبر تلك الكتب ، فذهبت كتب الإسلام في تلك الفتنة » انتهى .

والثانية : « خزانة الفاطميين » بمصر ، وكانت من أعظم الخزائن وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم ، ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد «(٤) آخر خلفائهم ، واستيلاء صلاح الدين «(٥) على المملكة بعدهم ، فاشترى القاضي الفاضل «(٦) أكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسة الفاضلية « بالقاهرة » ، فبقيت فيها إلى أن استولت عليها الأيدي فلم يبق منها إلا القليل .

(١) انظر : الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢/٢٨٨ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) اسم الكتاب : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبوع ومتداول .

(٤) عبد الله بن يوسف بن الحافظ الفاطمي ، آخر ملوك الدولة الفاطمية (العبيدية) بمصر والمغرب (ت/ ٥٦٧ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/٢٩١ .

(٥) يوسف بن أيوب بن شاذي ، صلاح الدين الأيوبي ، من أشهر ملوك الإسلام (ت/ ٥٨٩ هـ) . انظر : الزركلي ٩/٢٩١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢١/٢٧٨ - ٢٩١ .

(٦) عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي ، من أئمة الكتاب ، ومن وزراء صلاح الدين الأيوبي ، (ت/ ٥٩٦ هـ) . انظر : الزركلي ، الأعلام ٤/١٢١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢١/٣٢٨ .

والثالثة : « خزانة ملوك بني أمية » بالأندلس ، وكانت من أجلّ خزائن الكتب ، ولم تزل على ذلك إلى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس ، فذهبت كتبها كل مذهب ، وهؤلاء الذين في الأندلس من بني أمية أول قائم منهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ، وكان دخوله الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وعدة [ص ٣٥٠] ملوكهم ثلاثة عشر ملكاً : أولهم عبدالرحمن / المذكور وآخرهم عبدالرحمن بن الملك الناصر^(١) ، (وانتهت مدتهم بست وأربعمئة)^(٢) ؛ وجملة ملوك بني العباس سبعة وثلاثون أولهم (السفاح وآخرهم المستعصم)^(٣) ، ومدتهم^(٤) خمسمائة عام وثلاثة وعشرون سنة وأحد^(٥) عشر شهراً قيل (وخمسة عشر يوماً ، وكان قتل المستعصم)^(٦) سنة ست وخمسين وستمئة ، قتله التتر صبراً ، ودخلوا (« بغداد » ، وبذلوا السيف في أهلها)^(٦) ، وسلطانهم هولاءكو .

وأماً بنو أمية الذين بالشام فملوكهم (ثلاثة عشر ؛ وأولهم معاوية بن أبي)^(٦) سفيان وآخرهم مروان بن محمد الجعدي ، ومدتهم ألف (شهر على ما حكى المسعودي) وغيره ، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر^(٧)

(١) مدد خلفاء بني أمية في الأندلس تسعة عشر خليفة ، وآخرهم هشام الثالث بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الناصر (المعتمد) ، وانتهت الخلافة في الأندلس عام ٤٢٢ هـ وليس كما ذكر المؤلف .

انظر : إستانلي بول ، طبقات سلاطين الإسلام ، ٢٦ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) في ص : المعتصم ، والصواب ما ذكر .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) الأصل : إحدى .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٧) خلفاء بني أمية أربعة عشر خليفة ، ومدة الخلافة الأموية حوالي ٩١ سنة ، وليس كما

ذكر المؤلف . انظر : إستانلي بول ، المرجع السابق ، ١٩ .

وملوك (بني أمية وبني العباس أخذوا غُرّة)^(١) الدنيا وشبابها ، وتمّ لهم من اتساع المملكة في جميع (الأقطار ، وجمع الآلات الملوكية ما لم يتم)^(١) لغيرهم من بعدهم ، كما يعرف ذلك من اطلع على (تاريخ أيامهم ، حتى قال بعض الظرفاء)^(١) تبسّمت الدنيا لبني أمية . وقهقهت لبني العباس ، ولم تزل تبكي إلى يوم القيامة ، وقد عبّر عن مثل هذا أبو الطيب في قوله :

أتى الزمان بنوه^(٢) في شببته فسرهم وأتيناه على الهرم^(٢)

[١٠٦/ب] أمّا الفاطميون فهم بإفريقية المغرب . وكان / ابتداء [ص ٣٥١]

دولتهم سنة تسع وتسعين ومائتين^(٣) ، ومدتهم مائتا سنة وست وستون سنة ، ومقامهم بمصر مائتا سنة وثمانين سنين^(٤) ، وجملة ملوكهم أربعة عشر ، أولهم المهدي ، وآخرهم العاضد ، وللعلماء كلام كثير في صحة نسبهم وعدمه ، فمنهم من صحح انتسابهم إلى الحسن السبط رضي الله عنه ، وقد رأيت ابن عنبه في « عمدة الطالب » يميل كلامه إلى هذا^(٥) ، وبعضهم ينفيه ، وقد تعرّض ابن خلكان في تاريخه لذلك بما فيه كفاية ، من أحبه فليراجع^(٦) ، وعلم حقيقة الحال عند الله سبحانه وتعالى ، وفيها كانت وفاة السيد العلامة يحيى بن محسن بن شبير النعمي ، كان من نحارير العلماء ، وبقية السادة الفضلاء .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأصل : بنيه ، هرم ، والصواب من ديوان المتنبّي ١٦٢/٤ ، وهو من البسيط .

(٣) الصواب أن ابتداء دولة الفاطميين سنة ٢٩٧ هـ . انظر : حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ١٤٥/٣ ؛ إستانلي بول ، طبقات سلاطين الإسلام ، ٦٨ .

(٤) الصواب أن مدة حكم الفاطميين حوالي ٢٧٠ سنة ، ومقامهم بمصر حوالي ٢١١ سنة . انظر : إستانلي بول ، المرجع السابق ، ٦٩ .

(٥) انظر لمزيد من المعلومات : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، لابن عنبه ، ٢٢٧ .

(٦) انظر : وفيات الأعيان ١١٧/٢ .

ارتحل إلى « مكة » و « صنعاء » وأخذ عن علمائها ، ولازم والده مدة وانتفع به ، وله عناية بالعلم ، وجادت يده في علم الفروع ، وله اطلاع على أيام الناس ، وكان هو المرجع لأهل وادي « بيش » ووادي « قري »^(١) من تلك النواحي ، وله الجلالة التامة في قلوب الخاصة والعامة ، وكان (مقيماً بقريته « الدهناء » وإليه فصل الحكومات هناك ، وأحكامه جارية على النهج المرضي ، مع ما (هو فيه من الورع ، والقنوع)^(٢) من العيش [ص ٢٥٢] بالكفاف / والإقبال على ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى (في حاله وقاله ، رحمه الله تعالى .

وفيهما في سابع)^(٢) عشر شهر رمضان ، كانت وفاة الوالد القاضي العلامة (علي بن أحمد بن حسن البهكلي ، مولده سنة) تسعة وثمانين ومائة وألف بمدينة « صبيا » ، ونشأ في (حجر والده ، ولم يزل يدأب)^(٢) في الطلب حتى حاز نصيباً وافراً من العلم ، وبعد تولي شيخنا (العلامة عبدالرحمن بن أحمد)^(٢) لقضاء « بيت الفقيه » لازمه في القراءة حتى استفاد ، وترقى إلى نيل المعارف ، (وأسمع كثيراً)^(٢) من كتب الحديث ، وكان له الاشتغال التام بالذاكرة والمطالعة ، ولا يفتر (عن ذلك آناء)^(٢) الليل وأطراف النهار ، وله العناية بجمع الكتب حتى جمع فيها نفائس قل أن (توجد)^(٢) إلا معه ، وتردد إلى « مكة المشرفة » و « المدينة المنورة » ، وأخذ عن علماء الحرمين وأجازوه ، وبعد وفاة أخيه شيخنا الوجيه^(٣) نصّب في القضاء بعده في « بيت الفقيه » ، وجرت أحكامه على السداد ، وتوفي وهو على ذلك رحمه الله تعالى وإيانا .

(١) مورد من موارد وادي بيش ، انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٤٥ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) يقصد المؤلف شيخه : عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلي (ت ١٢٤٨ هـ) . انظر :

حدائق الزهر للمؤلف ، ٨٠ - ٩٣ .

وفيهما كان نزول جماعة من قبائل « يام » والشريف حينئذٍ
 « بزبيد » ، وهذه القبيلة مع / ميل الشريف [١٠٧/أ] إليهم ، وتأثيره لهم [ص ٣٥٣]
 على غيرهم من العساكر ، لما لهم مع آبائهم من الولاء الظاهر ، لم يزالوا
 يمدقون له البر بالجفاء ، والكدر بالصفاء ، فلم يكن منهم بعد نزولهم إلا
 التظاهر بخلاف الشريف ، ونزلوا بساحة « باجل » ، فانفصل الشريف من
 « زبيد » واستقر في « بيت الفقيه » ، وأرسل لبذل الحقوق المعتادة لهم ،
 ولكن لم يقف منهم على طائل ، ووصلوا بعد ذلك إلى قرية « الزيدية » ،
 وعاثوا في البلاد لكون الشريف لم يبال بهم حتى مالوا عن الصواب ، وآل
 بهم الحال أن وصلوا « الزهراء » ، ونشروا رايات الحرب على من بها من
 الأرتاب ، ولله القائل :

رُبَّمَا أَخْرَجَ الْحَزِينَ جَوَى الْحَزَنِ إِلَى غَيْرِ لَاقٍ بِالسَّدَادِ
 مِثْلَ مَا فَاتَتِ الصَّلَاةَ عَلَى سَلِيمَانَ فَأَنْحَى عَلَى رِقَابِ الْجِيَادِ (١)
 ولكنهم حلّ بهم الفشل ، وقتل منهم جُمْل ، وما هي إلا إعانة إلهية ،
 ودفع عمّن في « الزهراء » من الذرية النبوية ، وإلا فهم أسود الجلال
 والطعان ، ولا يقوم لهم في معترك الهيحاء أحد إلا أذاقوه حدّ المشرفي
 ووخز السنان ، كما (قال ابن القيم فيهم في مقام الفخر بهم) (٢) في يوم
 الحرب العوان / :

القائدو الخيل شعناً ضمراً عبساً شعناً (قوانسها يمرعن في اللجم) (٢)
 والمنهلون صدور السمر من مُهَجِ الد أعداء والمغمدون (البيض في القمم) (٢)
 والساحبون ذيول السرد لأمعة والناقضون صفوف (الجحفل العرم) (٢)(٣)

(١) البيتان من الخفيف .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) الأبيات من البسيط .

وتوجهوا إلى بلادهم على حال لا يُرضى ، لما عاملهم به لسوء
(اختيارهم القضاء ، ولم ينفصلوا)^(١) عن علي حميدة إلا وقد أوقعوه في
نكث العهد ، ومنّوه بما (تحدثه به الأماني من)^(١) القصد ، ولم يصدقوا
معه فيما أمله منهم من الصداقة ، (ولانفتاح)^(١) الشر مُقدّمات يغترُّ بها
أهل الحماقة ، والعاقل لا يغتر بمثل ذلك ، بل يسلك من الحزم أحسن
المسالك .

(٢) ولله در العلامة ابن حزم الظاهري حيث يقول ، محذراً من
أصدقاء السوء لذوي العقول :

تجنّب صديقاً مثل ما واحذر الذي يكون كعمرو بين عرب وأعجم
فإنّ صديق السوء يُزري وشاهدي كما شرقت صدر القناة من الدم^(٣)

[١٠٧/ب] وهذان البيتان يحتاجان إلى تفسير ؛ فقوله : تجنب
صديقاً مثل ما ؛ أي صديقاً ناقصاً ، والمراد بالناقص الذي يحتاج إلى
تكملة كاحتياج ما الموصولة إلى الصلة والعائد ، وقوله : واحذر الذي يكون
كعمرو ... أي صديقاً فيه زيادة لا حاجة إليها ، كالواو التي في آخر
عمرو ، ويحتمل أن يكون أراد بعمرو الذي في قول الشاعر :

[ص ٣٥٥] المستجير بعمرو / عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار^(٤)

وقوله : فإن صديق السوء يُزري ... يعني أنه يُزري بصاحبه كما

قيل :

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) انظر نهاية القوس ص (٤١٢) .

(٣) البيتان من الطويل ، وقد أوردها الصفدي في الفيث المسجم ٤٠٩/١ دون إشارة إلى القائل .

(٤) البيت من البسيط ، والقائل : كليب بن ربيعة ، انظر : البغدادي ، خزانة الأدب ٢٥١/٧ .

وصاحب خيار الناس واستبق ودهم ولا تصحب الأردا فتردى مع الردي^(١)

وأقام على ما ادعاه شاهداً وهو أن التأنيث إذا جاور المذكر أكسبه
التأنيث كما في قول الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم^(٢)

لأن صدر (وهو مذكر لما)^(٣) أضيف إلى القنا أنث فعله وهو
شرق ، والتأنيث سواء^(٤) بالنسبة إلى التذكير (بدليل قوله تعالى حكاية
عن أم مريم)^(٥) عليها السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾^(٦) وهذا^(٧) المعنى بديع ، لكن أحسن منه
قول أمين الدين المحلي^(٨) :

(عليك بأرباب الصدور فمن غدا)^(٩) مضافاً لأرباب الصدور تصدراً

(وإياك أن ترضى صحابة ناقص)^(٩) فتتحط قدراً عن علاك وتحقرا

(وفرع (أبو) من ثم خفض مزمل)^(٩) يصدق قلبي مغزياً ومحدراً^(١٠)

(١) البيتان من الطويل ، وقد ورد الأول منهما منسوباً لعبيد بن الأبرص ، انظر : الزامل ،
المنتخب ، ٢٥٥ .

(٢) البيت من الطويل ، انظر : ديوان الأعشى ، ١٢٢ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) الأصل : سوء .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، وقد سقطت كلمة (أم) في الأصل وأضافها المحقق .

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٣٦ .

(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٨) محمد بن علي بن موسى الأنصاري المحلي ، نحوي من أهل « المحلة » بمصر

(ت/٦٧٢ هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٧٢/٧ .

(٩) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(١٠) الأبيات من الطويل .

(يريد بقوله : فرفع أبو من ... إلى)^(١) المثال في قول النحاة :
عرفت زيدا أبو من هو ، فإنه لولا أن (أبو أضيف إلى من لم يكن
[ص ٣٥٦] مرفوعاً)^(١) وإنما رفع لأن من لها الصدر ويريد : بخفض / مزمل ، قول
(امرئ القيس في معلقته :

كأن ثبيراً في عرانيں وبله)^(١) كبير أناس في بجاد مزمل^(٢)
وذلك لأن مزملأ صفة لكبير ، وكان حقه الرفع ولكنه خفض
لمجاورته المخفوض)^(٣) ، وهذه الأبيات تهز العطف طرئاً ، وتطير باللب
عجياً .

نعم ، وبعد ذلك تبين للشريف أن الشيخ علي حميدة قد نكث
العهد ، وتعدى في فعله الحد ، ولله القائل :

[أ/١٠٨] / ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى^(٤)
وهكذا من أضمر العداوة لا يصلح معه وداد ، ولا يصفو^(٥) منه
الحال وإن صوفي على مر الآباد ، كما قال صاحب المعزية :

إن العدو وإن أبدى مسالة إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا^(٦)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من الطويل ، وهو من معلقة امرئ القيس ، وقد ورد الشطر الأول هكذا :

كأن أبنأ في أفانين ودقه

انظر : حسن السندوبي ، شرح ديوان امرئ القيس ، ١٥٨ .

(٣) ما بين القوسين من ص (٤١٠) إلى هنا نقله المؤلف من الغيث المسجم للصفدي بتصريف .

انظر : ٤٠٩/١ - ٤١٠ .

(٤) البيت من المتقارب .

(٥) الأصل : يصفى .

(٦) البيت من البسيط .

لا سيما إن امتزجت تلك العداوة بحسد ، فذلك الداء العضال الذي ليس له دواء عند أحد ، كما قال بعض الحكماء :

ثلاثة إن صحبت ثلاثة أعيت أساة بدوها والحضر
عداوة مع حسد وفاقة مع كسل وعلة مع كبر^(١)
فأشعر الشريف في الأجناد بالإقدام إليه ، وإدارة كأس الحرب
عليه :

إذا قيل رفقا قال للرفق موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل^(٢)
/ وطلب التوسط في صلاح الشأن بعض سادات اليمن ، ولكن [ص ٣٥٧]
الشيخ علي غير ملتفت إلى كلام نصيح فيما سرّ وعلن . بل يتطلب ذنوباً
يجعلها حجة في يده للخطاب ، ويسلك من صناعة المغالطة طرقاً لا تروج
على أولي الألباب :

وكل امرئ يدري مواضع رشده (ولكنه أعمى أسير هواه)^(٣)
هو نفسه يعميه عن قبح عيبه وينظر عن (حذق عيوب سواه)^(٤) (٥)

فخرج في شهر ذي الحجة ، ومعه جملة من العساكر ، وكان إذ ذاك
(« بيت الفقيه » ، وفي صحبته جماعة)^(٥) من الأشراف أبطال الصدام ،
فلما أن طرح في الأماكن القريبة من ذلك (المكان لبس لأمة الحرب)^(٥)
وتقدّم وهو يزأر كالليث الصائل ، وتقلّد السيف البتار (واعتقل الرمح
العاسل ، وأحرق)^(٥) به أبطال الفرسان من كل جانب ، وبدا من بينهم

(١) البيتان من الرجز .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للمتنبّي ، انظر : الديوان ١٨٧/٣ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) البيتان من الطويل .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وهو الغرة (في تلك المقانب^(١) ، وقد كان^(٢)) نَمَى إليه أن بعض القبائل من أصحاب الشيخ قد ترتب بجبل غربي (باجل) ، فلما تيقن استقرارهم بذلك المكان ، هيا فرسان المعركة وأسود الطعان ، وتقدّم الشريف عليهم [ص ٢٥٨] لأجل إسغار نار الحرب ، وإقامة سوق الطعن والضرب ، فحين شاهدوه / وفوق رأسه رايته « العقاب » ، الخافقة بنسيم النصر والصواب ، التجؤوا إلى ذلك الجبل ، بعد أن أعوزتهم لشدة ما رأوه^(٣) الحيل ، ثم أرسلوا ما في بطون البنادق ، فانهالت عليهم من عسكر الشريف بصواعق ، [١٠٨ / ب] وأخذت الأرواح واجتذت^(٤) العلائق ، فرقت الخيل بعدهم في ذلك الجبل ، فولوا من الفرع مدبرين ، وإلى قلعة باجل مولين ، فتبعهم الشريف ومن معه في الأثر ، وطلع بدر النصر وزهر ، وقتل من قتل حال الهزيمة ، واتصل بمسامع أهل قلعة باجل هذه الفعلة الجسيمة ، وجالت خيل الشريف تحت حصن باجل وداخل أهله من الفشل ما ترك كل فكر منهم ذاهل .

ولعت هناك لأهل الخيل سيوف ، واشتجرت في القبائل الرماح ورغمت منهم أنوف ، ووقعت من الشريف في ذلك الموقف أفعال زكية ، قضت أنه فرع من تلك الشجرة العلوية ، وأنه الهرماسة البطل عند مقارعة الحروب ، ومنازلة الخطوب ، وانفصل الشريف ، وقد نصبت

(١) المقنب : جماعة من الخيل والفرسان دون المائة تجتمع للغارة ، وجمعها مقانب . انظر :

المعجم الوسيط ٧٦٧/٢ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) الأصل و ص : رواء .

(٤) جذّه جذاً : كسره أو قطعه ، فهو جذيد ومجدوذ ، وجذ الشيء والفعل جذاً ، قطع ثمره

وجناه . انظر : المعجم الوسيط ١١٢/١ .

خيامه غربي الجبل الذي ارتفع وتعلل^(١) ، فوصل إليها واستقر بها ، وقد فاز بالقدح المُعلا ، ووكلت / بعد استقرار الشريف بحربهم المدافع ، [ص ٣٥٩] فأعدمت أهل تلك (القلعة الراحة في جميع)^(٢) المواضع ، وأخذت القلل منهم جماعة ، وأذهل من بها ما (شاهده من فعل تلك المدافع والراحة)^(٢) ، وضيق عليهم الأطراف ، ولُزمت من كل جانب (الأكناف ، وكاد أن يجلي الشيخ) ومن معه من تلك القلاع ، ممّا لحقهم في جميع الأوقات (من الإفزاع ، لكن خامر بعض عساكر)^(٢) الشريف الطمع ، وداخلهم من العيب ما بتّ منهم أديم (النصح وقطع ، فبسبب ذلك)^(٢) تقاعسوا عن الجد في القتال ، ومدّوا للشيخ علي حميدة (بواسطة أهل الخيانة الآمال) فتجمع القبائل من كل صوب وآكام ، وقصدوا مكان (الموقع ليلة السبت رابع)^(٢) عشر شهر ذي الحجة الحرام ، وكان المدفع المذكور في مكان (عن المطرح بعيد ، وحوله جماعة)^(٢) من العساكر ، ولم يزل يتلاحق نحوهم التأييد ، ولما لحق (الصريخ بالشريف خرج في الخيالة)^(٢) آساد الهيجاء وقت الزحام ، وصدر منهم في تلك الساحات (على القبائل غاية الإقدام ، ولكن)^(٢) حاز المدفع القبائل لضعف دفاع العساكر ، وانتشار نظامهم في لزوم ذلك الجبل الظاهر ، والعسكر الذين / بالمطرح مع اشتغال الشريف بما هو بصدده ، زمّوا مطايا الترحال من [ص ٣٦٠] غير ما يوجب ذلك من طرد ولا قتال ، وإنّما علق بهم داء الخيانة ، فأقاموه مقام ضرب العدو وطعانه ، ولم يصل الشريف إلى المطرح ، [١٠٩/أ] إلّا ولم يبق فيه غير القليل ، وبذل المجهود في تثبيتهم في ذلك المقام الجليل ، ولكن العسكر استعذبوا الفرار عن المواجهة بالقتال ، وغاية

(١) الأصل : وعلا .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الأمر أن ذلك ممّا جرت به الأقدار ، والحرب بين الرجال سجال ، فترجع
للسّريف مع ذلك الأمر الفظيع^(١) الرّحيل بمن بقي معه إلى قرية
« القُطَيْع »^(٢) ، ولسان الحال يخاطبه بقول الشاعر :

وهل^(٣) يشينك وقت أنت^(٤) فارسه وكان غيرك فيه العاجز الضرع^(٥)
من كان فوق محلّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع^(٦)

وممّا سبق به القضاء أن خزانة البارود وصلت إليها فتيلة نار
عند اجتماع أولئك الأقوام ، لأجل أخذ ما اشتمل عليه المطرح من
أنواع الحطام ، وكانت المنية في تلك الأمنية ، فهلك بذلك جمع كثير ،
(وذهب)^(٧) أكثر ما في المطرح تحت الحريق ، ولم يبق منه إلا الحقيير ،
[ص ٣٦١] وكانت النّار جنّداً قامت مقام الجيش الكثيف ، ولا شك أن ذلك / عنوان
العناية من الله بالشّريف ، ورجع الشّريف إلى « الحديدية » وكانت الإقامة
هناك ، (وقد استحكمت العداوة من الجانبين)^(٧) من غير انفكاك .

السنة الثانية والستون (بعد المائتين والألف ؛ دخلت)^(٧) والشّريف
مستقر ببندر « الحديدية » في انتظار العساكر ، لأنه (قد بعث إليهم
طلابات ، وهو في خلال)^(٧) ذلك في تسديد الأمور المهمات ، ووصلت من

(١) الأصل : الفضيع .

(٢) قرية شرقي الحديدية من ناحية المراوعة ، تبعد عنها نحو ١٠ كم . انظر : المحفّي ،
معجم المدن والقبائل اليمنية ، ٣٣٣ .

(٣) الأصل : ولا ، والتعديل من ديوان المتنبّي .

(٤) الأصل : كنت ، والتعديل من الديوان .

(٥) الأصل : الفرع ، والتعديل من الديوان .

(٦) البيتان من البسيط ، وهما للمتنبّي ، انظر : الديوان ٢/ ٢٣١ .

(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

يام أجناد وافرة ، (وحين بلغه خبر وصولهم)^(١) أمرهم بالتوقف بنواحي قرية « الزيدية » ، وبعد ذلك خرج من (« الحديد » ثاني عشر شهر رجب)^(١) مع جماعة من الأشراف ، ومع استقراره في القرية المذكورة (وصلت المكارمة)^(٢) وعُقِلَ^(٢) يام ، وتمت أمورهم في ترتيب حقوقهم على أحسن نظام ، وفي شهر ذي القعدة الحرام توجه)^(٢) لمناجزة الشيخ علي حميدة ، بقوة هائلة من المدافع والجنود (العديدة ، وكان مطرحة يمانى)^(٣) « باجل » ، ووقعت منهم على من حلّ به الزلازل .

وفيهما كانت (وفاة الشريف يحيى بن أبي طالب)^(٣) بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات ، كان من أبطال الرجال / ، عند (مقارعة [ص ٢٦٢] الشجعان يوم القتال ، تولى في أيام)^(٣) عمه الشريف حمود « بيت الفقيه » مدة ، وسار فيهم سيرة محمود ، وكان فيه محافظة على أنواع الطاعات ، والملازمة للجمعة والجماعات ، ويجب فعل الخير كثيراً ، حج إلى بيت الله الحرام ، [١٠٩/ب] وبنى في آخر مدته قلعة في بطن سور « الديرة » ، ولم يزل على الأفعال المرضية ، والأحوال الزكية ، حتى توفاه الله تعالى إلى رحمته ، ولله القائل :

وموت الفارس الصنديد نقص فكم شهدت له في الحرب صدمه^(٤)

السنة الثالثة والستون بعد المائتين والألف : وفيها ؛ لم يزل الحرب بين الشريف والشيخ قائماً على ساق ، والشيخ ومن معه قد تحملوا من

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
 (٢) المكارمة : هم زعماء قبيلة يام ، ويعتقون المذهب الإسماعيلي ، وهم من بقايا الصليحيين في اليمن . وللمزيد من المعلومات انظر : فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ١٧٢ - ١٧٥ : أحمد النعمي ، عسير في مذكرات سليمان الكمالي ، ٢٥١ .
 (٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
 (٤) البيت من الوافر .

شدة الحصار المشاق ، والقتل مع ذلك في القبائل ، والقلعة الهدم واقع بها من المدفع في البكر والأصائل ، حتى كادت القلعة أن تلحق بالأطلال البالية ، ويحق علي أهلها الهلاك الذي لم يبق منهم باقية ، لكن الجند اليامي مالت قلوبهم إلى الشفقة بأولئك القوم ، ويعلم الله - تعالى - ما [ص ٢٦٣] تجنه الضمائر مما يكون عاقبته إلى اللوم ، فعولوا على الشريف في استبقاء / الشيخ ، وإصلاح ذات البين ، فساعدهم وإن كان الحزم أن يدار عليه كأس الحين ، وإنما الجند هم الجناح في بلوغ (المقاصد ، فإذا تعذر طيرانهم)^(١) حسنت المساعدة ، وكما قيل : إذا عظم المطلوب قل (المساعدة)^(٢) ، فتمّ الصلح على إرجاع^(٣) ما هو لديه من آلات القتال كالمدافع وغير ذلك من (العدة ، وسمح الشريف تكريماً في طلب بعض)^(٤) ما عنده ، ولله القائل :

(فسامح ولا تستوف)^(٣) حقك كله وأبق فلم يستقص قط كريم^(٤)

(بعد ذلك خرج الشيخ)^(٥) وأولاده إلى الشريف ، واعتذروا وطلبوا العفو فيما سلف فعفى (عنهم ولم يقابلهم بتعنيف)^(٥) ، ولله القائل :

(اقبل معاذير من)^(٥) يأتيك معتذراً إن برّ عندك فيما قال أو فجرا فقد أجلك (من) يرضيك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا^(٦)

وبعد تمام المراد من هذا الشأن ، جعل مقدماً على أجناد يام من الرجالة والفرسان ، وسار بهم إلى « بيت الفقيه » ، وارتحل بمن معه من الأشراف إلى « الحديد » ، وزلج^(٧) الأشراف ، وأقام هناك في حالة حميدة .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

(٢) عجز بيت من الطويل للمتنبى وصدره : وحيد من الخلان في كل بلدة ، الديوان ٢٧٠/١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

(٤) البيت من الطويل .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

(٦) البيتان من البسيط .

(٧) زلج زلجاً وزليجاً : أسرع في المشي وخف . انظر : المعجم الوسيط ٣٩٨/١ .

وفي أثناء هذه المدة مع تصليح الشريف لأحوال اليمن ، وتسديد / [ص ٣٦٤]
 ما ثار فيه من الفتن ، لم يزل الأمير عائض يلاحق في طلب ما تم عليه
 الصلح ، [١١٠/أ] والشريف يعتذر منه بعدم محصول البلاد ، وعدم
 قيامها مع ما وقع فيها بشيء من الإمداد ، فيقبل في الظاهر وهو
 مصرّ على خلاف ذلك ، وثمة من أصحابه من يحسن له أن يسلك من
 (المباينة)^(١) أقبح المسالك ، لكنه ينظر لعواقب الأمور بعقله ، ويعلم أن
 المباينة عاقبتها (وخيمة)^(١) ، ولعله يعتبر بمن قبله ، فيقرب ويبعد لهم
 الخطاب ، ورُبّما ظهر منه ما يتوهم (من أهل)^(١) الأغراض أنه من
 الأسباب ، والشريف مع ذلك لازم للوفاء بما سلف بينهما من (العهد)^(١) ،
 وليس له في فتح الفتنة مرام ولا قصد ، لأنه يعلم يقيناً أن الجميع داخلون
 تحت (كلمة)^(١) الإسلام ، وأن مباينتهم إنّما هي عند تعذر ما يصل إليهم
 منه من الحطام ، ولم يكن لغرض (ديني)^(١) يكون فيه براءة (الذمة)^(١)
 من الملك العلام ، ومثل ذلك لا يسوّغ سفك الدماء ، ولا يجنح إليه (من)^(١)
 يراقب رب الأرض والسماء ، وما زال الطلب يتجدد من عائض في كل آن ،
 وأهل / الأغراض (يرفعون)^(١) إليه ما يوجب التباين والشنآن ، [ص ٣٦٥]
 وصاحب « صنعاء » محمد بن يحيى بدت منه أمور شوشت (ما)^(١)
 سلف من الشريف من الجميل المبتدا ، وحققت قول من قال : ومن
 لك بالحر الذي يحفظ اليدا^(٢) ، ورُبّما أنه أفاض إلى عائض بالرسائل
 ما أفاض ، ممّا (يكدر من)^(٣) الموالاة صافي الحياض ، فتضافرت
 وجوه الخلاف ، وقامت أسباب عدم (الائتلاف ، والشريف عذره
 قائم)^(٣) من عدم محصولات البلاد الذي معه تسليم المطلوب يتعذر ،
 ((وله من العدد والعدد مع ذلك ما لا يقتضي إعطاء الدنية ولا يتقدر)) ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) عجز بيت للمتبني وصدره : وما قتل الأحرار كالعضو عنهم ، الديوان ٢٨٨/١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

ولسان حاله ينشد في مثل هذه العظات ، قول جده عبدالمطلب بن هاشم :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ولو سلت^(١) لأسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له (مأوى سوى المقل)^(٢)
لكنه لم يترك وجهاً من وجوه السداد إلا مشى فيه ، محاذرةً من
(الوقوع في استباحة الدماء)^(٣) من غير وجه يرتضيه ، حتى إنه أسعفه
[ص ٢٦٦] ببعض البلاد ، مع أن (المشاركة / في المملكة من دواعي)^(٤) التباين
والفساد ، ولكن رأى الشريف أن دفع المفسدين بأخفهما أولى ، (وأن)^(٥)
التفادي عن ما يوجب سفك الدماء به في الدارين نيل الفوز الأعلى ،
واستدعى من « زبيد » ابن أخيه الشريف الضرغام الحسن بن محمد بن
علي بن حيدر^(٤) ، ووصله وهو في « الحديد » ، وفاوضه في هذه المادة
بما يصلح به [١١٠/ب] الشأن ، ويندفع به معرفة الفتنة التي تعمي الأبصار
وتصك الآذان ، بعد أن (ألقى)^(٥) إليه الشريف الحسن أن الرضا
بالمشاركة في مملكة البلاد غير حسن ، (ففوضه)^(٥) فيما يراه من
الصواب ، لعلمه أنه لا يؤتى من قلعة في جميع الأبواب ، فارتحل
(المذكور)^(٥) من « الحديد » والسعادة على رأسه تلوح ، وأطيار الظفر

(١) ص : تسل .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، والبيتان من : البسيط .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) ابن أخي الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، ولد سنة ١٢٢٧هـ ، ولاء الشريف الحسين
علي اللحية وزبيد ، وشارك في صناعة الكثير من الأحداث التي مر بها المخلاف
السليمانى خلال فترة حكم الشريف الحسين وبعدها ، وبعد مغادرة الشريف للمخلاف
سنة ١٢٦٦هـ دخل في صراع على الإمارة مع الحسن ابن الشريف الحسين ، وسيأتي
تفصيل ذلك لاحقاً (ت/١٢٨٣هـ) . انظر : عاكش ، عقود الدرر ، الترجمة ذات الرقم
(٩٥) ؛ وانظر كذلك الأحداث في هذا الكتاب بعد عام ١٢٦٧هـ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

بالمطلوب عن ميامنه تغدو وتروح ، لكفاية هذا الأمر الحادث ، وتلافي ما ينتهي إلى وقوع الخطب الكارث .

وعند انتهائه إلى بلاد السراة ، واتفاقه بالأمير عائض ، ألقى إليه ما أجنّه وأخفاه ، وجرت بينهما مواقف عظيمة ، وحججات جسيمة ، غير أن الشريف الحسن كامل العقل ، ومن معرفة أساليب الكلام بمكان ، فما أوردت عليه حجة تلزم في تلك الموارد إلا قابل بمثلها وأيدها بالشواهد ، وحين حُقت الحقائق في ذلك المقام / مال عائض إلى سلوك الطريق التي [ص ٣٦٧] ستسعه ، وهي الصلح وحسم مواد الخصام ، فضربت بينهما (القواعد) وأكدت (العهود وتمّ ما يريد)^(١) الشريف على رغم الحسود ، وسقط في أيدي أهل الحظوظ النفسانية من الناس^(١) ، وسلم المسلمون مِمَّا يتوقع من الضرر واليأس ، واجتمع شمل (عصائب الإسلام ، وبطل قول كل نمّام)^(١) واستفاد المتوسط الذكر الحسن في الدنيا والآخرة ، (إن شاء الله . تعالى . يوم القيامة .

وفيها)^(١) ظهرت من محمد بن يحيى بعد أن صفت له البلاد الصنعانية (من المشاركات ، أمور تنادي بأعلى)^(١) صوت على المخالفات ، وتطلعت نفسه إلى منازعة (الشريف في تهامة ، وصدق فراسة)^(١) من لم يحسنّ للشريف إعانته في هذا الأمر والإقامة ، (وخبث الطباع تنشأ عنه الأفعال)^(١) الردية كما قيل :

(وما ينفع الأصل من)^(١) هاشم إذا كانت النفس من باهلة^(٢)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من المتقارب .

(فلم تزل تصدر منه أمور)^(١) معلنة بالخيانة لما بينه وبين الشريف من العهود ، والشريف لكرم (نفسه وحسن ظنه به)^(١) غير متلفت إلى ما [ص ٢٦٨] يقال ، بل يحمل أفعاله القبيحة / على أحسن الفعال ، حتى برح الخفاء من العداوة ، وانكشف الغطاء لذوي الفطنة والغباوة ، فعامله الشريف بالنصائح تخشياً وتلييناً ، فما زادته إلا عتواً ونفورا ، فاقتضى الحال أن استولى الشريف [١١١/أ] على مدينة « تعز » ، وجعل لها رتبة وعاملاً من عنده إغاثة لأهله من ظلم أولئك القوم ، وإلا فلا مطمع له في تلك البلاد ، وكيف وقد تركها رغبة وما غالى في السوم ، وذلك بعد أن تحقق لديه أن محمد بن يحيى نكث العهد بأمور لا تقبل في الشرع التأويل ، ونصب له شراك العداوة في البكر والأصيل ، ولله القائل :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(٢)

وفيها ثاني عشر شهر ذي الحجة الحرام كانت وفاة الشريف العلامة محمد بن أبي طالب بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات^(٣)، مولده سنة أربع عشرة بعد المائتين والألف ، كان - رحمه الله تعالى - من العلماء العاملين ، وبقية الفضلاء من أهل البيت المطهرين ، أخذ من العلم بنصيب وافر ، ومن المعارف بسهم غير قاصر ، وله في الفروع والنحو اليد القوية ، مع ما هو عليه من الأخلاق النبوية ، وكان [ص ٢٦٩] قراءته / « بأبي عريش » على عدة من المشايخ ، وتشاركت أنا وإياه في شيء من الفنون ، وكان الغاية في التواضع والسمت (الحسن ، والمحافظة

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من الطويل ، والقائل : المتنبي ، انظر : الديوان ٢٨٨/١ .

(٣) انظر ترجمته أيضاً في عقود الدرر للمؤلف ، الترجمة ذات الرقم (٢٢١) .

على (١) أنواع العبادة من الفرائض والسنن ، وله في علم القراءات (٢) معرفة تامة ، وفي (تلاوة القرآن تأدية حسنة ، وتردد (٣) مرات إلى حج بيت الله الحرام ، وكان ملازمًا للقراءة (والإقراء على كرور الأيام ، ونسخ كثيرًا) (٣) من المصاحف والكتب العلمية ؛ لأنه كان حسن الكتابة جيد (الضبط ، وكان لطيف) (٣) المحاضرة ، خفيف الروح على الإخوان ، غاية الأمر أنه قليل (النظير في أهل هذا الزمان) (٢) ولعمر الله إن موته في الإسلام ثلثة ، فإنه ممن يرجع إليه في كثير من (ملهمات (٤) الأمة ، والله القائل (٥) :

الناس في الموت كخيل الطراد السابق (السابق منها الجواد) (٥)
والموت تقاد على كفه جواهر مختار (منها الجياد) (٥)
وبيني وبينه كمال الألفة ، قل أن نفترق في سفر ولا حضر ، والله يجمعنا به في مستقر الرحمة ، مع النبيين والصديقين والشهداء ، فإن « المرء مع من أحب » (٦) كما جاء في الخبر .

السنة الرابعة والستون بعد المائتين والألف : فيها تحقق أن محمد ابن يحيى نزل إلى تهامة ، وارتركب / بالبداية بالبغي متن الظلامه ، [ص ٣٧٠] وساعده [١١١/ب] على تلك الخيانة علي حميدة ، فجرى عليهم اسم

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأصل و ص : القراءة .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) بياض في الأصل ، وفي ص المسلمات .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، والبيتان من السريع .

(٦) انظر : البخاري : باب الأدب ، ٩٦ ؛ ومسلم : باب البهر ، ١٦٥ ؛ والترمذي في

الزهد ، ٥٠ .

الغدر ، واتصفا بما هما أهل له من قبيح الأمر ، وذلك بواسطة أناس استحبوا الدنيا على الآخرة ، ولم يبالوا لخبث طباعهم بهذه الصفقة الخاسرة ، فهوّنوا لمحمد بن يحيى الأمر بأن تهامة خالية من الرجال ، وحرّضوه على اغتنام الفرصة فيها يبلغ من المملكة غاية الآمال ، والشريف قد كان ركن إلى ما التزم به الأمير من إعانته بأجناد لحفظ البلاد ، وأنه مهما نابّه أمر بادر بما به تمام المراد ، فاتكل على كلامه الموضوع ، وفرّق ما لديه من الجموع ، وبقيت تهامة فارغة من العساكر ما بها غير الأرتاب ، والشريف في بندر « الحديد » غير مستعمل للحذر ، آمن من الفير ، لأمر قد قضاه رب الأرباب ، وقد كان طلب جماعة من « ذو حسين » وجماعة من « ذو محمد » ، وعنده جماعة من غيرهم ، ولكن هؤلاء المعينين مع كونهم من صميم « همدان » ، أمورهم في العسكر مبنية على الخيانة التي لا يتصف بها أهل الإيمان ، ولا تقيّد لهم العهود والمراهم عن ذلك كما هو شأن (أهل الإسلام ، بل إنهم)^(١) يتلونون بتلون الأيام ، ولكن أوجبت [ص ٢٧١] الشريف إليهم (الحاجة ، وللضرورة أحكام / وقد كان)^(١) عزم على تجهيزهم لإعانة العامل « بتعز » ، بل بعضهم (قد سار ، فما فاجأه إلا انفصال محمد بن يحيى)^(١) من « صنعاء » بما صح لديه من الأخبار ، في جموع عديدة ، (وقوة شديدة ، وكانت طريقه)^(١) على « باجل » ، ليستمد من علي حميدة الخدع والمخاتل ، فثارت (على الشريف حينئذٍ القوة)^(١) العضية ، وحركته النفس الأبية ، والشجاعة الحيدرية ، (على أن يرتكب الأخطار)^(١) ، وينفصل من « الحديد » بقوم لا تقضى بهم الأوطار ، مع (أنه قد أصفى إلى كلام من اتصف)^(١) بالعيب والخيانة ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

في توهين أمر العدو ، وركاكة (حالهم ، فركن إلى ذلك الخيال)^(١) ، مع أن الحزم عدم استحقار العدو ، ولو كان في غاية الإذلال ، كما قيل :
(ولا تحتقر كيد الضعيف)^(١) فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب^(٢)
وقد كان أشار عليه بعض العقلاء بالإقامة في « الحديد » ، وبيعت الطلابات للعساكر العتيدة ، فإن توجه إليه محمد بن يحيى والأجناد ، ما ظفروا مع تمنعه بالبندر بمراد ، [١١٢/أ] وإن بقوا^(٣) في مكانهم لم يقفوا من البلاد على طائل / لأن كل أدراك البلاد فيها رتبها وعاملها ، وبذلك [ص ٣٧٢]
يحصل النفع الكامل ، ولكن ميهات لا ينفع في المقدور حيلة عاقل ، وما انفصل من « الحديد » إلا وقد استدعى تلك العساكر الموجهة إلى « تعز »
وتلك البلاد ، وكان لدى عامل « بيت الفقيه » جماعة من الأجناد ، فجعل الشريف بينه وبينهم قرية « الخليفة »^(٤) الميعاد ، ولما وصلوا قرية « شُجينة »^(٥) ، بدا من العساكر الخيانة الكمينية ، وقد كان في عزم الشريف أن يلتقي محمد بن يحيى قبل أن يصل إلى « باجل » ، وأن يروى من عساكره الرماح العواسل ، ولكن زحلف أولئك الأجناد الطريق ، وجعلوا العجلة في الوصول إلى « باجل » خير رفيق ، فحين فاتوا الشريف شدّ بالجنود قصده أن يطرح بمكان قرب « الغانمية »^(٦) للزوم الطريق عليه .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) البيت من الطويل ، وهو لنجم الدين محمد اليمني ، انظر : الهاشمي ، جواهر الأدب ٤٤٧/٢ .

(٣) الأصل وص : بقيوا .
(٤) لم أعثر على معلومات بشأن هذه القرية .
(٥) قرية عامرة من قرى الرامية العليا من وادي سهام من تهامة .
انظر : إسماعيل الأكوع ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ١٠٣٩/٢ .
(٦) لم أعثر على معلومات بشأن هذه القرية .

فما وصل إلى أطراف ذلك المحل إلا وقد سبقه محمد بن يحيى
بجنوده إليه ، فارتحل الشريف حتى طرح قبلي قرية (القطيع)^(١) بمن
معه من الخيل والأجناد ، وكان كل منهم في مطرحه وهم من الشر على
غير (ميعاد ، وكان غالب الخيالة الذين مع)^(١) الشريف لم يمارسوا
النزال ، ولم يعرفوا في (الهيجاء مقارعة الأبطال ، والعسكر الذين
[ص ٢٧٢] معه)^(١) قد بايعوا محمد بن يحيى / في الباطن ، وجعلوا له علامة
عند (المصاف يكون بها على غزوهم)^(١) راكن ، فابتدروهم الشريف
وقصدهم إلى ذلك (المكان ، مع أن بعض الجند لم تعجبه)^(١) المبادرة
لإدارة الحرب العوان ، مع العلم بما (اشتمل عليه العسكر من الخيانة
واللؤم)^(١) ، ولكن لا نقض لما أبرمه القدر المحتوم ، فزحف بمن (معه من
الخيال والرجال يوم السبت)^(١) حادي عشر شهر محرم^(٢) ، وكان بينهم
من المسافة أميال ، فلما (تراءى الجمعان بان له في عسكره ما بان)^(٣) ،
لكن ما أمكنه لشهامته إلا الإقدام على أولئك (الأقوام ، والمخاطرة بالذين
معه من أهل)^(١) الخيل في ذلك المقام ، وأما العسكر فولوا الأدبار ،
وبعضهم (كافح بقتال وهو مصر)^(١) على الفرار .

وخالط البعض أجناد محمد بن يحيى في ذلك الحال ، وجرت في
ذلك الموقف على من ثبت أهوال ، وأما الشريف فخاض تلك الغمرة ،
وفعل أفعالاً حيدرية ، قضت له أنه فرع تلك الشجرة النبوية .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) يشير العمري إلى أن المعركة وقعت عام ١٢٦٣ هـ ، معتمداً على مراجع عدة مثل الكبسي
في اللطائف السنية ، والنعمي في الحوليات ، ووزارة في أئمة اليمن .

انظر : مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٢٤ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

[١١٢/ب] ولم يزل يضرب فيهم يميناً وشمالاً ، ويذيقهم من كؤوس
المنية حالاً فحالاً ، ولكن لكثرتهم لم يزالوا ينثالون إليه ، ويرمون بالبندق
من كل جانب عليه ، فقام في ذلك المقام مقام ألوف من الأبطال ، ولازمهم
في الحرب ساعة أشابت منهم الأقذال ، عرفوا بها / قدر ذلك الأسد [ص ٣٧٤]
الرئبال ، وعلموا أنه لا يناظر به أحد من أهل زمانه في الثبات عند
القتال ، ولم يزل يصدر عواسله في تلك الموارد ، ويطاعن ويطارد . حتى
أصابته رصاصة في فخذه الأيسر عدم منها استقرار قدمه في ركاب
الحصان ، فانحاز إلى جماعة من « ذو محمد » كبيرهم رجل يسمى « ابن
عوفان » ، ورجع إلى المطرح يمشي بقلب أشد من الصخر ، وعزم أعز من
الدهر ، لم تزعزعه المنايا ، ولم يتضعضع لما شاهد من تلك البلايا ، وما
وصل المطرح إلا وقد أجلى منه أكثر الخيالة والعساكر ، بعد أن قتل من
الجانبيين من قتل (والحكم لله العلي القاهر)^(١) ، وثبت معه ابنه الحسن ،
وأخوه عبدالله ، وابن أخيه عبدالله بن محمد ، (ومحمد بن أبي طالب بن
علي ، وثلة من الخيالة)^(١) ، وظهر من هؤلاء الأشراف مع صغر سنهم
من الثبات (ما دلّ على أنهم من معدن الرسالة)^(١) ، وممن فاز بالشهادة
في ذلك اليوم الشريف يحيى بن علي (بن حيدر ، بعد أن روى
الصارم)^(١) البتار من أولئك العسكر :

تردى ثياب الموت حُمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر^(١)
(وكذلك الشريف علي بن هزاع)^(٢) بن علي فارس^(٣) ، بعد أن

(١) بياض في الأصل وأثبتناها من ص ، والببيت من الطويل ، والقائل : أبو تمام ، انظر :
الديوان ٨١/٤ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) لم أعثر على زيادة معلومات أو تراجم للأشراف المذكورة أسماؤهم ، عدا الحسن بن
الحسين الذي ستأتي بعض أخبار صراعه مع الشريف الحسن بن محمد لاحقاً .

لاقى العدو بثغر باسم في ذلك اليوم العباس ، (وفُعل بهما من
المثلة)^(١) ما فعله بجدهما الحسين السبط المارد يزيد^(٢) ، واقتفى أثره
[ص ٣٧٥] هذا / الجبار وما راعى (المروءة)^(٣) ولا ما جاء في النهي عن المثلة من
الوعيد ، ولما شاهد الشريف تفرق الأجناد ، واتصل بقلعة « القطيع » لما
أثبتته ذلك الجراح^(٤) ، وساعده على الانضمام إليه جماعة آثروا الوفاء ،
وقالوا ما عن مثله براح ، منهم الشريف محمد بن منصور وابن عمه علي
ابن حيدر بن ناصر^(٥) ، ونالوا حسن الأحداث بالوفاء ، حين قل المعين
والناصر ، وانحاز إليه جماعة من « ذو محمد » مع كبيرهم ابن
عوفان ، ومحمد بن يحيى بعد انقضاء المعركة شدّ بأجناده من ذلك
[١/١١٣] المكان ، وفرّق الأجناد على تلك القلعة وهي غير منيعة ، ولم تكن
ساحتها لكثرة الرجال وسبعة .

واستمر القتال بين الفريقين في البكر والأصيل ، وعجز الأعداء عن
نيل مرادهم من الشريف حذراً من البندق الثائر والسيف الصقيل ، وحين
أعيتهم الحيل عن نيل مرادهم جنحوا إلى الخداع ، وكان علي حميدة شيخ
أولئك الفرقة في تقسيم جنس الخدع بأنواع ، وجعلوا جماعة من العسكر
وسيلة إلى السعاية بهذه الرذيلة ، وتم الأمر في الظاهر على إطلاق « بيت

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ثاني خلفاء بني أمية (ت/٦٤٤ هـ) ، والمؤلف هنا يميل
إلى الجانب الذي يدين يزيد في بعض تصرفاته ، وهناك جدل قديم جديد حول أفعال
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

انظر : الآراء التي وردت حول يزيد في : هزاع الشمري ، يزيد بن معاوية : ابن تيمية
سؤال في يزيد بن معاوية : الطبري وابن الأثير ، حوادث عام ٦٤٤ هـ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) هكذا في الأصل ولعلها : لما أثبتته تلك الجراح .

(٥) لم أعثر على تراجم ومعلومات تخص الشريفين المذكورين .

الفقيه » ، وإخراج العامل والرتبة الذي فيه ، وعند ذلك يرتحل محمد بن يحيى بأجناده ، ويتصل الشريف « بالحديدة » بمن معه من أصحابه وأعضاده ، وبعد ذلك أطلق المراهين الذين^(١) « لذو حسين » أهل الخيانة والغيب ، ولا يعلم / ما أجنته الضمائر إلا عالم الشهادة والغيب ، [ص ٣٧٦] وبعد وصول المراهين إليه ، وأخراج رتبة « بيت الفقيه » منه ، أعلن محمد ابن يحيى بالخلاف ، ولم يراع الدين ولا المروءة في ذلك الاختلاف ، وأرجعوا الحرب بكرة على الشريف ، واستدعوا مدفعاً (من « بيت الفقيه » ، وأماً مدافعهم فهي)^(٢) تكسرت ، ولم تقض وطراً فيما يريده وينتحيه .

مكائد تنسي كيد إخوة يوسف ورهن (بيامين وبيع أخيه)^(٣) وقد كان الشريف بعث إلى ولده الشريف محمد بن الحسين برسالة (ليتقدم إليه منجداً)^(٢) في الأشراف الخيالة ، ولكن تقاعست تلك الغارة عن التعجيل (بالوصول ، وقد خامرهم)^(٢) ما خامر عند هجوم الأمر المهول ، فما وصلوا إلى « الحديدة » (إلا بعد مدة تقارب)^(٣) الشهر ، وقد ضاق على الشريف من الحصار الأمر ، وحين علم (محمد بن يحيى وجنوده بالمتفقات)^(٢) من تلك الغارة ، داخلهم الأمن أنها لم تكن تبلغ الشريف (أوطاره)^(٢) ، وضعفت قلوب من عند الشريف من العسكر ، وظنوا أن غاية تلك الغارة الجلوس في البندر ، وعند ذلك استحسن « ذو محمد » الذين^(٤) مع الشريف قبيح الخيانة ، وتطلعت نفوسهم إلى متابعة

(١) الأصل و ص : الذي .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص ، وورد اسم شقيق يوسف عليه السلام : بيامين ، والصواب بنيامين ، ولعل ذلك حرص من الشاعر على الوزن ، والبيت من الطويل .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) الأصل و ص : الذي .

الأطماع وخلع لباس الأمانة ، فالتزم لهم محمد بن يحيى من الحطام ما التزم ، ولم يف^(١) لهم بذلك ، وكان استسماهم لذي ورم ، فاتصفوا [ص ٢٧٧] بوسم الفدر على مرور الأيام ، وخلوا / بينه [١١٢/ب] وبين العدو في ذلك المقام ، ومع هذا فأجناد محمد بن يحيى قد أحاطوا بالقلعة إحاطة الأكمام بالزهر ، والهالة بالقمر ، فانقطعت المواد على الشريف التي بها في الحرب يُقضى الوطر ، فما وسع الشريف مع هذه الأمور ، غير الجنوح إلى السلم رضا بحكم المقدور ، والدهر بمثل هذا دولا ب يدور :

ولا لوم فيما لا يطاق وإنما يُلام الفتى في المستطاع من الأمر^(٢)

وتمّ الصلح بين محمد بن يحيى والشريف على إطلاق البنادر عليه ، مع أن الشريف غير مختار في ذلك ، وإنما هو مضطر إليه ، وجعل مرقوماً بذلك إلى الشريف الحسن بن محمد بن علي ، والشريف حيدر بن علي ، وكان إذ ذاك قد وصل من « المخا » إلى هناك ، فلما بلغهم ذلك المرقوم تبّه الشريف الحسن أن تلك حيلة لاصطياد البنادر شراك ، لا سيما وقد سلف من محمد (بن يحيى ما سلف)^(٣) و « المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين »^(٤) ، فكان الجواب على محمد بن يحيى (أن مع وصول الشريف إلى « الزهراء » نطلق)^(٥) عليك البنادر ، ونعلم أن ما تقوله هو منك الباطن (والظاهر ، فحين وصله الجواب بخلاف)^(٥) المراد ، تبين له أنه عرف ما قصده من (إضافة الشريف إلى البلاد ،

(١) الأصل وص : يفي .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) أورده الألباني في صحيح الجامع ١٢٨٤/٢ ، برقم (٧٧٧٩) وعزاه لأحمد وأبي داود وابن ماجة والبيهقي .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

فأجاب (١) بعدم الرضا ، وحاص عساكر « الحديد » حيصة / حمر [ص ٣٧٨]
 الوحش ، (ودفع ما يستطيع) (١) تعبیر القلم عنه من الریش ، وتبلدت
 هناك أحلام (الرجال ، وعرف كل واحد نفسه) (١) مع تلك الأحوال ،
 وطاش من تلك الأحوال (الناس ، وضاع من أهل التدبير) (١) القياس ،
 وظهرت مبادئ اختلال النظام ، وظن (أكثر الناس أن الأمر غير
 منقاد) (١) لرئيس بزمام ، لكن حين شاهد الشريف البطل الأمجد
 (الحسن بن محمد تلك الأمور الفاضحة) (١) ، والأحوال التي
 عقبها فادحة ، ثبت (٢) ثبات أبطال الرجال ، وساس الأمور حين
 خرست الألسن عن المقال ، وعلم أنه إن لم يسع في الصلاح آلت أمور
 المملكة إلى اختلال ، وانتهت أحوالهم وأحوال الرعية إلى زوال ، ولله
 القائل :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنا (٣)
 [١١٤/أ] وكان يخاطر بنفسه في الوصول إلى أهل تلك القلاع ،
 وكل منهم يطلق ما في بطن بندقه عليه لقصد الإفزع ، ومع ذلك فهو
 ثابت الجأش لا تهوله رعود البنادق ولو استمرت في العشايا والصباح ، ولا
 تنهنه من عزمه شرر الرماح ، ولا بارقة الصفاح ، وخذله كل أحد مع
 القيام بذلك الأمر الهائل ، وعانى الأمور بنفسه حين عدم المساعد مع تلك
 القلاقل ، وقد حقق في هذا الموطن ما قاله القائل :

وما جلّت رقاب الأسد حتى بأنفسها تولت ما عناها (٤)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأصل وص : فثبت .

(٣) البيت من الرجز ، والقائل : ابن دريد في المقصورة ، انظر : الديوان ، ١٢٢ .

(٤) البيت من الوافر .

[ص ٣٧٩]

/ ولما تبين له أن لا تمام لما يريده من اجتماع الناس ، غير الانتصاب لهم بالرئاسة التي بها تمام المقصود بلا التباس ، مع أنه ينطبق عليه شرعاً القيام في هذا الحال ، لدفع محن أَلَمَّتْ بالناس عراض طوال ، منها ضياعهم عن القيام بما يصلحهم في الحال والمآل ، ولو تغلّى عنهم لانطلق عليهم من يستبيح منهم الأنفس والأموال ، فطلب من العسكر البيعة بعد الالتزام بما لهم من الحقوق ، (وبذلوا له المراهين حتى)^(١) لا يصدر منهم شيء من العقوق ، وكان وقوع البيعة يوم الربوع (سابع وعشرين من شهر صفر في)^(١) مسجد « النجم » ببندر « الحديدية » ، فانضبط البندر على ما يراد ، (وأسقط في يدي محمد بن يحيى ومؤيده علي حميدة)^(١) ، والأشراف بعد هذا الواقع لم يستقر لهم في « الحديدية » القرار ، مع (علمهم أن الشريف الحسن بن محمد)^(١) هو الحامي للذمار ، فمن ساخط عليه بما فعل ، ومن مقر أنه لا (يقوم غيره بهذا الأمر)^(١) الجلل ، وشاهد الحال :

دعوا ذمهم أو فاخسرونا بمثلهم وإلا فسدّوا عنهم (مثل ما سدّوا)^(١)(٢)

وارتحلوا إلى « أبي عريش » ، ومراجل الفتن تفور ، والأمر يزداد (شدة في العشايا)^(٢) والبكور ، ما خلا الشريف محمد بن الحسين فإنه أقام بمعقل « الزهراء » وحمى تلك البلاد ، ونال بحسن الأحدثة بين الناس ما ناله الأشراف الأمجاد ، ومحمد بن يحيى لما أيس من بندر [ص ٣٨٠] « الحديدية » ارتحل إلى «بيت الفقيه» وفارقه علي حميدة من « القُطيع » /

(١) بياض في الأصل ، وأثبتهما من ص .

(٢) انبيت من الطويل ، وللحطيئة البيت المشهور :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللؤم أو سدوا المكان الذي سدّوا

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتهما من ص .

في الظاهر لأجل الاستيلاء على الجهات الشامية ، وفي الباطن قد ظهر له أمر صاحبه من عدم السياسة ما لا يتم [١١٤/ب] معه استقرار إمارة ، هكذا حدث بعض من يطلع على أخباره ، فتوجه علي حميدة إلى قرية « الزيدية » و « الضحي » بعد خروج العامل منهما هو والرتبة لا عن غلب ، وإنما سرى عليهم من الذل ما أوقعهم في العار المجتلب ، وكان علي حميدة يهمل بالارتحال إلى « الزهراء » و « اللحية » ، ولكن لم تنفذ له مع حزم من بها خديعة بالكلية ، « وزبيد » فهو مُستَقَر الشريف الحسن بن محمد وفيه بعض الحرَم ، وإنما خرج منه حين حصل على الشريف هذا الحادث الذي دهم ، فاستقر « بالحديدة » ولولا وصوله إليها لدخلت في خبر كان ، وألقى أرتابها إلى أهل العداوة منها العنان ، مع أنه في إقامته هناك يستتجد القوم المطلوبين من الأشراف . ويُعمل الحيلة فيما به للعدو عن الشريف الانصراف ، وكان العسكر الذين « بزبيد » قد دبّ في بعضهم داء الخيانة والغدر ، فراسل محمد بن يحيى خفية في المبايعة بتمام الأمر ، هذا مع الاستناد إلى مرقوم الشريف في إطلاق اليلاد ، مع (أنه يعلم الخاص والعام أنه)^(١) ليست لتلك البطاقة من نفاذ : لأن راقمها في حكم المغلوب (عليه فما يسعه غير المساعدة والإسعاد ،)^(١) فأعلن في مدينة « زبيد » بالخلاف ، وشوَّش (على الرتبة وعلى العامل من الأشراف)^(١) ، وساعده على ذلك أهل الأغراض ومن (قلوبهم بالعداوة أمراض)^(١) / [ص ٣٨١]

ولله القائل :

(إنما تتجع المقالة في)^(١) المرء إذا وافقت هوى في الفؤاد^(٢)
(فلما بلغ الشريف الحسن هذا)^(٣) الواقع ، الذي تصطك منه

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من الخفيف ، والقائل : المتبي ، انظر : الديوان ٣١/٢ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

المسامع ، بعث أخاه (الشريف ناصر في جماعة من الرجال لأجل)^(١) تلافي القضية ، واستخلاص العار الذي هناك (على حالة مرضية ، فحين وصلوا)^(١) تمنع ذلك البائس الغادر ، وطلب هو والعسكر من (حقوقهم السابقة من الدراهم)^(١) شيئاً قاهر ، فبذله أصحاب الشريف الحسن لأجل استخلاص من هناك ، (فأما الشريف)^(١) ناصر فأقام مع أهل الأدراك ، وأما من كان مقيماً هناك فخرجوا على ظهور الجمال ، وتأخرت مع وصولهم إلى البحر بعض الأمور الثقيل ، وبلغ الخبر الشريف الحسن فركب في جماعة من الجند وخلص بهم يريد نجياً ، [١١٥/أ] وصح أن ما أرادته أهل العداوة من الاعتراض لهم شيئاً فرياً ، وانفصل محمد بن يحيى بعساكره إلى « زبيد » بعد أن تم بينه وبين رتبته الكلام ، ودخل قلعته ، وما وقف أولئك الغادرون على ما التزم به لهم من الحطام ، ووقعوا في سوء القالة في الدنيا مع ما ينصب لهم من لواء الغدر يوم القيامة ، وكان الشريف قد خرج إلى طائفة من « ذو حسين » وكان صحبتهم إلى « زبيد » في السفر ، ولما وصلوا به إلى « البيشية »^(٢) شرقي مدينة « زبيد » كان هناك المستقر ، ومحمد بن يحيى أقام نصف شهر في المدينة المذكورة ، وطلب من « ذو حسين » إطلاق الشريف عليه ، [ص ٢٨٢] / فوقهم الامتناع ، لأجل نيل حقوقهم منه التي كل شهر في ارتفاع ، ولما أيس من ذلك لما سبق في علم الملك العلام ، ارتحل عنهم إلى قرية « حيس » والقلب من مخالفتهم في اضطرام ، ووصل « حيس » وعامله عنه قد ارتحل ، وأصابه ما (أصاب غيره في هذه الحادثة من الوجيل ، فرتبته ، ومضى إلى بندر « المخا » ، وكان عامله)^(٢) الشريف

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) لم أعثر على معلومات عن هذه القرية فيما لدي من مصادر .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

حيدر بن علي ، ولكنه لما هجم هذا الخطب (الجليل ، استخلف غيره مع الرتبة)^(١) وأذن إلى « الحديد » بالرحيل ، والرتبة لما أن تنحى عنهم العامل ، كانت تدور بينهم وبين محمد بن يحيى الرسائل ، فما وصل إليهم إلا بعد أن صلح (الشأن ، وصاروا له من أخص)^(١) الأعوان . وأما الشريف الأمجد علي بن محمد فهو (العامل « بالحبية » ، لكن لما وقع على الشريف)^(١) الحصار ، وتفاوض هو وأخوه الشريف الحسن بن محمد بالكتابة (فيما يكون به الأخذ بالتأثر ، فتم)^(١) الكلام على مسير الشريف علي إلى الأمير عائض ليمده بجند حسبما (التزم لأخيه الشريف الحسن أيام وصوله)^(١) إليه ، ولما وصله استحثه ، وعول في دفع هذا الملم (بعد الله - سبحانه - عليه ، فأعرض)^(١) عن ذلك المرام صفحاً ، وطوى لعدم وفائه عن هذا (المطلوب كشحاً)^(١) ، وطال بينه وبين الشريف علي الكلام ، مما تبين له أن يخفي غير ما يظهر لهم والسلام .

آخر الأمر طلبه أن يفك له الطريق ليسير إلى قبائل يام ، فلم يرض له بذلك ، فتبين بفعله هذا^(٢) عدم صفائه لهم لكل الأنام ، ففارقه الشريف علي بقلب / مهموم ، وخاطر مكلوم ، وندم على وصوله إليه ولا [ص ٣٨٣] راد لما سبق في علم الحي القيوم ، فوصل إلى « أبي عريش » [١١٥/ب] وطلب جماعة من « سحار »^(٢) لأجل يسيرهم معه إلى بلادهم ، ثم يرتحل من هناك إلى يام ، واستصحبهم في طريقه قصداً إلى بلوغ هذا

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأصل : هذه .

(٣) من قبائل خولان بن عمرو بن الحاف ، وأصلها « سحار » ، وبها سميت ناحية سحار في بلاد صعدة باليمن .

انظر : المقحف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٠ ، الحجري ، مرجع سبق ذكره ٤٧٣/٢ .

المرام ، فانفصل من « فج حرض » حادي عشر شهر صفر ، وبعد وصوله إلى بلاد « سحار » بعث إلى يام ، وتلقاه من تلقاه في أثناء الطريق ، ولما وصل إلى بلادهم تلقوه بالإجلال والإكرام الذي هو به خليق ، ونصبوا له بيتاً في وسط « نجران » ، وأتوه بأنواع الضيافات القاصي منهم والداني .

ولما استقر في بلادهم فتح عليهم الخطاب ، وأنه ما جاءهم لغير النصرة وطلب منهم الجواب ، فأجابوا بالإسعاد داعيه ، ولّبوا بما يهواه مناديه ، ولما كان « المكارمة » بهم الحل والعقد ليام في مثل هذا الأمر ، ارتحل إليهم وقصدهم إلى عقر بيوتهم « ببدر »^(١) فتلقوه بالإجلال والتكريم ، وبذلوا له مراده بالرضا والتسليم ، وقام (القاضي عبدالله بن يوسف)^(٢) المكرمي والقاضي علي بن حسن المكرمي غاية القيام وضريتهما (الحمية على الأشراف هم وقبائل)^(٢) يام ، هذا مع أن في النفوس ما يقع بين الأحباب ، (من الأنكاد ، لكنهم لم يلتفتوا)^(٢) إلى ذلك وعند الشدائد تذهب الأحقاد ، (فاجتمع من الأجناد جمع)^(٢) [ص ٣٨٤] حافل ، من الخيل والرجل ولم يبق منهم / رجل كامل ، فانفصلوا (من بلادهم بعين)^(٢) النصر على رؤوس ذلك الخميس العرمم ، والمكارمة هم رؤوس (الجند ، والشريف علي)^(٢) هو المقدم ، ولما وصلوا إلى « فج حرض » يوم الجمعة خامس شهر ربيع الثاني (رجفت منهم تهامة)^(٢) ، ورغمت أنوف أهل الحسد ، وأسروا على تضريطهم الندامة ، ولاح بارق (السعد)^(٢) ، وحلت بالنصر على الأعداء غمامة ، وتوجهوا من « حرض » إلى نحو اليمن الميمون ، وعناية الله تعالى ترعاهم في الحركة

(١) إحدى قرى منطقة نجران ،

انظر : فؤاد حمزة ، مرجع سبق ذكره ، ١٨٦ : الجاسر ، المعجم الجغرافي ١/ ٢٦٤ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

والسكون ، وهم على ذلك الجمع الكثير متقيدون للشريف الحسن وأخيه الشريف علي في الرأي والتدبير ، ((واجتمع بهم الشريف محمد ابن الحسين مع وصولهم إلى قريب مدينة « الزهراء » ، واتصل مع إخوانه بتلك الكتيبة الخضراء)) وانضم رأي أولئك الأماجد الصناديد ، أنه لا يكون لهم هم غير استخلاص الشريف والقصد « لزبيد » ، وبرز الشريف الحسن من بروج « الحديد » ، وطرح بقربة « الدريهمي » (١) ورتب هناك القلعة التي فيه ، وأقام به أمد ما طرح القوم قبلي « بيت [١١٦/أ] الفقيه » ، فلاقاهم بهمة سامية ينال بها - بإذن الله سبحانه - ما يرتجيه . وممّا قلته مكاتباً به « المكارمة » ويام ، ومستجداً لهم في الاهتمام بما هم بصدده برقيق النظام ، فإن النفوس الأبيات تشير حفاؤها (٢) الأشعار ، يعرف ذلك من اطلع على أيام الناس في الجاهلية والإسلام بلا إنكار :

[ص ٢٨٥]

لوامع برق في دجى الليل إذ تسري	أطارت مناماً للذي دمه يجري
يحدث ذاك البرق في طيٍّ لمعه	بحادثة تملئ على صفحة الدهر
أصابته ملك العصر غيم سحاب	ولم تك عن ضعف هناك ولا ذعر
ولكنها الأقدار تجري على الورى	وليس يرد العبد لله من أمر
بدا من قصور الملك في موعد اللقاء	بجمع وقد شابوا النصيحة بالغدر
فما هو إلا أن تورط في الوغى	فمالوا وما بالوا بفاقرة الظهر
أصيب وقد أروى القواضب والقنا	وما هاله ما هال في الموقف الوعر

(١) مدينة تهامة بالغرب الشمالي من بيت الفقيه بمسافة ٢٢ كم ، وبالجَنُوب من الحديد بمسافة ٢٢ كم . انظر : المقضي ، مرجع سبق ذكره ، ١٥٦ : الحجري ، مرجع سبق ذكره . ٣٣٠/٢ .

(٢) الأصل و ص : حفاظها .

إلى معقل قد كرّ كالليث إذ دنا
أحاطت به الأقوام من كل جانب
جزوا بجميل الصنع سوءاً وما رعوا
وثارت عليه الحرب في كل ساعة
تنادي له بين الورى ببسالة
تذكرنا أخبار أيام « خيبر »
تقضت له في ذاك خمسين ليلة
ومال إلى السلم الذي كان واقفاً
فسلم والتسلم فرض على الذي
ولله في طي المقادير حكمة
[ص ٢٨٦] وقام بأخذ الثأر أبطال قومه
[١١٦/ب] / فبعضهم قد ضم شمل أمورهم
وبعضهم قد سار نحو عصابة
مطاعيم للأضياف في كل حالة
((أجابوا مناديه وجاءوا عصائباً
يقودهم أبطال نسلٍ مكرم^(٢))
وأعني بهذا نجل يوسف^(٣) من غدا
كذاك علي^(٤) من سَمَا لِمَفَاخِرِ

(إلى غاية يقوى بناب وبالظفر)^(١)
(إحاطة هالات السماء على البدر)^(١)
(له حرمة الإحسان والفضل والبر)^(١)
(وصالى أموراً (لا تسطر في السطر))^(١)
(ومجد أثيل (مستطيل وبالفخر))^(١)
(لجدّ له تملي له (أحسن الذكر))^(١)
(ويوم الوغى بين (الخلائق كالشهر))^(١)
(لديه وأبدى عنده (واضح))^(١) العذر
تيقن فعل الدهر بالعسر واليسر
وإن خفيت لكن تدق عن الفكر
وجدوا بما فيه الصلاح من الأمر/
ودبرها في السر منه وفي الجهر
« بنجران » دار العز حلّوا وفي « بدر »
مطاعين في الهيجاء في الظهر والصدر
وما جنحوا من بعد ذلك للغدر))
بعزم له جدّ يؤثر في الصخر
كريم المساعي ثاقب الرأي والفكر
وفاق على هام السماكين والنسر

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) مكرم بن سبأ بن حمير ، الجد الأعلى للمكارمة وإليه ينسبون . انظر نسب المكارمة

حسب رواية الداعي حسين بن أحمد في : فؤاد حمزة ، مرجع سبق ذكره ، ١٧٣ .

(٣) عبدالله بن يوسف المكرمي ، شيخ قبائل يام آنذاك كما ذكر المؤلف آنفاً .

(٤) علي بن حسن المكرمي ، من مشايخ المكارمة وزعمائهم كما ذكر المؤلف سابقاً .

وإخوانهم أهل المناقب والعلل
وأيامهم مشهورة في عدوهم
وبينهم ليث القتال غضنفر
أخو همة علياء تسمو على السما
فيا راكباً ظهر الطيبة مسرعاً
(واعني بهم أولاد «يصبا»^(١) ومن لهم)^(٢)
(^(٢) هم القوم إن جالوا بيوم كريمة
(وإن نشروا تلك البيارق في الوغى)^(٢)
(وخص كبير القوم من «آل فاطم»)^(٢)
(و«آل نصيب» من «مواجد» من لهم)^(٢)
(كذا «جشم» أهل العوائد في اللقاء)^(٢)
(فبلغ سلامي نحوهم متكرراً)^(٢)
وقل (لهم سيروا لنيل مرادكم)^(٢)
ونعت لهم عند اجتماعٍ وقل لهم

يطيب بذكرهم لنا نافع النشر
تضمنها التاريخ في سالف الدهر
مبيد العدا من صار مرتفع القدر
مكارمه جلّت عن العدّ والحصر
إلى يام أهل المجد والعز والفخر
مناقب قد تاهت على الأنجم الزهر
أداروا على الأضداد راغية البكر
بدا لهم نجم السعادة بالنصر
و«ذا مانع» المشهور في البر وانبحر
وقائع قد شادت لهم أطيب الذكر
فسل عنهم الأيام تنبيك بالأمر / [ص ٣٨٧]
يفوح كمثل المسك والعود والعطر
فألطف جند الله في جندكم تسري^(٤)
أمثلكم ممن ينال على وتر

(١) يام : ترجع إلى يام بن يصبا ، وهي فرع من حاشد من همدان . انظر : أحمد النعمي ،

مرجع سبق ذكره ، ٢٥١ : الحجري ، مرجع سبق ذكره ٧٧٤/٤ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) انظر نهاية القوس ص ٤٥٠ .

(٤) ذكر المؤلف بطون قبيلة يام ، وهم على النحو الآتي :

أ - آل فاطمة : ويرأسها آل مانع بن جابر من آل أبو ساق ، وهم من ربيعة من آل سالم .

ب - المواجد : ويرأسها آل نصيب من شريف من جنب بن سعد العشيرة .

ج - جشم : ويرأسها آل منيف من الضياغم .

انظر : عسير في مذكرات سليمان الكمالي ، ٢٥١ .

أيهنا لكم عيش وأن مليكم
وكم عنده قوم كرام تجرعوا
[١/١١٧] / إذا ذكروا بين الورى في محافل
تداولهم أيدي الأعادي ومثلهم
وكلهم أولاد سبط نبيكم
أيصبر عن هذا الذي أقلق الحشا
فلانام من يفضي لأي مذلة
ويا نوم من أضحى عن الأمر غافلاً
وما الفخر في ربط الخيول وجمعها
وغاية إعداد السيوف مع القنا
والا فإن السيف مخراق لالعاب
أذيقوا المواضي من لحوم عداكم
وهزوا الردينيات إن ناب حادث
[ص ٢٨٨] وخوض الفتى حوض المنايا إذا احتفى
فجدوا تولى الله ربي لعونكم
ولا تفتروا عما يجلي لهمهم
فيوم خروج القوم عيد لدى الورى
ودونكم ذا النظم في سلك مدحكم
تثير لكم كل الحفاظ لتجدوا

ودولتكم قد صار في غاية الحصر
كؤوساً من البلوى أمر من المر
أجابت عيون للمحبين بالقطر
يصان لعمر الله عن ذلك الأسر
فهل أحد في تركهم قام بالعدر
وألهب في الأضلاع واقدة الجمر
ويرضى بضيم وهو يقدح بالصدر^(١)
وتاركهم من غير عون ولا نصر
إذا لم تجلّ لهم في ساعة العسر
لدفع الأمور المفضيات إلى الضر
(إذا كان لا يروي لدى الحرب)^(٢) من نحر
(ومنوا على عافى الحداة مع النسر)^(٢)
(فليس ينال المجد إلا مع الصبر)^(٢)
(وطيس الأعادي ليس يقطع للعمر)^(٢) /
وصولوا (لإنقاذ الجحاجة الغر)^(٢)
فذا غاية (المقصود والشرف الدهري)^(٢)
وليلته عندي (غدت ليلة القدر)^(٢)
فإن قوافي (الشعر)^(٢) تطرب للحر
أناساً غدوا في غاية الضيق والضر

(١) في الأصل و ص : يفدح للصدر ، والتعديل من المحقق اجتهداً .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

ولو شئت أبكيت العيون معاتباً لما قد جرى في النظم طوراً وفي النثر
ولكن رأيت الإختصار موافقاً وللعتب أيام تطول مدى العمر
وقد وفدت مني لسوح مقامكم فقوموا لها بالحق جهراً مع السر
لها اجتمعوا في محفل طاب جمعه وينشد في تلك المحافل بالجهر
وصلّ إله الخلق ما لاح بارق على المصطفى مع آله الأنجم الزهر
/ كذا صحبه ما أنشدت بين محفل لوامع برق في دجى الليل إذ تسري^(١) [١١٧/ب]

والمذكورون في النظم مع الشريف فهم جماعة إخوة : الشريف
عبدالله وولده الحسن ، وأولاد أخيه عبدالله بن محمد . ومحمد بن أبي
طالب ، والشريف محمد بن منصور بن ناصر ، وابن عمه الشريف علي بن
حيدر بن ناصر .

فأمّا عبدالله بن علي ، وعلي بن حيدر ، فتوقّاهم الله تعالى إلى
رحمته أيام مدة الحصار في « القطيع » ، وأمّا الباقيون فهم ساروا مع
الشريف ، وكان إقامتهم في « البيشية » مع الشريف ، وبعد ذلك أضيف
محمد بن منصور ، وعبدالله بن محمد / إلى إخوانهم الشريف عبدالله [ص ٢٨٩]
ابن محمد بن حسين أبي جعفر ، والشريف ناصر بن محمد ؛ لأنهم مع
بيع العسكر لقلعة « زبيد » بقوا^(٢) هناك تحت الحفظ .

نعم ، وارتحل الجند إلى « زبيد » واستقر المطرح « بالحمى » ،
وكان ذلك خامس وعشرين^(٣) شهر ربيع آخر ، ولم (يزل الكلام يدور
بين « ذو حسين » والشريف) الحسن ، في استخلاص الشريف من غير

(١) القصيدة من الطويل .

(٢) الأصل : بقيوا .

(٣) الأصل و ص : وعشرون .

شيء (يثير الفتن ، وهم يمدون ذيول الكلام)^(١) ، وما أينع زهر ذلك الكمام ، لمقاصدٍ (لا تخفى على عاقل ، مع الميل لمصانعة قائدهم)^(١) نظراً لعواقب الأمور ، وما علموا أنه (قد سبق في علم الله سبحانه أنه قد هبت)^(١) عليه بالإدبار ريح الدبور ، فرأى الشريف (الحسن تركهم على ما هم عليه من المجاملة)^(١) في الظاهر هو القياس ، ويجعل الهم أخذ (المدينة حتى يحصل للراجي اليأس)^(١) ، فأشعر الجند بهذا المراد ، فقابلوه بالإسعاف (والإسعاف ، ولّبوا داعيه بقلوب)^(١) ثابتة أقرى من الجماد .

ولما كان ليلة الثلوث (غرة جمادى الأولى تقسم)^(١) الجند ثلاثة أقسام ، ونشروا الرايات والأعلام ، وأقدموا (على « زييد » حاملين الموت)^(١) الزؤام ، فلم يمض لهم من بعد انفتاح القتال إلا نحو ساعة ، (حتى خرقوا)^(١) السور ، واقتحموا الخندق ، وشاركوا في البلد أولئك [ص ٣٩٠] الجماعة ، وأطلقت / من (بطون البنادق)^(١) رعود ، وغنى على غصن تلك الرايات طائر السعود ، فأيدهم الله سبحانه (بالمدد)^(١) والنصر ، واستولوا على « زييد » عنة بالغلبة والقهر ، وكان المقدم في ذلك الخميس الشريف علي ، وخاض تلك الغمرة معهم وهو البطل الذي لم يزل قدره يرتفع ويعتلي ، وسالت « بباب سهام »^(٢) وتلك البقاع ، [١١٨/أ] (وما أبحاثها) البنادق والسيف القطّاع ، وكان يوم على أولئك البغاة

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) أحد أبواب مدينة زييد الأربعة ، وهي : باب غلافقة ، وباب سهام ، وباب الشبارق ، وباب القرتب ، وهي أبواب السور الذي بناه طفنتكين بن أيوب - الحاكم الأيوبي في اليمن - حول المدينة .

انظر : ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ٧٤ .

قمطريز ، وقاسوا من الأهوال ما قاساه الجند الدمشقي ليلة «الهرير»^(١) وذهب تحت تلك الأسود الضواري فوق مائة قتيل ، ولم يجرى ظهر يوم التلوث إلا ولم يكن في أيدي البغاة غير (القلعة الكبيرة)^(٢) وهم في إحوال وعويل .

وأما الشريف الحسن ومعه جماعة من الجند (وأهل الخيل فقابلوا)^(٢) « ذو حسين » في المصاف ، حذراً أن يحدث منهم ما يحدث ، فانجلت (المعركة)^(٢) ولم يبدُ منهم خلاف ، بعد أن هالهم ذلك الأمر الواقع ، وتيقنوا أن لا (قبل لهم)^(٢) بدفع ذلك السيل المتدافع ، ولانت منهم عريكة الإقناع ومن وُعِظَ بغيره (فهو السعيد)^(٢) ، وعلموا أنهم إن لم يسلّموا الشريف سلماً بددتهم تلك الليوث في فلولات (البيد)^(٢) ، فوصل بعضهم إلى الشريف الحسن ، ودار الحديث بينهم في استخراج الشريف بالقول (الحسن)^(٢) ، فما زال الكلام يبدو منهم وإليهم (يعود ، وهم لم يورق من حديثهم)^(٢) بالتسليم العود ، طمعاً في الحطام الذي يسبي عقول (الرجال ، وبه / يبلغ الأمانى ويكسر)^(٢) الجيش قبل القتال ، [ص ٣٩١] ولما عثروا على المطلوب (من تلك الدراهم ، كانت)^(٢) لجرح التعصي والمنع مراهم وأي مراهم ، وما البذل للمال (من تلك الأسود الضراغم)^(٢) . خشية من موج بحر القتال المتلاطم ، كيف وهم قد جعلوا (على قلاع « زبيد »)^(٢) من جثث القتلى توائم ، إنَّما كون الشريف مقيماً بين أولئك (القوم ، فرئماً مع انفتاح)^(٢) الحرب يحصل منهم ما يكون عاقبته الندامة واللوم ، (فالتقطوا من بينهم ذلك الجوهر)^(٢) النفيس بيد المال ،

(١) ليلة الهرير هي الليلة الأخيرة في القتال أثناء معركة صفين ، وهي أشد مراحل القتال في تلك المعركة التي استمرت حوالي سبعة أيام عام ٢٧ هـ .

انظر : ابن الأثير ، الكامل ١٦٠/٢ ؛ محمد أبو الفضل والبجاوي ، أيام العرب في الإسلام ، ٢٥١ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وجعلوا ما أعطوهم من باب (المكافأة)^(١) على صيانة ذلك الأسد الصوّال ، فخرج الشريف من عندهم يوم الثلوث ثامن جمادى الأولى كالبدّر إذ تجلّى من الكسوف ، وهو بسّام الثغر بين تلك الكتيبة ، وقد عبست من الأعداء وجوه ورغم أنوف ، وتلقاه الشريف الحسن وإخوانه وجميع الجنود ، تخفق على رؤوسهم بالمسرات البنود ، وكان يوماً مشهوداً تكرر فيه شكر الله سبحانه وهو نعم المحمود ، وأدار الأحباب فيه كأس السرور وأشرقت الأكوان بذلك الأنس والحبور .

[١١٨/ب] وأنشد لسان الحال في ذلك اليوم الأغر المحجل ، مردداً
صوته بين الجحفل :

شفت كمد الإسلام والبغي راغم عزائم فتك ساعدتها عزائم
ألا هكذا فليحفظ الملك حافظ ألا هكذا فليحزم الدين حازم^(٢)

[ص ٣٩٢] واستقر بعد ذلك في المخيم المنصور على حال يسر الودود / ويسوء الحساد ، (وبعثت)^(٣) البشائر إلى أقطار المملكة حاضرها والباد ، وحين وصل إلينا « بأبي (عريش)^(٣) » خبر هذا الفتح المبين ، حملت السائر إلى الشريف هذا النظم ولا أقول العقد (الثمين)^(٣) :

ما غنت الورق في غصن من الشجر إلا تذكرت إلصاً غاب عن (نظري)^(٣)
ولا شرى البرق إلا رحت أنشده يا ساهر البرق أيقظ راقد (السمر)^(٣)
ما قلت (إذ بتُ بالتسعيد منفرداً)^(٣) لعل بالجزع أعواناً على السهر

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(حسبي من الشوق أني لم أزل دنفًا) (١)
 (في القلب قد نزلوا من بعد بعدهم) (١)
 (فليت عصر اللقا تبدو طوالعه) (١)
 (وكيف يصحو الذي ما زال مرتشفًا) (١)
 (وما تعلق قلب بالهوى فسلا) (١)
 (ما هبّ ريح الصبا وهنا فمر به) (١)
 (يكفيه من لوعة الأشجان أن له) (١)
 (يا) (١) حادي العيس ببني (سفع كاظمة) (١)
 هل أنت تعلم ما في (القلب) (١) من حرق
 وليس يطفئ لهيب القلب غير لقا
 فاعمل مطاياك من داري لتعرف ما
 ومُرَّ «باليدوي» (٢) واعزم هناك على
 وأبكر إلى مربع «الزهراء» منتشياً
 (٣) وأت «الحديدة» في ممشاك ملتمساً
 وارحل سحيراً إلى المقصود في عجل
 هناك تلقى خيام القوم بادية
 وقبلن راحة المولى الشريف لكي
 وثنّ بالقدم العليا التي ارتفعت
 وانشر ودائع تسليمي بنادية
 تحيةً بودادٍ نشرها عطرٌ

والبين قد زاد في سقمي وفي فكري
 لذاك أصبح قلبي دائم الشرر
 ويجتني الصب منه يانع الثمر
 كأس الغرام ولا ينفك ذا سكر
 وليس يسلو أسير الظبي ذي الحور
 إلا أذاع هواء نسمة السحر
 طرفاً سفوحاً مدى الآصال والبكر
 قف الركاب لأملي ساعةً خبري
 وقد عدوت عليه غير مصطبر
 من وصله في زمانني غاية الوطر
 حملته من سلامٍ طيبٍ عطر
 ممسئ بوادٍ لعينٍ أخضر الشجر
 بالقرب لا تخش من أين ومن ضمير / [ص ٢٩٣]
 إراحة القلب من وعثاء للسفر
 تأتي «زبيداً» مناخ العز والظفر
 زهواً بفخرٍ على بادٍ ومحتضر
 تحظى بلثم يدٍ سحاء كالمطر
 مجداً لذاك غدت ميمونة الأثر
 في اللطف تسلب للألباب والفكر
 تفوق في حسنها للتبر والدرر

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) قرية على عدوة وادي خلب غربي قرية مختارة . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٧٥ .

(٣) من هنا حتى نهاية القوس في ص (٤٤٤) مفقود في الأصل ، وأثبتناه من ص .

تزري بروضٍ نضيرٍ في نضارتها
وهنَّ جهرة بالفتح واتل بها
فهذه نعمة لا نستطيع لها
والأنبياء لهم هذا المقام غداً
إن ابن « متى »^(٢) غداً فيه يشاكلة
فيا لها محنة تدعى بمنحتها
جرت على يد من غُذي بنعمته
قد كان فدماً طريداً عن عشيرته
فعمه بجزيل الفضل مصطنعاً
[ص ٢٩٤] أعان بالنفس في إبلاغ مقصده
/ حتى رقى رتبة في الملك عالية
من بعد ذا خان للعهد الأكيد ولم
جازى بإحسانه فعل القبيح وذا
ظن الذي صار فعل الغدر شيمته
فلجَّ في بغيه يسعى لمطلبه

صفت كقلب من أهوى^(١) من الكدر
لسورة « النصر » في أي من السور
شكراً ولو مدَّ أعماراً إلى العمر
ومن على نهجهم يمشي على أثر
ونعم ذا أسوة تجري لمدكر
طابت مَعَ غسلِ أوزارٍ لمعتبر
وكان منه محلُّ السمع والبصر
حتى أتى نحوه يسعى على قدر
فيه المكارم فعل السادة الغرر
وبالنفائس في سر وفي جهر /
بسفح « صنعا » على رغم من البشر
يرع الذمام وهذا شأن كل جري
لذي أولي العقل ذنب غير مغتفر
أن سوف يأمن صرف الدهر من غير
فخانه في المساعي وارد القدر

(١) ص : أهواها .

(٢) يونس بن متى عليه السلام ، ويتصل نسبه بينيامين أحد أولاد يعقوب عليه السلام ، وهو أخو يوسف الشقيق ، والمؤلف هنا يشير إلى محنة الشريف في الأسر مشبهاً لها بابتلاء الله سبحانه وتعالى ليونس بن متى ، وهذا من مبالغة المؤلف في حبه للشريف الحسين وإلا فيونس - عليه السلام - نبي ابتلاه الله لفضبه على قومه ، وعدم صبره في الدعوة ، والشريف طالب ملك دنيوي .

للمزيد من المعلومات عن يونس عليه السلام ، انظر : الصابوني ، النبوة والأنبياء ، ٣٠٢ ، ابن كثير ، قصص الأنبياء ٢٨٢/١ .

والمكرُّ ما حيَّقه إلا بصاحبه
لو شاهدت عينه يومي «زبيد» وقد
ظلت « بباب سهام » من دمائهم
قد صار أبطال يام يعبثون بهم
(وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم
لقوا مساعير حرب ليس يعطفهم
لظلَّ يرعد من خوف ومن فرق
ولم ينل غير فعل الغدر منقبة
وبعد تهتئة فانشر مناقبه
فهو الشريف مبيد المعتدين ومن
ما للحسين نظير في بسالته
إذا اعتلى صهوات الخيل يوم وغى
يهاب سطوته أسد العرين لذا
فلا تقسه بعمر^(٢) في شجاعته
سجية من أمير المؤمنين غدت
كريم كف فلاتلقى مُمائله
بيديك بالتبر آلفاً ويتبعه

وإن تطاول عقباه إلى الخسر
حامت على قومه خفاقة النسر
دوافقُ منه فوق الأرض كالنهر
حتى كأنهم نوع من الخُزر^(١)
بالسمهرية مثل الوخز بالإبر^(٢)
عما يرومون وقع الصارم الذكر
لكنه فرَّ لما سيم بالذعر
مع مخازٍ حواها كل مستطر
فإنه قد رقى شأواً على القمر
يروى بيوم اللقا للسمر والبت
فكم دم للعدا من كفه هدر
أردى القرين وألقاه إلى الحفر
يظل يزأر من خوف ومن حذر / [ص ٣٩٥]
فذاك يقصر في ورد وفي صدر
إرثا له قد حواها وهو في الصغر
فحاتم^(٤) الجود أضحى غير محتقر
بالعذر جوداً بلا من ولا كدر

(١) الخُزر : ذكر الأرناب وولدها . انظر : المعجم الوسيط ٢٣١/١ .

(٢) هذا البيت للمعري ، وقد ضمنه عاكش قصيدته هذه .

(٣) لعل المؤلف يقصد عمرو بن معدي كرب أو عمرو بن العاص ، وكلاهما من شجعان العرب في الجاهلية والإسلام .

(٤) حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، جاهلي يضرب به المثل في الجود (ت / ٤٦ ق هـ) .

انظر : الزركلي ، الأعلام ١٥١/٢ .

حليم طبع فلا اللاؤا تتهنّه
يعفو مع قدرة حسناً ومكرمة
له التواضع خلق وهو مرتفع
أخلاقه كنسيم الصبح رقتها
أقام للعدل أركاناً وشيئده
وساس للملك بالرأي السديد فلا
وهل^(٢) في اليمن الميمون طالعه
وأصبح الناس في أمن وفي دعة
أحيا لنا سير الماضين من ذكروا
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم
وقد تحقق بالوصف الذي اتصفوا
غنت بإطرائه الركبان قاطبة
[ص ٢٩٦] جلّت مناقبه العلياء عن عدد
ومن أراد لها حصراً تخون له
فأله يقيه ركناً للعلا أبداً
يحفه الدهر بالإسعاد مقتبلاً
وهاكها من بسيط الشعر وافدة
نضدتها سلك عليك الذي انتظمت
ترجو القبول قرى منكم وتطلبه

ولا يطيش لدى السراً مع البشر
فلم يقس بابن قيس^(١) عند ذي النظر
وكم تواضع أقوام على غرر
على الموالي والأعداء كالشرر
من غير حيف ولا جور ولا قصر
يقال فيه بإيهام ولا خور
فصان حزب التقى والعلم من غير
قد عمّهم بلباس العدل من ضرر
من آل بيت رسول الله ذي النذر
بعد الممات جمال الكتب والسير
وصار حقاً عظيم القدر والخطر
في سائر الأرض من بدو ومن حضر
وكيف يمكن عدّ الأنجم الزهر/
قوافي الشعر في يشط ومختصر
مسلماً فائزاً بالنصر والظفر
له الوقاية حرز من أذى الغير
تزهو بمدحك في برد من الحبر
فيه الفخار بلا شك ولا نكر
فأنت للضعف فيها خير مفتفر

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم

(ت/ ٧٢ هـ) . انظر : موسى ، تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٣٢٧ .

(٢) ص : وقل .

ثُمَّ السَّلامُ عَلَيْكُمْ مَا هَمِي مَطَرٌ يَغْشَاكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ غَيْرَ مُنْحَصِرٍ
 بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمُبْعُوثِ مِنْ مَضَرٍ
 وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَا غَنَتْ مَطْوُوقَةٌ تَشْجِي اللَّيِّبِ عَلَى غَصْنِ مِنَ الشَّجَرِ (١)
 وَلَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى مَدِينَةِ « زَبِيد » الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، وَاجْتَاَزَ مِنْ كَانَ
 فِي قَلَاعِ « زَبِيد » وَأَبْوَابِهِ إِلَى الْقَلْعَةِ الْكَبِيرَةِ ، وَكَانَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْقَلْعَةِ
 حُسَيْنِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ (٢) ، وَعِنْدَهُ الْأَشْرَافُ حَسْبَمَا ذَكَرْنَاهُ سَابِقًا ، وَأَقَامَ
 الشَّرِيفُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَرْبَ بِالْمَدْفَعِ عَلَيْهِمْ عَلَى سَاقٍ ، وَلَقُوا مِنْ ذَلِكَ
 أَنْوَاعَ الضِّيقِ وَالْمَشَاقِّ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَصْرُخُونَ بِطَلَبِ الْأَمَانِ ، وَيَمْنَعُ الشَّرِيفُ
 الْحَسَنَ عَنْ بَذْلِ ذَلِكَ إِلَّا بِشُرُوطٍ عَلَيْهِمْ فِيهَا غَايَةُ الْهُوَانِ ، وَسِيَّاتِي مَا آلَ
 إِلَيْهِ الْأَمْرُ مِنَ الْمَدِّ فِي الْقِتَالِ وَالْقَصْرِ . وَمِمَّا / قَالَهُ بَعْضُ أَدْبَاءِ الْيَمَنِ [ص ٣٩٧]
 مِثْلًا عَلَى مَسَاعِي الشَّرِيفِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَخِيهِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِ بْنِ
 مُحَمَّدٍ ، وَلِلَّهِ دَرَاهِمَا :

بِالْجِدِّ يَدْرُكُ أَقْصَى غَايَةِ الْأَمَلِ فَمَنْ يَرُومُ الْمَعَالِي فَلْيَكُنْ كَعَلِيٍّ
 فَتَى سَعَى لِلْمَعَالِي سَعَى مُجْتَهِدٍ حَتَّى رَقَى رَتْبَةً تَسْمُو عَلَى زَحَلٍ
 سَمَتْ بِهِ هَمَمُ عَزِّ النُّظِيرِ لَهَا لِأَنِّ أَصْغَرَهَا فِي الْقَدْرِ كَالْجَبَلِ
 دَعَا فَلْبَاهِ أَهْلَ الشَّرْقِ قَاطِبَةً وَأَسْرَعَ الْكُلَّ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلٍ
 فُضَاقَ صَدْرُ الْفَضَا بِالْجُنْدِ وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُ أَعْدَائِهِمْ بِالرَّعْبِ وَالْفُشَلِ

(١) الْقَصِيدَةُ مِنَ الْبَسِيطِ .

(٢) حُسَيْنِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ أَحْمَدُ بْنُ الْمَنْصُورِ ، كَانَ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى فِي حَمَلَتِهِ عَلَى
 تَهَامَةِ الْيَمَنِ ثُمَّ عَيْنُهُ بَعْدَ الْإِنْسِحَابِ عَامِلًا عَلَى « يَرِيمِ » ، دَعَا لِنَفْسِهِ بِالْإِمَامَةِ فِي

« رَخْمَةِ » وَلَقِبَ نَفْسَهُ بِالْهَادِي ، دَخَلَ فِي صِرَاعٍ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى أَنْتَهَى بِاسْتِسْلَامِهِ
 عَلَى أَنْ لَا يَمَسَّ بِأَذَى وَاشْتَرَطَ أَنْ يُسَمَّحَ لَهُ بِالْإِقَامَةِ فِي دَارِ الْحَجَرِ بِوَادِي ظَهَرِ .

انْظُرْ : الْعَمْرِي ، مِائَةُ عَامٍ مِنْ تَارِيخِ الْيَمَنِ ، ٢٣١ .

من كل ندب إلى الهيجاء منتدب
تقدمتهم أسود الغاب تحملها
تختال من مرج بين الصفوف بهم
وكل طرف يفوت الطرف من سبق
هم آل حيدر لا تخفى وقائعهم
قد دوخوا الأرض وانقادت لهم وجبت
تهنّ واسطة العقد الثمين ويا
لك السياسة قد ألفت مقالدها
الملك نادى بأعلى الصوت يا حسن
[ص ٣٩٨] أجبته ناصراً لله محتسباً
مزقت شمل العدا من بعد جمعهم
فكم قتلت وكم من مات من جبن
وبالسماع بكم كم فرّ من بطل
وخير ما من مولاك الكريم به
هو الشريف الذي ما أن يقاس به
[١١٩/أ] / إن اعتلى وانقضى في الحرب صارمه
ولا تخاف الردى والسحب قد طلعت
أبقاكم الله في خير وفي دعة
بجاه طه عزيز القدر أحمد من
صلى الإله عليه دائماً أبداً

لديه طعم الردى أحلى من العسل
قتب الجياد فتمشي مشية الثمل
عوابس هن والفرسان في جذل
وكل قـرم ذكي باسل بطل
إن كنت تجهل أفعالاً لهم فسل
أهل الحجاز وأهل السهل والجبل
أبا العماد بنصر الله خير ولي
كذا السعادة في حل ومرتحل
وقد غدا في يد الباغين والسفل
بلا توان ولا مظل ولا كسل /
فشملهم بعد هذا غير مشتمل
وكم أسرت وكم أطلقت من رجل
وما أحس بوقع البيض والأسل
خروج عمك ذاك الصالح العمل
وفضله مشرق كالشمس في الحمل^(١)
فظل من بأسه الأبطال في وجل
من البنادق مثل العارض الهطل
وفي نعيم وفي أمن من الزلل
قد خصّه الله بالتفضيل في الأزل
والآل والصحب عدّ المدح والغزل^(٢)

(١) من بداية القوس ص (٤٢٩) إلى هنا مفقود في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٢) القصيدة من البسيط .

وفي أثناء انشغال أولئك القوم بتلك الأمور المرة المذاق ، بدأ للأمير عائض نسخ حديث الوفاق ، مع علمه بفراغ هذه الجهة من العساكر ، فأراد أن يفتنم الفرصة في الموارد والمصادر ، فانفصل من بلاده يوم الجمعة ، رابع شهر جمادى الأولى ، بزي عجيب وجموع متكاثرة ، وكان (أهل « صبيا » ومخلاف)^(١) « بيش » ، قد استفزهم بالميل إلى الأمير عائض الطيش ، فلم يزالوا يحثونه (على الوصول إلى هذه الجهات)^(١) ، ويلقون إليه أحاديث مفتراة ، فيُصغي إلى تلك المقالات ، (وعنده جماعة / من الأشراف كفروا)^(١) نعمة الشريف ، وعجزوا عن [ص ٣٩٩] مكافأة إحسانه فسعوا فيما يوجب (لهم الملام والتعنيف . وظن عائض)^(١) أن الشريف بما وقع عليه أنه في حكم الميؤوس ، أو أنه قد لحق بالملك (القدوس ، فأقبل تتعادي)^(١) به خيول الآمال ، عازماً أنه لا يثنيه عما يروم عذل العذال ، وقد (كان إحياء شريح « مسلية »)^(١) وعمارة القلعة فيها لأسباب الفتنة مبادئ ، ولكن حالت بين (الشريف وبين الالتفات)^(١) إلى ذلك الخطوب العوادي ، وكان في « المدينة العريشية » الشريف حيدر والشيخ حسين^(٢) ، وهما في هذه الجهات للشريف العين ، ومن العجائب أن الرتبة التي (بقلعة)^(٣) « صبيا » خالطهم العيب ، فتعللوا بطلب حقوقهم دفعاً للشك فيهم والريب ، وأهل « صبيا » يمتنونهم ببذل الحقوق ، ليتخلوا من القلعة ، وهذا أول العقوق ، فوقع التماسي بين من ذكرنا والشريف حمود ، أن يبذل لهم ما هو بغيتهم من الدراهم والمقصود ، فتولى تسليم ذلك الشريف حمود بن علي ، فخرجوا من القلعة ، وعرض كل واحد منهم عن الذم غير خلي ، وخلفهم إلى القلعة رتبة من « سحر »

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الشيخ حسين بن علي مجلي .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

مقدمهم رجل اسمه غالب ، ووصل بعد استقرارهم في القلعة الشريف [ص ٤٠٠] [١١٩/ب] حمود ، ورجع إلى « أبي عريش » / بعد ترتيب الأحوال ، وبذل ما يحتاج إليه الرتبة إن دهمهم ما يكدر البال ، ومع استقرار الأمير عائض « بمسيلة » انفصل الشريف حيدر من « أبي عريش » ، بعد أن وصله من الشريف الحسن والمكارمة ما به يكون الموافقة على ما يسكن التبريش ، واشترك هو والشيخ حسين بن علي مجلي في التشاور فيما به يكون دفع هذا الرجل (الغائب)^(١) ، وتوخوا ما فيه من الصلاح والحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، ومع وصول الشريف حيدر إليه بدّره بالخطاب ، فبعد وقرب ، وكثر بينهم المبادئ والجواب .

فبينما هم في تلك الأحاديث يخوضون ، فاجأهم خبر خروج الشريف فتقطعت الظنون ، وظهر ما هو في الضمير مكنون ، (وأفصح الأمير عائض)^(١) أنه ما كان يظن أن الشريف في عالم الوجود ، ولانت (منه العبارة وجنح إلى ما هو الغاية)^(١) من نزوله والمقصود ، وتمّ الصلح على تسليم (قلعة « صبيا » إليه والمخلاف ، وأنه يكون)^(١) به التوافق والائتلاف ، وشرط عليه أنها (قائمة عن تسليم بعض ما هو في البلاد)^(١) معتاد ، فرضي بذلك لكنه يصرّح بأنه لا يثنيه عن (الوصول [ص ٤٠١] إلى اليمن راد ، وعند وصوله)^(١) إلى « صبيا » جعل الشريف / الحسن^(٢) بن أحمد بن حمود عاملاً (على « صبيا » والمخلاف ؛ لأنه كان قد)^(٣) وصل إليه مستنجداً به لوحشة حصلت بينه (وبين بعض الأشراف ، فقضت له)^(٣) تلك العمالة بعض المآرب ، وجنح إلى الميل

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) ص : الحسين .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

عن ما هو بصده ((إذ لم يساعد على تلك المطالب ، وهذا الحسن هو ممن أحيا مآثر أبيه وحده ، وصار في الكلام نسيج وحده ، له نفس تواقه إلى معالي الأمور ، برجاحة عقل وحسن سياسة للجمهور ، مع شجاعة تقدمه على أبناء دهره ، وبسالة قضت له أنه فريد عصره ، فأمر في « صبيا » ومخلافها ونهى ، وبلغ في حسن سياسة الرعايا المنتهى ، وحال رقمه وهو الفرة الشاذخة في بني أبيه ، والعين الناضرة في ذويه ، مع طيب أخلاق ، والتفات إلى العلم والأدب ، ومحبة أهله ، ومتاحفة للرفاق ، متع الله بحياته)) .

(وارتحل بعد ذلك عائض ^(١) ، ونزل بأعلى وادي « ضممد » ، ووصله الشريف حيدر بن علي (إلى هناك وفاوضه في ترك) ^(١) العزم على ذلك المقصد ، وبعد اللتيا والتي رضي بالتأخير (عن الوصول إلى اليمن) ^(١) ، وفي الحقيقة ((إنما ترك)) حذراً أن تنفتح عليه من أولئك القوم (الفتن ، وضربوا على ذلك الكلام) ^(١) القواعد ، ورغم بالصلح أنف كل باغض وحاسد ، وتوجه إلى طرف بلاد « سفيان » ^(٢) مساعدة للشريف حيدر ، وبعث في أثناء / إقامته هناك سرية إلى « بني الحرث » قضت [ص ٤٠٢] بعض الوطر ، ووصله مراسيله الذين بعثهم إلى الشريف بالإسعاد لما صنعه الشريف حيدر من الصلح ، واندمل من الخلاف والشقاق الجرح ، ورجع قافلاً إلى بلاده ، وقد بلغ ممّا يؤمله غاية مراده ، وسكنت من [١/١٢٠] الفتنة هذه الجهات ، ووقع الأسف مع أهل الأغراض على تمام الصلح ؛ لأنهم لم يقفوا على غير الحركات ، وأمّا محمد بن يحيى

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) بنو سفيان : من قبائل الجبال التابعين لمركز العارضة بمنطقة جازان ، يحدّهم شرقاً بلاد آل تغيف وبنو درعان والعبادل ، وشمالاً جابر وبنو حريص ، وجنوباً المسارحة والعبادل ، وغرباً المسارحة .

انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ٧٧/١ : المعجم الجغرافي ، ٢١٨ .

فالحاصل على « زبيد » وهو مستقر (في) « المخا » ، فلما بلغه الأمر أحجم عن الوصول ، وبأن له أن نجم مملكته لتهامة في أفول ، (وبقي)^(١) فيه أياماً يضرب الأحماس بالأسداس ، ثم ترجح له المسير إلى « حيس » وقد صار هو وأصحابه في غاية الإبلاس ، فأقام هناك والحيرة والدهشة مستوليان عليه ، يتوقع صباحاً وعشيّاً وصول القوم إليه ، لكنهم عنه في اشتغال باستخلاص القلعة من أيدي أولئك الأجناد ، ولم يزل الحرب ثائراً على أهل القلعة كل آن ، حتى رقت عليهم قلوب أولئك الأسود الضارية وبذلوا لهم الأمان ، وكان الإباء والمنع عن بذل الأمان لهم هذه المدة من الشريف الحسن بن محمد ؛ لأنه يرى أن ذنبهم غير مغتفر ، لكنه لطيب [ص ٤٠٣] نجاره / سمح تكرمًا وبالعفو أسعد ، وممّا يدونه (من الحكمة أهل السلوك)^(١) أن العفو أبقي للملك من الملوك ، وأطلق لهم مراهيئهم (وخرج من عندهم من الأشراف)^(١) وحفيت منهم القلعة ، وتوجهوا إلى الجبال ، (وكان ذلك منتهى خبرهم وقطع)^(١) دابرهم - إن شاء الله تعالى - من هذا المخلاف ، واستصبحوا (عامل « بيت الفقيه » وأصحابه معهم) في ذلك السفر ، وأصبحوا بين الناس بعد ذلك التناول (حديث سمر .

ولما بلغ مسامع)^(١) محمد بن يحيى هذا الخبر ارتحل من « حيس » ولم يبق له عين ولا (أثر ، واكتسب سوء الأحدث (١) بذلك البغي بين الوري ما تعاقب الشمس والقمر ، وعادت (البلاد إلى حمايتها الأشراف)^(١) الأمجاد ، وأشاد لهم هذا الصنع الفخر البالغ في الأغوار (والأنجاد)^(١) ، وتليت أحاديث وقائعهم بحسن الثناء على لسان كل حاضر وباد^(٢) ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتتها من ص .

(٢) انظر : تفاصيل هذا الصراع في : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٢٠ - ٢٢٠ :

الكبسي ، اللطائف السنية ، مخطوط ، ورقة ١٤٢ ، ١٤٤ .

ولما رفع إلى الشريف الحسن بن محمد هذا الحديث المسلسل بالفخر والمجد ، في مرقوم سطوره منها السرور يتجدد ، وذلك بعد أن استقر في بستان « زبيد » ، بعثت إليه هذا الشعر المرتجل ولا أقول العقد الفريد :

تذكرني ذات الملاحه والدل	عهوداً مضت بالرقمتين وبالرمل / [مر ٤٠٤]
وتنشر مطوي الأحاديث بيننا	على بعدها ما كان في زمن الوصل
/ وتمزج لي كأس الصبابة مترعاً	بعذل ولكن تهت سكرًا مع العذل [١٢٠/ب]
وقد ساقطت من در لفظ عتابها	معاني لن ^(١) تملأ على عاشق قبلي
يفوح لنا من نطقها أطيّب الشذا	وبين اللمى ما جاء في سورة النحل
وترنو بطرف بابلي إشارة	بأن شفاء الصب في الأعين النجل
ومرت على روض « العذيب » ^(٢) عشية	فأورق زاوي الروض من ردها الخضل
وهبت على آثارها نسمة الصبا	لذاك غدت أنفاسها للشجي تسلي
غنت عن حلي إذ تحلت بحسنها	فلم تعن بالخلخال والقلب والحجل
تشّت وقد مالت لقصد التفاتة	فأخجلت الأغصان بالميل والشكل
أعادت لمضناها (زمان شبابه) ^(٣)	فباع وقار الشيب في الحب بالجهل
لذاك غدا (ماء السما طرف عينه) ^(٣)	وأماً حجاه فهو قد صار من ذهل
(على أنه مذ فارق الربيع لم يزل) ^(٣)	بأهليه بعد البين متصل الحبل
(سميراً لنجم الأفق في طول ليله) ^(٣)	ينوح اشتياقاً بين رامة والأثل

(١) هكذا في الأصل وص ، ولو كانت « لم » لكان أفضل .

(٢) العذيب : ماء بين القادسية والمغنية ، يبعد عن القادسية أربعة أميال ، وقيل : واد لبني تميم ، وقيل : هو حد السواد في العراق ، وهو أيضاً موضع في وادي زبيد من تهامة .

انظر : معجم البلدان ٩٢/٤ : المقضي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٨١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(وذات جناح فوق أغصان بانه) (١)
 (ولكنني أودعتها لأعج الهوى) (١)
 (وحين شرى برق اللوى طار لبّه) (١)
 (وما ذاك إلا أن لمع وميضه) (١)
 [ص ٤٠] (فهت به سكرًا لمن صار ضاربًا) (١)
 هو الحسن (الراقي لأعلى مكانة) (١)
 شريف رقى الشأو (عليّ وقد سما) (١)
 إذا نازل الأقران أردى عدوّه
 حوى من عليّ جدّه لشجاعة
 هو الثابت الجأش الكمي إذ تبلدت
 [١٢١/١] / كفاه علا يوم «الحديدة» إذ سرت
 فقام بأعباء الأمور ولم يُبل
 وساس أمور الملك سرًّا وجهرة
 وأربعة من أشهر قد تكاملت
 وما راعه ما راع والناس واحد
 ولولاه أضحى الناس تحت عصابة
 وصارت قصور الملك منهم خلية
 وشدّ له الخلاق عضدًا بصنوه
 علي أخى الهيجاء في موقف الوغى
 فجاء بجيش مستطيل عجاجه

شجت بغناها كلّ ذي لوعة مثلي
 فمن لحنها عما أترجمه تملي
 وعاد فلم أملك فؤادي ولا عقلي
 أراد يحاكي سيف منقطع المثل
 به هام أهل البغي من غير لا مهل/
 فليس له غير المكارم من شغل
 على رغم أهل الحسد بالمجد والفضل
 وجرّعه كأس المنيّة بالنصل
 غريزية (٢) غنى بها سابق الأزل
 عقول ذوي الأخطار في الموقف الحفل
 على الناس من خوف العدا علة الذلّ
 بجمع أهيل البغي والنكث والغلّ
 وفاز بحسن الذكر في ذلك الفعل
 له وهو في أمر يُطيش للعقل
 كآلف وفيه قد أتى محكم النقل
 يسومونهم سوء العذاب على ذلّ
 ولكنه قد قام بالعقد والحلّ
 فسار إلى (يام الجحاجة النبل) (٣)
 (ومن لهموم النفس من غرمها يجلي) (٣)
 (فدلّ بأن الليث يثمر بالشبل) (٣)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأصل و ص : غريزية .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

ولما دنوا منه بدا من « حديدة »
وساروا إلى مغنى « زبيد » وإنهم
يقود لهاتيك الجحافل سعده
فصال على أهل العتو بعده
تجاذب ذاك الجمع أبطال جنده
وسالت على أرض « الحصيب »^(٢) دماؤهم
فذلوا وقد نالوا السلامة مغمماً
وأخرج من بين العدا حاوي العلا
وجلّوا لعارٍ بعد أخذٍ لثأرهم
ولما درى ذاك الطريد بما جرى
به اليمن الميمون أصبح عائداً
فهل بعد هذا مفخر لمفاخر
/ فتى لو سألنا الدهر يأتي بمثله
له الكرم الهامي فمن ذا يقيسه
إذا أخلفت غرُّ السحائب للورى
لقد حاز أخلاق النبوة يافعاً
تحلى بوصف المجد عصر شبابه
حليم فلا داعي الهوى يستفزه

(كليث الشرى مستعمل الجد لا الهزل)^(١)
(تباهى بهم ماضي الضرائب والأسل)^(١) / [ص ٤٠٦]
يلوح (وقد أضحى هو المفرد الكلي)^(١)
وأروى (سيوف الهند بالعلّ والنهل)^(١)
فصار بوقع (السيف مفترق الشمل)^(١)
فيا لنجيع (من دما القوم منهل)^(٣)
على قدرة (والعضو شأن أولي الفضل)^(٣)
إمام الهدى (من فاق بالفخر والبذل)^(٣)
وغنت طيور السعد في الحزن والسهل
نجا هارباً والفر يحسن بالنذل
إلى ملكهم بعد التناظر والغلّ
فبالله إن أنصفت هل مثله قل لي؟
لقال : دعوا هذا فلن تجهلوا نجلي [١٢١/ب]
بحاتم قد أخطا وما الطل كالوبل
غدا بالسخا وهو الربيع من المحل
ولا غرو إن الفرع من ذلك الأصل
وفاق لأرياب الرجاحة والعقل
ويعرض عن قول السفاهة والجهل

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) اسم من أسماء مدينة « زبيد » ، كانت تسمى به نسبة إلى الحصيب بن عبد شمس بن وائل . انظر : المقحفى ، مرجع سبق ذكره ، ١٩٠ : ابن المجاور ، مرجع سبق ذكره ، ٨٢ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

بأيامه الفـرا تضيأت الورى
[ص ٤٠٧] رعى للرعايا في جميع أمورهم
أقام لهم حسن (التتاصف بينهم)^(١)
به (الناس أضحوا في أمان ونعمة)^(١)
(فهاز بحمد الناس في هذه الدنا)^(١)
(تملى لعرفان ونال مناقباً)^(١)
(له الأدب الغض الذي)^(١) زان مجده
(تنزه عن فعل القبيح نزاهة)^(١)
(فصفه بأنواع المديح ولا)^(١) تخف
ومن رام يحكي (مجده قال)^(١) دهره :
وبهناك هذا الفتح يا زين عصره
وليس يُؤدَّى شكره بعبارة
فأوزعنا الرحمن شكرًا لنعمةٍ
ومني سلام الله يغشى رحابكم
ودمٌ ساحبًا ذيلًا من النعم التي
ودونك نظمًا قد حوى طيب مدحك
[١٢٢/] / فكن ساترًا ما فيه من ضعف لفظه
وإني بتقصيري مقرر ولم أكن
وصلًا على المختار والآل دائمًا

ظلالاً من الإحسان بورك من ظلّ
وقضى بهم في نهج خاتمة الرسل /
بلطف ولم يسلك سبيلاً سوى العدل
فليس يخاف السفر من قاطع السبل
ونال لأجر الله في موقف الفصل
يقصّر عن تعدادها كل من يملي
كما افتر ثغر الروض عن لؤلؤ الطلّ
وقام بحق الله في الفرض والنفل
مجاوزهً للحد في فضله الجزل
وما كحلّ الأجفان يا قوم كالكحلّ
فهذا هو النصر العزيز الذي يعلي
من الحمد في بسطٍ من المنطق الحفل
وحصنها من كل شيء لها يبلي
منوعة كالمسك والعطر والفلّ
حببت بها يا كامل الفرع والأصل
وقصّر عن أوصاف هندٍ وعن جمل
فمثلك يا مولاي يغضي عن الخلّ
بلغت معاني ابن النبيه ولا الحلّي
كذا صحبه أهل المكارم والفضل^(٢)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) القصيدة من الطويل .

/ وهذا الشريف الحسن واسطة العقد من الأشراف في أبناء [ص ٤٠٨]
 الزمن ، صاحب الهمة التي هي أمضى من الصارم ، والعزيمة التي تسجد
 لها خاضعة العزائم ، والسطوة التي راعت في آجامها الآساد ، وخلعت
 قلوب الأعداء من الروع وفتتت (منهم)^(١) الأكباد ، مدبر الممالك ، زين
 الأسرّة والأرائك ، من صار عضد الملك وأي عاضد ، وسيفاً مسلولاً على
 أعداء الله أكرم به من بطل شهم ماجد ، شجاك الحاسد والمعاند ،
 الحاوي من المناقب ما يشيد بين (الأنام ذكره ، ومن المفاخر ما علا)^(١)
 على دراري النجوم قدر آبائه وقدره ، أمّا النسب (فقد عرفته وهل من
 جده المصطفى له)^(١) من مناسب ، وأمّا الشجاعة فلعمري إنه لأحد
 (الوارثين ذلك الوصف من أبيه علي بن)^(١) أبي طالب .

مولده في شهر محرم سنة سبعة (وثلاثين بعد المائتين والألف » بأبي
 عريش »)^(١) وقد طلع بدره في برج عمالة « اللحية » بعد (استيلاء
 الشريف عليها ، ومشى على النهج)^(١) السوي مدة إقامته بها ، وانتقل في
 فلك إمارة (« زبيد » ، وطلع عليها في وقت)^(١) سعيد ، واستقر هناك
 لولاية تلك البلاد والإصدار (فيها والإيراد ، وصار)^(١) مسعود الحركات
 في الأفعال والأقوال (والأحوال ، ولم يصل إلى تلك البلاد)^(١) إلا وهي
 ظامئة الأكباد لوروده إليها / ومحتاجة (إلى إمارته فطلع فيها بدرًا)^(١) [ص ٤٠٩]
 زاهراً ، وينع فيها غصناً ناضراً ، وأحيا هناك معالم المفاخر ، وأنعش فيها
 كرام المآثر ، وجاد حتى تميزت ماهية الجود ، كما يتميز المعرف بالرسوم
 والحدود :

وكذا الكريم إذا أقام ببيلة سال انضار بها وقام الماء^(٢)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) البيت من الكامل ، والقائل المتنبّي ، انظر : الديوان ١٩/١ .

وقد هيا الله على يديه فتح اليمن ((الميمون)) بعد أن كادت تغلق
بأيدي البغاة تلك الحصون ، كما وصفنا ذلك في طي هذا التسيير ،
ونشرنا من محاسنه ما يزري [١٢٢/ب] بنشر العبير .

وله ميل إلى علم الأدب ، كم نفث بما هو أحلى من الضَّرَب^(١) ،
ولم يزل يعاطي بكؤوسه الرفاق ، ويجرى معهم في حلبة هذا السباق ، مع
أنه إنَّما نقش به صفحات مجده الأثيل ، وحشى به برد عزه المستطيل ،
وإنَّما بذلك يعرف أنه حوى أنواع الكمال ، وحاز كل فضيلة غريزية أو
كسبية يتصف بها الرجال ، فمما قاله في اقتطاف يانع زهر النسب
والغزل هذه الأبيات التي يعرف بها أن كلام الملوك ملوك الكلام عند من
ذاق وعقل :

روح العميد الذائب الولهان	بين « العذيب » وبأنتي « نعمان »
أمّا « العذيب » فضيه غاية مطلبي	وكذاك « نعمان » الذي أشجاني
[ص ٤١٠] فإذا هما اجتماعا لنفس (مرة) (٢)	بلغا من العلياء كل مكان /
يا (ساكني سفح «العقيق» ترفقا) (٢)	فالعنف شرُّ خلّاق الإنسان
ما (هكذا شأن الأحبة إن ناوا) (٢)	تركوا معاهدهم على الأوطان
(تالله أحسب أن منعرج اللوى) (٢)	مأوى الحسان ومرتع الغزلان
(فإذا المها لم يلتفتن لحسنه) (٢)	ولبسن عنه ملابس السلوان
(فغدوت من ولهي أقول) (٢) معاتبا	يا دهر هل أبقيت لي من ثاني
(هيهات ما ردّ الخوون) (٢) وديعة	فاصبر وشبّب باللوى والبان
فبذكرها (طربي وسؤلي من بها) (٢)	سكنوا فيا لله من سكان

(١) الضَّرَب : العسل الأبيض الغليظ . انظر : المعجم الوسيط ٥٣٩/١ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

يا عاذلي إن كنت^(١) تجهل بالهوى
فانظر لفاتر طرفه النعسان
وانظر لجسم محبه ونحوه
يغنيك عن ذكر الفتى الفتان
واليك عني يا عذول فإنني
وأبيك لا أصفي (لمن يلحاني)^(١)
ما بين عتَاب الخدود ودره
ماء الحيااة لواردِ ظمآن
لم أنس إذ نادمته في سحرة
وغدا يشنف بالغنى آذاني
لله بيضاء الترائب غادة
قد خيمت في عقر جوف العاني
/ وغدا لها ربع وإن بُعد اللقا
وإذا رماني الدهر عن وصلي إلى
ما قلت من جزع ولا وله له
وإذا اعتراني من زماني حادث
لا غرو إن هانت بناة زماني
ذي سطوة تذر الأكابر خضعاً
عندي فحول من ذرا عجلان
وتذل كل غضنفر مطعان^(٢)
وقد بنى قلعة رفيعة البنيان في وطنه « أبي عريش » سماها
« الشامخ » ، كانت عصابة على إكليل مجده الباذخ ، مبتدأ عمارتها يوم
عشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين بعد المائتين والألف .
أحكم بعقله منها الأركان ، ورتبها في حسن البناء على شكل لا
يخطر ببال إنسان ، فهي غرة في جبين هذا (الدهر)^(٤) الأخير ، ومنقبة
اختص بها « أبو عريش » فزها بها زهو العروس بالديباج (النظير)^(٤) .
(وفيها أراد أهل قرية « ضمد » من الأشراف الحوازمة وغيرهم عمارة

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) غير واضحة في الأصل والتعديل من ص .

(٣) القصيدة من الكامل .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

معقم^(١) الأرض المسماة « بلد الشام » ، واقتضى الحال أن وقعت منافرة بينهم وبين بعض أهل « الشقيري » في صدر العقم ، فجمع بعض الحوازمة بفرسه بعض الفقهاء « آل النعمان » ، وكان ذلك فاتحة الشر ، ومشى أعيان « ضمد » من الأشراف الحوازمة وغيرهم في طيابة النفوس ، وما أجدى ذلك لما قد حصل في النفوس من الوحشة ، فأعقب ذلك (الترامي)^(٢) بالبنادق ، وزهقت أرواح في ذلك اليوم ، ودامت الفتنة قريب سنتين ، وانتهكت فيها المحارم ، واجترح بسبب ذلك ، (مآثم ، وقتل بسبب ذلك من الجانبين نحو العشرين ، منهم)^(٣) الشريف [ص ٤١٢] أحمد بن محمد بن خالد ، وكان من شجعان / عشيرته ، ورئيس أهل بلدته ، والكلام في مثل هذه الدماء المسفوكة على هذا الوجه يطول بين أهل العلم ، والمجمع القيامة ، وعند الله مرجع الظلامة) .

(وفيها توفي شيخنا)^(٢) محمد بن علي العمراني^(٣) ، هو خاتمة أهل التحقيق ، والفائق لأقرانه في (أصناف التدقيق ، نشأ « بصنعاء » المحروسة)^(٤) مولده كما أخبرني سنة أربع^(٥) وتسعين ومائة وألف ، (واشتغل بعد بلوغه سن الطلب)^(٦) بالقراءة على مشايخ وقته ؛ كالسيد العلامة حسن بن يحيى الكبسي^(١) وغيره ، (ولازم شيخنا البدر

(١) هكذا في الأصل و ص ، والصواب : عقم .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) انظر أيضاً ترجمته المفصلة في حقائق الزهر للمؤلف ، ١٠٣ - ١١٦ ؛ وفي عقود الدرر للمؤلف أيضاً ، الترجمة رقم (١٧٩) ، وكلا الكتابين بتحقيق د . إسماعيل بن محمد البشري .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) الأصل و ص : أربعة .

(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الشوكانى) (٢) ، وبه انتفع ، وله به العناية التامة والملاحظة الكلية ، وبذلك ظهر (صيته وانتشر ذكره) (٢) ، وارتفع بين الناس قدره ، له اليد الطولى في جميع الفنون ؛ من نحو (وصرف ، ومنطق ، وأصول) (٢) ، وبيان ، وله إمام بعلم المعقول ، وإطلاع على مأخذ (كلامهم ، وتوضيح مقولاتهم ، على وجهه مقبول) (٢) .

وأما علم الحديث فهو إمام محرابه ، والذي لا يلز (٣) به قرين فيه من (أهل زمانه) (٤) وأترابه ، فهو يستحضر رجال الكتب الستة بحيث لا تخفى عليه من أحوالهم خافية ، تعديلاً وتضعيفاً مع همة سامية ، للإطلاع على العلل المتناهية ، غاية الأمر أنه ساوق المتقدمين في هذا الفن ، وبلغ رتبة في الحفظ يقصر عنها أهل الزمن ، وبه انتفعت في هذه الصناعة ، ودخلت مع القوم في تلك البضاعة ، أطلعني على مؤلف له سماه [١٢٣/ب] « التعريف بما ليس في / التهذيب من قوي وضعيف » ، [ص ٤١٣] فرأيت ما بهرني من الاستدراك ، وهو يأتي في مجلد حافل ، و « التهذيب » هو مؤلف الحافظ المزني في رجال الكتب الستة ، وهو الذي لخصه الحافظ العسقلاني « بالتقريب » ، وله حاشية على « ابن ماجه » مفيدة جداً سماها « عجالة ذوي الحاجة » ، وقد جاء في تلك التعليقة بأسلوب مخترع ، يورد السند بمتنه ، ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن والاعتبارات ، وبعد ذلك يتكلم عن معنى الحديث ، وله مؤلفات غير ذلك .

(١) حسن بن يحيى بن أحمد الكبسي ، من أعيان علماء صنماء ، وتولى القضاء بخولان (ت / ١٢٣٨ هـ) . انظر : البدر الطالع ٢١١/١ ؛ نيل الوطر ٣٥٨/١ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

(٣) لز الشيء بالشيء : ألزمه إياه ، وجعلت فلاناً لزاماً لفلان أي لا يدعه يخالف ولا يعاند .

انظر : لسان العرب ، مادة : لزز ، ومعنى العبارة : ليس له نذ ولا نظير .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

اتفقت به في رحلتي إلى « صنعاء » عام ثلاثة وأربعين بعد المائتين والألف ، ولازمته مدة ، وقرأت عليه « شرح الغاية » بتمامه المسمّى « الهداية » للإمام الحسين بن القاسم ، وأخذت عنه في « مسلم » و « ابن ماجة » و « مستدرك الحاكم » ، وغير ذلك من كتب الحديث ، وكنت أحضر القراءة في حلقة شيخنا البدر الشوكاني رحمه الله تعالى ، وهو الحاكم على علماء تلك (الحلقة بإيراد الفوائد)^(١) ، والمتولي لإملاء الكتب الحديثية في تلك الموارد ، (وشيخنا المذكور لم أره يلاحظ أحداً من أهل)^(٢) حلقاته مثله مع أن فيهم العلماء المشاهير ، (والمحققين النحارير ، وفي آخر المدة)^(٣) وقع منه وحشة من شيخنا البدر الشوكاني ، كما (جرت به العادة بين الأقران)^(٤) ، [ص ٤١٤] ومن اطلع / على « سيرة النبلاء »^(٥) للحافظ الذهبي ورأى (ما وقع بين الحافظ محمد بن يحيى الذهلي) وتلميذه البخاري هان عليه الأمر ، وعلم أن العصمة (لغير الأنبياء متعذرة ، والمرجو من)^(٦) الله . سبحانه . أن يتجاوز عنهم الجميع ، لسوابقهم في الإسلام ، (وعنايتهم بحفظ شريعة سيد الأنام)^(٧) ، وباب التأويل للمؤمن مفتوح والأعمال بالنيات .

نعم)^(٨) وبعد حصول الوحشة بينه وبين شيخه المذكور تناقص (الحال ، وانتهى ذلك إلى خروجه)^(٩) من « صنعاء » لأسباب صدرت

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) اسم الكتاب : سير أعلام النبلاء ، مطبوع ومتداول ، وقد هذبه محمد بن حسن عقيل

موسى في ثلاثة مجلدات مطبوعة عام ١٤١١ هـ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

عليه من القائم (« بصنعاء » تلك المدة ، وهو)^(١) عبدالله بن أحمد الملقب المهدي^(٢) ، كلها من حظوظ النفس ، وكان استقراره بعد انفصاله من بلده في^(٣) « زبيد » ، ووصوله كان عام خمسين ومائتين وألف ، واتفق وصوله أيام شيخنا الحافظ عبدالرحمن بن سليمان ، فلاحظه بالإجلال ، وقابله بما هو أهل له في البكر والآصال ، وتسبب في توليته لوقف « زبيد » وتولاه .

وما [أ/١٢٤] أعقب ذلك إلا موت شيخنا عبدالرحمن ، وتفاقت عليه الأمور لبسط أسنة الحساد ، وقد اتفقت به في « زبيد » عام واحد وخمسين ، وقرأت عليه « شرح المختصر » للقاضي عضد الدين ، من فاتحته إلى خاتمته ، وقرأت عليه بعض كتب النحو ، ((وقرأت عليه شرح ألفية العراقي)) ، وأخذت عليه في « المواقف العضدية » في علم الكلام وشرحها للشريف الجرجاني ، واستفدت / منه كثيراً جزاه الله خيراً . [ص ٤١٥]

وحين تكدرت عليه صافي الإقامة في « زبيد » ارتحل إلى « مكة المكرمة » وجاور فيها نحو ثلاث سنين ، وبعد ترجع الشريف ملك القطر اليماني الحسين بن علي استدعاه من (مكة ووصل)^(٤) ، ونزل « بأبي عريش » ، وأفاض عليه سيب الأنعام ، وقابله بالإجلال (والإكرام ، ومكث)^(٤) بالمدينة العريشية نحو سنتين ، وطلب الإذن من الشريف إلى « زبيد » فأذن له في ذلك ، وأجرى عليه ما يكفيه هنالك ، واختار الله له الانتقال إلى رحمته - إن شاء الله تعالى - في هذا العام ، وسبب موته أنه

(١) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

(٢) إمام صنعاء للفترة من ١٢٣١هـ إلى ١٢٥١هـ . انظر : الجرافي ، المقتطف من تاريخ

اليمن ، ٢٦١ .

(٣) الزيادة من المحقق لتتضح العبارة .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

مع دخول الأجناد إلى « زبيد » كما وصفناه فيما سلف ، دخل عليه في عقر بيته بعض طغام الجند ، وأسقاه كأس الهلاك والتلف ، ففاز بالشهادة في بيته ، ونال - إن شاء الله تعالى - الرحمة والكرامة .

(ويبيني وبينه - رحمه الله تعالى - مراسلات)^(١) أدبية نظماً ونثراً ، وله في النثر اليد الطولى (بفصاحة رائعة ، وبدائع متناسقة)^(١) ويسهل عليه غاية السهولة ، ويراعي فيها الجناسات (والمعاني البديعة كثيراً ، وأماً النظم)^(١) فهو بالنسبة إلى نثره متوسط الفصاحة مع الإجادة (وجزالة المعاني ، وقد أثبت)^(١) شيئاً من ذلك في كتابي « حقائق الزهر » ، ولولا أن الترجمة قد طالت (لأوردت شيئاً من ذلك)^(١) .

[ص ٤١٦] ثُمَّ إن الشريف الحسين / بعد انقضاء أمر « زبيد » تقدم إلى (« المخا » في جملة من العساكر)^(١) لقصد استخلاصه من يد الرتبة الذي فيه من طريق محمد بن يحيى ، (فلما وصل تلك الساحات ، أدار)^(١) عليهم كؤوس المنيات ، ونصب لحريهم المدفع في جميع الأحيان ، والتفت عليهم لما شاهدوه حلقتا البطان ، وبعد أن شاهدوا الموت عياناً من ذلك الحصار طلبوا من الشريف الأمان ، فبذله تكرمًا والكريم يقبل العثار ، وأماً عاملهم فالتجأ إلى سفينة وركب ثبج البحر^(٢) ، وكان ذلك خاتمة الأمر .

ودخل الشريف في آخر شهر شعبان « المخا » تبرق أسارير وجهه من السرور ، وسكنت بحمد الله تعالى عن جميع مملكته الشرور .

وفي هذه السنة رابع شهر رمضان كان وفاة الشريف إسماعيل بن

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) عامل محمد بن يحيى على المخا هو الأمير المملوك فتح محمد ، وقد دافع في المخا حتى بداية شهر رمضان ، ثُمَّ ركب البحر كما ذكر المؤلف وعاد إلى صنعاء عن طريق لحج .

انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٢٠ .

حسن القادم إلى جهاتنا عام اثنين وستين بعد المائتين والألف ، ورأيت [١٢٤/ب] بخطه أنه شريف النسب يتصل نسبه بذوي زيد ملوك « مكة » ، وأن سبب خروج جده إلى المغرب لواقعة حصلت عليه من الشريف سرور ابن مساعد ، هذا ما وقفت عليه بخطه ، وحقيقة العلم عند الله تعالى ، وأخبرني بعض من اتفق به من أعيان الجهة أنه أقام « بمكة » و « المدينة » وأنه استعمل الرياضة كثيراً ، وأنه له مشاركة في علم الفقه ، وعناية بعلم العقائد ، وقد رأيت بعض كلامه في ذلك ، وهو على نمط كلام / [ص ٤١٧] المتأخرين لحفظ القواعد الاعتقادية ، من غير نظر وتحصيل .

ورويت عنه كلمات يتعذر تأويلها ، ولكن طريقه فيها طريق ما يقوله أهل الشطح من المتصوفة ، كما قال الحافظ الذهبي في حقهم : « إن مع كثرة الرياضة يحصل جفاف في الدماغ فيخف فيحصل من الألفاظ ما يحصل ، ومن كان كذلك فهو معذور ، لعدم اتصافه بكمال الشعور »^(١) ، وقد وصل إلى هذه الجهات منفرداً يطلب النصرة على جهاد الإفرنج الذين « بعدن » .

ولما استقر « بأبي عريش » تلقاه من كان بها من طرف الشريف ، وهشاً إليه الناس من كل جهة ، وقد رفع بمكتوب إلى الشريف ، وهو مستقر « بالحديدة » مضمونه استنهاض الشريف على جهاد من هو في « عدن » ، والقيام بهذا الأمر العظيم الذي يذهب عن عيون أهل الإيمان الوسن ، فأجاب (الشريف بما معناه)^(٢) أن هذا الأمر لم نزل نسعى فيه ، وقد تسببنا في القيام (بذلك ، وما أراد الله تعالى ، والأشياء مرهونة)^(٢) بأوقاتها (وبعد أن نصلح ما نحن بصدده من فساد الرعايا)^(٢) نطلب من العساكر من ينفع الله بهم في هذا (المراد ، ونشعر

(١) هذا العذر يقبل لو كان فقدان الشعور قهرياً ، أما أن يعتمد الإنسان الفعل ليطهر بدعته بادعاء ما لا يصح ، وليقول في الشرع ما لا يجوز فهذا مما لا يقبل فيه الاعتذار وإنما يبين الخطأ ، ولا يتمحل في التماس المعاذير لمن تعمد ارتكاب المخالفة ، والحساب عند الملك العدل سبحانه وتعالى .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

في كافة ما تحت أمرنا^(١) بالجهاد ، ونجعل مراكبا في البحر لحمل المحتاج (إليه من الزاد ، ونجعل جماعة فيه مقاتلة)^(١) ، ونصحبهم من المدافع وغيرها ما يستعان به على حربهم والإعانة / من الله لنا^(١) [ص ٤١٨] حاصلة ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾^(٢) الآية ، (فلما وصله الجواب لم يتلقاه)^(٣) بالقبول ، بل دعا الناس إلى الجهاد ، وظن بهم مع عدم (معرفته بهم بلوغ المأمول ، مع أن غالبهم ما هو)^(٣) حق جهاد أولئك الكفار ، ولا يقضى بهم في هذه المادة (الأوطار ، وكثيرهم لم يمارس)^(٣) القتال ، ولا يدري يوم الوغى كيف مقارعة الأبطال ، فلما (وصل بهم إلى « عدن » ناوشوا الإفرنج)^(٣) بالحرب ، وبعد ذلك خذلوه ، وكروا راجعين إلى أوطانهم (وتركوه ، وحين رأى)^(٣) ذلك انحاز إلى بعض الجهات ، ووصل « صنعاء » وأقام مدة يدعو إلى الجهاد ، ولم يجبه أحد ، ثم توجه إلى جهة « قعطبة »^(٤) ولبث مدة في القيام بهذا المقصد ، وكان عاقبة أمره في هذا المسير ، أن تمالاً عليه جماعة من أهل « الحُجْرية »^(٥) فقتلوه والأمر لله العلي الكبير^(٦) .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة « إب » بمسافة ٦٢ كم .

انظر : المقضي ، مرجع سبق ذكره ، ٣٣٣ .

(٥) وطن كبير جنوب تعز كان يسمى بلد « المعافر » ، وفيها آثار حميرية كثيرة .

انظر : المقضي ، مرجع سبق ذكره ، ١٠٩ : الحجري ، مرجع سبق ذكره ٢٣٢/١ .

(٦) تعد محاولة الشريف إسماعيل بن الحسن من أقوى حركات المقاومة العنيفة ضد البريطانيين في عدن ، وقد حاول جمع القوى المختلفة لمناهضة الإنجليز واتصل بإمام صنعاء وسلطان لحج وغيرهم ، وقام بالهجوم على عدن إلا أنه لم يتمكن من دخولها لأسباب عديدة ليس هذا مجال بسطها ، وتشير المراجع الأخرى إلى أنه قتل بيد بدوي من أبين يوم ١٢ أغسطس ١٨٤٨م الموافق ١٣ رمضان ١٢٦٤هـ وليس كما ذكر المؤلف . =

[١٢٥/أ] ودخلت سنة (خمس وستين)^(١) بعد المائتين والألف

أرّخها بعض أدباء اليمن بقوله الحسن :

ذهب النحاس جميعاً وانقضى وتولى كل شر ومضى
وتبدى كوكب السعد لنا نوره في كل أفق وأضا
وحبانا الله عاماً طيباً ولما أتلّف ربي عوّضا
فأبشروا واستمعوا تاريخه جاءنا عام أمان ورضى^(٢)

/ وكان دخولها والشريف مستقر بيندر « المخا » يصلح أحوال [ص ١٩٤]

البندر ، لما شابه ممّا للخواطر قد كدر ، واستدعى ولده محمد بن
الحسين ليجمعه عاملاً فيه ، وعزمه على تصليح البلاد بعد
ذلك من غير تمويه ، والشريف الحسن بن محمد استقر بيندر
« الحديد » ، لأجل إعطاء يام ما لهم من الحقوق القاهرة ، وبذل
المجهود بما تكون معه القلوب عامرة ، ولم تزل المطالب على الرعايا
في ازدياد لأجل هذا المطلب ، ولم يجد الناس عما هم فيه من
مهرب ، والشريف بعد وصول ولده إليه بدا له من الرأي عدم
الخروج من « المخا » حتى يرتحل يام من تهامة ، ويتخلى المتحمل لحقوقهم
من الملامة .

وقد أسلفنا في غضون هذه الأوراق أن السلطان عبداً المجيد أيد
الشريف على هذا القطر اليماني ، وأنه أذعن بالانتساب إليه ، والإشعار

= انظر : أباطة ، عدن والسياسة البريطانية ، ٢٤٢ - ٢٤٦ ؛
- Playfair , R . L . 167 - 168 .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) الأبيات من الرمل .

بالخطبة له (فيما تحت يديه)^(١) ، والشريف رأى أن تهامة اليمن ، وقد ضعفت من كثرة الفتن ، وتتابع على (أهلها المطالب الدولية)^(١) وأفضت بهم إلى الوهن ، مع أن صاحب السراة طامع فيها لما له (فيها من المعتادات ، وصاحب « صنعاء »)^(١) راغب أن تدخل تحت يده ؛ لأنها كانت [ص ٤٢٠] تحت (آباءه في العصور الماضية ، ويام ومن)^(١) على شاكلتهم / من العساكر كل منهم يريد أن يبلغ فيها غاية (قصده ، وهي مع هذا لم تنتظم أحوال)^(١) أهلها من جميع الجهات ، بل كثر فيها الفساد وخربت الطرقات ، (ويرى الشريف أن هذا بالذمة)^(١) لما تقلده من أمر هذه الأمة ، وكان الأتراك بعنايتهم تملكه القطر (اليماني له ، وبإطلاقهم ذلك)^(١) عليه تمّ له أمله ، فمع هذه الأسباب ترجح له أن يكاتبهم في (المعاونة بحفظ البلاد ، ويكون)^(١) له فيها محصول يتم به المراد ، حتى يكونوا أعضاداً له (عند توثب أهل الأغراض عليه)^(١) ، وقصده أيضاً قطع يد من يريد معاندته من أهل العداوة (والحسد فيما)^(١) تحت يديه ، فلم تزل المكاتبة بين الشريف وبين شريف مكة محمد بن عون في هذا (المقصد)^(١) تدور ، ومنه إلى سلطان الروم ولا علم لبشر بما ينتجه المقدور ، وكان في اليمن الحاج يوسف آغا^(٢) عيناً للأتراك في اليمن ، فاقترض الحال ارتحاله إلى « مكة » مع حصول تلك الوقائع ، فاعتنى بهذا الأمر لغرض في نفسه ، فحال دون مقصده الأجل ، وأمر الله ليس له دافع ، وذلك كله من تحت رأي الشريف ، وهو كاتم ذلك الأمر عن البعيد والقريب ، والناس يخوضون في هذا الحديث الغريب .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتهما من ص .

(٢) يوسف آغا الرومي ، أحد خواص خليل باشا عند حملته على إمارة أبو عريش ثم استقر في اليمن .

انظر : الشوكاني ، البدر الطالع ٢/ ٢٦٨ .

[١٢٥/ب] والحقيقة على ما في نفس الأمر لم يقف عليها أحد من الناس ، وإنما إنهم يفيضون في أحاديث هذه العجائب بالقياس . ولم يشعر الناس إلا ببلوغ الأخبار أن الشريف محمد بن عون أرسل ولده عبدالله إلى أطراف بلاد الأمير عائض ، وأن عائضاً أرسل بعض خواصه في لقائه ، ومرادهم كف شره بالصلح ، حتى يبلغوا ما يؤملونه من النجاح^(١) ، وتم الصلح على إجراء / شيء له معلوم من الدراهم . ولما [ص ٤٢١] وصلتهم الأخبار بتمام الصلح تجددت لهم بالمضي إلى اليمن العزائم ، فتوجه ابن عون والباشا توفيق^(٢) في المراكب على طريق البحر ، والشريف عبدالله بن شرف ، وجملة من الخيالة على طريق البر . وكان وصول الشريف ابن عون إلى « كمران »^(٣) يوم السبت رابع عشر جماد أول ، فأقاموا في « كمران » خمسة أيام ، وتوجهوا إلى « الحديد » . وكان فيها الشريف الحسن وهو يتلهب غيظاً لهذه الأمور التي تذهب الوسن ، فطلبوا منه الدخول إلى البندر فاعتذر أن الشريف قد استدعيناه للوصول ، ومع وصوله يقع لكم بما تريدون بلوغ المأمول . وكان يود وقوفهم تحت الرأي والمراد ، حتى يصل الشريف ويكون هو المتصدي لهذه الأمور في الإصدار والإيراد ، ولكن رأوا وصولهم إلى هذه البلاد على هذه الصفة من الغنائم ، ويرون التراخي عن ذلك فيه ما فيه ولا يردهم عن مقصدهم لومة لائم ، (فدخلوا البندر يوم الخميس)^(٤) من الشهر المذكور ، وكانت

(١) هكذا في الأصل و ص ، ولعلها : النجاح .

(٢) مساعد حاكم عام الحجاز .

(٣) جزيرة مشهورة في البحر الأحمر أمام مدينة الصليف ، تمتاز بموقعها الاستراتيجي

المهم ، وتبعد حوالي ثلاثة أميال من الساحل اليمني .

انظر : المحقفي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٥٠ : لقمان ، تاريخ الجزر اليمنية ، ٧ - ١٢ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

طريقهم إلى القلعة الشامية (التي في البندر ، وبها جملة من الأرتاب ، وكان)^(١) من الأتراك التعرض لأهل تلك القلعة بأسباب ، (فوقعت المناوشة بالقتال ، واستولى)^(١) الترك على القلعة في أسرع حال ، وقتلوا نحو (العشرين من العسكر وأسروا من بقي)^(١) ، وكان ذلك على خلاف [ص ٤٢٢] المراد في الظاهر من الشريف (الحسن والشريف محمد بن عون / وكبار العساكر)^(١) ، والله أعلم بما تجنّه الضمائر .

وكانت تلك (الواقعة مبادئ انحلال النظام ، ومؤذنة للترك)^(١) ببلوغ المرام ، والشريف الحسن لما رأى هذا الحاصل ، (تساعد بالوصول إلى الشريف ابن عون وهكذا)^(١) شأن العاقل ، ووقع الاتفاق على ترتيب الأدراك (بالأتراك ، وترك ما كان على ما كان ، حتى يصل)^(١) الشريف من « المخا » ، ولما وصل الشريف إلى بندر « الحديد » (كان مطرحه خارج البلد ، ولم يخرج)^(١) إليه في ذلك الوقت منهم أحد ، وبعد خرج توفيق باشا إليه ، وصحبته الشريف الحسن ، ورجع توفيق باشا إلى البندر ، ومع هذا الحال قد (صار القول قولهم فيما تيسر)^(١) من القول أو تعسر ، ثم دار بين الشريف وبين محمد بن عون الخطاب ، (فأبدوا له خلاف ما كان)^(١) وصولهم عليه بلا ارتياب ، ولم يقف على شيء من تلك الأمور التي وقعت بينه وبينهم عليها القواعد ، ولكن قد ضاع الحزم بإطلاق البلاد على هذه الصورة في المصادر والموارد ، فساعدهم الشريف على مضض ، وأطلق عليهم البلاد بنادرها وبرورها ، وألقى إليهم زمام أمورها ، وتخلّى من تلك الممالك ،)^(٢) فسبحان من في سابق علمه ذلك ، وجعلوا له ولعشيرته مقررًا في « الحديد » يقوم ببعض الأحوال ، وزالت

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) من هنا وحتى نهاية القوس في صفحة (٤٧٩) مفقود في الأصل وأثبتناه من ص .

عنه مملكة تلك الجهة بما مثله ليس يخطر في البال ، فسبحان الذي ليس
لملكه مشارك وليس له زوال^(١) .

ومع وصول الشريف عبدالله / بن شرف إلى « الحديدية » وقع منهم [ص ٤٢٣]
القسم للبلاد ، وخرجت من يد من قد عانى أمرها ولم ينل منها المراد ،
وكان مستقر توفيق باشا في « الحديدية » وانضاف إليه ما والاها من
البرور ، وإلى الشريف عبدالله بن شرف « المخا » و « زبيد » وما إليه ،
ولله القائل :

عش بحدٍ ولا يضرك حمق إنما عيشة الفتى بالحدود
عش وكن هبنقة العبسي نوگا أو شيبه بن الوليد^(٢)

ورجع الشريف إلى « الزهراء » ، ولعله قد ندم على ما جرى ، ولكن
هيات على ما فات ، وما سبق به قلم القدرة لا تنفع فيه حيلة في جميع
الأوقات ، وفي أثناء هذه المدة لم تزل المكاتبه من صاحب « صنعاء »
محمد بن يحيى والشريف ابن عون ، وذلك لطلب الصحبة بينه وبينهم
ويحبون أنه لهم على مرادهم عون ، فأعجب لها قضية مصاحبة من بينه
وبين الشريف غاية البون :

إذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانصرم الكلام^(٣)

وساعد محمد بن يحيى بالوصول إليهم إلى بندر « الحديدية » لما
سبق في علم الله تعالى ، وإلا فهو بين بحر من الرجال ، وفي بلاد طالت

(١) انظر تفاصيل ذلك في دراستنا بعنوان : الحملة العثمانية على إمارة (أبو عريش)

والسواحل اليمنية ، مطبوع .

(٢) البيتان من الخفيف .

(٣) البيت من الوافر .

فليس تنالها الأوعال ، ومثل هؤلاء وأضعافهم من الأتراك لا يستطيعون أن يرفعوا إليها القدم، ولكن لا راد لما سبق في أزلية الله سبحانه وبه قد حكم، مع أنه أشار عليه كبراء المدينة الصناعية بعدم المساعدة لما له ابن [ص ٤٢٤] عون / يقول ، ويرون أن هبوط ذلك البندر من برجه العالي علامة الإدبار والنزول ، فوصل البندر الحديدي في أبهة ترجف لها الأفئدة ، مع استصحاب آلة الملك المشيدة ، وكان وصوله في شهر شعبان ، فرأى الشريف ابن عون أن وصوله إليهم من السعادة ، وكذلك الأمر ، وظنوا أنه قد تسهّل لهم في مملكة « صنعاء » الوعر ، فوقعت المفاوضة بينهم على أمور منها :

أن يقع الانتساب إليهم ، ويطلق أدراك « صنعاء » عليهم ، ويكون من تحت أمر السلطان عبدالمجيد ونهيه ، مع أن البلاد ومحصولها إليه ، وإنما المقصود الكلمة يكون للسلطان ، وجلّ مرادهم هذا الشأن ، فانخدع لما قالوا ، وأقل أن تكون له الغنم في البلاد من غير غرام ، وتمّ فيها بينهم على هذا الكلام ، فانفصل في آخر شعبان من « الحديد » وصحبته الباشا توفيق ، مستعملين الحزم في تلك الطريق ، فكان وصولهم « صنعاء » سابع شهر رمضان ، فاحتال محمد بن يحيى في إدخالهم إلى القصر المشيد الأركان ، ولما استقروا في ذلك القصر ، طالبهم مد القدر بالفقر ، وقامت القيامة على محمد بن يحيى من أهل المدينة ، ولم تقدر آراؤه الصائبة ولا درعه الحصينة ، وذهبت المملكة من تحت يده من غير ضرب ولا طعان ، وجنى على نفسه وأهل قطره بما صنع وتمنى أن ما كان لا كان ، وكان غايته أنه أمسك في دار الأدب ، وقنع عما هو فيه بذلك ورأى أن فيه سلامته من العطب .

[ص ٤٢٥] واستقل بالإمارة / علي بن المهدي وأشعر في البلاد بولايته ، وعاد إليه ما كان سلب عنه بإرادة الله . تعالى . لا بعنايته ، وتوفيق باشا لما علم

أن البلاد تَقْدَ عليه ناراً ، استعمل الحزم شعاراً ، وسوء الظن دثاراً ،
وانكمش في القصر بمن معه من الأتراك ، وانفتح الشر بينه وبين أهل
المدينة الصنعانية من غير فكاك ، وآل أمر توفيق إلى الخروج من القصر
سليماً من الأتعاب ، وقنع هو وجنده من تلك الغنيمة بالإياب ، بعد أن جرح
في تلك الواقعة ، ورأى مبادئ الأهوال قبل يوم القارعة ، ورجع
إلى « الحديدة » إلى الشريف ابن عون ، وقد لحق الجمع بهذه القصة
غاية الهون ، فتعالى العالم بما كان وما يكون (١) .

وعند وصوله إلى البندر قفل ابن عون إلى « مكة المشرفة » . وقد
استفاد من تلك البلاد بعد النكرة المعرفة ، واستقر توفيق باشا ينفذ
أوامره بما شاء مع أن برور البلاد خراب ، والناس بينهم الأخذ والانتهاج ،
والشريف بدا له في أواخر شهر القعدة الخروج ببعض العساكر إلى بلاد
« الواعظات » ، بعد أن وصله ثلة من خيالة الأتراك ، وظهرت مبادئ
الوحشة بينه وبين (ابن) (٢) أخيه الشريف الحسن : لأنه يرى أن إطلاق
البلاد على الترك خطأ ، ويود أن يقلب لهم ظهر المجن ، مع ما انضاف
إلى ذلك من أسباب ، من أجل انقطاع المقررات التي قعدوا عليها
الخطاب .

ودخلت السنة السادسة والستون بعد المائتين والألف والشريف في
تلك البلاد ، لتصلحها ممّا حدث من الفساد ، وفيها خرج / توفيق باشا [ص ٤٢٦]
إلى أطراف « الزهراء » ، ولعله لما سمع بين الأشراف بما سمع خشي من

(١) لمزيد من التفاصيل حول علاقة محمد بن يحيى بالأتراك وسيطرتهم على صنعاء ثمّ
خروجهم فيها انظر : العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن ، ٢٢٢ - ٢٤١ : أباطة ،
عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ٢٧٦ : آل زلفه ، إمارة أبو عريش ،
٨٢ - ١٠٤ .

(٢) الزيادة من المحقق حيث سقطت على ما يبدو في ص .

خرق الخلاف أن يتسع ، وانتهى إلى بلاد « بني قيس »^(١) في هذا الشهر ، ورجع بعد ذلك إلى « الحديدة » من غير قضاء وطر ، وعند وصوله إليها خطبه الحُمام في بعض تلك الأيام ، وتوسّد التراب إلى يوم المرجع والحساب ، فسبحان الباقي بعد فناء الخلائق ، والقاهر عباده بالموت القاطع للعلائق .

وفي خلال هذه المدة والشريف الحسن يعمل النظر في تمام ما هو بصدده ، ووصله جماعة من العساكر لطلبه لهم عوناً على مقصده ، والأمير عائض يرعد لهم ويبرق بالمواعيد ، ومدّ لهم حبل الأمانى على ذلك المطلب من غير تقييدٍ بشكٍّ ولا ترديد وعد أن أمل الناس لذلك الأمر التمام ، وقد انضاف إلى الشريف الحسن جماعة من الأشراف الكرام ، تقاعس عائض عن ذلك الكلام ، وتعلل بمعاذير تفتح بينه وبين الشريف الحسن باب الصد والهجر ، فأضرب الشريف الحسن عن الركون إليه ، وكاتب يام في هذا المطلب الذي هو حريص عليه ، وكان الشريف ترجح له أن بوصوله إلى المدينة العريشية سينفتح الشر ، فأمعن في بلاد الشرق خشية من وقوع المحذور من الأمر ، دفعاً للمفاسد بأخف الحالات ، وتفادياً من تجاذب أطراف الخلاف بين القرابات ، وتبته الشريف علي بن محمد بن علي وهو مقيم « بالزهراء » لما به يكون المآل ، فارتحل إلى الشريف وهو طارح بموضع يسمى « المحرق »^(٢) وصلح الحال ، ووصل

(١) يوجد أكثر من موقع بهذا الاسم في اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية ، فهناك بلاد « بني قيس » وهي منطقة خصبة غرب حجة على مسيل وادي لاعة ، (المقحفي ، ٢٣٩) . وهناك بلاد بني قيس أو بلاد القيوس من قبائل بني مروان على الحدود السعودية اليمنية (انظر : العقيلي ، الخلاف السلیماني ٧٣/١) .

(٢) بتشديد الراء وفتحها ، وهذا الاسم يطلق على أربعة مواقع في اليمن ، ولعل أقربها لقصد المؤلف : قرية من بلاد الشرف في حجور .

انظر : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٦٥ ؛ الحجري ، مرجع سبق ذكره ٦٩٠/٤ .

الشريف علي بن محمد إلى أخيه الحسن ، وعوّل عليه بترك ما هو فيه إذ لم يسعف له بما يحب الزمن ، ويعد ذلك فصل الشريف الحسن إلى الشريف ، وقرّ هذا القطر / من الرجيف ، وسكنت الأحوال بينهم في [ص ٤٢٧] الظاهر ، ولا يعلم ما تأتي به الأيام المستقبلية غير الملك الغافر .

وفي محرم هذه السنة لعله الرابع والعشرون منها ، المسفرة عن يوم السبت أمر علي بن المهدي جماعة فدخلوا على محمد بن يحيى وهو في دار الاعتقال ، وأمرهم بضرب عنقه ، وامتلأوا ما أمرهم به وبئس ذلك الفعال ، وكان محمد بن يحيى هذا من أبطال الرجال ، وممن له في تدبير الملك ما لا ينكر من كرم الخصال ، ولكنه خدش في وجه تلك الفضائل ، ما تلبّس به من الرذائل ، وعدم الوقوف على الحدود الشرعية في كل قضية ، ولم يعامل الجند بالوفاء والصدق وحفظ العهود المرعية ، فانقلب عليه الدست في أسرع وقت ، ودار قطب المنية الذي أراد إدارته على غيره عليه ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾^(١) ، ومرجع الظالم والمظلوم من عباده إليه ، وكان مدة ملكه ثلاث سنوات^(٢) وعشرة شهور ، ملأ فيها القطر اليماني بحاراً من الفتن فهي إلى الآن تمور .

وفي سابع عشر شهر صفر منها كانت وفاة السيد العلامة محمد المساوي الأهدل^(٣) ، هو علامة لا ينازع ، وأديب لا يدافع ، له اليد الطائلة في فنون المعارف ، وهو إمام البدائع واللطائف ، مولده سنة واحدة بعد المائتين والألف كما أخبرني بذلك ، قرأ على مشايخ جمعة من علماء

(١) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

(٢) في ص : سنة .

(٣) انظر ترجمته المفصلة في حقائق الزهر للمؤلف ، ١٦٤ - ١٧٣ ، وله ترجمة في عقود

الدرر للمؤلف برقم (١٨٠) ، وفي نيل الوطر لزيارة ٢/٣١٥ .

بل صدقاته جارية في جميع الأوقات ، وأحكامه غالبها على طريق الصلح ، ولم يتحمل عهد قطع الشجار بالحكم ، وهي طريقة تشعّر بالورع ، لما في ذلك من الخطر ، وأصل خروج والده من بلاد « آنس »^(١) ، عينه للحكومة في بندر « المخا » المهدي عباس إمام « صنعاء » ، واستمر (ولده)^(٢) في الوظيفة بعد موت والده ، إلى أن توفي على ذلك في البندر المذكور ، وقد كان بيني وبينه صحبة أكيدة لأنني دخلت مرتين إلى [ص ٤٣٠] بنسدر « المخا » ولم تنزل / المذاكرة بيننا دائرة في غالب الأيام ، فאלله (يجمعنا به)^(٣) مع أحبائنا في دار السلام .

(وفي)^(٢) شهر رجب من هذا العام وصل الشريف الحسين إلى « أبي عريش » ، بعد أن جرى من الرعايا ما جرى من التريش ، بسبب جماعة من « المسارحة » تمنعوا عن تسليم المطالب الدولية ، فخرج عليهم الشريف الحسن بجماعة من الجند ، ولعله بإذن عمه (وقتل)^(٢) منهم ثلاثة ، ولأذ الباؤون بالهرب ، ورجع إلى المدينة العريشية ولم يقض منهم الأرب ، (وفي أثناء)^(٢) تلك الأيام رصدوا طريق المارة من « أبي عريش » إلى سوق (البدوي)^(٢) مع رجوعهم ، واعترضوهم (في الطريق)^(٢) ، وقتلوا من أهل الأسباب ثلاثة من المدينة (العريشية ظلماً وعدواناً ، يرونهم قضاء فيمن)^(٢) ذهب ، ((وبعد ذلك ألزم الشريف « المسارحة » بتسليم ثلاث ديات ، لكون القتالين غير معينين ، وسلم البعض منها إلى ورثة المقتولين ومنع بعضهم)) .

(١) قضاء واسع من أعمال ذمار ، وكانت تعرف قديماً بأرض الهان ومقرى ، ذكرها الهمداني في أكثر من موضع .

انظر : الهمداني ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٠٧ ... إلخ : المحققي ، مرجع سبق ذكره ، ٥ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

ولم يزل الشريف بعد وصوله إلى المدينة العريشية في أحسن
 (حال ، لم يحدث منه حادث ، ولم يغير) ^(١) باله كارث ، إنما إن معلومه
 من الدولة السلطانية الذي في (« الحديدية » لم يقع الوفاء ب كله ، فلم يزل
 يكتب) ^(١) باشة « الحديدية » ، فتارة يقع الإسعاد بتسليم البعض منه ،
 (وتارة يقع المنع ؛ وعذرهم أن هذه) ^(١) الجهات اليمينية واصل لها باشا
 من طرف السلطان ، ولم (يُمكن إحداث أمر حتى يصل) ^(١) ، وتؤخذ منه
 حقيقة ما هو عليه ، ولم يزل الانتظار حاصلاً لوصوله ، (حتى جاءت
 الأخبار من « مكة ») ^(١) المشرفة « في شهر شوال بوصوله ، وجليّة حاله ،
 وأن اسمه (مصطفى صبري ، وكان وصوله منفرداً) ^(١) عن الأجناد ، ولم
 يشعر الشريف في بعض الأيام إلا بوصول (بعض أصحابه) ^(١) / من [ص ٤٣١]
 « مكة » يخبره أن الباشا المذكور قصده التعريج ببندر « جازان » لأجل
 المفاوضة (للشريف) ^(١) في أمور يكون بها صلاح (الشأن) ^(١) ، فتهيأ
 الشريف لذلك ، وجمع أعيان الأشراف ، ومن حضر من الجند ومن أهل
 المدينة العريشية (للملاقة) ^(١) ثالث عشر من شهر ذي القعدة ، في أبهة
 عظيمة ، وشارة جسيمة ، تملأ العيون في البندر (المذكور) ^(١) ، فمع
 وصول الشريف ألفاه قد نزل في بعض بيوت أهل البندر ، فهاهنا ما رأى
 من ذلك الحال ، ولعله داخله الروع وساء ظنه في الشريف ، والأعاجم
 يحكمون بالوهم والخيال ، ولما استقر [١٢٦/ب] الشريف في بعض
 الأماكن وصله الباشا المذكور ، ولم يفاوضه في شيء من الأمور ،
 والشريف في ظنه أنه يستقيم بقية ذلك اليوم ، ويقع الاجتماع الخاص
 به ، فما شعر إلا بقاء يقول له : إن الباشا قد استقر في المركب الذي
 جاء فيه ، وسار به نهج البحر ، ولم يقض فيما جاء له أمر ، وقدم له

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الشريف ثلاثاً^(١) من الخيل الجياد ، ومع ذلك تركها ، وإنما أن الشريف أرسلها بعده ، والإرادة الربانية تجري بغير المراد ، فرجع الشريف إلى « المدينة العريشية » ، وقد تبين له أنه لا يقف منه على طائل ، وأنه منطوي^(٢) على شر ولما ظهر له من المخايل ، وكأنه وعد الشريف بإرسال بعض المقررات ، فلما وصل « الحديدة » راسله الشريف لهذا المقصد ، وكان جوابه على الشريف طلب ما تحته من البلاد ، وأنها مضافة إلى مملكته من عند السلطان ، ويطلب الحاصل فيها (من جميع المواد ، ويريد)^(٣) [ص ٤٣٢] وصول الشريف إليه ، والمشول بين يديه ، ولم تزل (الرسائل / تدور من الشريف)^(٤) ولم يقابلها بالقبول ، وآخر الأمر رجع من غير جواب (الرسول ، فحينئذ ضاقت على الشريف)^(٥) المسالك ، لما أن المقرر بحق البلاد اليمنية في الاستيلاء (على ذلك :

ولله فيما ساء للمرء حكمة)^(٦) ويلزم رب العقل يرضى بما قضى^(٧) (وفي ثالث عشر شهر ذي القعدة الحرام دخل)^(٨) السيد العلامة أحمد بن هاشم^(٩) « صنعاء » ، وزحلف^(١٠) علي بن المهدي (عن ذلك

(١) الأصل و ص : ثلاث .

(٢) الأصل و ص : منطوي .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) البيت من الطويل .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٦) المنصور بالله أحمد بن هاشم بن محسن بن قاسم ، دعا لنفسه بالإمامة في صعدة في شهر شعبان سنة ١٢٦٤ هـ ، ودخل صنعاء عام ١٢٦٦ هـ بعد هزيمة علي بن المهدي ، واستمر إماماً إلى شهر صفر ١٢٦٧ هـ (ت / ١٢٦٩ هـ) . انظر : الجرافي ، المقتطف ، ٢٦٩ : زيارة ، نيل الوطر ١ / ٢٣٥ .

(٧) قد تكون الكلمة : زحلق ، وكلاهما صحيحان ويؤيدان المعنى نفسه . انظر : المعجم الوسيط ١ / ٣٩٢ .

المقام ، وتلقّب بالمنصور) (١) ، وصلحت أحوال الجمهور ، وقد كان ابتداء دعوته بمدينة (« صعدة » ، واستقر بها مدة على حال جميل ، وجرت عليه من « سحار » قلاقل أوجبت خروجه (من تلك الجهات ، وتوجه إلى بلاد) (١) « عمران » ، وأجابه إلى مطلبه من العسكر جماعات ، ولم يزل يعمل (الحيلة في نيل مقصده حتى) (١) نال ذلك ، وطرح بجنده في « حدة » (٢) غربي صنعاء ، وجرت بينه (وبين أصحاب السيد عباس بن عبد الرحمن) (٣) الملقّب « المؤيد » (٤) مصافّات ؛ لأن علي بن المهدي لما أن (ارتكب الخطر ، بقتل محمد بن يحيى حصل) (٥) عليه الكدر ، فعزل نفسه اختياراً ، وأقام توابع « صنعاء » (بدله السيد عباس المذكور ، فلم) (٥) تطل مدته ، وهجم عليه الإمام أحمد بن هاشم بجنوده إلى عقر « صنعاء » ، واستقل (بالأمر) (٥) دونه ، ودخل « صنعاء » عنوة ، وأطاعه أهلها رغبة ورهبة ، وعفا عن أهل الجرائم ، وأخرج من دار الاعتقال غالب بن محمد بن يحيى ، وحسين بن المتوكل ، وجماعة ممن حبسهم علي ابن المهدي .

[١٢٧/أ] وفي هذا العام في شهر القعدة كانت وفاة شيخنا السيد الإمام محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن إسحاق المهدي / كان العين [ص ٤٣٣] الناضرة في آل الإمام ، والمجلي يوم الرهان في المعارف العلمية بلا كلام ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) قرية غربي صنعاء بمسافة ٥ كم كثيرة الأشجار خاصة البرقوق والخوخ والجوز .
انظر : المقحف ، مرجع سبق ذكره ، ١١٢ : الحجري ، مرجع سبق ذكره ٢٥٠/٢ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) تولى الإمامة في صنعاء فقط فترة قصيرة خلال الفترة من رجب إلى ذي الحجة عام

١٢٦٦ هـ .

انظر : الجرافي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٧١ : زيارة ، نيل الوطر ١٨/٢ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أخذ عن مشايخ وقته في جميع العلوم ، واحتسب من كأس معارف المنطوق والمفهوم ، وحضر دروس شيخ الإسلام السيد عبدالقادر بن أحمد ، (ولازم شيخنا البدر)^(١) الشوكاني ، والسيد الحافظ عبدالله بن محمد ابن إسماعيل الأمير ، وبلغ النهاية في (تحقيق العلوم الآلية ، ونظم « مغني »^(١) اللبيب » وشرحه شرحاً في غاية التدقيق ، وأحيا مآثر أهله (آل إسحاق ، الذين شمخت بهم العلياء)^(١) وعزّ (شأوهم)^(١) عن اللحاق ، وأما الأدب فما علمت في أهل (الزمن من يدانيه فيه ، ولا يبلغ أحد حسن)^(١) ديباجته فيما ينتحيه ، ونظم الشمائل النبوية بقصيدة (من بحر البسيط على قافية اللام ، وشرحها)^(١) بشرح كشف عن فرائدها اللثام ، وهو أحد (أشياخي الذين لازمتهم ، وأخذت عنهم في علمي)^(١) المعقول والمنقول ، وقد أطلت ترجمته وما (دار بيني وبينه من مكاتبة في الأدب في « حقائق »^(١) الزهر »^(٢) .

مستهل شهر ذي الحجة الحرام : حصل على أهل الحج الوفاء الذي وقع في الأعوام السالفة ، وهلك بسببه عالم من الناس ، ورفع الله تعالى في مدة قريبة للبأس ، وفي هذا الشهر تجدد للشريف العزم إلى « مكة [ص ٤٣٤] المشرفة » لأجل ما حصل عليه من مصطفى باشا / من الأنكاد ، وما عامله به الدهر ممّا لا يكاد يخطر في فؤاد ؛ لأنه شاع أن السلطان أرجع أمر المهمات في هذه الجهات إلى الشريف محمد بن عون شريف « مكة » ، وعبدالعزیز باشة « جدة » فإن انقضى مراده الذي في نفسه اقتصر على ذلك ، وإلا توجه إلى « إصطنبول » حضرة السلطان ، وليس الخبر كالعيان .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

(٢) انظر ترجمته كاملة في حقائق الزهر من ص ١٢٨ إلى ص ١٥٠ ؛ وله ترجمة في البدر

الطالع ٧٨/٢ ؛ ونيل الوطر ٢٠١/٢ ؛ والأدب اليمني ٦٤٣ ؛ وعقود الدرر للمؤلف برقم

(٢٤٠) .

[١٢٧/ب] السنة السابعة بعد الستين والمائتين^(١) والألف ؛ في شهر محرم منها ، ثاني وعشرين خلت منه ، يوم الاثنين آخر ساعة من نهاره ، كان انفصال الشريف من « أبي عريش » إلى بندر « جازان » بعد أن هُيئت له المراكب للسفر ، وكان وصوله بندر « جازان » صبيحة يوم الثلوث^(٢) ، وأقام فيه سائر يومه ، وبعد صلاة الفجر يوم الربوع^(٣) ركب البحر متوجهاً إلى الشام ، فسبحان من هذا بعلمه المكنون ، وهو المحيط تعالى بما كان وبما يكون ، وخلف أخاه حيدر بن علي عاملاً في البلاد ، وأنه له فيها الإصدار والإيراد .

وبعد انفصال الشريف من هذه الجهات رفع الشريف الحسن بن محمد إلى مصطفى باشا بحقيقة الواقع ، ولم يجئ جوابه إلا بتأييد الشريف الحسن على بلاد الشريف ، وأن له فيها كما يشاء التصريف ، وأرسل جماعة من الأتراك رجالاً وفرساناً ؛ الرجالة من طريق البحر كبيرهم حسن آغا ، والخيالة ((من البحر)) وقائدهم محمد آغا ، وكان / [ص ٤٣٥] وصولهم المدينة العريشية في^(٣) شهر صفر ، (وعند وصولهم طلب الشريف الحسن البيعة)^(٤) من أهل المدينة العريشية بعد عرض رأي الباشا (عليهم ، فأسعفوا بذلك ، وبايعه سائر مشايخ)^(٤) القبائل من حدود « وادي مور » إلى (حدود « وادي ضمد » ، ولم يزل مصطفى يطلب الوصول)^(٤) من الشريف الحسن وهو يعتذر منه (ذلك بتصلح أحوال الناس ؛ لأنه مستقبل إلى مملكة)^(٤) جديدة ، وتحتاج إلى فضل سداد ، وسياسة (على حسب المراد .

(١) الأصل وص : المائة .

(٢) هكذا في الأصل وص وفي المعاجم ، الثلاثاء ، الأربعاء ... إلخ .

(٣) الزيادة من المحقق .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وفي أثناء ذلك بلغ وصول الشريف (١) الحسين إلى « مكة المشرفة » ، وكان وصوله (يوم الأحد ثالث الشهر المذكور ، وتلقاه الشريف) (١) ابن عون بالقبول التام ، وأسدى إليه (صنوفاً من الإنعام ، وبعد استقراره « بمكة المشرفة ») (١) وأفاض إلى من قصدهم حديثه ، فجعل (الشريف محمد بن عون والباشا عبدالعزيز خطوطاً إلى) (١) مصطفى صبري ، وكان إرسالها إلى الشريف (حيدر « بأبي عريش » ، ومضمونها الزجر عن التعرض) (١) لبلاد الشريف ، والتكبح عن كلام أهل الحسد والمطاوعة فيه ، حيث وله عند السلطنة سالفه خير بإطلاق البنادر وجهاتها عليه ، فعند وصولها إلى الشريف حيدر بعث بها مرسولاً إلى مصطفى ، فحين وصلت تلك الخطوط قام وقعد ، وأبرق وأرعد ، وقال : إن هذه البلاد أنا المؤيد فيها من عند السلطان ، ولا أسمع فيها قول إنسان ، وكتب إلى الشريف الحسن بمرقوم فيه من الألفاظ الرائقة ، والمعاني [١/١٢٨] الفائقة ، ما يطرب الفؤاد ، وبهز الجماد ، يتضمن الحث [ص ٤٣٦] / على وصول الشريف الحسن إلى حضرته ، والوقوف بعالي عقوته (٢) ، ليخلع عليه خلع الإمارة ، ولا يلتفت إلى هذه الأمور الغرارة .

وبعد وصول تلك المراقيم ، كان الشريف الحسن عازماً على الوصول إليه ، فتقاعس عن ذلك ، وبعث مرسولاً إلى الباشا حتى يحيط علماً بما اتفق بعد وصول المراقيم لديه ، فتلقى كتاب الشريف الحسن بالقبول ، وأخبره أنه غير معول على ما صدر من ابن عون وعبدالعزيز من ذلك القول ، وأخبره بأنه منتظر له بقرية « باجل » ، وجعل له من العهود الوثيقة ما يطمئن به العاقل ، والسبب في وصوله إلى قرية « باجل » أنه

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) العقاة : الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة ، وتسمى أيضاً « العقوة » .

انظر : المعجم الوسيط ٦٢٤/٢ .

انفصل من « الحديد » بأجناده لتصلح الجهات اليمنية وانتهى سفره إلى « زبيد » ، وبلغه خلع أبكر شرف صاحب « الصنيف »^(١) لطاعته لأسباب أوجبت ذلك ، فكرر راجعاً إلى بلدته ، وهجم عليه على حين غرته ، (واستولى على بيت الشيخ)^(٢) أبكر واستباح قلاعه ، وكان في تلك الواقعة إزهاق روحه هو (وولده ، وفوق مائة قتيل من قرية)^(٢) « الصنيف » ، واستبيح في ذلك ما حرم الله تعالى ، وجرت (أمور ينكرها العقل والشرع ، وكانت الواقعة في ثامن)^(٢) ربيع الأول من السنة المذكورة ، وجاءت المراقيم (إلى الشريف بذلك فضرب لذلك المدافع)^(٢) ، وأشعر بالفرح لكل سامع .

وفي هذا الشهر (كانت وقعة « أهل الحسيني » و « آل عيس » ، والتفوا في)^(٢) مكان جنب « العكوة اليمانية » وانجلت (معركتهم على نيّف وعشرين قتيلاً ، لأضغان سائلة)^(٢) وأمر للشرع مخالفة / وبعد [ص ٤٣٧] هذا الحادث (نعى الخبر إلى الأمير عائض صاحب السراة ؛ لأنهم من)^(٢) رعاياه الجميع ، فاستدعى كبار الفريقين ، (وسكن الدهماء بمراهين ، ورمم أمورهم بما يوجب التسكين)^(٢) .

وفي ثامن عشر يوم الاثنين عزم الشريف الحسن (هو ومن ساعده من الأشراف على التوجه إلى مصطفى)^(٢) وما وصل مدينة « الزهراء » إلا وقد بلغه وفاة (مصطفى ، وكانت وفاته يوم السبت ، شهر ربيع الأول ، لثلاثة وعشرين)^(٢) يوماً خلت منه ، وكان ابتداء مرضه « بباجل » ،

(١) الصنيف = الصليف ، مدينة بالغرب من الزيدية بمسافة ٥٤ كم ، وهي على شكل اللسان

في البحر الأحمر في موازاة جزيرة كمران .

انظر : المقحفى ، مرجع سبق ذكره ، ٢٥١ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وأوصل إلى قرية « الخليفة » ، وحمل إلى « الحديدية » فما وصلها إلا وهو ميت ، فسبحان المتفرد بالبقاء ، القاهر عباده بالفناء ، وكان موته فرجة لأهل اليمن ؛ لأنه صدرت منه أفعال غير معتاد صدورها ممن ولي القطر اليماني ، فعاجلته المنية قبل بلوغ الأمنية ، وكانت مدته نحو أربعة أشهر ، وعند ذلك نفذ الشريف الحسن إلى قرية « باجل » ، ونزل على الشيخ علي حميدة [١٢٨/ب] فقابله ومن معه بالإكرام التام ، وأسدى إليه من مكارمه ما تقصر عن وصفه الأقلام ، ووقع بينه وبين الشريف الحسن المعاهدة والمعاقدة على الصحبة والمعاونة على ما هم بصدد ، وحصلت المصافاة التامة بين الرجلين ، وإن كلاً منهما لا يرضى في الآخر بشين ، وأرسل الشريف الحسن إلى محمد سري - القائم بدل مصطفى في بندر « الحديدية » - برأس من الخيل ، وأخبره بوصوله لطلاب الباشا مصطفى ، وطلب منه التدبير ، فجاءه جواب خال عن الفائدة ، فقفل [ص ٤٣٨] راجعاً / من حيث أتى ، واستقر في بلاد « عبس » و « الواعظات » ، وفرق عليهم شيئاً من المعونات ، لأجل يسد بها أحوال من معه من الأشراف والأتباع .

وفي أثناء هذه المدة وصل إلى الشريف حيدر كتبٌ من محمد سري يعلن فيها بأن البلاد في الحقيقة هي للشريف الحسين ، وليس لأحد فيها أمر (غير وكيله)^(١) الشريف حيدر ، وجعل خطأً إلى الأغوات « بأبي عريش » بهذا المضمون ، وأن (سوى هذا لا يكون ، فانقادوا)^(١) للشريف حيدر في الظاهر ، وأشاع الناس تلك (الأوامر ، ووصل بعد ذلك مراقيم)^(١) من شريف « مكة » محمد بن عون ومن الباشا عبدالعزيز

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

مؤيدة للشریف (حيدر على ما هو عليه ، وإقامته)^(١) مقام أخيه ما دام غائباً ، ولا يرضون بإقامة (الشریف الحسن ؛ لأن المشاق بينه وبين عمه)^(٢) حاصلة ، ومصطفى ليس له فيما فعل إجازة بل مجرد (مخاتلة ، وكاتب الشریف حيدر مشايخ)^(٣) القبائل ، وأخبرهم بمضمون تلك الرسائل ، وكان الشریف (الحسن مستقراً في بلاد « عبس » ، فكاتبه عمه^(٤) حيدر)^(٥) بهذا المطلب ، وأنه يمثل^(٦) هذا الأمر ، فأجاب (بجواب ظاهره المجاملة ، وطلب الاتفاق)^(٥) بينه وبين عمه^(٦) حيدر ، ووصل إلى « حرص » بعد ذلك ، وقد كاد أن يسلم الأمر في الظاهر ، فلم يشعر إلا بوصول خطوط من « مكة » تخبر أن الشریف الحسين توجه إلى « إصطنبول » ، ولم يبلغ من ابن عون وباشة « جدة » المأمول ، وذلك رابع عشر شهر ربيع الأول ، قاصداً لما خرج له وعلى الله المعول .

فبعد / ذلك اطمأن خاطر الشریف الحسن ، وقلب عن المطاوعة [ص ٤٣٩] ظهر المجن ، وفي أثناء ذلك المكاتبه دائرة من الشریف حيدر ، وأنه مصمم على أنه الأولى بالقيام ، وسيزحف الشریف الحسن بما لديه من الأوامر عن ذلك المقام ، والنائب في « الحديد » كتبه تترى ، [١٢٩/أ] للشریف حيدر ، فحين عزم على المسير إلى « الحديد » اقتضى الحال أن يقع بينه وبين الشریف الحسن في موضع الاتفاق ، وأنه يعرض عليه ما بيده من الأوراق ، وفي حساب الشریف حيدر وأغلب الناس أن الشریف الحسن

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) ص : محمد ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) الأصل : يتمثل والتعديل من ص .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٦) ص : محمد ، وهو خطأ من الناسخ .

بعد عرض تلك المراقيم عليه يسلم أمر البلاد ، والعقلاء من الناس يرون أن من دون ذلك خطر القتاد ، ويتحققون شدة شكيمة الشريف الحسين ، وأنه لا ينثني عما أراد .

فارتحل الشريف حيدر ثامن غرة شهر ربيع آخر ، يوم السبت ، وكان اللقاء بينه وبين الشريف الحسن بقرية « أبي حجر »^(١) يوم الاثنين ، فوقعت المفاوضة بين الشريفين في مكان خاص ، فمنع الشريف الحسن من النزول عن مقامه ، فسلم الشريف حيدر القياد ، وترك المنازعة لثلاث يتسع باب الفساد ، وفوض الأمر إلى الحسن كرهاً ، ورأى أن دفع المفسدتين بأخفهما هو المتعين ، وبذل العهد للشريف الحسن على شروط معلومة ، (وأمر مرسومة ، وقد كان)^(٢) صده عن الوصول إلى « الحديد » ، ولكن الشريف حيدر عول عليه في ذلك (لما سبق من الوعد ، ويرجو حصول شيء من الدنيا)^(٢) ؛ لأنه في الخطوط الواصلة [ص ٤٤٠] من « مكة » أن المقرر الذي / للشريف (يتسلمه الشريف حيدر ، هذا ما أبداه في الظاهر ، والله)^(٢) أعلم بما تجنه الضمائر ، فسار إلى « الحديد » وما قضى من تلك الفترة وطر ، وحال رقم هذه الأحرف وهو مقيم هناك ، والعلم عند (الله تعالى بما ينتهي إليه الأمر .

هذا الشهر وصلت)^(٢) الأخبار من « صنعاء » أن أحمد بن هاشم (حاصره علي)^(٢) بن المهدي (مقدار عشرة أيام ، بعد أن جمع جموعاً)^(٢) كثيرة نحو ثمانية آلاف ، ودخل « صنعاء » عنوة (بمساعدة

(١) اسم يطلق على قريتين متقابلتين ، إحداهما تسمى « أبو حجر الأعلى » ، والأخرى « أبو حجر الأسفل » ، على وادي « ليه » ، شرقي قرية « الجاضع » من أعمال صامطة .

انظر : العقلي ، المعجم الجغرافي ، ٦٢ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتتها من ص .

أعيانها وتوابعها ، وخرج منها أحمد بن هاشم ^(١) خائفاً يترقب ومعه عشرة أنفار ، وتحت (جنح الليل وصلوا إلى بلاد « أرحب » ^(٢) ، وتسلم علي بن المهدي ^(٣) المدينة ، وتكنى بالمتوكل ، واستقل بالإمارة ، (وزالت دولة أحمد بن هاشم ، وكان مدة أيامه بها) ^(٤) أربعة أشهر وثمانية أيام ، فسبحان من بيده (النقض والإبرام) ^(٥) .

وفي مستهل شهر جمادى الأولى وصل جماعة من يام فوق الألف إلى الشريف الحسن ، لموجب طلاب سلف منه لهم ، ولما وصلوا إلى « فجّ حرض » أمرهم من يلقاهم إلى ذلك الموضع ، لأجل التسكين على الرعايا ، وبعد أن ^(٦) استقر مطرحهم في قرية « الجرية » ^(٧) شرقي « أبي عريش » ، وساق الرعايا إليهم بأمر الشريف الحسن الكفريات ، ولم يصدر منهم كعادتهم شيء من النكايات ، ويوم ثامن عشر يوم الجمعة من الشهر المذكور (استدعاهم الشريف الحسن [١٢٩/ب] لحضرته) ^(٨) ، وضبطهم بالقلم فجاء عددهم ألف ومائتين ونيّف ، ومع استقرار الشريف حيدر « بالحديدة » بلغ أنه ألقى إلى الباشا محمد سري أمره ، وطلب منه الإعانة على العود إلى « أبي عريش » ، وإرشاد الحسن إلى ترك

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٢) قبيلة كبيرة من همدان تنسب إلى أرحب بن الدعام ، وهي ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥ كم .
انظر : المقحف ، مرجع سبق ذكره ، ١٧ : الحجري ، مرجع سبق ذكره ٦٤/١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .
(٤) الزيادة من المحقق ليستقيم السياق .
(٥) توجد ثلاثة مواضع بهذا الاسم في المنطقة .
انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١١٩ .
(٦) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

[ص ٤٤١] المعارضة ، خلاف ما أبداه للشريف الحسن من عدم فتح باب / الخلاف ، والسلوك على منهج ما بينهم من الائتلاف ، فأصغى الباشا السمع إلى ذلك المقال ، وانقذت منه في لوح الخيال ، فلم يزل يكرر الطلاب إلى الشريف الحسن يريد منه الوصول إليه ، ويعتذر بأن ما سلف من التأييدات للشريف حيدر إنما هي مساعدة للشريف الحسين وشريف « مكة » وباشة « جدة » ، وإلا فهو يعلم أن الشريف الحسن هو الأحق بهذا المقام ، وإنه أخذ من طاعة الدولة العلية بالزمّام ، ولكن الشريف الحسن لكمال حزمه لم يلتفت إلى تلك (الأمور)^(١) ، ويراها شبكة لاصطياده ومبينة على غرور ، والباشا محمد سري مع ما بلغه من وصول يام إليه ، تأكدت الوحشة في قلبه ويرى أن (الحسن مضمّر للخلاف)^(١) ، والشريف الحسن متكتم بما هو منطوق عليه .

ولم يشعر إلا (بوصول كبير الكتاب في « الحديد »)^(١) محمد رها أفندي بيده من محمد سري مكتوب ، يعول عليه في (الوصول ، ولعله يكشف له الحقيقة عما)^(١) الشريف الحسن مخفيه ، وكان وصوله ليلة الأحد لعله (عشرون في شهر جماد آخر ، وكان)^(١) إقامته يومين ، وأجاب عليه الشريف الحسن (بجوابات مطيبة للخاطر في الظاهر)^(١) ، ولم يقف على ما في نفسه ذلك الرسول ، ونفذ بالجوابات (إلى صاحب [ص ٤٤٢] « الحديد » ، وعند وصوله)^(١) إلى محمد سري / ظهرت منه مبادئ الشر بإرسال الأجناد (من الترك الذين [هم] متفرقون في البلاد اليمنية)^(١) ، واستدعاهم إلى حضرته ، وسيّر بعضهم إلى (قرية « الزيدية » مع آغا يقال له : « البرج » واستقر)^(١) هناك ، وأرسل « بيرم آغا » مع جملة من الخيالة إلى حفظ الأطراف من بلاد « مور » ، وقد كان محمد

(١) بياض في الأصل ، واشتتها من ص .

آغا كبير الخيالة الذين في « أبي عريش » ضاقت نفسه وارتحل من « أبي عريش » .

وأما حسن آغا فبقي على حاله ، وما أعقب وصول محمد آغا إلا الطلاب له بالوصول ، فكلف لهم الشريف الحسن الجمال ، وساروا إلى بندر « جازان » ، وبعد وصول السواعي لهم أقاموا رتبة في « جازان » ، فتأكدت الوحشة من الشريف الحسن ، ولما بلغ الشريف الحسن الأمور الصادرة من محمد سري ، وزحف القوم إلى أطراف « مور » ، خشي على أخيه الشريف علي بن محمد ؛ لأنه مقيم في [١/١٣٠] قلعتة على مزارعه في أطراف وادي « مور » ، فاستقر بحضرته في المدينة العريشية .

سابع عشر من شهر رجب يوم السبت ، كان وفاة الأخ القاضي العلامة محمد بن يحيى بن عبدالله ، كان - رحمه الله تعالى - من العلماء العاملين ، والفضلاء الخيِّرين ، اشتغل في صباه بالطلب في قريته هجرة « ضمد » ، وأخذ عن والدي ، والشريف العلامة حسن بن خالد ، وتلك الطبقة ، وارتحل إلى مدينة « صعدة » وقرأ بها علم الفروع ، وبعد ذلك ارتحل إلى « زبيد » ، ولازم مشايخ ذلك العصر ؛ السيد عبدالرحمن بن سليمان ، والسيد عبدالرحمن / الشرفي ، والشيخ الزين بن عبدالخالق [ص٤٤٣] المزجاجي ، وأكثر أخذه على السيد عبدالرحمن الشرفي ، واتخذ « زبيد » دار وطن ، وتزوج هناك وأولد ، ولم يزل مثابراً على تحصيل العلوم ، والدرس والتدريس ، حتى كان وصول الأتراك إلى اليمن صحبة خليل باشا كما مضى خبرهم في هذا التاريخ ، فلم يطب له المقام « بزبيد » ، ودخل « صنعاء » واستجاز من السيد عبدالله بن محمد الأمير ، واستقر بوطنه قرية « ضمد » مدة ، وبعد ذلك استقر في بلاد « رجال ألمع » (في قرية

« الصليل »^(١) ، وتزوج^(٢) هناك ، وطاب له الحال ، وأجلّه أمير السراة علي بن مجثل ، وقام (بوظائف ما يحتاج ، فعكف)^(٣) هناك على الدفاتير، وكان متاخماً تلك الجهة قرية « رجال » وبها العلامة (الفاضل إبراهيم بن أحمد الزمزمي)^(٤) وعشيرته^(٥) ، فاتخذهم أهل مودته ، وما زالت المذاكرة منهم تدور ، وكان (الأمير علي بن مجثل يستصحبه إذا جاهد)^(٦) ، ومع وصوله إلى اليمن ، واستيلائه عليه ، نصبه (قاضياً في مدينة « زبيد » فبقي هناك أيام دولة عسير)^(٧) ، وأوائل دولة الأتراك ، وبعد رجوع إلى قرية « الصليل » ، واستدعاه الشريف الحسين بن علي حيدر)^(٨) وأسند إليه وظيفة القضاء « بأبي عريش » (وحمدت سيرته ، وكان من القضاة العدول ، وفي)^(٩) آخر مدته أقعده مرض ، فلبث نحو سنتين ، وذلك (من توفير الأجر له بالتمحيص ، وتوفي في التاريخ)^(١٠) [ص ٤٤٤] المذكور بمدينة « أبي عريش » / وكان له - رحمه الله تعالى - (ميل إلى)^(١١) الأدب ، ونظم « متن الدرر »^(١٢) لشيخنا البدر الشوكاني في علم الفقه ، وبينني وبينه مشاعرات ، وقد أثبت شيئاً من ذلك في « حدائق الزهر »^(١٣) .

(١) قرية تقع على إحدى ضفتي وادي كسان جنوب بلدة رجال ، وهي تتبع إمارة حسوة إدارياً . انظر موقعها الجغرافي في : اطلس منطقة عسير ، خارطة إمارة عسير رقم ٢٨ ، ص ٢٩ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) من ذرية الشيخ بكري بن محمد بن موسى ، عالم زاهد من علماء آل الحفظي في رجال ألمع (ت / ١٢٥٧ هـ) . انظر تفاصيل ترجمته في : حدائق الزهر لعاكش ، ٢٠١ : نفحات من عسير للحفظي ، ١١٥ : أبجد العلوم ١٨٦ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) الدرر البهية في المسائل الفقهية ، طبع في القاهرة بإشراف الأستاذ قاسم غالب .

(٦) انظر الترجمة صفحة ١٩٤ - ٢٠٠ ؛ وله ترجمة في عقود الدرر للمؤلف برقم (١٩٧) ؛ ونيل الوطر لزيارة ٣٤١/٢ .

وفي العشر الأول من شهر شعبان وصل الشيخ مانع بن جابر وصحبته نحو ثلاثة آلاف من يام ، مجيبين لطلاب الشريف الحسن ، واستقروا في مدينة « حرص » ، ووصل مانع بن جابر وكافة عُمَّال يام إلى الشريف الحسن ، وصلحت أمورهم على أحسن ما يرام ، واتفقت كلمتهم على المباينة للأتراك حيث قد أعلنوا [١٣٠/ب] له بالعداوة على رؤوس الأشهاد .

((وأما الرتبة الذين في « جازان » استدعاهم الباشا « بالحديدة » وخرجوا منه بعد أن همَّ الشريف الحسن بالارتحال إليهم لأخذهم ، فخرجوا على هذا الحال ، وكفى الله المؤمنين القتال)) .

وفي يوم الخميس ثامن وعشرين من الشهر المذكور ، انفصل الشريف علي بن محمد بن علي من « أبي عريش » ، وصحبته مانع بن جابر وكافة عُمَّال يام ، ولحقوا بالمطرح في « حرص » ، وساروا منه يوم الاثنين غرة شهر رمضان ، والشريف الحسن ثبَّتْ أموره ، وشدَّ بمن عنده من الجند والخيالة من الأشراف وغيرهم صُبح يوم الخميس ، وعند أن وقع الاتصال بالمطرح واجتماع الشريف علي بن محمد بأخيه الشريف الحسن توجهوا إلى نحو « اللحية » ، وكان بيرم آغا طارحاً^(١) على الحوالي في جملة من الخيالة والرجالة ، فبكر الشريف الحسن بأجناده يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان ، ووقعت المصافاة بينهم ، وخرج الأتراك طرف مطرحهم من شرق ، وقذفوا ما في بطون / [ص ٤٤٥] البنادق ، وأصدق الشريف ومن معه الحملة عليهم ، فولوا الأدبار ، وحق عليهم (الفرار)^(٢) ، فاقتفى آثارهم الأجناد بالقتل (والأسر ،

(١) الأصل و ص : طارح .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وانهزموا^(١) هزيمة فاضحة ، حين شاهدوا (تلك الأمور القاذحة ، واستولى الشريف على مطرحهم بخيامه وآلاته)^(١) وجماله ، ووقع الطرد لهم إلى أن دخلوا البندر ، وجملة القتلى فيهم نحو)^(١) خمسين نفساً ، والخييل المستفادة فوق (الأربعين الرأس ، وجميع ما فيه ، واستقر الشريف بسفح « نعمان »^(٢) ، بعد)^(٢) أن أروى منهم قضيبه والسنان ، (ووصل الخبر بذلك إلى « أبي عريش » يوم الاثنين ووقع الأشعار)^(٣) بالمدافع ، وكان يوماً مشهوداً سروره (لدى كل سامع .

ورابع الوقعة لعله يوم الاثنين شد^(٣) الشريف الحسن بالأجناد إلى « اللحية » ، فطرح (جنب الجبل المطل عليها ، وجعل سلاليم كباراً ليرقوا)^(٣) فوق السور إليها ، فحملوا قبيل الفجر (الليلة المسفرة عن يوم الثلوث ، ولم يصدق جملتهم)^(٣) أن الترك الذين في البندر جدوا في القتال ، (وتابعوا عليهم المدافع والبنادق في ذلك الحال ، فرجع)^(٣) يام إلى مطرحهم بعد أن ذبح منهم خمسة أنفار ، وقطعت (رؤوسهم وأرسلت إلى الباشا « بالحديدة »)^(٣) وما رجعوا إلا ولوائح الخذلان عليهم لائحة ، [ص ٤٤٦] وقد عرف ذلك الشريف الحسن / وبلغ أنه همّ بالارتحال عن ذلك المكان ، ليدبر أمره في ذلك الشأن ، وكان أهل المطرح آمنين من أن يحصل للأتراك الذين بالبندر المدد ، وغير مستعملين الحزم في بعث العيون ، لأمر قد قضاه الملك الصمد ، فلم يشعروا صبيحة يوم الخميس إلا وقد

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) اسم يطلق على مواقع عديدة في اليمن ، ولم يتضح لي إلى أي منها يشير المؤلف ، وقد عدد الأكوع في حاشية صفة جزيرة العرب عشرة مواضع في اليمن تحمل هذا الاسم ، وقال : وما يحمل اسم نعمان في اليمن كثير .

انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، حاشية المحقق ، ١٢١ : المقحفي ، مرجع سبق ذكره ، ٤٣٥ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أقبل الآغا الذي في قرية « الزيدية » مقيم ، المسمى « عبدالبرج » في ثلثة من « المبندة » نحو ثلاثمائة ، ونحو خمسين خيالاً ، (ومعهم قنبرة وقبس)^(١) فما فاجأ أهل المطرح إلا وصولهم والشمس في رابعة النهار ، فأرسلوا ثلاث [١٣١ / أ] قتل ، فقامت مقام الجيش ، وكأن فيها لهم الفضل الذي لا يخطر ببال ، وحل بهم من الخوف ما (ينكر)^(١) على مثلهم من الرجال ، فما لاذوا بغير الفرار ، وتركوا المطرح على ما هو عليه ، وخرج الشريف الحسن بالخيال في ملاقة أولئك لأجل الدفاع ، ولكن هيهات أن يرد الجند اليامي شيء لما قد سكن قلوبهم من الأفزع ، وقاتلوا نفوسهم من غير أن يصدر عليهم من الأتراك قتال ، فماتوا في تلك السبخة نحو مائة نفر من الظمأ ، والشريف الحسن لما رأى ما حلّ بهم أخذ ساقاتهم ، وسار هو ومن بقي من أهل المطرح ليصون الجيش من اللحاق بعدهم ، وليحمل من عجز عن المشي ، وكان ذلك حاله حتى وصل قلعة أخيه الشريف علي بن محمد التي على وادي « مور » ، المسماة « المعترض » ، خشية مما يحصل كونه طرفاً في ذلك المكان ، فجمع ما يحواه البيت مما عز وهان ، وحمله على ظهور الجمال وأرسله إلى المدينة العريشية / [ص ٤٤٧] وأهل تلك القرية تفرقوا في القرى المتاخمة لهم ، وبقيت القلعة فارغة ، وأصبحت القرى خاوية على عروشها :

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد^(٢) وأما يام فتفرقوا في تلك الفلوات ، (وذهب من ذهب منهم قتلاً من)^(٣) القبائل ؛ لأنهم من وجدوه أخذوه ، وكان منتهى سيرهم إلى مدينة « حرص » ، (فاجتمع بقية المنهزمين هناك)^(٣) ، وتوجهوا إلى « فج »

(١) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتاها من ص .

حرض « ، ومن هناك إلى جهة « نجران » ، وقد (تقمصوا ثوب العار ، وزرعوا)^(١) للشريف الحسن العداوة في قلوب الأتراك ، والشريف الحسين ومن معه (من خيالة الأشراف وأتباعهم توجهوا إلى المدينة)^(١) العريشية ، والعين فيها قذى ، والحلق فيه شجى ، وكان وصول (الحسن إلى « أبي عريش » يوم الربوع)^(١) رابع وعشرين شهر رمضان المذكور ، وعند الله (تعالى علم عاقبة الدار .

وبعد استقرار الشريف)^(١) الحسن « بأبي عريش » أرسل أخاه علي بن محمد إلى الأمير عائض (مستجداً ، ولم يصل إليه إلا وهو في حركة جهاد إلى)^(١) أطراف بلاده الشامية^(٢) ، فجعله عذراً عن قبول الخطاب ، ولم يقف منه على طائل ، وقد كان محمد سري وصل بأجناده إلى مدينة « الزهراء » ، وخيم هناك مدة وفي صحبتته الشريف حيدر ، وعيّد الباشا عيد الإفطار في « الزهراء » ، وأشاع الناس بوصوله إلى المدينة العريشية ، وحصل القلق على الناس ، ولم نشعر إلا بوصول [ص ٤٤٨] الأخبار بأن / الباشا المذكور قوَّض^(٢) خيامه إلى بندر « الحديد » ، فكان في ذلك للناس فرجة ، وصادف وصول الأخبار بذلك وصول الشريف (علي بن محمد من)^(٤) السراة .

وأماً الشريف حيدر فهو لم يزل بعد استقراره (في « الزهراء » يكاتب الشريف الحسن)^(٤) [١٣١/ب] في تسليمه الطاعة ، والانقياد لما

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) يذكر النعمي أن عائض بن مرعي قام في شوال عام ١٢٦٧هـ بحملة على بيشة وطرده الحامية الحجازية منها وضمها إلى إمارته ، ثم عطف على قبائل بلقرن وما تبعها من السراة فأدخلهم في طاعته وكانوا تابعين لإمارة مكة ، ثم عاد في ذي الحجة ١٢٦٧هـ .

، انظر : تاريخ عسير ، ٢٠٠ .

(٣) في الأصل : قبض .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

أمر به محمد سري باشا ، وآخر الأمر وصل سعيد أفندي من طرف الباشا المذكور ، وبيده مرقوم منه إلى كافة الأشراف وأعيان البلاد ومشايخ الجهة ، يقضي بأن الشريف حيدر هو العامل في الجهة ، فمن امتثل أجاب ، ومن لم يمتثل عرف أمره ، وقرأت تلك الصحيفة على الناس ، وأعلنوا بالمساعدة لما قد أصابهم من الذعر من الأتراك ، وأما الشريف الحسن فلم ينقد لذلك ، وأراد فتح باب الفتنة ، ولكنه لما خذله الأشراف فمن دونهم لم ير له سبيلاً لغير المساعدة ، ورضي بالموافقة بعد أن شرط لنفسه شروطاً من جعلتها إرجاع الترك الواصلين إلى « أبي عريش » من أثناء الطريق ، وطلب الاجتماع من الشريف حيدر قبل الوصول إلى المدينة العريشية لتقرير الأمور .

ودخلت سنة ثمانية وستين بعد المائتين والألف : في محرمها برز الشريف الحسن بأصحابه ، وكان اللقاء بينه وبين عمه الشريف (حيدر بموضع يسمى)^(١) « الحصامة »^(٢) ، ووقعت المفاوضة بينهم في تمام الأحوال ، وانسد أمرهم (وكفى الله المؤمنين)^(٣) القتال ، وتم الصلح على مقرر في بندر « جازان » وسَوَّق (مُحَصَّل « خبت المسارحة » إليه ، وتحمل)^(٤) حقوق العسكر الذين لديه ، / وبَذَلَ الطاعة (لعمه ، وتأخر [ص ٤٤٩] عن مقامه ، وصفت العمالة للشريف)^(٥) حيدر ، ودخل الشريف حيدر رابع وعشرين (من شهر المحرم المدينة العريشية ، بأبهة عظيمة وبشارة جسيمة)^(٦) ، وضربت المدافع للأفراح ، وبرئ الناس (مما أصابهم من ألم الجراح ، واستقرت أحوال)^(٧) الناس من كل جانب .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) اسم يطلق على ثلاثة مواضع في المنطقة ؛ قرية شمال عدوة وادي خلب ؛ قرستان قرب قرية العريش تسميان الحصامة السفلى والحصامة العليا ، والأخيرة بقعة في جبل

العبادل من أعمال العارضة .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ١٤٩ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

وفي هذا الشهر تحرك (غالب بن محمد بن يحيى^(١)) صاحب « صنعاء » إلى جهة « حراز » واستقر في موضع يسمى ...^(٢) وناولش داعي يام ، حسن بن إسماعيل شبام ، (وضايقه في تلك الآكام ، فبعث الداعي إلى « نجران » رسالة^(٢) يستتجد من هناك من الرجل والخيالة ، (فبعد أيام وصل من « فجّ حرّض » ثلة من يام ، ومشوا^(٢) البلاد ولم يعترضهم أحد ، حتى حاذوا (قرية « الزيدية » ، فتعرض لهم بعض قبائل تلك الجهات)^(٢) وبعض خيالة الترك ، ف وقعت المصافّة بينهم (وانهزم الأتراك بعد جراحات ، وقتل في القبائل)^(٢) ، ومضى يام إلى نحو قرية « باجل » بالسلامة ، واتصلوا بداعيههم وانقضى بوصولهم مرامه .

وفي ثاني شهر صفر عصر يوم الاثنين توفي الشيخ حسين بن علي مجلي ، كان في مبادئ أمره مصحّباً^(٣) للشريف الحسن بن خالد ، ولاحظته السعادة ببركته ، وبعد موت السيد الحسن ، وصل إلى وطنه وتعلّق (بخدمة)^(٤) الشريف علي بن حيدر ، وكان مسدّداً في (أموره ، جارياً على نهج الصواب)^(٤) في أغلب شؤونه ، مع لطافة أخلاق ، وله صبر على (الرعايا)^(٤) [١٣٢ / أ] في شكاياتهم ، والتوسط في فصل أمورهم .

(١) هو ابن المتوكل محمد بن يحيى ، دعا لنفسه بالإمامة في عام ١٢٦٧ هـ ، وتلقب بالهادي ، وحاصر علي بن المهدي في دار الحجر بوادي ظهر ، وأراد أخذ الثار لوالده ، ولكن تم الصلح بينهما وصفح الإمام غالب عن قاتل والده .

انظر : الجرافي ، المقتطف ، ٢٧٢ : الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ٢٤٠ / ٢ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

(٣) هكذا في الأصل وص ، والصواب : مصاحباً .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

وبعد وفاة / الشريف علي بن حيدر ، واستقام ولده الشريف [ص ٤٥٠] الحسين ، قلّده جلائل الأعمال ، فضخمت سيادته ، وتنوعت سعادته ، وكان فيه وظيفة^(١) دين ، ، محافظاً على الجمعة والجماعات ، وصيام الأيام الفاضلات ، ومحبة لأهل العلم والفضل والتعلق بهم .

وفي سابع شهر صفر وصلت خطوط من الشريف الحسين من « إصطنبول » ، تاريخ رقمها سابع وعشرين شهر محرم ، محققة بوصوله « إصطنبول » رابع وعشرين شهر رجب منه ، سنة ١٢٦٧هـ ، وأنه اتفق بالسلطان عبدالمجيد ثاني عيد النحر من شهر ذي الحجة ، وتلقاه بالإجلال والإكرام ، وضاعف عليه صنوف الإنعام ، ورافقه مراراً ، وأنزله من الرفعة حيث يستحقه ، ومن الجلالة ما يليق بمجده ، وأعطاه (حُقَّة)^(٢) ذهب عند اتفائه به مرصعة بالماسات تساوي قيمتها ثلاثة آلاف ريال ، وأعطاه (من الذهب)^(٢) ما يزيد قيمته على ثلاثة آلاف ريال ، وتمت له الأمور على ما يحب وزيادة ، ونال ما يطلبه في تلك السفرة المستجادة ، وعين له مركب دخان وباشة ، وعسكراً وآلات ومهمات ، وأشعر خطه أنه متوجه عقيب رقم الخط ، (وعند وصول تلك الخطوط)^(٢) أعلن بالسرور ، ودخل على الناس ما لا يستطاع^(٢) التعبير عنه من الحبور ، وضربت المدافع وأنواع الأفراح ، وحصل^(٢) للرعايا بذلك غاية الانشراح .

(وفي ثامن شهر ربيع أول توجه الشريف حيدر ومن معه من الأشراف إلى جهة « حرص »)^(٢) ، والسبب في ذلك أن (الشريف

(١) هكذا في الأصل و ص .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

الحسن بن الحسين وصل هو وكبار « نو حسين » الذين في « الواعظات »^(١) [ص ٤٥١] قصدهم فصل الخطاب ؛ لأنه / تولى (طلابهم من بلدهم لتصليح البلاد بأمر الباشا محمد سري ، فتمت)^(١) أمورهم على أحسنها ، وزلجوا من عنده ، (وزلج من في صحبته من الأشراف ، ورجع إلى قريته « نعمان »)^(١) ، وأيام استقرار الشريف حيدر (« بأبي عريش » لم يشعر إلا بوصول « أحمد آغا » من طريق الباشا مأموراً)^(١) أن يتولى قبض متحصل بندر جازان (من الطالع والنازل ، فساعد الشريف حيدر واستقر هناك)^(١) ، وتسلم جميع المتحصل ، ولم يصل (إلى أحد من الأشراف ، وأهل الوظائف من المقررات بعد ذلك شيء)^(١) ، وعذره أن ذلك موقوف إلى (وصول الشريف الحسين ، وبلغ أن ذلك من غير رضا من الشريف حيدر)^(١) وعند الله علم حقائق الأمور .

(وفي هذا العام)^(١) وصلت الخطوط مخبرة ب وفاة الشيخ علي حميدة في بلدة « باجل » ، وذكروا أن وفاته (رابع وعشرين)^(١) شهر صفر من السنة المذكورة ، وكان هذا الشيخ رأساً في مشايخ اليمن ، وناطح الملوك فمن دونهم ، وساعده المقدور فيما أراد .

وفي شهر جمادى الأولى ثالث وعشرين مضين منه كانت وفاة الشيخ العلامة علي زين العابدين بن محمد بن أحمد الحفظي ، علامة تلك الجهات ، ومسكنه ومسكن آبائه قرية « رجال » من بلاد « رجال ألمع » ، أخذ عن عمه الشيخ إبراهيم بن أحمد ، ولازمه وتخلق بأخلاقه ، واستثمر معارفه ، وكان على جانب عظيم [١٢٢/ب] من التقوى ، والاشتغال بالعلم ، اتفقت به أيام وصولي إلى عمه المذكور ، فوجدته لطيف الأخلاق (وله)^(١) على منظومة جده الشيخ أحمد قي علم

(١) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

الطريقة شرح ضخمة رحمه الله تعالى^(١) / .

وفي شهر جمادى الآخرة وصل إلى بندر « جازان » مصطفى باشا متولياً على اليمن ، ورافعاً للباشا محمد سري عن اليمن ، وكان في خروجه من حضرة السلطان مصحباً للشريف الحسين بن علي ، وكان خروجهم من حضرة السلطان ثاني عشر شهر ربيع آخر ، وسافر بهم مركب الدخان من الروم^(٢) إلى « الإسكندرية » ستة أيام ، وبعد أن^(٣) وصل إلى مصر تقدم قبل الشريف الحسين ، وفي يوم الثلوث غرة شهر رجب الحرام وصل « خليل » خدام الشريف الحسين بن علي بكتب مبشرة بوصول الشريف مصر القاهرة ، ومُعلنة بأنه اختار السكنى في « مكة المشرفة » ، ورأى أن ذلك خير له ((في الدنيا والآخرة)) وقلد إمارة الجهة من وادي « مور » إلى حدود « بيش » أخاه الشريف حيدر ، وأنه قائم مقامه في ذلك ، وذكر في تلك المراقيم أن السلطان عرض عليه اليمن كله ، وأنه يرجع على الحالة التي كان بها نافذ النواهي والأوامر ، في الموارد (والمصادر)^(٤) ، وأنه منع من ذلك ، وجنح إلى الترك أيسر المسالك ، (وروى أن السلطان قرر له في كل شهر في بندر)^(٤) « جدة » ستين كيساً من الدراهم ، عبارة عن اثنتي^(٥) عشرة مائة ريال (وأضاف

(١) لم أجد ما يشير إلى وجود هذه المنظومة ، ويوجد لها شرح مخطوط بعنوان « ذخيرة المال في شرح جواهر اللآلي في فضل الآل » ، (ولعله الشرح الذي يشير إليه المؤلف) ، المكتبة الفريية بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٣٠٤ ، ونسخة في مكتبة الحبشي برقم ٢٥٠ ق .

انظر : الحبشي ، مصادر ، ١٣٩ .

(٢) هكذا في الأصل وهو يقصد : تركيا .

(٣) الإضافة من المحقق ليستقيم السياق .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٥) الأصل وص : اثنا .

وكان قد حصل من قبائل القرشية^(١) على العامل « بالنخل » مصالوة أفضت إلى إزهاق (روحه ، وانضاف)^(٢) إلى هذا ما فعله « عبدالبرج » القائم في مدينة « بيت الفقيه » ، وكان فيه طيش ، وذلك (أنه طلب بعض مشايخ)^(٣) « الزرانيق » ، فضيق عليه في بعض المطالب ، فبذل بعضاً وطلب في الباقي الإنظار ، (فلم يقبل منه ذلك)^(٢) الاعتذار ، فناله بطرف من الإهانة من الصفع بالنعال ، فتكدر منه البال ، [ص ٤٥٥] (وثارت منه الحفيظة / ، وسار إلى قبائله « الزرانيق »)^(٢) ، ووصف لهم ما وقع فيه من الهوان ، فأجمع رأيهم على قتال (الترك ، وعدم المسائلة في هذا الشأن فتفرقوا)^(٢) في الجهات يوم حادي وعشرين في شهر رمضان ، وقتلوا من (وجدوه منهم في كل مكان ، حتى بلغ أن القتل)^(٢) انتهى إلى فوق عشرين إنسان ، فخرج عبدالبرج (بأصحابه ثاني يوم)^(٢) من هذه (الحادثة)^(٢) ، واتصل بقرية « الجاح »^(٢) ، وعند وصوله قامت الحرب على ساق ، (فكانت)^(٤) الدائرة عليه . وانتهى بهم الفرار إلى « بيت الفقيه » بعد أن ذهب منهم جماعة بعضهم من تحت السيف ، وبعضهم بالظماً .

ولما طرق مسامع الباشا مصطفى^(٥) هذا الخبر ، وهو في « زييد » مستقر ، خرج قاصداً « بيت الفقيه » ، وقد بلغه تجمع القبائل في

(١) قبائل القرشية : من قبائل قيفه في بلاد رداق ، وقد أوردها ناسخ ص : القرشية .

انظر : المحققي ، مرجع سبق ذكره ، ٢٢٩ : الحجري ، مرجع سبق ذكره ٦٥٢/٤ .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٣) قرية على ساحل البحر الأحمر من ناحية بيت الفقيه بن عجيل فيها نخيل لبعض قبائل الزرانيق .

انظر : المحققي ، مرجع سبق ذكره ، ٧٧ : الحجري ، مرجع سبق ذكره ١٧١/١ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٥) كتب المؤلف فوقها : محمد .

« القصرة » ، واستصحب مدفعين ، وانفصل من « زبيد » يوم سابع وعشرين من شهر رمضان ، فلما توسط « القصرة » وقع في لهوات الأسود ، وتداغت عليه القبائل من كل جهة ، وعصفت عليه رياح المنايا السود ، فدارت عليه وعلى عسكره الدوائر ، وذهب من الفريقين قتل كثير ، وكان يوماً على الترك قمطريراً ، وانتهت هزيمة الباشا إلى « بيت الفقيه » ومات هناك ، واختلف في سبب موته : فقيل [١٢٢/ب] (إنه تصوّب)^(١) ، وقيل : بالظماً ، وغنمت القبائل المدافع والخيام / وخزنة [ص ٤٥٦] دراهم ، وجميع ما حواه معسكرهم ، (فسبحان)^(١) القادر على كل شيء ، العالم بمآل كل حيّ ، وقد وقع الجزاء لهم بما فعلوا ممّا خفي وبدا ، ولا يظلم ربك أحداً :

لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن
فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم هذا بذاك ولا عتبى على الزمن^(٢)
وكانت مدة باشويته في اليمن شهرين وثمانية عشر يوماً ؛ لأن
استقراره في « الحديد » يوم تاسع (في شهر)^(٣) رجب .
وفي يوم الخميس ثامن وعشرين من شهر رمضان كانت وفاة
الشريف الماجد (زيد بن علي بن)^(٣) حيدر في زمن شببته ، ودفن بين
مقابر أهله في الدارة التي شرقي « المعترض »^(٤) ، رحمه الله تعالى وإيانا
وكافة المسلمين .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٢) البيتان من البسيط .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٤) قرية صغيرة قرب قرية الحسيني ، وهناك موقع آخر بهذا الاسم في وادي دهوان شمالي

قرية قايم الكعوب في بلاد بني الحرث .

انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٢٩٣ .

« مكة » وباشة « جدة » ، من تحت رأي سلطاني ، واستقر في
« الحديدة » .

وفي هذه السنة ظهر من الشريف الحسن بن محمد التجرم على
عمه الشريف حيدر ، من أنه لم يف^(١) بالقواعد ، ولم يمض على ما
بينهما من العهود ، وترك المقررات ، واستبدّ بما يحصل من البلاد ، ومع
ذلك طلب جماعة من العساكر ، وهو^(٢) في ذلك يرفع إلى الشريف حيدر
بطلب ما التزم به ، ولم يقف منه على طائل ، فبعد ذلك ترجح له أن يخرج
أخاه الشريف علي بن محمد ، وينضم إلى من طلب من العسكر ، فخرج
في شهر صفر ، وطرح بمكان في بلاد « المسارحة » ، واستصفي جميع
الزكوات من « المسارحة » ، وبني « شبيل »^(٣) ، وكان الشريف أبو طالب
عاملاً في ذلك المخلاف من طريق أبيه ، ومستقراً في قلعة « أبي حجر » ،
ولم يزل الخطاب يدور من الشريف علي بن محمد والعسكر الذي (مع
الشريف)^(٤) أبي طالب ، ولم يتمخض بينهما كلام ، والشريف علي بن
محمد مشغول بما هو بصدد ، فلما تم (مراده من الرعايا ؛ شدّ إلى /
قرية)^(٥) غربي « أبي حجر » تسمى « المنصورة »^(٥) ولم يزل يسارحهم

(١) الأصل : يفي .

(٢) الأصل وص : وهي .

(٣) قبيلة بني شبيل إحدى قبائل منطقة جازان ، وتمتد من الجبل إلى ساحل البحر ،
ويحدها من الشرق قبائل الحرث ، ومن الجنوب قبائل بني حمد والموسم وبني مروان ،
وشمالاً قبائل المسارحة .

انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ٧٤/١ .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

(٥) لم أشر على قرية بهذا الاسم ، وفي المعجم الجغرافي للعقيلي : المنصورة ، من قرى
المسارحة بين قرية العبادية والمرابي ، انظر : صفحة ٤٠٠ .

بالحرابة غدواً وعشيّاً ، آخر (الأمر سلموا القياد وتركوا المقاتلة^(١))^(٢) بعد أن اتسع الخرق على الراقع .

وفي آخر شهر ربيع الأول (خرج العسكر من القلعة على حال غير مُرضٍ ، وتوجّه)^(٢) البعض إلى بلادهم ، والبعض إلى الشريف حيدر ؛ لأنه مقيم (« بالزهران » ، واستولى الشريف علي بن محمد)^(٢) على القلعة ، وهدمها ، وألحقها بأمس الدابر ، وأحرق مساكنها ، (ودارت على من بها الدوائر ، وتفرق أهل القلعة)^(٢) في القرى ، وأضحوا بين الأنام خبراً .

وفي تاسع شهر ربيع الآخر (يوم الخميس ، وصل عبدالله المكرمي بجيش)^(٢) يملأ الفضاء من يام إلى « حرص » (طالباً بالتأر لما وقع من الأتراك حسبما سبق تفصيله)^(٢) ، وانفصل من « حرص » ثامن عشر شهر ربيع الآخر يوم السبت ، (وفي يوم الخميس وصل إلى وادي « عين »)^(٢) وبث سرية ركاب وخيل ، وشدّ في أثرهم ، واستقر هو (في « بجيلة بني إسماعيل » والسرية وصلت)^(٢) إلى مطرحة الترك ، وطغنت خيلهم فيه ، (وقد حصلوا الكمناء في شعب)^(٢) هناك يسمى « شعب حطب » قريباً من قرية « الزيدية » ، فاندفع الأتراك (مسابقين في أثر يام)^(٢) ، فلما وصلوا إلى الكمناء^(٣) أطلقوا عليهم البنادق ، فلا ترى إلا جريحاً أو قتيلاً ، وتلفت جملة من الخيل ، والباشا شدّ بجنوده وطرح قريباً من مطرح يام ، وعند تخالط الظلام هجم المكرمي ومن معه من يام على الأتراك ، وطال القتال والعراك ، ومضى من الجانبين كثير ، وكلا من

(١) في ص : المقاتلة .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) الأصل : الكمنى .

الجيشين رجع إلى مكانه ، ثمَّ بدا للمكرمي أن يتقدم^(١) إلى « المعروفية »^(٢) [ص ٤٦٠] شرقي « الزيدية » ، والباشا / مع علمه بذلك ارتحل في الأثر خشية من أن يسبقوهم إلى قرية « الزيدية » ، وأقام فيها .

[١٣٤/ب] (ثمَّ إنَّ عبدالله بدا له الارتحال إلى جهة)^(٣) « صعفان »^(٤) ، وطال بينه وبين يام النزاع في الرجوع على هذا (الوجه من غير الظفر بعدوهم ، مع أنهم)^(٥) قد أمكنتهم الفرصة في زعمهم ، واستقر مطرحه في موضع يقال (له « البُحَّيح »^(٦) شرقي « باجل ») فارتحل الباشا محمود في أثره ، وطرح قبلي قرية « باجل » بحيث أن كلا (الجيشين)^(٧) يشاهد الآخر ، وفي ثامن جمادى الأولى استقر الشريف علي بن محمد في قلعة « حرض » ، ودخلها (من غير مكروه)^(٧) ، وقد كان فيها جماعة من العسكر بنظر عبدالله المكرمي ، ومعهم الشريف هزاع ، فمع ما وقع بين يام والترك حدثته نفسه الأمارة بالخدا ، ومالاً المشايخ « بني مروان »^(٨) ، واقتضى الحال أن سار إلى « بني مروان » ، وأظهر ((من الخديعة)) ما أظهر .

(١) غير واضحة في الأصل وهي أقرب ما يكون أن تكون هكذا ، وفي ص : نفذ .

(٢) من قرى وادي سررد في بلاد الزيدية من تهامة .

انظر : المقحفى ، مرجع سبق ذكره ، ٣٩٥ : الحجري ، مرجع سبق ذكره ٧١٢/٤ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) جبل غربي مسار من أعمال مناخة ، ومناخة مدينة في الغرب من صنعاء تتوسط بينها

وبين الحديدة . انظر : المقحفى ، مرجع سبق ذكره ، ٢٤٩ ، ٤٠٩ : الحجري ، مرجع سبق

ذكره ٤٨٠/٣ .

(٥) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٦) قرية تهامية بالجنوب من الحديدة . انظر : المقحفى ، مرجع سبق ذكره ، ٤٤ .

(٧) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٨) قبائل بني مروان ، وموطنهم حالياً الموسم الذي مازالت أطلال مدينة الشرجة التاريخية

مائلة في ساحله ، وقبائل بني مروان قسمان : قسم تابع للملكة العربية السعودية ، وقسم

عائد إلى اليمن .

انظر : العقيلي ، المخلاف السليماني ٧٣/١ : المقحفى ، مرجع سبق ذكره ، ٣٨٠ .

وفي أثناء ذلك ليلة الأحد نصف الليل لم تشعر الرتبة إلا بدخول الشريف علي بن محمد القلعة ، وخمدت الفتنة ، وبطل تدبير هزاع ، ودخل الرعايا تحت طاعته ، واستقرت الإمارة للشريف الحسن في هذا المخلاف ، وجميع المخاليف الشامية التي تحت مملكة الشريف حيدر ، وساق الرعايا الفرق والزكوات ، ونفذت أوامره فيها ، مع هذا (وعامل الشريف حيدر)^(١) - وهو أخوه حمود - بالمدينة العريشية ، والأمر والنهي للشريف الحسن ، (وموجب استقلال الشريف الحسن : أن الشريف)^(١) حيدر لما وصل إلى بندر « الحديد » سار إليه [أي إلى الباشا] (الشريف حيدر وطلب منه المعونة / على صلاح)^(١) الرعايا ، إمّا بمالٍ أو رجال ، [ص ٤٦١] ولم يقف (منه على طائل ، بل لاقاه بأسوأ الأخلاق)^(١) وكافحه بما لا يليق بجنابه ، ممّا يشعر بقبح (طوية ذلك الباشا بما عاقبته تمضي إلى شقاق)^(١) ، فرجع إلى مدينة « الزهراء » وقد قنعت (نفسه من جلب مصلحة من الباشا محمود)^(١) ، وأعلن بالتخلي عن الإمارة ، وأرسل لمشايخ بلاد « الواعظات » ، و « بني حسن » ، و « قطبة » ، وأمرهم ببذل العهد للشريف الحسن بن الحسين ، (والسمع والطاعة له ، ثم إن الشريف الحسن)^(١) بن محمد أرسل لأخيه الشريف علي بن محمد ، ومع (استقراره بالمدينة العريشية ارتحل الشريف)^(١) الحسن صبح يوم الخميس لعله سابع عشر (جمادى الأولى ، ولبت في « بلاد المسارحة » تسعة)^(١) أيام ، ثم ارتحل يوم السبت خامس وعشرين (في الشهر المذكور إلى « حرص » ، ووصل يوم الأحد)^(١) إلى « حرص » ، والقبائل من « بني مروان » بعد (أن بذلوا العهود وسلموا الطاعة وصلتهم) خطوط من الشريف حيدر مصرحة (لهم بعدم الطاعة للشريف الحسن ،

(١) بياض في الأصل ، وأثبتتها من ص .

ومقابلته بالمنع^(١) من تسليم الفروق والواجبات ، (ويدفعون عن أنفسهم بالقتال ، فما زال)^(١) الخطاب يدور بينهم وبين الشريف الحسن بن محمد لقصد الخداع والمكر ، وهم في أثناء ذلك يتجمعون لقصد الشريف الحسن بن محمد في « حرص » .

فلما كان يوم الاثنين لم يشعر الشريف الحسن عصر ذلك اليوم إلا والصريخ ، فاستكشف الخبر ، فإذا هم القبائل قد صاروا بجانب القرية فوق الألفين ، وبيارقهم منشورة ؛^(٢) وكان عنده من خيالة الأشراف [ص ٤٦٢] السادة / والمشيعين فوق المائة ، وعنده طائفة من عسير جملة مستكثرة من العساكر ، فبرز وثبت القوم ، وتقدم في الخيل ، وقامت الحرب ، فحمل الشريف الحسن بمن معه من الخيل حملة صادقة ، فولى « بنو مروان » الأدبار ، وحق عليهم الفرار ، وصاروا زاد السيوف وشراب الرماح ، وقتل منهم في المعركة من دارت عليه منية القدر المتاح ، ولم يحل بينهم وبين النجاة غير الليل ، فذهبوا في تلك الفلوات ، وتجمع الشتات ، وبعد رجوعهم من القتال وقع من أولئك البغاة كمين في جانب « المعال »^(٣) ، فأرسلوا ثلاث رصاصات من أجواف البنادق على أهل الخيالة ، فأصاب الشريف محمد بن حيدر بن علي رصاصة في رأسه فسقط منها من على جواده ، ونزل الشريف الحسن وأركبه على جواده ورجع إلى « حرص » ، واستمر على ذلك إلى وقت السحر ، وفاضت روحه ، ولله در القائل :

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) من هنا وحتى نهاية القوس في ص (٥١٨) مفقود في الأصل وأثبتناها من ص .

(٣) بقعة في الجنوب من بلدة العارضة بسبعة أكيال ، (وإن كنت أعتقد أن هذا الموقع لا يتفق مع مسار الأحداث) . انظر : العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ٣٩٤ .

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزاً^(١)
وفاز بالشهادة ، وحاز أسباب السعادة ، فلقد كان من الأبطال ،
وممن بلغ مع حداثة سنة درجة الكمال :
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدماً^(٢)
ولم يصب أصحاب الشريف الحسن شيء غير ثلاثة أصيبوا
وسلموا ، وقتل واحد من عسير ، ولم يمس الشريف تلك الليلة إلا والقبائل
تطلب الأمان ، وتبذل الرهان ، ورأيت في خطه المخبر بوفاة الشريف
محمد بن حيدر مستشهداً بقول إبراهيم بن عبدالله / بن الحسين المثنى ؛ [ص ٤٦٣]
قالها لما قُتل أخوه النفس الزكية محمد بن عبدالله رضوان الله عليهم :
سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإن بها ما يدرك الطالب التورا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة يعصرها من جفن مقلته عصراً^(٣)
ولما انقضى ما انقضى ، ذلت القبائل ، واستغاثوا إلى الشريف
بالوسائل ، وعوّلوا على القاضي عبدالله بن صديق قاضي مدينة
« حرص » ، والشريف ناصر بن محمد حوذان ، وكافة كبار المدينة
المذكورة في قبول الاعتذار ، وإقالة العثار ، وأنه ما أوجبهم على ذلك
غير خطوط من الشريف حيدر فيها التآليب لهم ، والتحريض لهم
في قتال الشريف الحسن وجنوده ، فجنع مع هذا الواقع وقيام
المرجح إلى القبول ، والتزم كبارهم^(٤) ببذل ما عليهم من الحقوق ومن
الأعراف المعتادة ، وتلقوا بعد غلبتهم والنكال بالقفول ، وما غنموا

(١) البيت من المتقارب ، وهو للخنساء ، انظر : الديوان ، ١١٦ .

(٢) البيت من الطويل ، والقائل : عبدة بن الطبيب ، انظر : أبو تمام ، الحماسة ٢٨٧/١ .

(٣) البيتان من الطويل .

(٤) ص : كبارهم .

بغير الفضيحة وإهدار دمهم ، وهكذا عاقبة البغي بلا إشكال ، والعاقل من اعتبر واعترف بتغير الأحوال ، ولم يغتر بشيء من الدنيا في الحال والمآل ، هكذا رأيت في خط الشريف الحسن إلى أخيه الشريف علي بن محمد ، وأمّا يام فانتهى أمرهم إلى إخراجهم من البلاد ، « وذهبوا أيدي سبأ »^(١) ، وتفرقوا في السهال والجبال ، وأصبحوا حديث سمر ، ولله عاقبة الأمور .

وفي شهر رجب وصلت خطوط من الباشا محمود ، مؤذنة بالتأييد للشريف الحسن على هذه الجهات ، بشرط الوصول إليه ، [ص ٤٦٤] والمثول بين يديه ، وذلك لما تبين له غدر الشريف حيدر عن الاستقامة / ، وتلقى ذلك بالقبول ، وأشعر من « حرص » إلى « أبي عريش » بالقول ، وكان قد وصل رأي من الباشا إلى « بني مروان » في بذل الطاعة للشريف الحسن ، فسلموا الطاعة في الظاهر ، ولم يردوا من المطالب شيئاً ، فقتل منهم بالسمع والطاعة على هذا الوجه ، ورأى أن النقض عليهم مع عدم قيام المقتضيات لذلك من الرأي السديد ، وكان وصوله إلى « أبي عريش » يوم الاثنين خامس عشر شهر شعبان ، وتلقاه أخوه الشريف علي بن محمد إلى ظاهر البلد ، وضربت للفرح المدافع .

وفي شهر رمضان جاءت الأخبار بموت السيد الإمام أحمد بن هاشم ، وكانت وفاته في أول رمضان في بلاد « أرحب » ، وقد كان من العلماء النظّار ، ومن أهل الفضل الذين تتزين بهم الأعصار ، نشأ في

(١) وأصل المثل أن سبأ بن يشجب لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد فقيل لكل جماعة تفرقوا : ذهبوا أيدي سبأ ، والمراد بالأيدي : الأنفس . انظر : الزمخشري ، المستقصى ٨٨/٢ : الميداني ، معجم الأمثال ٢٧٥/١ .

مدينة « صنعاء » ، وقرأ على علمائها حتى بلغ النهاية في المعارف العلمية ، أصولاً وفروعاً ، وقدّمنا حديث نشره للدعوة في « المدينة الصعدية » ، واستقلاله بالأمر ، وزحلفة محسن بن عباس^(١) عن مقامه ، وأطاعه [أهل] تلك الجهات ، وأمر فيها بالمعروف وأزال منكرات ، وفي أثناء ذلك جاءنا منه مكاتبات جواباً عن مرقوم أرسلته إليه ، وجاء منه جواب نظماً ونثراً قد أثبتته في غير هذا الموضع^(٢) ، وهو يدل على غزارة مادته في الأدب ، وأنه بلغ فيه أعلى الرتب .

وفيهما كانت وفاة الشريف عبدالله بن شرف العبدلي ، رابع عشر شهر رمضان ، ببلدة « بيش » ، وكان مؤيداً في « المخا » وتلك الجهات من جهة السلطان ، وقد قدمنا زمن وصوله إلى هذه الجهة ، وقد استفاد أموالاً ، وكان مع ذلك في غاية الشح ، والناس يبالغون في وصف ما اكتسبه من الأموال .

وفي شهر رمضان كانت وفاة الشيخ العلامة إسماعيل بن حسن بن عثمان العلفي ، هو من أهل الوزارة « بصنعاء » ، وممن ضخّم قدر آبائه ؛ ومشى على طريق الطهارة ، وبذل مجهوده في الطلب ، فبرع في علم العربية ، واطلع على خباياها في الأحوال الكلية والجزئية ، وكان له العناية « بشرح الرضي / على الكافية » ، وشاركني في القراءة على [ص ٤٦٥]

(١) هكذا في ص ، والصواب أن الذي كان إماماً لصنعاء قبل دخول أحمد بن هاشم هو الإمام المؤيد بالله العباسي بن عبدالرحمن بن محمد ، والذي حكم لمدة خمسة أشهر فقط من رجب إلى ذي الحجة ١٢٦٦ هـ ، ثم تنحى عن الإمامة للإمام المنصور بالله أحمد ابن هاشم .

انظر : زيارة ، نيل الوطر ١٨/٢ ؛ الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، ٢٧١ .

(٢) أشار إلى تلك المراسلات زيارة في ترجمة الإمام أحمد بن هاشم .

انظر : نيل الوطر ٢٢٨/١ .

شيخنا السيد العلامة قاسم بن محمد الأمير في كثير من العلوم ، وكان متقيداً بالدليل ، مؤثراً للخمول ، ذا سمعة حسن ، وخلق لأهل الزمن . وكان لا تمل مجالسته (١) [١/١٣٥] ولا تضجر مفاكهته .

وفي (العشر الأواخر من رمضان ؛ بعث الشريف الحسن إلى الباشا بمكتوب يتضمن) (٢) الاعتذار من الوصول إليه لأسباب قد أبداه ، وأنه سيرسل (بعض إخوانه للمفاوضة في انتظام) (٢) الأحوال ، والمذاكرة فيما يصلح به أمر المملكة ، فجاء جوابه (بالإسعاد ، وطلب منه حصانه المشهور) (٢) المسمى « زعير » ، وهو من جياد الخيل ، وأرسل أخاه الشريف (عبدالله بن محمد ، وتوجه وصحبته) الحصان المذكور عشية السبت رابع شهر شوال ، وكان طريقه (إلى « باجل » بتدبير من أخيه) (٢) ، واتفق بالشيخ يحيى بن علي حميدة ، واستصحبه في الدخول إلى الباشا ؛ وكان (وصولهما إلى) (٢) بندر « الحديد » يوم الثلوث رابع عشر في الشهر المذكور ، فلتقاه الباشا (بالقبول ، وقبل الهدية ، وأسعف الشريف الحسن بمراده ، وجعل له) (٢) رأياً في الولاية (على هذه الجهات ، والاستقلال فيها بالأمر والنهي) (٢) مع رفع المعارضات ، (وخلع الباشا على الشريف عبدالله كسوة فاخرة ، وأنعم) (٢) عليه بسيف ، وأقام في حضرته (على فائض الأنعام ، والإجلال والاحترام ، وتوجه من) (٢) حضرته بعد انقضاء (الثلاثة الأيام ، تبرق أساير وجهه بالفرح بإسعاف أخيه) (٢) بالمطلوب ، وتمام (الأمر على يديه ، وبذلك انجلت عنه وعن إخوانه الكروب .

وفي (٢) يوم الربوع ثاني وعشرين (من الشهر المذكور ، وصل من الشريف الحسن وهو بجهة « سامطة ») (٢) مكتوب يتضمن (الإشعار

(١) من بداية القوس في ص (٥١٤) إلى هنا مفقود في الأصل ، وأثبتناه من ص .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

بالبشائر ، ووصول الشريف عبدالله بما يسر^(١) (الخاطر / ، وكان مقيماً [ص ٤٦٦]) بالمدينة العريشية أخوه الشريف علي بن محمد ، فأشعر^(١) بالمدافع ، وأعلن بالفرج (لكل سامع .

وفي هذه المدة والشريف حيدر مقيم بقرية « بجيلة »^(١) ، ووقعت بينه وبين ابن أخيه (الشريف الحسن مكاتبات لقصد الاجتماع ، والنظر) لما يصلح من أحوال الرعايا ، (وما تم شيء بعد طول المراسلة ، واقتضى نظر الشريف حيدر)^(١) لما يئس من إعانة الترك (بأجناد على تصليح البلاد أن يلقي الإمارة إلى ولد أخيه)^(١) الشريف الحسن بن الحسين ، فجعل له (مرقوماً بذلك ، وأرسله إلى الباشا محمود ، وابتدأ)^(١) الشريف الحسن بن الحسين في (طلاب عساكر لتصليح البلاد ، وصادف انبرام هذا الأمر من)^(١) الشريف حيدر وصول (أخيه الشريف حمود لموجب طلابه ، فما وسعه غير الموافقة)^(١) للشريف الحسن بن الحسين ، وضربوا (بينهم قواعد)^(١) معلومة ، (على شروط)^(١) مفهومة ، والتزم في تحصيل العساكر (والتشييد)^(١) لابن أخيه الشريف الحسن ابن الحسين في (النواهي)^(١) والأوامر ، واتفقت كلمتهما على هذا المطلوب ، (ورأى الشريف حمود أن هذه الحاجة)^(١) التي في نفس يعقوب ، (فخرج الشريف الحسن بن الحسين من « الزهراء » ثامن عشر شهر ذي القعدة إلى بلاد « الواعظات » ، لانتظار العساكر التي وقعت لهم الطلابات ، وما زالوا يصلون قوماً بعد قوم من « حاشد » وأشرف الجوف وغيرهم ، حتى اجتمع لديه حصّة وافرة [١٣٥/ب] ، ولم يزل يصلح بهم أحوال من هناك من الرعايا ، حتى دخلت سنة)^(١) سبعين بعد المائتين والألف .

(١) بياض في الأصل ، وأثبتها من ص .

وفي محرم منها توجه (إلى هذه الجهات الشامية لأجل الاستقرار)^(١) « بأبي عريش » ، ووصل إلى مدينة « حرص » ، وكان فيها العامل (الشريف حسن بن يحيى بن علي فارس)^(١) من طريق الشريف الحسن بن محمد ، وقد كان الشريف الحسن بن محمد غير ملتفت إلى شيء من تثبيت الأمور / وما كان يظن أن الشريف الحسن بن الحسين (يجاوز بلاد « بني حسن » ولا)^(١) يتعدى على ما قد امتدت يده إليه ، فلما تيقن لديه أن الحسن بن الحسين غير (منصرف عما تحته من البلاد)^(١) ، وأن قصده أن يستقل بمملكة هذه الجهة على طريق الاستبداد ، بعث طلائبات (للعساكر ، ولكن سبق)^(١) طلائبه هجوم الحسن بن الحسين على « حرص » ، ووقعت منه المناوشة للقلعة ، (فأحرق القرية المتدير بها)^(١) ، وجرّ المدفع على القلعة ، واستمر الحرب عليها ثمانية أيام ، وبعد (ذلك خرج العامل)^(١) المذكور منها ، ولمّا وصل الشريف الحسن بن الحسين أطراف « بلاد المسارحة » اقتضى الرأي أن الشريف محمد بن الحسين (يلقي أخاه ؛ لأنه كان قبل ذلك وقع)^(١) التواطؤ بينه (وبين الشريف الحسن)^(١) بن محمد ، وأنه يخلع له الإمارة ، وحضر (لديه الأشراف ، وكافة مشايخ البلاد ، ويأيعوه بإذن الشريف)^(١) الحسن بن محمد ، وأشعر في الجهة بأنه المتولي ، (ولكن قد سبق القضاء بولاية الشريف الحسن بن الحسين)^(١) .

وبعد أن وقع الاتفاق بينه وبين أخيه (ترمم الأمر بينهما أن الإمارة للشريف الحسن بن الحسين ، وأنه يكون للشريف الحسن بن محمد بلاد « المسارحة » (خالصة له من دون الأشراف)^(١) وسلم محمد ابن الحسين لأخيه الأمر ، ولما وصل الشريف (الحسن بن الحسين إلى قرية « الجربة » ، استشعر)^(١) الشريف الحسن بن محمد أن الأمر فيما

(١) بياض في الأصل ، واثبتاها من ص .

بين^(١) له على خلاف (ظاهره ، فأشعر)^(٢) بالخلاف ، ولكن تدارك الشريف محمد القضية ، وتدارك^(٣) بتمام ما في (نفسه)^(٤) ، ودخل الشريف الحسن بن الحسين يوم الثلوث سادس وعشرين شهر صفر (واستقر)^(٤) في بيت أبيه « نجران » ، ووقع الاتفاق يوم الربوع - ثاني وصوله - بينه وبين الشريف الحسن بن محمد ، وصلاح بينهما الشأن ، واستقر في المدينة العريشية مدة شهرين ، وتوجه إلى قرية « حرص » لمخارجة العساكر لما قد تحمل بها من الحقوق ، ومكث مدة هناك ، وبعد أن زلج العسكر استقر في مدينة « الزهراء » ، والأحوال غير مستقيمة من تقسيم الرعايا ، فإن كل واحد من الأشراف صارت إليه رعية من القبائل ، واستقر الشريف حيدر في قريته « نعمان » / بعد أن (عامله الشريف [ص ٤٦٨] الحسن)^(٤) بن الحسين بغير ما كان يظنه فيه ، واستبدّ برأيه ، وأضرب عنه صفحاً في صباحه ومساءله .

وفي هذه المدة نجم الخلاف ، بين أهل المدينة العريشية وبين « المسارحة » ، وتقطعت الطرقات وانتهكت المحرمات ، وضافت على الناس الأمور ، وكان في أثناء هذه المدة الشريف محمد بن الحسين مقيماً في قرية « البدوي » لتصليح أحوال « بني شبيل » ؛ لأن نظرهم إليه ، وهو القائم من تحت أخيه بالمدينة العريشية ، فاقتضى الأمر أن جماعة من « المسارحة » يوم « سوق البدوي » تجمعوا^(٤) [١٣٦/أ] قصدتهم (في الظاهر الملاقاة « لبني مروان » لموعده بينهم هناك فلما رآهم الشريف

(١) ص : بني .

(٢) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٣) الأصل و ص : وتدرك .

(٤) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

محمد) (١) خطر بباله أن ما مرادهم (إلا الشر ، فأرسل بعض أصحابه ليأخذ الحقيقة ، فوقعت) (١) المناوشة بالبندق (أن ضرب بعض الأشراف بعض القبائل ، فأنفقت) (١) نفوس « المسارحة » من ذلك ، وطاح (رجلان من « بني شبيل » من رمي البنادق ، ولما بلغ) (١) الشريف الحسن بن محمد توجه من « أبي عريش » إلى « جحا » (٢) ووقع (بينه وبين الشريف محمد بن الحسين الاجتماع) (٢) ووقع بينهم كلام في صلح ينسُدُّ به باب الفتنة بين الفريقين ، وتندفع به المحنة بين القبيلتين ؛ لأنهم متحادون في البلاد ، (وجعلوا) (٣) ذمّة ، ولكن في نفس الشريف محمد بن الحسين من ذلك غير قليل ، وطلب (من الشريف الحسن بن محمد) (٣) أن يحل العقوبة « بالمسارحة » وما أسعد ، وارتحل إلى المدينة (العريشية ، ولما انفتحت الفتنة) (٣) بين « العراشية » و « المسارحة » رأى ذلك من السعادة له ، ظناً أن يقضي مراده من (« المسارحة » على ما فعلوا) (٣) ، وكان « العراشية » تحت يده ؛ لأنه عاملهم ، وكانت (السعاة تمشي بين « العراشية » و « المسارحة ») (٢) ، ولم يتم بينهم أمر ؛ لأن « المسارحة » يعلقون (أمرهم بالشريف الحسن بن محمد ، وأهل « أبي عريش ») (٢) يعلقونها بالشريف محمد بن الحسين ، وما زال الشر (بين الفئتين والشريفين يتزايد ، حتى دخل) (٣) شهر رمضان ، وفي أثناءه قتل (« العراشية » رجلاً من « المسارحة » في أطراف وادي « مقاب » (٤) / (٥)

(١) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٢) جحا ، بضم الجيم وفتح الحاء المهملة ، من قرى الشرفاء على وادي خلب من أعمال جازان ، انظر : الجاسر ، المعجم الجغرافي ٢٥٢/١ .

(٣) بياض في الأصل ، وأثبتناها من ص .

(٤) - مقاب ، بفتح الميم والقاف ، وادٍ مأهول من أعمال أبو عريش بمنطقة جازان . انظر :

الجاسر ، المعجم الجغرافي ١٣٩٥/٢ .

(٥) انتهى مخطوط ص .

ووقع ذلك مبدأ الشر ، وانتهى الحال أن كاد الحرب يثور بين الشريف ...
الحسن ؛ لأن الحسن قد ضمنه أهل « أبي عريش » « للمسارحة » ، إن
جرى خلاف منهم على « المسارحة » في أثناء مدة الذمة أنه هو المخاطب
لهم ، فقام سبب الرجل المقتول من « المسارحة » يريد ببقية وجهه من
القبائل ، ولم يزل الحال على هذا حتى أذعن « العراشية » بواسطة
الشريف محمد بن الحسين ستمائة ريال للحسن بن محمد ، ونفي
القاتلين من « أبي عريش » ، ووقع الرضا بذلك في مدة مضروبة
انقضاء المدة سعى بعض الناس في تجديد ذمة أخرى بين « العراشية »
و « المسارحة » وكان محمد بن الحسين قد استدعى أخاه الحسن بن
الحسين لهذا المهم ، فكلما توسط المتوسط الأمر ظناً أن أخاه
الحسن سيصل بجند ليشفي غليله [١٢٦/ب] الثالث الجنود
الحسن بن الحسين معه العراشية لقصد الأخذ بالتأثر ، فما
والمراد أن يصرفه عن ما هو بصدده الفريقان ، وسعر بين الفريقين
الحرب العوان يقض الشريف الحسن بن الحسين والعراشية الأوطار ،
تراجعوا بقلوب من « العراشية » غير طيبة ، يرون أن لم ينصحوا
معهم في القتال ، وخلوا « المسارحة » وكل قد عرف ولما عرف
الشريف الحسن بن محمد أنه لا سبيل المساعدة ، فروا مع ما قد وقع
أن ذلك في توثيق الصلح من الجانبين الحسن بن الحسين في
رابع شهر الحجة إلى مدينة لم يساعده عليها أخوه الحسن
له على « أبي عريش » الشريف حمود .

ويعد بأن الباشا محمود قد وصلتته الشكايات وأدلو
بحجج في وقوع ظلامات فيما بلغ أن الباشا المذكور أرسل لم
يساعد على ذلك جعل من طرفه قائماً وهي مضافة في الانتساب
.... السلطان ، فبعد أن صلح الأمر بينه وبين الشريف الحسن بن محمد

اجتمع المساعدة في القيام خشية من أن يقوم فيها أحد من الأروام
وتخرج من أيديهم فأجابوا على الباشا محمود بالإذعان ، ورأوا أن طاعته
من طاعة السلطان

سنة إحدى وسبعين بعد المائتين والألف فيها خرج الشريف الحسن
ابن الحسين من « الزهراء »

انتهى المخطوط

الكشافات

- كشاف الآيات القرآنية .
- كشاف الأحاديث النبوية .
- كشاف الأعلام .
- كشاف القوافي .
- كشاف الأماكن والبلدان .
- كشاف الفرق والطوائف والأمم والقبائل .
- كشاف الكتب .
- كشاف السنوات .